

Let Him

وجه	وجه	وصف دابة
٢٧٧	٢١٥	وصف ابليس لنفسه
٢٧٩	٢١٦	زهريّة صفي الدين الحلبي
٢٨٠	٢٢٠	قصيدة عبد الغني النابلسي في وصف الشام
٢٨٢	٢٢٩	الباب الخامس عشر في الحكايات
٢٨٢	٢٢٩	هارون بن عبد الله والفيل
٢٩٦	٢٣٠	الوفا والفضل والمعروف عند بعض الكرام
٢٩٨	٢٣٤	حجدر والسبع
مشاهير المؤرخين والكتاب والفلاسفة من	٢٣٦	عصيان ابراهيم بن المهدي على امير المؤمنين
٣٠٥	٢٤٤	الباب السادس عشر في الفكاهات
٣٠٩	٢٤٥	الطيب والخليفة
٣٠٩	٢٤٨	الفضل بن يحيى والاعرابي
٣١١	٢٥٣	الباب السابع عشر في النوادر
٣١١	٢٥٣	مدينة الزهراء في الاندلس
٣١٢	٢٥٥	عجائب مصر كالمقياس والاهرام والنيل
٣١٢	٢٥٨	عنبرة والاسد
٣١٣	٢٦٠	ذكر القهوة
٣١٣	٢٦٢	الاندلس وعوائد اهلها واختراعاتهم
٣١٤	٢٦٥	الباب الثامن عشر في المراسلات
٣١٤	٢٦٥	فصل في المراسلات بين الملوك والامراء
٣١٥	٢٦٨	في الطب وحسن التواصل
٣١٥	٢٧٠	في الاشواق
٣١٦	٢٧١	فصول في العتاب والاعتذار
٣١٦	٢٧٣	فصول في الذم
٣١٧	٢٧٥	فصول في التوصية
٣١٧	٢٧٦	فصول في المديح والشكر
٣١٧		

وجه	وجه
١٥٩ قصيدة ابن البواب في وصف الخطّ	١٢٢ اشارة البنفسج
١٦٠ في الادب وتربية الصغار	١٢٣ اشارة الخزام
١٦٢ الباب الثامن في السيف والقلم	١٢٤ اشارة الشقيق
١٦٣ فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم	١٢٥ اشارة السحاب
١٦٦ في شرف الكتّاب	١٢٦ اشارة الهزار
١٦٨ الباب التاسع في اللطائف	١٢٧ اشارة الباز
١٦٨ وزير المأمون والشاعر	١٢٨ اشارة الحمام
١٦٩ مروان بن ابي حفصة وجعفر البرمكي	١٣٠ اشارة الخطّاف
١٧٠ الصلّات والصلّات	١٣١ اشارة البوم
١٧١ معن بن زائدة والثلاث جوارى	١٣٢ اشارة الدرة
١٧٢ الحسين بن الضحاك عند المتوكل	١٣٣ اشارة الديك
١٧٣ الباهلي والرشيد	١٣٤ اشارة البطّ
١٧٥ علي بن الخليل وزيد بن المزيّد	١٣٦ اشارة النخل
١٨٠ الباب العاشر في المدح	١٣٧ اشارة الشمع
١٨٠ بلعاء بن قيس وبنو هاشم	١٣٨ اشارة الغراب
١٨٠ مدح المأمون	١٤١ اشارة الهدهد
١٨١ مدح مقامات الحريريّ	١٤٢ اشارة الكلب
١٩٣ الباب الحادي عشر في الفخر والحماة	١٤٤ اشارة الجمل
٢٠١ قصيدة ابن سناء الملك في الفخر	١٤٥ اشارة الفرس
٢٠٥ الباب الثاني عشر في الهجو	١٤٦ اشارة دود القز
٢٠٨ الباب الثالث عشر في الانغاز	١٤٨ اشارة العنكبوت
٢١٤ الباب الرابع عشر في الوصف	١٤٩ اشارة النملة
٢١٤ وصف مصر	١٥٠ اشارة العنقاء
	الباب السابع في الذكاء والادب
	١٥٢ مدح مختلف العلوم
	١٥٤ ابو تمام والمتنبي وابو عبادة الجعدي
	١٥٧ وصف القلم
	١٥٨ وصف الخطّ

فهرس الجزء الرابع من كتاب مجاني الادب

وجه	وجه
٦٧	٣ الباب الاول في التدئين
٧٣	٣ عظمة الخالق وجبروته
٨٥	٤ من الشيبانية في التوحيد
٨٤	٥ قصيدة للبرعي في الاستدلال على الحق
٨٤	٦ مثن بدء الامالي في التوحيد
٨٥	٧ قصيدة للبرعي في الحق سبحانه
٨٦	٩ قصيدتان له في الابهال الى الله وحده
٨٧	١١ وله ايضاً من قصيدة في الرجاء بالله
٨٨	١٢ قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله
٨٩	١٣ قصيدة للباي في التوسل والاستعطف
٨٩	١٥ الباب الثاني في الزهد
٩٢	١٥ الزهد في الدنيا والانقطاع الى الله
٩٤	١٧ قصيدة للبرعي في الزهد
٩٨	٢٠ زهد رجل من بني عباس
٩٨	٢١ ذو النون والزاهدة
١٠٤	٢٢ ذلة الدنيا
١٠٨	٢٣ زوال الدنيا
١٠٩	٢٧ ذكر المنية والعواقب
١١٠	٣٣ في الدهر ونوائبه
١١٧	٣٤ قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة
١١٨	٣٥ للبرعي في الاغراء بالتوبة
١١٩	٣٨ ما كتبت على القبور
١٢٠	٤١ الباب الثالث في المراثي
١٢١	٤٨ رثاء مشاهير العرب
	٦٥ الباب الرابع في الحكم
وصية ابن سعيد المغربي لابنه	
وصية ابن طاهر لابنه	
وصية ابراهيم الدكاحي لابنه	
نخبة من حكم ابي عثمان لثون النجيب	
نخبة من حكم اوردتها البستي في ديوانه	
نخبة من اراجيز الشيخ السابوري	
التجارب	
الصمت وحفظ اللسان	
الصبر صدق النطق	
المكارم	
القصيدة الزينية اصالح بن عبد القدوس	
لامية ابن الوردي	
نونية ابي الفتح البستي	
الباب الخامس في الامثال	
امثال في معاني مختلفة جمعها ابن عبد رب	
ايات مثلية للتبني والحريري	
نخبة من الصادح والباغم لابن حجة الحموي	
نخبة من قصيدة ابي العتاهية المثلية	
الباب السادس في الامثال والاشارات	
الملك المتروى	
نخبة من كشف الاسرار عن حكم الطيور	
والازهار لابن غانم المقدسي	
اشارة النسم	
اشارة الورد	
اشارة المرسين	
اشارة الزرجس	
اشارة البان	

يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) هشام (٧٢٤-٧٤٣)

٣٩٢ ثم قام بالامر بعده يزيد بن عبد الملك . وكان ايضاً جسيماً مليح الوجه خرج في ايامه يزيد بن المهلب فارس على اخاه مسلمة فقاتله وظفر به . ثم توفي يزيد لاربعة سنين من خلافته بعد ان عهد بالخلافة الى اخيه هشام . بويغ له بالخلافة يوم مات اخوه . وكان حازماً عاقلاً صاحب سياسة حسنة ايض . وكان ذاراي ودهاء وخزم وفيه حلم وقلة شره وقام بالخلافة اتم قيام . وكان يجمع الاموال ويوصف بالبلغل والحرص . يقال انه جمع من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبله . وفي ايامه غزا المسلمون بلاد الترك فانتصروا وغنموا شيئاً كثيراً . وقتلوا من الاتراك مقتلة عظيمة وقتلوا ابن خاقان ملك الترك . وكان المتولي لرحمهم اسد بن عبد الله القسري . وفي ايام هشام ايضاً خرج زيد بن زين العابدين ودعا الى نفسه فاسرعت اليه الشيعة . وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفي . فجمع العساكر وناوش زيدا القتال فاصاب زيدا سهم في جبهته فحمل من المعركة فأت ودفن . فلما اصبحوا استخرجوه يوسف من قبره فصلبوه . ومات هشام بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة . وكان مرضه الذبحة

الوليد الثاني (٧٤٣-٧٤٤) يزيد الثالث (٧٤٤-٧٤٥)

٣٩٣ ابن يزيد مقيماً في البادية فلما مات هشام سار من فورِهِ الى دمشق واقام في الخلافة سنة واحدة وكان اكمل بني أمية اديباً وفصاحةً وظرفاً واعرفهم باللغة والنحو . وكان جواداً مفضلاً . ومع ذلك لم يكن في بني أمية اكثر ادماناً للشراب والسباع ولا اشد مجوناً وتحتكاً واستخفافاً بالامة من الوليد بن يزيد . فاجمع اهل دمشق على خلعه وقتله لاشتباره بالمنكرات وتظاهره بالكفر والزندقه . فلم يلبث الا اياماً يسيرة حتى قُتل شرقتة وصلب راسه على شرفات قصره ثم على اعلى سور بلده . ولما قُتل اضطربت البلاد واستنصر على بني أمية اعداؤهم ولم تقم لهم رقعة بعده . ثم تولى يزيد الثالث ابن الوليد وابن عم الوليد بن يزيد وسعي النافس فتفائل بنو أمية بولايته فاقام في الخلافة والامور مضطربة عليه . وكان مظهرًا للنسك محمود السيرة مرضي الطريقة ويخلق باخلاق عمر بن عبد العزيز . وكان ذا دين وورع الا انه لم يمتنع وبغته المنية

ابراهيم بن الوليد (٧٤٥) مروان الثاني (٧٤٦)

٣٩٤ ثم بويغ اخوه ابراهيم فلم يثبت له امر . ومكث سبعين يوماً فسار اليه مروان بن محمد . فبرز اليه الخليفة وعسكر بظاهر دمشق فنحله جنده وحاصروا عليه بعد ان اتفق عليهم الخزان واخفى امرهم فباع الناس مروان واستوثق له الامر وخلعوا ابراهيم . وظهر السفاح بالكوفة وبويغ له بالخلافة . فجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد فالتقى الجمعان قرب الموصل . فهزم مروان وقُتل في هربه وظهرت دولة بني عباس وانقرضت دولة بني أمية (لاي الفداء) ثم بجواه تعالى

فقيهاً عالماً وكان ديناً . فلماً تولى الخلافة استهوته الدنيا فتغير عن ذلك (لابي الفرج)

الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ — ٧١٥)

٣٩٠ هو سادس خلفائهم وكان مغرمًا بالبناء واستوثقت له الامور . ومن بنيائاته المسجد الاقصى واعطى المجذمين ومنهم السؤال الى الناس . واعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً . ومنع الكتاب النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعربية . وفي ايامه اجاز طارق الى الاندلس فنقض لذريق ملك القوط وزحف الى طارق فالتقوا بفحص شريش فهزم الله لذريق واذنعت الاندلس لامر الوليد . وفتحت في ايامه الفتوحات الكثيرة من ذلك ما وراء النهر . وتغلغل الحجاج في بلاد الترك . وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسي . وفتح محمد بن القاسم الثقيفي بلاد الهند . وفي سنة ثمان وثمانين امر الوليد ببناء جامع دمشق * وكان فيه كنيسة فهدمها . فانفق عليه اموالاً كثيرة تجل عن الوصف . وفي ايامه توفي الحجاج وقيل انه احصي من جملة الذين قتلهم الحجاج فكانوا مائة الف وعشرين الفا . ومات الوليد سنة ست وتسعين (للدميري)

سليمان بن عبد الملك (٧١٥ — ٧١٧) عمر بن عبد العزيز (٧٢٠ —)

٣٩١ ثم قام بالامر بعده اخوه سليمان وهو سابعهم . واحسن السيرة ورد المظالم واوى المشتريين واخرج الجبوسين . وكان غيوراً شديد الغيرة خصماً واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيراً وجهازه مسلمة لغزو القسطنطينية . ونزل سليمان في مرج دابق فشئى مسلمة على قسطنطينية وزرع الناس بها الزرع واكلوه . واقام مسلمة قاهراً قسطنطينية حتى جاءه الخبر بموت سليمان متخماً . وكانت خلافة سليمان سنتين وثمانية اشهر واستخلف وزيره عمر بن عبد العزيز كان عمر عفيفاً زاهداً ناسكاً عابداً تقياً . وهو اوّل من فرض لاهل السبيل . وابطل في الخطب سب علي . وكان اليه المنتهى في العلم والفضل والشرف والورع والتألف ونشر العدل . وتوفي عمر بدير سمعان وكان موته بالسنة عند اكثر اهل التاريخ . فان بني اُمّية علموا انه ان امتدت ايامه اخرج الامر من ايدهم وانه لا يعهد بعده الا لمن يصلح للامر فعالجوه وما اهلوه . وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر . وكان في وجهه شجرة من رمح دابة . وكان يدعى بالاشج . وكان متحرباً سيرة الخلفاء الراشدين . وكانت نفقته كل يوم درهين . وفي ايامه تحركت دولة بني هشام وكان كثيراً ما يمثل بهذه الايات :

نهارك يا مغرور سهو وغفلة
واملك نور والردى لك لازم
يفرك ما يفنى وتفرح بالمنى
كما غر باللذات في النوم حالم
وشغلك فيما سوف تكره غبه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

دول وسائس أمم وراعي ممالك ابتكر في الدولة اشياء لم يسبقه احد اليها . منها انه وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة . واختار ديبان الخاتم فصارت التواريخ تصدر منه محتومة لا يمكن احد من تغييرها . وفي سنة خمسين سیر جيشاً كثيفاً الى القسطنطينية فاوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية ولم يدخلوها . وفي ايامه بُنيت القيروان وكمل بناؤها في خمس سنين . ولما حضرته الوفاة جمع اهله فقال : أَلستم اهلي . قالوا : بلى فذاك الله بنا . قال : فهذه نفسي قد خرجت من قديمي فردوها عليّ أن استطعم . فبكوا وقالوا : ما لنا الى هذا سبيل . فرفع صوته بالبكاء ثم قال : فلا تغرم الدنيا بعدي . وتوفي بدمشق في مستهل رجب سنة ستين (للفخري)

خلافة يزيد بن معاوية (٦٨٠-٦٨٣)

٣٨٧ بويج له بالخلافة يوم مات ابوه . وكان يزيد بمحصى فقدم منها وبايعه الناس . ولم يسايعه الحسين بن علي بن ابي طالب ولا عبد الله بن زبير . فسير جيشاً الى محاربة الحسين فادركوه فحملوا عليه واصحابه واحتزوا راس الحسين . اما عبد الله بن زبير فلتق بمكة وتحصن في المسجد الحرام . فسار اليه الحصين بن غير ونصب الخنجر على ابي قبيس ورمى به الكعبة فخرقت استارها . وبينما هم كذلك اذ ورد الى الحصين الخبر بموت يزيد بن معاوية . فارسل الى ابن زبير يسأله المودعة فاجابه الى ذلك . وتوفي يزيد في شهر ربيع الاول سنة اربع وستين . وكان آدم جمعاً احوار العينين . بوجه آثار جُدري حسن اللحية خفيفها طويلاً . وكان موثق الرغبة في اللهو والنقص . تعلم الفصاحة ونظم الشعر في بادية بني كلب (لابي الفداء)

معاوية الثاني (٦٨٣) ومروان بن الحكم (٦٨٤)

٣٨٨ ثم قام بعده بالامر معاوية ابنه ولم تكن ولايته غير ثلاثة اشهر . ثم تولى بالعبادة ومات بالطاعون . واما عبد الله بن زبير فلما مات يزيد دعا الناس الى البيعة وادعى الخلافة . فظفر بالحجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام والآل الاردن . ثم بويج بالاردن لمروان بن الحكم وكان كاتب السر لثمان . ثم دخل الشام فاذعن اهلها له بالطاعة . وسار اليه من قبل عبد الله بن زبير الضحّاك بن قيس . فاقتتلوا بغوطة دمشق فقتل الضحّاك . ومات مروان بدمشق مخنوقاً . وكانت مدة خلافته تسعة اشهر

عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥)

٣٨٩ بويج سنة خمس وستين بالشام . واما ابن الزبير فبعث اخاه مصعباً على العراق فقدم البصرة واعطاه اهلها الطاعة . واستولى المصعب على العراقيين فسار اليه عبد الملك بن مروان . فالتقوا بسكن وقتل مصعب واستقام العراق لعبد الملك . وكان الحجاج بن يوسف الثقفي على شرطه فرأى عبد الملك من نفاذه وجلالته ما اعجب به . فبعثه الى عبد الله بن زبير فقتله وسلخ جلده وحشاه تبناً وصلبه . وتوفي عبد الملك سنة ست وثمانين وكان حازماً عاقلاً

فَأَبَى . وقال : أَن اكون وزيراً لكم خيرٌ من أَن اكون اميراً ومن اخترتم رضيتُهُ . فالحقوا عليه وقالوا : لا نعلم أحقَّ منك حتى غلبوه في ذلك . ثم ادَّعى الزُّبير بن العوام وطلحة الإِكره بعد ذلك وقالاً على نقض إِمارة علي . فلحق عليٌ بهم وناجزهم الحرب وقتل الزبير وطلحة . وسميت هذه الواقعة وقعة الجمل . ولما بلغ معاوية خبر الجمل دعا اهل الشام الى القتال . فخرج عليٌ من الكوفة واقتتلوا قتالاً شديداً في صَفَيْن . ثم تهادنا وافترقا . ثم تعاهد شبيب وابن المَجْرم على قتل عليٍّ وكمنا له في المسجد . فلماً خرج عليٌّ ونادى بالصلاة علاه شبيب بالسيف وضربه ابن المَجْرم على مقدم رأسه . فدعا عليٌّ قبل موته الحسن والحسين ابنيه ووصَّاهما وقال : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بعتكما . ولا تأسفا على شيء ذوى منها عنكما . وقولا الحق وارحما اليتيم وكونا للظالم خصماً وللظالم ناصراً . ولا تأخذكما في الله لومة . ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ثم قبض . وصفهُ ضرار بن ضمرة قال : كان عليٌّ بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه . وتنطق الحكمة من نواحيه . يستوحش من الدنيا وزهرتها . ويأنس بالليل ووحشته . غزير العبرة . طويل الفكرة . يعجبه من اللباس ما خشن . ومن الطعام ما جش . وكان فينا كأحدنا . يحيننا اذا سألناه ويأتينا اذا دعواناه . ونحن مع تقربه لانكاد نكلمه هيبَةً له . لا يطمع القوي في باطله ولا يياسر الضعيف من عدله (لابن خلدون)

الحسن بن علي بن ابي طالب (٦٦١ - ٦٦٢)

٣٨٥ ولما قُتِل عليٌّ اجتمع اصحابه بالكوفة فبايعوا ابنه الحسن . وبويع معاوية بالشام . فسار الحسن الى المدائن واستقرَّ بها خمسة اشهر . ولما رأى المناوشة بين اصحابه قال : لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيت أَن أسلمهُ الى معاوية فيكون في عنقه تبعاتُهُ واوزارُهُ . فقال له الحسين اخوه : أشدك الله أَن لا تكون أوَّل من عاب اباه ورغب عن رأيه . فقال : لا بدَّ من ذلك وقد اخترتُ العار على النار . وبعث الى معاوية بتسليم الأمر اليه واشترط عليه شروطاً . فاجابه معاوية الى ما اتهمه منه . فسلم الأمر الى معاوية وبايع له خمس بَقَيْن من ربيع الأوَّل . وذلك لانه رأى المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال (لابي الفداء)

دولة الامويين (٦٦٢ - ٧٤٦)

خلافة معاوية (٦٦٢ - ٦٨٠)

٣٨٦ ولما بويع بالخلافة استقام له الملك وصفت له الولاية . وكان معاوية مليح (الشكل عظيم الهيبة وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة ويركب الخيل المسومة . وكان كثير البذل والعلو ، محسناً الى رعيته . وهو أوَّل من اتخذ المقاصير واقام الحرس والحجَّاب وأوَّل من مشي بين يديه صاحب الشرطة بالحرا بوله في الحلم اخبار كثيرة . واعلم ان معاوية كان مربِّي

فحمل العرب حملة رجل واحد وقتلوا هيران قائدهم . فانهمز العجم لاحقين بالمدائن . ثم ولّى يزيد جرد عظيماً من عظماء مرازبته له سنٌّ وتجربة يُقال له رستم . وعقد ايضاً لرجل آخر يُسمى الحرمران في جنود كثيرة . وعند الانقضاء قُتِلَ هذان المرزبانان ومُرت العرب في أثر العجم يقتلون من أدركوا منهم .

(تاريخ ابن خلدون)

وفي خلافة عمر فتح أبو عبيدة وخالد دمشق بعد حصار سبعة اشهر فخرج اهل دمشق وبذلوا الصلح لأبي عبيدة . فأمّنهم وصالح اهل طبرية وقيسارية وبعبلبك . وعلى يد عمر انتفى الفتح الى حمص والرها وماردين وطرابلس وعسقلان وما يليها من الساحل وبيت المقدس . وفتح عمرو بن العاص مصر عنوة وفتح الاسكندرية صلحاً . حتى هاب عمر ملوك فارس والروم . ومع ذلك كَلِهَ بقى على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه وزيه وافعاله وتواضعه يسير منفرداً من غير حرس ولا حجاب . لم تغيّر الامرة ولم يستطبل على مسلم بلسانه . ولا حابى احداً في الحق . وكان لا يطمع الشريف في حيف ولا يبأس الضعيف من عدله . ومات عمر يوم الاربعاء لخمس بقين من ذي الحجة . وقتله ابو لؤلؤة الجوسي وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر . واما فتح عمرو بن العاص مصر طلب منه يوحنا النخوي النصراني كتب الحكمة التي في الخزان الملكية . فكتب عمرو الى الخليفة يستأذن امير المؤمنين . فكتب اليه عمر : الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى . وان كان فيها ما يخالفه فلا حاجة اليه فتقدم باعداها . فشرع عمرو في تفريقها على حمّامات الاسكندرية واحرقها في مواقيدها . فاستيقظت في مدة ستة اشهر .

(لابن العميد)

عثمان بن عفان (٦٤٥ - ٦٥٧)

٣٨٣ بُوع له بالخلافة في أول يوم من سنة اربع وعشرين . وكانت له شفقة ورأفة بالرعية . وافتتحت في ايامه افريقية وغزاه معاوية قبرس وأنقرة وافتتحها صلحاً . وانزع عثمان عمرو ابن العاص عن الاسكندرية فأمر عليها اخاه لأمة . ثم ان الناس انكروا على عثمان اشياء منها كلفه باقاريه . فحنقت العرب على ذلك وجمعوا الجموع ووزلوا فريسيّاً من المدينة . وبعثوا الى عثمان من يستعبه ويقول له : إماماً أن تعتدل او تعتزل

وكتب عثمان اليهم كتاباً يقول فيه : اني انزع عن كل شيء انكرتموه وأتوب الى الله . فلم يقبلوا منه ثم اشتد عليه الحصار عشرين يوماً حتى تسوّر محمد بن أبي بكر مع رجلاين حائظ عثمان فضربه احدهم بمشقص في اوداجه . وقتله الآخر والمصحف في حجره . وكانت خلافته اثني عشرة سنة . وعمره ثبث وثمانون سنة .

(للدميري)

علي بن ابي طالب (٦٥٧ - ٦٦١)

٣٨٤ ولما قُتِلَ عثمان اجتمع طلبة والزُّبَيْر والمهاجرون والأنصار وأتوا علياً يبايعونه

الرجل عند قومك قتل أباك وطأطأ في قومك القتل وسفل بن بقي منهم فهل عندك من مالاة عليه . فاجابت أزداد الى قولهم . ولما جن الليل أدخلت الرجال في مقصورة الأسود زوجها . وهو يقطر فألحموه بمسلة وأمرؤا الشفرة على حلقه . فخار خوار الثور . فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة : ما هذا ما هذا . فقالت المرأة : النبي يوحى اليه . ولما قُتِل الأسود وأراح الله الإسلام من شره تراجع الامراء واعتذر الناس (الآداب السلطانية للفري)

ثم ظهر مسيلمة الكذاب . وأوقع أعظم فتنة في أهل اليمامة وكان يؤذن له ويُشهد له بالرسالة . وكان يسجع لقومه بالسباع يزعم أنها قرآن يأتيه ويأتي بخارق يزعم أنها معجزات فيقع منها ضد المقصود . فامر أبو بكر خالد بن الوليد بالمسير الى نخاربه . وكان بينها وفتات واشتد الحرب بين الفريقين . واقتمح المسلمون باجمعهم الى مسيلمة وأصحابه . فقاتلوه حتى احترت الأرض بالدماء . ونظر عبد أسود اسمه وحشي الى مسيلمة فرماه بحربة فوقعت على خصرته فسقط عن فرسه قتيلاً (لطبري)

فتح العراق (٦٣٣) والشام (٦٣٣ - ٦٣٨) وموت ابي بكر (٦٣٥)

٣٨١ ومن هناك توجه خالد الى أرض العراق فزحف الى الحيرة ففتحها صلحاً . وكان ذلك أول شيء افتتح من العراق . وقد كان ابو بكر وجه قبل ذلك أبا عبدة بن الجراح في زهاء عشرين الف رجل الى الشام . وبلغ هرقل ملك الروم ورود العرب الى أرض الشام . فوجه اليهم سرجيس البطريق في خمسة آلاف رجل من جنوده ليحارهم . وكتب أبو بكر الى خالد عند افتتاحه الحيرة يأمره أن يسير الى أبي عبدة بارض الشام . ففعل والتقى العرب والروم بالعجادين فانهمز الروم . وقتل سرجيس البطريق وذلك أنه في هربه سقط من فرسه . فركبه غلامه فسقط فركبه ثانياً فهبط ايضاً وقال لهم : فوزوا بانفسكم واتركوني أقتل وحدي . وفي سنة ثلاث عشرة للهجرة مرض أبو بكر خمسة عشر يوماً ومات رحمه الله يوم الاثنين لثاني خلون من جمادى الآخرة . وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر

خلافة عمر (٦٣٥ - ٦٤٥) فتح دمشق (٦٣٦) فارس (٦٣٨) مصر (٦٤٠)

٣٨٢ ثم قام بالأمر بعده عمر بن الخطاب ببيع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر . فقام بعده بمنزلة سهرته وجهاده وثباته وصبره على العيش الحشن والقناعة باليسير وفتح الفتوحات الكبار والأقاليم الشاسعة . وهو أول من سمي بامير المؤمنين فأرخ التاريخ ودون الدواوين وعصر الأمصار وشهد بديراً . وهو أول من عس في عمله لحفظ الدين والناس . وهابه الناس هبة عظيمة وزاد في الشدة في مواضعها واللين في مواضعه . ولأولي الأمر لم يكن له همة الا العراق . ففقد لأبي عبدة بن مسعود على زهاء الف رجل وأمره بالمسير الى العراق فعبروا اليها . فزحف اليهم العجم فتناجزوا من وقت الزوال الى أن توارت الشمس بالحجاب .

حَرْبٍ . وَفِي (السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ) حَجَّ حِجَّةَ الْوُدَاعِ . ثُمَّ وَعَكَ وَمَرَضَ وَتُوِّفِيَ
يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِلْيَمِينِ بَقِيَّتَا مِنْ صَفَرٍ وَكَانَ عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً . وَلَمَّا
تُوِّفِيَ أَرَادَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَدَّهُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا مَسْقُطُ رَأْسِهِ .
وَأَرَادَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ دَفْنَهُ بِالْمَدِينَةِ لِأَنَّهَا دَارُ هِجْرَتِهِ وَمَدَارُ
نُصْرَتِهِ . ثُمَّ دَفَنُوهُ بِالْمَدِينَةِ فِي هِجْرَتِهِ حَيْثُ قُبُضَ (*) (لَا بِي الْفَرَجِ)

ذكر الخلفاء الراشدين (٦٣٣ - ٦٦٢)

خلافة أبي بكر (٦٣٣ - ٦٣٥)

٣٧٩ ثم اجتمع المهاجرون والأنصار للبيعة فارتفعت الأصوات وكبر اللفظ . فلهذا أشفق
عمر الاختلاف قال : إنا والله ما وجدنا امرأةً هو أقوى من مبايعة أبي بكرٍ ثم قال لأبي بكرٍ : أبسط
يدك فابايك . فبسط يده فبايعه وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار . ولما بويع أبو بكرٍ ضرب
بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم . وأمر أسامة بن زيد فقال له الناس : إن هؤلاء جل المسلمين
على ما ترى نجم فيهم النفاق وانتقضوا بك . فليس ينبغي لك أن تُفَرِّقَ عنك جماعة المسلمين .
فقال : والذي نفس أبي بكرٍ بيده لو ظننتُ أنَّ السباع تُخطفني لأنفذتُ بعث أسامة إلى الشام .
ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته . ثم خرج أبو بكرٍ إلى البعث حتى أتاهم . فاشخصهم وشيعهم
وهو ماشٍ وأسامة راكبٌ . فقال له أسامة : يا أمير المؤمنين والله لتركبنَّ أو لأترنن . فقال :
لأترنن ولا أركبُ وما عليَّ أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعةً (تاريخ الملوك للطبري)

خبر الأسود العنسي ومسيلمة الكذابين (٦٣٤)

٣٨٠ كان الأسود هذا غاب على صنعاء ومغازة حضرموت إلى عمل الطائف إلى البحرين .
وادعى النبوة وطابت عليه اليمن وجعل يستطير استطارة الحريق . فبعث أبو بكرٍ رجالاً
لحاويلته أو مصاولته . فدخلوا على أزاده وهي امرأته فقالوا لها : يا ابنة العم قد عرفتِ بلاء هذا

(٥) وصفه علي بن أبي طالب قال : كان راجح العقل يكثر الذكر ويقل اللغو دائم البشر
مطيل الصمت لا ينفرد أحداً . وكان ليس بالطويل ولا بالقصير ضخيم الراس كث اللحية مشرباً وجهه
حمرةً وقيل : كان ادعى العيين سبط الشعر سهل الحدين . واختلف في أزواجه قال أبو الفداء :
تزوج بخمس عشرة امرأةً وولد له سبعة أولاد كلهم من خديجة الأبراهيم ابنه فإنه من مارية
القبطية التي بعث بها المقوقس ولم يعيش منهم بعده إلا فاطمة فتوفيت بعد أبيها بثلاثة أشهر

فَاجْرَعَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ يَثْرِبُ . وَفِي (الْسَّنَةِ الْأُولَى) مِنْ هِجْرَتِهِ
 اِخْتَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَنَصَرُوهُ عَلَى الْمُكَبِّينَ أَعْدَائِهِ . وَفِي (الْسَّنَةِ الثَّانِيَةِ)
 مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةٍ بَدْرُ وَهِيَ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى
 وَهَزَمَ بِثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْقَائِمِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ
 الْمُشْرِكِينَ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ عَنْ جِهَةِ أَلْيَتِ الْمُقَدَّسِ
 إِلَى جِهَةِ الْكَعْبَةِ . وَفِيهَا فُرِضَ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَفِي (الْسَّنَةِ الثَّالِثَةِ)
 خَرَجَ إِلَى غَزَاةٍ أُحُدٍ وَفِيهَا هَزَمَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ وَشَجَّ فِي وَجْهِهِ
 وَكَسَرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ . وَفِي (الْسَّنَةِ الرَّابِعَةِ) غَزَا بَنِي النُّضَيْرِ الْيَهُودَ وَأَجْلَاهُمْ
 إِلَى الشَّامِ . وَفِيهَا اجْتَمَعَ أَحْزَابُ شَتَّى مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ
 وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَلَاقَاهُمْ هَالِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ
 أَمْرُ بَحْفَرٍ خَنْدَقٍ وَبَقُوا بِضْعَةَ عَشْرِينَ يَوْمًا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ .
 وَفِي (الْسَّنَةِ السَّادِسَةِ) خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَنِي الْمُضْطَلِقِ وَأَصَابَ
 مِنْهُمْ سَبْيًا كَثِيرًا . وَفِي (الْسَّنَةِ السَّابِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ خَيْبَرِ مَدِينَةِ
 الْيَهُودِ وَيُنْقَلُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ عَالَجَ بَابَ خَيْبَرٍ وَأَقْتَلَعَهُ وَجَعَلَهُ
 حِمْنًا وَقَاتَلَهُمْ . وَفِي (الْثَامِنَةِ) كَانَتْ غَزَاةُ الْفَتْحِ فَفُتِحَ مَكَّةَ وَعَهِدَ الْمُسْلِمِينَ
 أَنْ لَا يَقْتُلُوا فِيهَا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ . وَأَمَّنَ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَمَنْ أَغْلَقَ
 عَلَى نَفْسِهِ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ سِوَى قَوْمٍ
 يُؤْذُونَهُ . وَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ وَهُوَ عَظِيمُ مَكَّةَ مِنْ تَحْتِ السَّيْفِ . وَفِي
 (الْسَّنَةِ الثَّاسِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ تَبُوكَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَلَمْ يَخْتِجْ فِيهَا إِلَى

الْبَابُ الْعَشْرُونَ فِي التَّارِيخِ

صاحب الشريعة الاسلامية محمد بن عبد الله

٣٧٨ ذَكَرَ النَّسَابُونَ أَنَّ نِسْبَتَهُ تَرْتَقِي إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلِ
الَّذِي وَلَدَتْ لَهُ هَاجِرُ أُمَّةٌ سَارَا زَوْجَتِهِ . وَكَانَ وَلَادُهُ بِمَكَّةَ سَنَةً اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ وَثَمَانِيَةً لِلْإِسْكَانْدَرِ وَلَمَّا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ سَنَتَانِ بِالتَّقْرِيبِ مَاتَ
عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ سِتِّ سِنِينَ . فَلَمَّا
تُوفِّيَتْ أَخَذَهُ إِلَيْهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِحِجَابَتِهِ وَصَّمَهُ إِلَيْهِ وَكَفَلَهُ . ثُمَّ خَرَجَ
بِهِ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا نَزَلُوا بَصْرَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ
رَاهِبٌ عَارِفٌ اسْمُهُ بُحَيْرَا مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَجَعَلَ يَتَخَلَّلُ الْقَوْمَ حَتَّى انْتَهَى
إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : سَيَكُونُ مِنْ هَذَا الصَّبِيِّ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْتَشِرُ
ذِكْرُهُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسُ
وَعَشْرُونَ سَنَةً عَرَضَتْ عَلَيْهِ أُمْرَأَةٌ ذَاتُ شَرَفٍ وَيَسَارٍ اسْمُهَا خَدِيجَةُ أَنَّ
يُخْرِجَ بِمَا لَهَا تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا تُعْطِي غَيْرَهُ . فَأَجَابَهَا إِلَى
ذَلِكَ وَخَرَجَ . ثُمَّ رَغِبَتْ فِيهِ وَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا وَعُمُرُهَا
يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً . وَأَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ تُوفِّيَتْ بِمَكَّةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
سَنَةً . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
عَمُّهُ وَمَاتَتْ أَيْضًا خَدِيجَةُ زَوْجَتُهُ أَصَابَتْهُ قُرَيْشٌ بِعَظِيمٍ مِنْ أَذَى

٣٧٧ (الصَّابِي ٩٣٤-٩٨٣) أَبُو الْحَسَنِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
 ابْنِ زَهْرُونَ بْنِ حَبُونِ الْحَرَّانِيِّ الصَّابِيُّ صَاحِبُ الرِّسَائِلِ الْمَشْهُورَةِ
 وَالنَّظْمِ الْبَدِيعِ وَكَانَ كَاتِبَ الْإِنشَاءِ بِبَغْدَادَ عَنِ الْخَلِيفَةِ وَعَنْ عِزِّ
 الدَّوْلَةِ بِخُتْيَارِ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهٍ الدَّلِيلِيِّ . وَتَقَلَّدَ دِيْوَانَ الرِّسَائِلِ
 سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَكَانَتْ تَصْدُرُ عَنْهُ مَكَاتِبَاتٌ إِلَى عَضُدِ
 الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ بِمَا يُؤْلَهُ فَحَقَّدَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا قُتِلَ عِزُّ الدَّوْلَةِ وَمَلَكَ عَضُدُ
 الدَّوْلَةَ بِبَغْدَادَ أَعْتَقَلَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ . وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ
 لَهُ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الدَّلِيلِيَّةِ فَعَمِلَ الْكِتَابَ التَّاجِيَّ . فَقِيلَ لِعَضُدِ
 الدَّوْلَةِ إِنَّ صَدِيقًا لِلصَّابِيِّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَرَأَاهُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنْ
 التَّلْعِيقِ وَالتَّسْوِيدِ وَالتَّبْيِيزِ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَعْمَلُ فَقَالَ : أَبَاطِيلُ أُنَمِّقُهَا
 وَأَكَاذِيبُ أُلَفِّقُهَا . فَحَرَّكَتْ سَاكِنَتُهُ وَهَاجَتْ حِقْدُهُ وَلَمْ يَزَلْ مُبْعَدًا
 فِي أَيَّامِهِ . وَكَانَ مُتَشَدِّدًا فِي دِينِهِ . وَجَهَدَ عَلَيْهِ عِزُّ الدَّوْلَةِ أَنْ يُسَلِّمَ
 فَلَمْ يَفْعَلْ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِنَ الْمُنْظُومِ وَالْمُنْشُورِ (*) (لَا بَنَ خَالِكَانَ)

(*) وقد اشتهر كثير من الكتاب والمصنفين بين النصارى فسُتغني بذلك عن بعضهم ففهم ابن
 المقفَّع الكاتب المشهور صاحب الرسائل البديعة والدرَّة اليتيمة ومعرَّب كتاب كَلِيلَةِ وَدْمَنَةِ .
 ومنهم زكريا الافريجي المنطقي نزيل بغداد . ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي توفي سنة ٩٠٨ الحاسب
 الفيلسوف عرَّب كتبًا كثيرة منها كتاب الفلاحة : ومنهم القديس قزما المنشئ . ومنهم القديس
 يوحنا الدمشقي يعرفه العرب بابن منصور وكان أبوه من اعيان الدولة الاموية خرَّجه في
 العلوم والمعارف على القديس قزما الشيخ فبلغ منها المبلغ الطائل حتى صار مشكاةً للأدب . ودافع
 عن أكرام الصور فردَّت له العذراء يده المقطوعة بدسائس الملك لاون الازوري . ثم انقطع
 الى الله في بلاد فلسطين وألَّفَ عِدَّةَ تَأْلِيفٍ فَلَاسِفِيَّةٍ وَلاهُوتِيَّةٍ فَلَقَّبَ بِحَجَرِيٍّ الذَّهَبِ وَتُوفِيَ سَنَةَ
 ٧٨٥ . وَتَدَاثَرَتْ الْيَسُوعِيَّةُ دَارُهُ بِدَمَشَقٍ مِنْ عَهْدٍ قَرِيبٍ وَمَوْقِعُهَا قَرِيبُ بَابِ تَوْمَا

بِلَادِ الرُّومِ . فَاجْتَمَعَ بِهِ فَرَّاهُ فَاضِلًا فَصِيحًا فَاسْتَضَحَّهُ إِلَى بَغْدَادَ وَأَرْزَلَهُ
 فِي دَارِهِ وَوَصَلَهُ بِالْخَلِيفَةِ . وَعَقِبَهُ بِهَا إِلَى الْآنَ . وَلَهُ وَلَدٌ يُسَمَّى إِبْرَاهِيمَ
 بَلَغَ رُتَبَةً أَيْبَهُ فِي الْفَضْلِ وَكَانَ مِنْ حُذَّاقِ الْأَطِبَّاءِ . عَالَجَ مَرَّةً السُّرِّيَّ
 الرَّفَّاءَ الشَّاعِرَ فَاصَابَ الْعَافِيَةَ فَعَمِلَ فِيهِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي طَيْبِ
 هَلْ لِلْعَلِيلِ سِوَى ابْنِ قُرَّةَ شَافِي بَعْدَ الْإِلَهِ وَهَلْ لَهُ مِنْ كَافِي
 فَكَانَتْهُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ نَاطِقًا يَهْبُ الْحَيَاةَ بِأَيْسَرِ الْأَوْصَافِ
 يَبْدُو لَهُ الْدَاءُ الْخَفِيُّ كَمَا بَدَا لِلْعَيْنِ رَضْرَاضُ الْغَدِيرِ الصَّافِي
 ٣٧٦ الْكِنْدِيُّ (٢٤٦ هـ) (٨٦٠ م) . هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ
 النَّصْرَانِيُّ . وَكَانَ شَرِيفَ الْأَصْلِ بَصْرِيًّا وَكَانَ أَبُوهُ إِسْحَاقُ أَمِيرًا عَلَى
 الْكُوفَةِ لِلْمَهْدِيِّ وَالرَّشِيدِ . وَيَعْقُوبُ هَذَا أَوْحَدُ عَصَرِهِ فِي فُنُونِ
 الْأَدَابِ وَشَهْرَتُهُ تُغْنِي عَنْ الْأَطْنَابِ . وَكَانَ لَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى بِمُلُومِ
 الْيُونَانِ وَالْهِنْدِ وَالْعَجَمِ مُتَقِنًا عَالِمًا بِالطِّبِّ وَالْمَنْطِقِ وَتَأْلِيفِ اللُّحُونِ
 وَالْهَنْدَسَةِ وَالْهَيْئَةِ وَالْفَلَسَفَةِ . وَلَهُ فِي أَكْثَرِ هَذِهِ الْعُلُومِ تَأْلِيفُ
 مَشْهُورَةٌ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ مَنْ أَشْتَهَرَ عِنْدَ النَّاسِ بِمَعَانَاةِ عِلْمِ
 الْفَلَسَفَةِ حَتَّى يَمُوتَ فَيَلْسُوفًا غَيْرَ يَعْقُوبَ . وَكَانَ مُعَاصِرًا لِقُسْطَا بْنِ
 لُوقَا الْفَلَسُوفِ الْبَلْبَكِيِّ النَّصْرَانِيِّ وَأَسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ وَأَخَذَ عَنْ أَبِي
 مَعْشَرٍ الْبَلْخِيِّ . وَمِنْ أَنْسَبَاءِ يَعْقُوبَ هَذَا عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ إِسْحَاقَ
 الْكِنْدِيُّ وَلَهُ رِسَالَةٌ مُشْتَهَرَةٌ قَدْ فِيهَا اعْتِرَاضَاتُ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ
 الْهَاشِمِيِّ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ . ذَكَرَهَا أَبُو رِيحَانَ فِي تَأْرِيخِهِ

المغرب . وأقيم أسقفاً على مدينة ملطية وأخذ عنه كثير من فضلاء المسلمين . ومن تصانيفه كتاب تاريخ مختصر الدول وهو من أشهر التواريخ وشرح قانون ابن سينا وبقرائط وديوسفورس وكتاب دفع الهم وديوان شعر في الإلهيات وغيرها (*)

٣٧٥ (ثابت بن قرة ٨٣٦-٩٠٢) . أبو الحسن بن كرايا الحاسب كان في مبدأ أمره صيرفياً بجران ثم انتقل إلى بغداد . واشتغل بعلم الأوانيل ففهر فيها . وكان الغالب عليه الفلسفة وله تأليف كثيرة في فنون من العلم مقدار عشرين تأليفاً . وأخذ كتاب أقليدس الذي عربيته حنين بن إسحاق العبادي فهدبه ونقحه وأوضح منه ما كان مستعجلاً . وكان من أعيان عصره في الفضائل . وجرى بينه وبين أهل مذهبه أشياء أنكروها عليه في المذهب . فرافعوه إلى رئيسهم فأنكر عليه مقالاته ومنعه من دخول الهيكل فتاب ورجع عن ذلك . ثم خرج من حران ونزل كفرنوثاً وأقام بها مدة إلى أن قدم محمد بن موسى من

الكبيرة وتحالفوا أن لا يجنون بعضهم بعضاً ولا يخالفوا المطران في جميع ما يتقدم اليهم من مداواة التآثر والقيام بحفظ المدينة والبستوة على أسوارها وكف أهل الشر عن الفساد . فظفر الله إلى حسن نياتهم ودفع العدو عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم يترضوا اليها . وفي إحدى وأربعين (١٢٤٤) غزا شاورنوين بلد الشام واجاز بلطية وخرب بلدها وأخذ غلاتها . ثم رحل عنها وطلب طبيباً يداويه عن مرضي عرض له . فخرج إليه والدي وسار معه إلى حرث برت فدبره حتى برأ . ثم جاء ولم يطل المقام بملطية ورحل بنا إلى أنطاكية فاسكنها (*) ومن مؤرخي النصارى سعيد ابن البطريق بطرك الاسكندرية وجرجيس بن العميد مكمل تاريخ الطبري . ومنهم ابن الراهب وابو البركات وابن السبكي وكثيراً ما يستشهد ابن خلدون في تاريخه . ومنهم عمرو بن متى (١٣٤٠) نقل عنه العلامة السمعاني

فَهَذَا بِالتَّوَّاضِعِ فِي الثَّرِيَّا وَهَذَا بِالتَّكْبُرِ فِي الْحَضِيضِ
وَتُوِّي ابْنُ التَّلْمِيذِ سَنَةً سِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةً وَقَدْ نَاهَزَ الْمِائَةَ مِنْ عُمُرِهِ
(١١٦٥). وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ مَنْ لَمْ يَخْضُرِ الْبَيْعَةَ وَلَمْ يَشْهَدْ
جَنَازَتَهُ. وَلَا بَنُ التَّلْمِيذِ فِي الطَّبِّ تَصَانِيفُ نَافِعَةٌ فِي بِلَاهِمَا مِنْهَا كِتَابُ
أَقْرَابَازِينَ وَحَوَاشٍ عَلَى كَلِيَّاتِ ابْنِ سِينَا (الخريدة للعقاد الاصبهاني) (*)

مشاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من اهل النصرانية

٣٧٤ (أَبُو الْقَرَجِ الْمَلَطِي ١٢٢٦-١٢٨٦). جَمَالُ الدِّينِ غَرِيبُورِ يُوْسُ
أَبُو الْقَرَجِ بْنُ حَكِيمٍ (*) الطَّبِيبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَبْرِيِّ تَاجُ
الْفَضَلَاءِ. مُحَلِّلُ الْمُسْكَلَاتِ الْحَفِيَّةِ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ. وَحَدِثُ
الْعَصْرِ وَفَرِيدُ الزَّمَانِ. رَئِيسُ رُؤَسَاءِ الْأُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ. وَخُلَاصَةُ
نُضَارِ الْمِلَّةِ الْيَعْقُوبِيَّةِ. كَانَ كَثِيرَ الْأَطْلَاعِ وَحَصَلَ عُلُومًا شَتَّى
وَأَتَقَنَهَا وَأَنْفَرَدَ بِالطَّبِّ فِي زَمَانِهِ حَتَّى شُدَّتْ إِلَيْهِ الرِّحَالُ بِأَرْضِ

(*) وَمَنْ اشْتَهَرَ إِضَافًا بَيْنَ النَّصَارَى فِي الطَّبِّ سَعِيدُ بْنُ مَارِي صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ (السِّتِينَ
وَيُوحَنَّا بْنُ بَطْرِيْقَ تَرْجَمَانُ الْخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ. وَمِنْهُمْ ابْنُ الْعَطَّارِ مَطْطَبُ الْقَاهِرَةِ. وَمِنْهُمْ كُتَيْفَاتُ
خَدْمِ الْبَسَاسِيرِيِّ. وَمِنْهُمْ ابْنُ الْقَشْرِ الْمَصْرِيِّ طَبِيبُ الْعَزِيزِ. وَمِنْهُمْ ابْنُ بَطْلَانَ وَلَهُ تَصَانِيفُ جَلِيلَةٌ
فِي الطَّبِّ انْقَطَعَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ لِلْعِبَادَةِ. وَمِنْهُمْ حَسَنُ بْنُ الرَّهَاوِيِّ خَدَمَ سَيْفُ الدِّينِ وَزِيرُ قَلْعِ
أَرْسَلَانَ. وَمِنْهُمْ يَعْقُوبُ بْنُ صَقْلَانَ الْمَلِكِيُّ الْمَقْدِسِيُّ اجْتَمَعَ بِالْمَلِكِ الْمَعْظَمِ ابْنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ وَعَالِجُهُ
وَارْتَفَعَتْ عِنْدَهُ حَالُهُ. وَمِنْهُمْ صَاعِدُ بْنُ هُبَةَ اللَّهِ وَابُو الْخَيْرِ الْأَرَكِيذِيُّ يَاقُونُ أَخُو الْجَالْتَلِيْقِ ابْنِ
الْمَسِيحِيِّ. وَمِنْهُمْ صَاعِدُ بْنُ تُوْمَا الْبَغْدَادِيُّ الْمَلَقَّبُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ اسْتَوْتَقَهُ الْأَمَامُ النَّاصِرُ
(*) وَأَخْبَرَ فِي تَارِيخِهِ قَالَ: فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّائَةٍ (١٢٤٣) لَمَّا سَمِعَ أَهْلَ مِلَطِيَّةِ مَا

فَعَلَ التَّاتَارُ بَقِيسَارِيَّةً هَلَعُوا وَجَزَعُوا أَفْخَشَ الْجَزْعَ طَالِبِينَ حَلْبٍ. فَأَمْسَكَ وَالِدِي عَنْ الْخُرُوجِ
وَاجْتَمَعَ بِالطَّرَانِ دِينُوسِيُوسُ وَتَشَاوَرَا فِي مِرَابِطَةِ الْمَدِينَةِ. وَجَمَعَا الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى فِي الْبَيْعَةِ

وَجَالِينُوسُ زَمَانِهِ . خُتِمَ بِهِ هَذَا الْعِلْمُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَاضِي مِنْ بَلَغَ مَدَاهُ
 فِي الطَّبِّ . عُمَرُ طَوِيلًا . وَعَاشَ نَبِيلًا جَلِيلًا . وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ شَيْخٌ بِهِ
 الْمُنْظَرُ حَسَنُ الرِّوَاءِ عَذْبُ الْحِجْلَى وَالْحِجْلَى لَطِيفُ الرُّوحِ ظَرِيفُ
 الشَّخْصِ بَعِيدُ أَلْهَمٍ عَالِي أَلْهَمَةٍ ذِكِّي الْخَاطِرِ مُصِيبُ الْفِكْرِ حَازِمُ الرَّأْيِ
 رَأْسُ النَّصَارَى وَقَسِيسُهُمْ وَرَبِّيسُهُمْ . وَلَهُ فِي النَّظْمِ كَلِمَاتٌ رَائِقَةٌ
 وَحَلَاوَةٌ جَنِيَّةٌ وَغَزَارَةٌ بِهِيَّةٌ . وَذَكَرَ فِي أَمْثُوجِ الْأَعْيَانِ مِنْ شُعَرَاءِ
 الزَّمَانِ أَنَّ ابْنَ التَّلْمِيزِ الْمَذْكُورَ كَانَ مُتَقَنَّاتٍ فِي الْعُلُومِ ذَا رَأْيٍ رَصِينٍ .
 وَعَقْلٍ مَتِينٍ . طَالَتْ خِدْمَتُهُ لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ . وَكَانَتْ مُجَالَسَتُهُ أَحْسَنَ
 مِنَ التَّبَرُّكِ الْمَسْبُوكِ وَالْدَّرِّ فِي السُّلُوكِ . وَكَانَ يُعْجَبُ فِي أَمْرِهِ كَيْفَ
 حُرِّمَ الْإِسْلَامُ مَعَ كَمَالِ فَهْمِهِ وَغَزَارَةِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ . وَكَانَ إِذَا تَرَسَّلَ
 اسْتَطَالَ وَسَطًا . وَإِذَا نَظَّمَ وَقَعَ بَيْنَ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَسَطًا . وَكَانَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ أَوْحَادِ الزَّمَانِ هِمَّةُ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْمَشْهُورِ تَنَافُسٌ وَكَانَ هَذَا يَهُودِيًّا
 فَاسْتَلَمَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَأَصَابَهُ الْجُدَامُ فَعَالَجَ نَفْسَهُ بِتَسْلِيطِ الْأَفَاعِي عَلَى
 جَسَدِهِ فَبَالَغَتْ فِي نَهْشِهِ فَبَرَى مِنَ الْجُدَامِ . فَعَمِلَ فِيهِ ابْنُ التَّلْمِيزِ شِعْرًا :
 لَنَا صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ حَمَاقَتُهُ إِذَا تَكَلَّمَ تَبَدُّو فِيهِ مِنْ فِيهِ
 يَتِيهُ وَالْكَأْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنْزِلَةٌ كَأَنَّهُ بَعْدُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ التِّيهِ
 وَكَانَ ابْنُ التَّلْمِيزِ مُتَوَاضِعًا وَأَوْحَدُ الزَّمَانِ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُتَكَبِّرًا
 فَعَمِلَ فِيهِمَا الْبَدِيعُ الْأَسْطَرُ لَا بِي شِعْرًا :

أَبُو الْحَسَنِ الطَّيِّبُ وَمُقْتَمِيهِ أَبُو الْبَرَكَاتِ فِي طَرَفِي نَقِضِ

الطَّبِّ . وَكَانَ قَدْ خَدَمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ مَنْ خَدَمَهُ أَبُوهُ . ثُمَّ
 انْقَطَعَ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَزَيْرِ الْإِمَامِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ . وَاخْتَصَّ
 بِهِ حَتَّى إِنَّ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ كَانَ يُطْعِمُهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَيُنْفِضِي إِلَيْهِ بِمَا
 يَكْتُمُهُ عَنْ غَيْرِهِ لَهُ . وَلَا بِيَهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْمَفِيدَةُ فِي الطَّبِّ . وَلِحَقِّهِ الْقَالِجُ
 فِي آخِرِ عُمْرِهِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (لَا بَنَ خَلَّ كَانَ)
 ٣٧٢ (يُوحَنَّا بْنُ مَسَوِيهِ ٨٥٧) . وَمِنْ أَطِبَّاءِ الرَّشِيدِ يُوحَنَّا بْنُ
 مَسَوِيهِ النَّصْرَانِيُّ السُّرْيَانِيُّ وَلَدَهُ الرَّشِيدُ تَرْجَمَةُ الْكُتُبِ الطِّبِّيَّةِ
 الْقَدِيمَةِ . وَخَدَمَ الرَّشِيدَ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ . وَكَانَ مُعَظَّمًا
 بِبَغْدَادَ جَائِلَ الْقَدْرِ وَلَهُ تَصَانِيفٌ جَمِيلَةٌ . وَكَانَ يَعْقِدُ مَجْلِسًا لِلنَّظَرِ
 وَيَجْرِي فِيهِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ بِأَحْسَنِ عِبَارَةٍ وَكَانَ
 يُدْرَسُ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ تَلَامِيذٌ كَثِيرُونَ . وَكَانَ فِي يُوحَنَّا دُعَابَةٌ شَدِيدَةٌ
 يُخْضَرُهُ مِنْ حَضَرٍ لِأَجْلِهَا فِي الْأَكْثَرِ . وَكَانَ مِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ
 وَشِدَّةِ الْحِدَّةِ عَلَى أَكْثَرِ مَا كَانَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ بْنُ بَحْتِشُوعَ . وَكَانَتْ الْحِدَّةُ
 تُخْرِجُ مِنْ يُوحَنَّا الْقَاطَا وَهِيَ مُضْحَكَةٌ . فِيمَا حَفِظَ مِنْ نَوَادِرِهِ أَنَّ رَجُلًا
 شَكَا إِلَيْهِ عَالَةً وَكَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْفَصْدِ . فَقَالَ لَهُ : لَمْ أَعْتَدا الْفَصْدَ . قَالَ
 لَهُ يُوحَنَّا : وَلَا أَحْسِبُكَ أَعْتَدْتَ الْعَالَةَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ (لَا بِي الْفَرَجِ)
 ٣٧٣ (ابْنُ التَّلْمِيزِ ١١٦٥) . وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ هَبَّةُ اللَّهِ بْنُ التَّلْمِيزِ
 النَّصْرَانِيُّ الطَّبِيبُ الْمَلَقَّبُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ . شَيْخُ النَّصَارَى وَالْأَطِبَّاءِ
 وَسُلْطَانُ الْحُكَمَاءِ مَقْصِدُ الْعَالَمِ فِي عِلْمِ الطَّبِّ بِقَرَاطِ عَظْمِهِ

يُمْكِنُ إِعْلَانُ هَذَا وَزَيْدُهُ سِرًّا . فَقَالَ حُذَيْنٌ : مَا تَعَلَّمْتُ غَيْرَ الْأَدْوِيَةِ
الْنَّافِعَةِ وَلَا عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُ مِنِّي غَيْرَهَا . ثُمَّ رَغِبَهُ وَهَدَّاهُ
وَأَحْضَرَ سَيْفًا وَنَطْعًا . فَقَالَ حُذَيْنٌ : قَدْ قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهِ
الْكَفَايَةُ . قَالَ الْخَلِيفَةُ : فَإِنِّي أَقْتُلُكَ . قَالَ حُذَيْنٌ : لِي رَبٌّ يَأْخُذُ بِي
حَقِّي غَدًا فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ . فَتَبَسَّمَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ لَهُ : طِبَ نَفْسًا
فَإِنَّا أَرَدْنَا امْتِحَانَكَ وَالطَّمَأْنِينَةَ إِلَيْكَ . فَتَقَبَّلَ حُذَيْنٌ الْأَرْضَ وَشَكَرَ لَهُ .
فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنَ الْإِجَابَةِ مَعَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْ صِدْقِ
الْأَمْرِ مِنَّا فِي الْحَالَيْنِ . قَالَ حُذَيْنٌ : شِدْمَانِ هُمَا الدِّينُ وَالصَّنَاعَةُ . أَمَّا
الدِّينُ فَإِنَّهُ يَأْمُرُنَا بِاصْطِنَاعِ الْجَمِيلِ مَعَ أَعْدَانَا فَكَيْفَ ظَنُّكَ بِالْأَصْدِقَاءِ .
وَأَمَّا الصَّنَاعَةُ فَإِنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِنَفْعِ بِنَاءِ الْخِنَسِ وَمَقْصُورَةٌ عَلَى مُعَالَجَتِهِمْ .
وَمَعَ هَذَا فَقَدْ جُعِلَ فِي رِقَابِ الْأَطِبَّاءِ عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ بِإِيمَانٍ مُغْلَظَةٍ أَنْ لَا
يُعْطُوا دَوَاءً قَتَالًا لِأَحَدٍ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : إِنَّهُمَا شَرَعَانِ جَلِيلَانِ . وَأَصْرَ بِالْخَلْعِ
فَأَنِضَتْ عَلَيْهِ فَخَرَجَ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا وَجَاهًا (لَا بِي الْفَرَجِ الْمُلْطِي)
٣٧١ (إِسْحَاقُ بْنُ حُذَيْنٍ ٨٣٠ - ٩١١) . هُوَ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ حُذَيْنٍ
أَبْنُ إِسْحَاقَ الْعَبَادِيِّ الطَّبِيبُ الْمَشْهُورُ كَانَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ فِي عِلْمِ
الطَّبِّ . وَكَانَ يُلْحِقُ بِأَبِيهِ فِي النَّزْلِ . وَفِي مَعْرِفَتِهِ بِاللُّغَاتِ وَفَصَاحَتِهِ
فِيهَا . وَكَانَ يُعَرِّبُ كُتُبَ الْحِكْمَةِ الَّتِي بِلُغَةِ الْيُونَانِيِّينَ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُوهُ . إِلَّا أَنَّ الَّذِي وَجَدَ مِنْ تَعْرِيْبِهِ فِي كُتُبِ الْحِكْمَةِ
مِنْ كَلَامِ أَرِسْطَاطَالِيسَ وَغَيْرِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يُوْجَدُ مِنْ تَعْرِيْبِهِ لِكُتُبِ

النَّاسِ فِي قُصُورِ ابْتَوَاهَا بِظَاهِرِ الْحِيرَةِ . وَتَسَمَّوْا بِالْعِبَادِ لِأَنَّهُ لَا يُضَافُ
إِلَّا إِلَى الْخَالِقِ وَأَمَّا الْعَمِيدُ فَيُضَافُ إِلَى الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ . وَيُنْسَبُ إِلَيْهِمْ
خَلْقُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ . وَكَانَ إِسْحَاقُ وَالِدُ
حُنَيْنٍ صَيْدٍ لَا نِيًّا بِالْحِيرَةِ . فَلَمَّا نَشَأَ حُنَيْنٌ أَحَبَّ الْعِلْمَ فَدَخَلَ بَغْدَادَ
وَحَضَرَ مَجْلِسَ يُوْحَنَّا بْنِ مَاسُويَةَ وَجَعَلَ يَخْدُمُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَوَجَّهَ
إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ حَتَّى أَحْكَمَ الْأَلْفَةَ الْيُونَانِيَّةَ وَتَوَصَّلَ
فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ الْحِكْمَةِ غَايَةَ إِمْكَانِهِ . وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ
سَنَتَيْنِ وَنَهَضَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ . وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ وَلَزِمَ الْحَلِيلَ
ابْنَ أَحْمَدَ حَتَّى يَرَعَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيَّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ . قَالَ يُونُسُ
الطَّبِيبُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَبْرِ بِلَ بْنِ بَجْثِيشُوعَ فَوَجَدْتُ حُنَيْنًا
وَجَبْرِ بِلَ يُخَاطَبُهُ بِالْتَّجْمِيلِ وَيُسَمِّيهِ الرَّبَّانَ . فَأَعْظَمْتُ مَا رَأَيْتُ وَتَبَيَّنَ
ذَلِكَ جَبْرِ بِلَ مِنِّْي . فَقَالَ : تَسْتَكْثِرُ هَذَا مِنِّْي فِي أَمْرِ هَذَا الْفَتَى .
فَوَاللَّهِ لَأَنْزِلَ مَدَّةً لَهُ فِي الْعُمُرِ لِيَقْضَى سَرَجِيسَ . وَسَرَجِيسُ هَذَا هُوَ
الرَّاسُ عَيْنِي الْيَعْقُوبِيُّ نَاقِلُ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ فِي السَّرِّيَانِي . وَلَمْ يَزَلْ
أَمْرُ حُنَيْنٍ يَقْوَى وَعِلْمُهُ يَتَرَاوِدُ وَعَجَائِبُهُ تَطْهَرُ فِي النُّقْلِ وَالْتَّفَاسِيرِ حَتَّى
صَارَ يَنْبُوْعًا لِلْعُلُومِ وَمَعْدِنًا لِلْفَضَائِلِ . وَاتَّصَلَ خَبَرُهُ بِالْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ
فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ . وَلَمَّا حَضَرَ أَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا سَنِيًّا وَأَحَبَّ أَمْتَحَانَهُ .
فَاسْتَدْعَاهُ وَأَمَرَ أَنْ يُخْلَعَ عَلَيْهِ . فَشَكَرَ حُنَيْنٌ هَذَا الْفِعْلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ
أَشْيَاءَ جَرَتْ : أُرِيدُ أَنْ تَصِفَ لِي دَوَاءَ يَقْتُلُ عَدُوًّا زِيدَ قَتْلَهُ . وَلَيْسَ

تَعْتَادُنِي . فَقَالَ جِيُورْ جَيْسُ : أَنَا أَخْلَفُ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِيسَى
تَلْمِيزِي فَهُوَ مَاهِرٌ . فَأَمَرَ جِيُورْ جَيْسَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَذِنَ لَهُ
فِي الْأَنْصِرَافِ . وَأَنْفَذَ مَعَهُ خَادِمًا وَقَالَ : إِنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ فَأَحْمِلْهُ
إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُدْفَنَ هُنَاكَ كَمَا أَحَبَّ . فَوَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ حَيًّا

٣٦٩ (بَحْتِيشُوعُ بْنُ جِيُورْ جَيْسَ ٧٩٨) . قِيلَ إِنَّ الرَّشِيدَ فِي خِلَافَتِهِ
مَرِضَ مِنْ صُدَاعٍ لَحِقَهُ . فَقَالَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ هَؤُلَاءِ الْأَطِبَّاءُ
لَيْسُوا يَفْهَمُونَ شَيْئًا وَيَنْبَغِي أَنْ تَطْلُبَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا . فَقَالَ لَهُ عَنْ
بَحْتِيشُوعِ بْنِ جِيُورْ جَيْسَ . فَأَرْسَلَ الْبَرِيدَ فِي حِمْلِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ . وَلَمَّا
كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَرَدَ وَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً .
وَوَهَبَ لَهُ مَالًا وَافِرًا وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَطِبَّاءِ . وَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ وَمِائَةً (٧٩٠) مَرِضَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى . فَتَقَدَّمَ الرَّشِيدُ إِلَى
بَحْتِيشُوعٍ أَنْ يَخْدُمَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ جَعْفَرُ مِنْ مَرَضِهِ قَالَ لِبَحْتِيشُوعٍ : أُرِيدُ أَنْ
تُخْتَارَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا أَكْرَمُهُ وَأَحْسِنُ إِلَيْهِ قَالَ بَحْتِيشُوعُ : لَسْتُ أَعْرِفُ
فِي هَؤُلَاءِ الْأَطِبَّاءِ أَحَدًا مِنْ أَيْبَنِي جَبْرِيلَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : أَحْضِرْ نِيهِ
فَلَمَّا أَحْضَرَهُ شَكَا إِلَيْهِ مَرَضًا كَانَ يُخْفِيهِ . فَدَبَّرَهُ فِي مُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
وَرَأَى فَاحَبَهُ جَعْفَرُ مِثْلَ نَفْسِهِ

٣٧٠ (حُزَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ ٨٠٩ - ٨٧٤) . فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ اشْتَهَرَ
حُزَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّبِيبُ النَّصْرَانِيُّ الْعِبَادِيُّ . وَنَسَبَتْهُ إِلَى الْعِبَادِ وَهُمْ
قَوْمٌ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ مِنْ قَبَائِلِ شَتَّى وَاجْتَمَعُوا وَانْفَرَدُوا عَنْ

بَحْتِشُوعَ الْجَنْدِيسَاوَرِيِّ إِنَّهُ أَفْضَلُ الْأَطِبَّاءِ فَتَقَدَّمَ بِإِحْضَارِهِ فَأَنْفَذَهُ
الْعَامِلُ بِجَنْدِيسَاوَرٍ بَعْدَ مَا أَكْرَمَهُ . فَخَرَجَ وَوَصَّى وَلَدَهُ بِبَحْتِشُوعَ
بِالْبِمَارِسْتَانِ . وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ تَلْمِيزَهُ عِيسَى بْنُ سَهْلَانَا . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
بَغْدَادَ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْخَضِرَةِ دَعَا لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ
وَالْعَرَبِيَّةِ فَعَجِبَ الْمَنْصُورُ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقِهِ وَمَنْظَرِهِ . وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ
وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَجَابَهُ عَنْهَا بِسُكُونٍ . وَخَبَرَهُ بِمَرَضِهِ فَقَالَ لَهُ
جِيورْجِيسُ : أَنَا أَدْرِكُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ . فَأَمَرَ لَهُ فِي الْوَقْتِ بِخَلْعَةِ
جَلِيلَةٍ وَتَقَدَّمَ إِلَى الرَّبِيعِ بِإِزَالِهِ فِي أَجَلٍ مُوَضَّعٍ مِنْ دُورِهِ وَإِكْرَامِهِ
كَمَا يَكْرُمُ أَخَصُّ الْأَهْلِ . وَلَمْ يَزَلْ جِيورْجِيسُ يَتَطَنَّنُ لَهُ فِي تَذْيِيرِهِ
حَتَّى بَرَى مِنْ مَرَضِهِ وَفَرِحَ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا . وَكَانَ الْمَنْصُورُ أَمَرَ أَنْ
يُحْمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَوَارِي الرُّومِيَّاتِ ثَلَاثُ فَرْدَهْنَ جِيورْجِيسُ . فَلَمَّا
اتَّصَلَ الْخَبْرُ إِلَى الْمَنْصُورِ أَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ رَدَدْتَ الْجَوَارِي . قَالَ :
لَا يَجُوزُ لَنَا مَعَشَرَ النَّصَارَى أَنْ نَتَزَوَّجَ بِأَكْثَرِ مِنْ أُمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مَا
دَامَتِ الْمَرْأَةُ حَيَّةً لَا نَأْخُذُ غَيْرَهَا . فَحَسُنَ مَوْقِعُ هَذَا مِنَ الْخَلِيفَةِ وَزَادَ
مَوْضِعُهُ عِنْدَهُ وَهَذَا ثَمَرَةُ الْعِفَّةِ . ثُمَّ مَرَضَ جِيورْجِيسُ مَرَضًا صَعْبًا وَلَمَّا
اشْتَدَّ مَرَضُهُ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِحَمْلِهِ إِلَى دَارِ الْعَامَّةِ . وَخَرَجَ مَا شَاءَ إِلَيْهِ
وَتَعَرَّفَ خَبْرَهُ فَخَبَرَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي
الْإِنْصِرَافِ إِلَى بَلَدِي لَا أَنْظُرَ أَهْلِي وَوُلْدِي وَإِنْ مِتُّ فُيِّرَتْ مَعَ آبَائِي .
فَقَالَ الْمَنْصُورُ : إِنِّي مِنْذُ رَأَيْتُكَ وَجَدْتُ رَاحَةً مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي

مَارِيَ الرَّسُولَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْبَيْعِ وَالْأَذْيَارِ . وَكَانَ مَعَ أَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ
 بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالْحَلَقَةِ سَخِيًّا بِالْمَالِ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ مَعَ النَّاسِ الضُّعَفَاءِ
 وَالْمَسَاكِينِ وَمَعَ الْحُكَّامِ وَالْمُتَوَلِّينَ لِأَجْلِ جَاهِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَمَعَ
 ذَلِكَ كَانَ مُرْتَاضًا بِالْعُلُومِ الْخَوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ السَّرْيَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ
 وَالْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ . وَمِنْ جُمْلَةِ مَوْضُوعَاتِهِ كِتَابُ تَرَاجِمِ الْأَعْيَادِ
 السَّيِّدِيَّةِ وَخُطْبُ وَمَوَاعِظُ كَثِيرَةٌ وَرِسَالٌ كَثِيرَةٌ فِي إِثْبَاتِ
 الْأَمَانَةِ وَالْإِعْتِقَادِ وَصَحَّةِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَدَبَّرَ الْكُرْسِيَّ تَذْهِيرًا
 حَسَنًا وَأَسْتَبَاحَ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ
 رِئَاسَتِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَعِنْدَ مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ جَاءَ الْأَبَاءُ
 وَالرُّؤَسَاءُ إِلَى عِيَادَتِهِ فَأَخَذَ يَرْتِي نَفْسَهُ وَيُعْزِيهِمْ وَفِي آخِرِ ذَلِكَ قَالَ :
 أَرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنْ الْخُطَّابِ
 بِمَنْ تَسْتَصْرِخُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ بِأَمْلِكُمْ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ
 (ملخص عن كتاب المجدل لعديروبن متى) (*)

مشاهير اطباء النصرانية

٣٦٨ (جِيُورْ جِيسُ بْنُ بَجْتِيشُوعَ ٧٧٠) . كَانَ الْمَنْصُورُ فِي صَدْرِ أَمْرِهِ
 عِنْدَ مَا بَنَى بَغْدَادَ أَدْرَكَهُ ضَعْفٌ فِي مَعِدَتِهِ وَسُوءٌ أَسْتَمَرَّ وَقَلَّةُ شَهْوَةٍ
 وَكَلَّمَا عَالَجَهُ الْأَطِبَّاءُ أُرْدَادَ مَرَضِهِ . فَقِيلَ لَهُ عَنْ جِيُورْ جِيسَ بْنِ

(*) ومن خطباء النصرانية خالد القسري (٧٤٥) وهو معدود من خطباء العرب المشهورين .
 ومنهم يوسف بن أيوب الحمداي الزاهد الرباني (١١٤٦) صاحب المقامات والكرامات . عقد
 ببغداد مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف بها قبولاً . ثم انقطع الى الله وتصر بالقسطانية

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِّلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوِيَّ تَحْوَهَا يَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكْبَارُ
أَيَقُنْتُ أَنِّي لَا حَمَا لَهَا حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَايِرُ (*)

٣٦٧ (إِلَيَّا الثَّالِثُ ١١٢٨ - ١١٩٠). هُوَ ابْنُ الْحَدِيثِيِّ الْمَعْرُوفُ
بِأَبِي حَلِيمٍ . هَذَا الْأَبُ كَانَ كَهْلًا حَسَنَ الْخُلُقَةِ تَامَ الْقَامَةِ حَسْبًا
كَرِيمًا عَلِيمًا فَاضِلًا مِنْ أَهْلِ بَلَدٍ مَيَّافَارِقِينَ وَكَانَ مَطْرَانًا عَلَى نَصِيبِينَ
فَانْتَشَرَتْ شُهْرَتُهُ . وَلَمَّا اسْتَنَاحَ يَشُوعِيَابُ وَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ مَعَ الْأَبَاءِ
لِلْإِخْتِيَارِ . وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ لِأَنَّ الْأَبَاءَ الْوَارِدِينَ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ
مِنْهُمْ مَنْ يُمِثِّلُهُ عِلْمًا وَحِكْمَةً وَكَرَمًا وَحُسْنًا وَبَلَاغَةً وَغَصَاحَةً . فَأُخْتِيرَ
فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَضِيِّ وَأَقِيمَ قَطْرًا بِدَيْرِ الْمَدَائِنِ وَوَفَّقَهُ اللَّهُ وَأَجْرَى
الْخَيْرَاتِ عَلَى يَدِهِ . وَأَقَامَ جَمَاعَةً مِنَ الْمُطَارِنَةِ وَجَدَّدَ بِنَاءَ هَيْكَلِ مَارِ

(*) وجاء في كتاب الأغاني عن بعضهم قال : بينا أنا بجبل يُقال له سَمْعَانُ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ
الْحَرِّ إِذْ أَنَا بَقُوسٌ بَنُ سَاعِدَةٍ وَبِقَبْرَيْنِ بَيْنَهُمَا مَسْجِدٌ فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَانِ الْقَبْرَانِ قَالَ : هَذَانِ
قَبْرَا أَخَوَيْنِ كَانَا لِي فَنَاتَا فَاتَّخَذَتْ بَيْنَهُمَا مَجْدًا أَعْبَدَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ فِيهِ حَتَّى أَلْحَقَ بِهِمَا . ثُمَّ ذَكَرَ آيَاتِهَا
فَبَكَى ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

خَالِييَ هُبَا طَالَمَا قَدْ رَقِدْتُمَا	أَجْدَاكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكُمَا
أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بِرَأْوَدٍ هَذِهِ	وَلَا بِخُزَاقٍ مِنْ نَدِيمٍ سَوَاكُمَا
مُقِيمٍ عَلَى قَبْرِكُمَا لَسْتُ بَارِحًا	طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبُ صَدَاكُمَا
جَرَى الْمَوْتُ مَجْرَى اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمَا	كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْعُقَارَ سَقَاكُمَا
أُنَادِيكُمَا كَمَا تَجِيبَا وَتَنْطَقَا	وَلَيْسَ مَجَابًا صَوْتُهُ مِنْ دَعَاكُمَا
أَمِنْ طَوِيلِ نَوْمٍ لَا تَحْيِيَانِ دَاعِيَا	خَالِييَ مَا هَذَا الَّذِي قَدْ دَهَاكُمَا
قَضَيْتُ بَاتِي لَا مَحَالَةَ هَالِكُ	وَأَنِّي سَيَمُرُونِي الَّذِي قَدْ عَرَاكُمَا
سَأُبْكِيكُمَا طَوِيلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي	يُرْدُّ عَلَى ذِي عَوْلَةٍ إِنْ بَكََاكُمَا

وَتَسْتَخْذِي لَهُ . فَجَعَلَ يَقُولُ لِي : إِنَّهُ الدِّينُ إِنَّهُ الدِّينُ (الاغاني) (*)

خطباء النصرانية

٣٦٦ (قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ ٦٠٠) . هُوَ أَشْفُفُ نَجْرَانَ خَطِيبُ الْعَرَبِ
وَشَاعِرُهَا وَحَايِمُهَا وَحَكِيمُهَا وَحَكَمُهَا فِي عَصْرِهِ . يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
عَلَا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : أَمَّا بَعْدُ .
وَأَوَّلُ مَنْ أَتَكَأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا . حَدَّثَ بَعْضُهُمْ قَالَ :
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُسٍّ بِسُوقٍ عَكَظَ وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ أَسْمِعُوا
وَعُوا : مَنْ عَاشَ مَاتَ . وَمَنْ مَاتَ فَاتَ . وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . لَيْلٌ
دَاجٍ . وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ . بِحَارٌ تَرُخَرُ . وَنُجُومٌ تَرُهِرُ . وَضَوْءٌ وَظِلَامٌ .
وَبَرٌّ وَأَثَامٌ . وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ . وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ
يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا أَمْ تُرْكُوا فَنَامُوا . وَاللَّهِ
قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الدِّينِ . فَطُوبَى لِمَنْ
أَدْرَكَهُ فَأَتَّبَعَهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَاهُ . ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلِيْنَ مِنْ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

(*) ومن شعراء النصرانية المتلمس وحنين الحيري من فحول المغنين . وله صنعة فاضلة
متقدمة . ومنهم قيس بن زهير تنصّر قبل وفاته . ومنهم أبو قابوس والرباب بن البراء وخالد
القسري . وقد ذكرهم جميعاً صاحب الاغاني . ومنهم أبو الميج المايّ ذكره ابن خلكان . ومنهم
ثابت بن هارون الرقي وراثوه للثني معروف . ومنهم المرغوي ذكره المقرئ في نفع الطيب .
ومنهم سليمان بن اسماعيل الماردني وله نظم رقيق حسن الموقع في النفوس . ومنهم الاسقف
جبرائيل الكلداني الكاثوليكي وله القصائد الطنّانة . ومنهم السيد جرمانوس فرحات والخوري
نيقولا الصانع وغيرهم ممن يستغنى بشهرتهم عن ذكرهم

وَقَوْلِي فِي الْهَجَاءِ :

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَمِيدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهَا الْعَمِيدُ
لَيْمُ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ
قَالَ عَبْدُ الْخَالِقِ : وَصَدَقَ لَعْمَرِي لَقَدْ فَضَّلَهُمْ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ :
كَانَ مِمَّا يُقَدَّمُ بِهِ الْأَخْطَلُ أَنَّهُ كَانَ أَخْبَثَ الشُّعْرَاءِ هَجَاءً فِي غَمَافٍ
مِنَ الْفُحْشِ . وَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَا هَجَّوْتُ أَحَدًا قَطُّ بِمَا تَسْتَحْيِي الْعِذْرَاءُ
أَنْ تُنْشِدَهُ أَبَاهَا . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : قَدِمْتُ الشَّامَ وَأَنَا شَابٌّ .
فَكُنْتُ أَطُوفُ فِي كُنَائِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا فَدَخَلْتُ كَنِيسَةً دِمَشْقَ وَإِذَا
الْأَخْطَلُ فِيهَا مَجْبُوسٌ . فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَسَأَلَ عَنِّي فَأَخْبَرَ بِنَسَبِي .
فَقَالَ : يَا غَتَّى إِنَّكَ لَرَجُلٌ شَرِيفٌ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً . فَقُلْتُ :
حَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ . قَالَ : إِنَّ أَلْسَنَ حَبْسَنِي هُنَا فَتَكَلِّمَهُ لِيُخْلِي عَنِّي .
فَأَتَيْتُ أَلْسَنَ فَأَنْتَسَبْتُ لَهُ فَرَحَّبَ وَعَظَّم . فَقُلْتُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ
حَاجَةً . قَالَ : مَا حَاجَتُكَ . قُلْتُ : الْأَخْطَلُ يُخْلِي عَنِّي . قَالَ : أَعِيدُكَ
بِاللَّهِ مِنْ هَذَا . مِثْلُكَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ . فَاسِقٌ يَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ
وَيَهْجُوهُمْ . فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَعِيَ مُتَكِنًا عَلَى عَصَاهُ .
فَوَقَّفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَعُودُ تَشْتُمُ النَّاسَ
وَتَهْجُوهُمْ وَتَقْدِفُ الْمُحْصَنَاتِ . وَهُوَ يَقُولُ : لَسْتُ بِعَائِدٍ وَلَا أَفْعَلُ
وَيَسْتَحْذِي لَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مَالِكٍ النَّاسُ يَهَابُونَكَ وَالْخَلِيفَةُ
يُكْرِمُكَ وَقَدْرُكَ فِي النَّاسِ قَدْرُكَ وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهَذَا هَذَا الْخُضُوعَ

الْأَخْطَلُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ الْجَاهِلِيَّةِ مَا قَدَّمْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا . قِيلَ لِحُرَيْرٍ مَا
 تَقُولُ فِي الْأَخْطَلِ . قَالَ : كَانَ أَشَدَّنَا أُجْتِرَاءً وَأَرْمَنَانَا لِفَرَائِصَ
 وَأَمْدَحَ النَّاسِ لِكَرِيمٍ . وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ : شُعْرَاءُ الْإِسْلَامِ
 الْأَخْطَلُ ثُمَّ حُرَيْرٌ ثُمَّ الْفَرَزْدَقُ . وَكَانَ يُشَبِّهُ الْأَخْطَلُ بِالنَّابِغَةِ لِحَبِيبَةِ
 شِعْرِهِ وَيَقُولُ : الْأَخْطَلُ أَشَبُّهُ بِالْجَاهِلِيَّةِ وَأَشَدُّهُمْ أَمْرَ شِعْرٍ وَأَقْلَهُمْ
 سَقَطًا . أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ : دَخَلَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَعَمَ ابْنُ الْمُرَاغَةِ أَنَّهُ يَبْلُغُ مِدْحَتَكَ فِي ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ . وَقَدْ أَقَمْتُ فِي مِدْحَتِكَ (خَفَّ الْقَطِيبُ فَرَا حُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا)
 سَنَةً فَمَا بَلَغْتُ كُلَّمَا أَرَدْتُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا سَمِعْنَاهَا يَا أَخْطَلُ .
 فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا فَجَعَلَتْ أَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ يَتَاطَوَّلُ لَهَا . ثُمَّ قَالَ : وَيَحْكُ
 يَا أَخْطَلُ أَتُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْأَفَاقِ أَنَّكَ أَشْعَرُ الْعَرَبِ . قَالَ :
 أَكْتَفِي بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمَرَ لَهُ بِحِفْظَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَهَلَّتْ
 دَرَاهِمُ وَأَلْقَى عَلَيْهِ خِلْعًا . وَخَرَجَ بِهِ مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى النَّاسِ يَقُولُ :
 هَذَا شَاعِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَشْعَرُ الْعَرَبِ . وَأَخْبَرَ أَبُو عَمْرٍو قَالَ :
 لَقَدْ كَانَ الْأَخْطَلُ يَمُحِي وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ خَزٌّ وَفِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ ذَهَبٌ فِيهَا
 صَلِيبٌ ذَهَبٌ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بَغِيرِ إِذْنٍ . قَالَ الْأَخْطَلُ :
 فَضَلْتُ الشُّعْرَاءَ فِي الْمَدِيحِ وَالنَّجَاءِ بَمَا لَا يُلْحَقُ بِي فِيهِ . فَقَوْلِي بِالْمَدِيحِ :
 نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَبْدَى التَّوَّاجِدُ يَوْمَ عَارِمٍ ذَكَرُ
 الْحَايِضِ الْغَمْرَةَ الْمُيْمُونُ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

وَحَقَّنَ اللَّهُ بِكَ نَمِيكَ دَمِي مِنْ بَعْدِ مَا جَفَّ لِسَائِي وَفِي
 أَنْقَذْتَنِي مِنْ بَطْلٍ مُعَمَّمٍ وَأَخْلَيْتُ تَحْتَ الْعَارِضِ الْمُسَوِّمِ
 أَخْبَرَ الْمَدَائِنِي قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْأَخْطَلِ وَعِنْدَهُ
 عَامِرُ الشَّعْبِيِّ: أَتُحِبُّ أَنْ لَكَ قِيَاضًا بِشَعْرِكَ شَعْرًا أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ
 أَمْ تُحِبُّ أَنَّكَ قُلْتَهُ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَتَيْتُ وَدِدْتُ أَنِّي
 كُنْتُ قُلْتُ أَيْبَاءَنَا قَالَهُمَا رَجُلٌ مِنَّا مُغْدِفُ الْقِنَاعِ. قَلِيلُ السَّمَاعِ قَصِيرُ
 الذَّرَاعِ. قَالَ: وَمَا قَالَ. فَأَنْشَدَهُ قَوْلَ الْقَطَامِيِّ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ سُلَيْمَانَ:
 إِنَّا نَحْيُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَالُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ
 لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بِشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو حَلَةٍ يَصِلُ
 وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفٌ تَنْتَقِلُ
 قَدْ يَذُرُّكَ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَالُ
 حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: شَكَاتِ
 الْقَطَامِيُّ أُمَّهُ. هَذَا وَاللَّهِ الشَّعْرُ

٣٦٥ (الْأَخْطَلُ ٧١٢) هُوَ أَبُو مَالِكٍ غِيَاثُ بْنُ غَوْثِ بْنِ الصَّاتِ بْنِ
 الطَّارِفَةِ. وَأَصْلُ تَسْمِيَّتِهِ بِالْأَخْطَلِ أَنَّهُ هَجَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ:
 يَا غُلَامُ إِنَّكَ لَأَخْطَلُ اللِّسَانِ. فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ. وَكَانَ الْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا
 وَمَحَلُّهُ فِي الشَّعْرِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى وَصْفٍ. وَهُوَ وَجَرِيٌّ وَأَنْفَرَزْدَقُ
 طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ. سُئِلَ حَمَّادُ الرَّائِيَّةُ عَنِ الْأَخْطَلِ فَقَالَ: مَا تَسْأَلُونِي
 عَنْ رَجُلٍ قَدْ حَبَّبَ شَعْرُ دُلِّي النَّصْرَانِيَّةَ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: لَوْ أَدْرَكَ

يَلِغُ فِي دَمِهِ . فَذَمَرْتُ لِأَصْحَابِي فَأَخْتَلَجَ رَجُلًا عَجْرًا ذَا حَوَايَا فَنَفَضَهُ
نَفَضَةً تَرَائِلَتْ مَفَاصِلُهُ . ثُمَّ نَهَمَ فَمَرَقَ ثُمَّ زَقَرَ فَبَرَبَر . ثُمَّ زَارَ فَجَرَجَرَ .
ثُمَّ لَحَظَ فَوَاللَّهِ لَحَلْتُ الْبَرْقَ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ مِنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ .
فَارْعَشَتِ الْأَيْدِي وَأَصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ وَأَطَّتِ الْأَضْلَاعُ . وَارْتَجَّتِ
الْأَسْمَاعُ . وَشَخَصَتِ الْعُيُونُ . وَتَحَفَّتِ الظُّنُونُ وَانْخَزَلَتِ الْمُتُونُ . فَقَالَ
لَهُ عُثْمَانُ : أَسْكُتْ فَقَدْ أَرَعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ . وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا زَيْدٍ
عُمَرَ مِائَةَ سَنَةٍ بَنِيْفٍ وَدُفِنَ فِي الرِّقَّةِ فِي بَيْعَةِ النَّصَارَى (الْأَغَانِي)
٣٦٤ (الْقَطَامِيُّ ٧١٠) . هُوَ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ وَاسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ
وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : أَوَّلُ مَا حَرَّكَ مِنَ الْقَطَامِيِّ
وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِيمٌ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ
لِيَمْدَحَهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ بَخِيلٌ لَا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ وَالشُّعْرُ لَا يَنْفِقُ عِنْدَهُ . وَهَذَا
عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمَانَ فَاْمَدَحَهُ . فَمَدَحَهُ فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَلْتَ مِنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : أَمَلْتُ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ
بِخَمْسِينَ نَاقَةً مُوقَرَةً بَرًّا وَثَمَرًا وَثِيَابًا ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَلَمَّا سَارَ
عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ لِمُحَارَبَةِ بَنِي عَتَّابٍ وَفِيهِمْ أَخْلَاطٌ تَغْلِبُ اسْتَحَرَّ بِهِمْ
الْقَتْلُ وَأَصِيبَ أَكْثَرَهُمْ وَأَسِيرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الْقَطَامِيُّ . وَأَخَذَتْ إِبِلُهُ
فَأَتَى الْأَمِيرَ زَقَرَ فَخَلَّى سَبِيلَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ نَاقَةٍ . فَقَالَ الْقَطَامِيُّ يَمْدَحُهُ :
يَا زَقَرَ بْنَ الْحَارِثِ ابْنَ الْأَكْرَمِ . قَدْ كُنْتُ فِي الْحَيِّ قَدِيمَ الْمُقَدَّمِ
إِذَا انْجَمَ الْقَوْمُ وَلَمَّا انْجَمَ . إِنَّكَ وَابْنُكَ حَفِظْتُمْ تَحْرِمِي

وَشَارَةَ حَسَنَةٍ تَرْمِي بِنَا الْمَهَارِي بِأَكْسَائِهَا وَنَحْنُ زُرَيْدُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي سُمَيْرٍ
الْغَسَّانِيِّ مَلِكِ الشَّامِ . فَأَخْرَوْطَ بِنَا السَّيْرُ فِي حِمَارَةٍ الْقَيْطِ حَتَّى إِذَا
عَصَبَتِ الْأَفْوَاهُ . وَذَبَلَتِ الشِّفَاهُ وَسَالَتِ الْمِيَادُ . وَأَذَكَّتِ الْجُوزَاءُ الْمُعْزَاءُ
وَصَرَ الْجُنْدُبُ . قَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الرُّكْبُ غُورُوا بِنَا فِي ضَوْجِ هَذَا
الْوَادِي . وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَأَ لَنَا كَثِيرُ الدَّغَلِ دَائِمِ الْغَلَلِ . أَشْجَارُهُ مَغْنَّةٌ
وَأَطْيَارُهُ مَرْنَةٌ . فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوَحَاتِ كَنْهَبَاتٍ . فَأَصَبْنَا مِنْ
فَضَلَاتِ الزَّادِ وَاتَّبَعْنَا هَا الْمَاءَ الْبَارِدَ . فَإِنَّا لَنَصِيفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمَمَاطَلَتُهُ إِذْ
صَرَ أَقْصَى الْخَيْلِ أَذْنِيهِ . وَفَحَصَ الْأَرْضَ يَدَيْهِ . فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ
جَالَ . ثُمَّ حَفَمَ الْخَيْلُ وَتَكَعَكَتِ الْأَبِلُ وَتَقَهَّقَتِ الْبِغَالُ . فَمِنْ نَافِرٍ
بَشَكَالِهِ . وَنَاهَضَ بِعِقَالِهِ . فَعَلِمْنَا أَنَّ قَدْ آتَيْنَاوَاهُ السَّبْعُ فَفَزِعَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ فَاسْتَلَّهُ مِنْ جِرَابِهِ . ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا وَأَقْبَلَ أَبُو
الْحَارِثِ مِنْ أَجْمَتِهِ يَتَطَالَعُ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ نَعْتِهِ كَأَنَّهُ مُجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ
بَصْدَرِهِ نَحِيطٌ . وَلِبَالَعِهِ غَطِيطٌ . وَلِطَرْفِهِ وَمِيزٌ . وَلَا رَسَاغِهِ نَقِيزٌ .
كَأَنَّمَا يَخِيطُ هَشِيمًا . أَوْ يَطَأُ صَرِيمًا . وَإِذَا هَامَةٌ كَالْمِجَنِّ . وَخَدٌّ كَالْمِسْنِ .
وَعَيْنَانِ سَجَرَاوَانِ . كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَقَدَّانِ . وَكَفٌّ شَتْنَةُ الْبَرَاثِنِ إِلَى
خُفَايَابِ كَالْحَاجِنِ . فَضْرَبَ يَدَيْهِ فَأَرْهَجَ . وَكَشَرَ فَأَفْرَجَ عَنْ أَنْيَابِ
كَالْمَعَاوِلِ مَضْمُولَةٍ غَيْرِ مَفْلُولَةٍ . ثُمَّ أَقْفَى فَأَقْشَعَرَّ ثُمَّ مَثَلَ فَأَكْفَهَرَ . ثُمَّ
تَجَهَّمَ فَأَزْبَارٌ . فَلَا وَذُو بَيْتِهِ فِي السَّمَاءِ مَا اتَّقَيْنَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فَرَارَةٍ
كَانَ ضَخْمُ الْجَزَارَةِ . فَوَقَّصَهُ ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً فَتَقَضَّضَ مَتْنِيهِ فَجَعَلَ

ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ : لَبَّيْكُمْ لَبَّيْكُمْ هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمْ . لَا مَالَ لِي
يَفْدِينِي وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِينِي . وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا حَارًّا مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعى الْوُغُولَا
إِجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ وَأَحْذَرْ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ الدَّهْرَ غُولَا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فِي قَصْرِ مِنْ قُصُورِ الطَّائِفِ (لَا بِي زَكَرِيَا النُّووي)

٣٦٣ (أَبُو زَيْدٍ ٦٤٥) . هُوَ حَرَمَلَةٌ بَنُ الْمُنْذِرِ مِنْ بَنِي طِيٍّ . وَكَانَ
نَصْرَانِيًّا وَعَلَى دِينِهِ مَاتَ . وَهُوَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ .
مِنْ زُؤَارِ الْمُلُوكِ وَخَاصَّةً مُلُوكِ الْعَجَمِ وَكَانَ عَالِمًا بِسِيرِهِمْ . وَكَانَ عُثْمَانُ
أَبْنُ عَفَّانٍ يُقَرِّبُهُ إِلَى ذَلِكَ وَيُؤَيِّدُنِي مَجْلِسَهُ . وَكَانَ يَكْثُرُ وَصْفُ الْأَسَدِ
فَتَذَاكُرُوا مَا ثَرَّ الْعَرَبِ وَأَشْعَارُهَا فَالْتَفَتَ عُثْمَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ وَقَالَ :
يَا أَخَا تَبَعِ الْمَسِيحِ أَسْمِعْنَا بَعْضَ قَوْلِكَ . فَقَدْ أَنْبَيْتُ أَنَّكَ تُجِيدُهُ فَأَنْشُدْهُ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

مَنْ مُبْلَغُ قَوْمِنَا النَّارِينَ إِذْ شَخَطُوا أَنَّ الْفُؤَادَ إِلَيْهِمْ شَيْتَى وَلِعُ
وَوَصَفَ الْأَسَدَ فَقَالَ عُثْمَانُ : تَأَلَّهْ تَفَقَّأ تَذَكَّرِ الْأَسَدَ مَا حَيَّيْتَ وَاللَّهِ
إِنِّي لَأَحْسِبُكَ جَبَانًا هَرَّابًا . قَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ
مِنْهُ مَنْظَرًا وَشَهِدْتُ مِنْهُ مُشْهَدًا لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يُجَدِّدُ وَيَتَرَدَّدُ فِي قَلْبِي .
وَمَعْدُورٌ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : وَأَنْتَ كَانَ ذَلِكَ .
قَالَ : خَرَجْتُ فِي صِيَابَةِ أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ذَوِي هَيْئَةٍ

وَرِثْنَا الْمَجْدَ عَنْ كِبَرِ زَارٍ فَأَوْرَثَنَا مَا ثَرْنَا بَيْنَنَا
وَكُنَّا حَيْثُمَا عَلِمَتْ مَعَدُّ أَهْمُنَا حَيْثُ سَارُوا هَارِبِينَ
تُخَبِّرُكَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ إِذَا عَدُّوا سِعَايَةَ أَوْلِينَا
بِأَنَّا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَعْرِ وَأَنَا الضَّارِبُونَ إِذَا التَّقِينَا
وَأَنَا الْمَانِعُونَ إِذَا أَرَدْنَا وَأَنَا الْعَاطِفُونَ إِذَا دُعِينَا
وَأَنَا الْحَامِلُونَ إِذَا أَنَاخَتْ حُطُوبٌ فِي الْعَشِيرَةِ بَتَلِينَا
وَأَنَا الرَّافِعُونَ عَلَى مَعَدٍّ أَكْفَأُ فِي الْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا
نُشْرِدُ بِالْخَافَةِ مَنْ أَتَانَا وَيُعْطِينَا الْمُقَادَةَ مَنْ يَلِينَا
نَسِيرُ بِمَعْشَرٍ قَوْمًا لِقَوْمٍ وَنَدْخُلُ دَارَ قَوْمٍ آخَرِينَ
وَحَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَطْبَاقٌ مِنَ الذَّهَبِ
فِيهَا وَرْدٌ أَبْيَضٌ وَاحْمَرُّ فَأَمَرَهُ بِوَضْعِهَا فَقَالَ :

كَأَنَّمَا الْوَرْدُ الَّذِي نُشْرِدُهُ يَبْقَى مِنْ طِيبِ مَعَانِيكَ
دِمَاءُ أَعْدَائِكَ مَسْفُوكَةً قَدْ قَابَلَتْ بَيْضَ أَيْدِيكَ

وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ يَمْدَحُ ابْنَ جَدْعَانَ التَّيْمِيَّ صَدِيقَهُ :

خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنْ الْخَلْقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءٌ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَلَّتْهَا بُنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءٌ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَفَادٍ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّنَاءِ

قَالَ اللَّيْثِيُّ : لَمَّا مَرِضَ أُمَيَّةُ الْمَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ :
قَدْ دَنَا أَجَلِي وَهَذِهِ الْمَرَضَةُ مَنِيَّتِي . فَلَمَّا دَنَتْ وَفَاتَهُ أَغْمِيَ عَلَيْهِ قَلِيلًا

٣٦١ (حَاتِمُ الطَّائِي ٦٠٥) . هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي .

وَكَانَ نَصْرَانِيًّا مِنْ الْكُرَمِ عَلَى أَفْضَلِ جَانِبٍ . فَيَفُكُ الْعَانِي وَيَجْمِي الذَّمَّارَ
وَيَهْرِي الضَّيْفَ وَيَشْبَعُ الْجَائِعَ وَيُفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ
وَيَفْشِي السَّلَامَ . وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ . وَكَانَ حَاتِمٌ مِنْ شُعْرَاءِ
الْعَرَبِ جَوَادًا يُشَبِّهُ شِعْرَهُ جُودَهُ . وَيَصْدَقُ قَوْلُهُ فِعْلُهُ . وَكَانَ حَيْثَا
نَزَلَ عُرِفَ مَنْزِلُهُ وَكَانَ مُظْفَرًا إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ . وَإِذَا غَنِمَ أَنْهَبَ . وَإِذَا
سُئِلَ وَهَبَ . وَكَانَ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ يُوعِزُّ إِلَى غُلَامِهِ أَنْ يُوقِدَ النَّارَ فِي
يَفَاعٍ مِنَ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مِنْ أَضَلِّ الطَّرِيقِ فَيَأْوِي إِلَى مَنْزِلِهِ وَيَقُولُ :
أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرُّ وَالرَّيْحُ يَأْمُوقِدُ رِيحٌ صِرُّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرُّ

وَكَانَ إِذَا أَهَلَ الشَّهْرَ يُخْرِعُ عَشْرًا مِنَ الْأَيْلِ فَيُطْعِمُ النَّاسَ (دواوين العرب)
٣٦٢ (أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ٦٧٤) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ
الثَّقَفِيُّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى . وَكَانَ أُمِيَّةٌ مِنْ
رُؤَسَاءِ ثَقِيفٍ وَفَصَحَائِهِمْ يَتَعَبَّدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ . وَيُشَدُّ
فِي أَثْنَائِهِ الشَّعْرَ الْمُنِيجَ وَأَذْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسْلِمَ . وَلَهُ فِي الْفَخْرِ :

إِلَيْهِ هَدَايَا وَمَالًا وَأَلْقَى نَفْسَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَأَمَّا أَنْ صَفَحَ عَنْكَ فَعَدْتَ مَلَكًا عَزِيزًا . وَأَمَّا أَنْ
أَصَابَكَ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَلَعَّبَ بِكَ صَمَالِكُ الْعَرَبِ وَيَتَخَطَّفَكَ ذُنَاجُهَا وَتَأْكُلَ مَالَكَ
وَتَعِيشَ فَقِيرًا مُجَاوِرًا أَوْ تَقْتَلَ مَقْبُورًا . فَضَى إِلَى كَدْرِي حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَدَائِنِ بَلَغَ كَدْرِي أَنَّهُ
بِالْبَابِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَبَضَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى سِجْنٍ كَانَ لَهُ بُخَائِقَتَيْنِ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ حَتَّى مَاتَ . وَقَالَ
الْكَلْبِيُّ : الْقَاهُ تَحْتَ أَرْجْلِ الْفِيلَةِ فَوُطِئَتْهُ حَتَّى مَاتَ وَذَلِكَ قَبِيلُ الْإِسْلَامِ بِحِينَ (الْإِغَانِي)

أَتَاكَ بِأَنِّي قَدْ طَالَ حَبْسِي وَلَمْ تَسْأَلْ بِمَسْجُونٍ حَرِيبٍ
وَبَيْتِي مُقْفَرٌ إِلَّا نِسَاءً أَرَامِلَ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النِّخَابِ
يُكَادِرْنَ الدَّمُوعَ عَلَى عَدِيٍّ كَشَنَ خَانَهُ خَزَزَ الرَّيْبِ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تُغْلِبَ عَلَى الرَّأْيِ الْمُصِيبِ
فَإِنِّي قَدْ وَكَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ
وَكُتِبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي وَهُوَ مَعَ كَسْرِي

وَتَقُولُ الْعُدَاةُ أَوْدَى عَدِيٍّ وَبَنُوهُ قَدْ أَيَقَنُوا بِعَاقِ
يَا أَبَا مُسْهِرٍ فَأَبْلِغْ رَسُولًا إِخْوَتِي إِنْ أَتَيْتَ صَحْنَ الْعِرَاقِ
أَبْلِغَا عَامِرًا وَأَبْلِغَا أَخَاهُ أَنِّي مُوثِقٌ شَدِيدٌ وَثَاقِي
فِي حَدِيدٍ مُضَاعَفٍ وَغَلَالٍ وَثِيَابٍ مُنْصَحَاتٍ خِلَاقِ
فَارْكُبُوا فِي الْحَرَامِ فَكُونُوا أَخَاكُمْ إِنْ عِيرًا تَجَهَّزْتُ لِأَنْطِلَاقِ
فَلَمَّا قَرَأَ أَبِي كِتَابَ عَدِيٍّ قَامَ إِلَى كَسْرِي فَسَكَّمَهُ فِي أَمْرِهِ
وَعَرَفَهُ خَبْرَهُ . فَكُتِبَ إِلَى النُّعْمَانِ يَا مُرُّهُ بِإِطْلَاقِهِ . فَاتَى النُّعْمَانُ أَعْدَاءَ
عَدِيٍّ فَأَعْرَوْهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ (*) (لابي الفرج الاصبهاني)

(*) واخبر صاحب كتاب الاغانى انه لما انتهى خبر قتل عدتي الى كسرى سكت اشهرًا على ذلك ووقع في قلبه منه ما وقع . وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى آتاه كتابه أن أقبل فان للملك حاجة اليك . فعمل سلاحه وما قوي عليه ثم لحق بالبادية وأقبل يطوف على قبائل العرب وليس احد منهم يقبله خوفًا من كسرى . فقال له بعض اصحابه : عندي رأي لك لست أشير به عليك لأدفعك عما تريد من مجاورتي ولكنه الصواب . فقال : هاتيه . فقال : ان كل امر يحمل بالرجل ان يكون عليه الا أن يكون بعد الملك سوقة والموت نازل بكل أحد . ولأن موت كريمًا خير من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك . فامض الى صاحبك واحمل

حِينَئِذٍ بِحُلَّةٍ وَشِيٍّ مَسْمُومَةٍ مَسْجُوجَةٍ بِالذَّهَبِ . وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرْسَلْتُ
 إِلَيْكَ بِحُلَّتِي الَّتِي كُنْتُ أَلْبَسُهَا تَكْرِمَةً لَكَ فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكَ فَأَلْبَسْهَا
 بِالْيَمِينِ وَالْبَرَكَةِ . وَاكْتُبْ إِلَيَّ بِخَبْرِكَ مِنْ مَنْزِلٍ مَنْزِلٍ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
 لَبِسَهَا فَأَسْرَعَ فِيهِ الشَّمُّ وَسَقَطَ جِلْدُهُ فَسُمِّيَ ذَا الْقُرُوحِ (الاعاني)
 ٣٦٠ (عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ٥٨٢) . هُوَ مِنْ أَوْلَادِ زُرَّارٍ وَكَانَ شَاعِرًا فَصِيحًا مِنْ
 شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . وَكَانَ أَبُوهُ لَمَّا أُنْفِعَ طَرَحَهُ فِي الْكُتَّابِ
 حَتَّى إِذَا حَذَقَ أَرْسَلَهُ الْمَرْزُبَانَ مَعَ ابْنِهِ شَاهَانَ مَرَدًا إِلَى كُتَّابِ الْفَارِسِيَّةِ .
 فَكَانَ يَخْتَلِفُ مَعَ ابْنِهِ وَيَتَعَلَّمُ الْكِتَابَةَ وَالْكَلَامَ بِالْفَارِسِيَّةِ . حَتَّى خَرَجَ
 مِنْ أَفْهَمِ النَّاسِ بِهِمَا وَأَفْصَحَهُمُ بِالْعَرَبِيَّةِ . وَقَالَ الشَّعْرُ وَتَعَلَّمَ الرَّمْيَ
 بِالنَّشَابِ فَخَرَجَ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ الرُّمَّةَ . وَتَعَلَّمَ لَعِبَ الْعَجْمِ عَلَى الْخَيْلِ
 بِالصَّوَالِجَةِ وَغَيْرِهَا . ثُمَّ اثْبَتَهُ كِسْرَى مَعَ وَلَدِ الْمَرْزُبَانَ فَكَانَ عَدِيُّ
 أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي دِيوَانِ كِسْرَى . يُؤَذِّنُ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْخَاصَّةِ
 وَهُوَ مُعْجَبٌ بِهِ قَرِيبٌ مِنْهُ فَأَرْتَفَعَ ذِكْرُ عَدِيٍّ . وَلَمَّا تَوَلَّى النُّعْمَانُ بْنُ
 الْمُنْذِرِ عَلَى الْحِيرَةِ اسْتَدْعَى عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعَ أَخَوَيْنِ لَهُ
 اسْمُهُمَا أَبِي وَعَامِرٌ فَارْتَمَوْهُمَا وَأَجَزَلَ صَلَاتَهُمَا وَزَوَّجَ عَدِيًّا ابْنَتَهُ هِنْدًا وَوَلَّاهُ
 مَمْلَكَتَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ سِوَى اسْمِ الْمَلِكِ . ثُمَّ حَسَدَهُ وَحَبَسَهُ فِي مَحْبَسٍ لَا
 يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ . فَجَعَلَ عَدِيُّ يَقُولُ الشَّعْرَ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ مِنْ قَوْلِهِ :
 أَلَا مَنْ مَبْنُوعُ النُّعْمَانِ عَنِّي وَقَدْ تَهَوَّى التَّصْيِحَةُ بِالْمَغِيبِ
 أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقِيدًا وَغَلًّا وَابْيَانَ لَدَى الطَّيِّبِ

الْقَيْسِ وَالْأَدْرُعُ وَالسَّلَاحُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ عُمَرُو بْنُ جَابِرِ بْنِ مَازِنٍ
الْفَزَارِيُّ : يَا ابْنَ حَجَرٍ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلٍّ مِنْ قَوْمِكَ وَأَنَا أَنْفَسُ
بِمَثْلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ . أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَلَدٍ فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ وَجِئْتُ
النُّعْمَانَ فَلَمْ أَرَ لِيَصِيفٍ نَازِلٍ وَلَا لِيُجْتَدِ مِثْلُهُ وَلَا مِثْلُ صَاحِبِهِ . قَالَ :
مَنْ هُوَ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ . قَالَ : السَّمْوَلُ بِتَيْمَاءَ وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ . هُوَ
يَمْنَعُ ضَعْفَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ عَيْمِكَ . وَهُوَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَحَسَبٍ
كَبِيرٍ . فَمَضَى الْقَوْمُ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى السَّمْوَلِ فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي الْمَصَاصِ مُفَاجِرًا وَإِلَى السَّمْوَلِ زُرْتُهُ بِالْأَبَقِ
فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحْمَلُ حَاجَةً إِنْ جِئْتُهُ فِي غَارِمٍ أَوْ مُرْهَقِ
عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا لَمْ يُسْبَقِ
وَعَرَفَ لَهُمُ السَّمْوَلُ حَقَّهُمْ فَأَزَلَّهُمْ فِي مَجْلِسٍ لَهُ بَرَّاحٌ فَيَكُنْ عِنْدَهُ
مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ
الْعَسَايِيِّ بِالشَّامِ لِيُوصِلَهُ إِلَى قَيْصَرَ . فَأَسْتَجَدَّ لَهُ رَجُلًا وَاسْتَوْدَعَ عِنْدَهُ
الْأَدْرَاعَ وَالْمَالَ وَأَقَامَ مَعَهَا يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنِ عَمِّهِ . فَمَضَى
حَتَّى أَتَاهُ إِلَى قَيْصَرَ فَقَبِلَهُ وَكَرَّمَهُ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ . فَأَنْدَسَ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ الطَّمَّاحُ حَتَّى أَتَى إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَأَقَامَ
مُسْتَحْفِيًا . ثُمَّ إِنْ قَيْصَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ .
فَلَمَّا فَصَلَ قَالَ لِقَيْصَرَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : إِنَّ الْعَرَبَ قَوْمٌ غَدَرٌ وَلَا تَأْمَنُ
أَنْ يَظْفَرَ بِمَا يُرِيدُ ثُمَّ يَفْزُوكَ بِمَنْ بَعَثَ مَعَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَيْصَرُ

الْعَرَبُ . وَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى بَرَقًا فَقَالَ :

أَرِقْتُ إِبْرَقَ لَيْلِ أَهْلِ يَضِي سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ تَزَعَزَعُ مِنْهُ الْقَلَلُ
بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ أَلَّا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَالُ

ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى نَزَلَ بَكْرًا وَتَغَلَّبَ فَسَأَلَهُمُ النَّصْرَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ .
وَبَعَثَ الْعَيُونَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَنَذَرُوا بِالْعَيُونِ وَجَاءُوا إِلَى بَنِي كِنَانَةَ .
فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ وَبَنُو أَسَدٍ جَامُونَ عَلَى الْمَاءِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى كَثُرَتِ الْجُرْحَى
وَالْقَتْلَى فِيهِمْ . وَحُجِزَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ وَهَرَبَتْ بَنُو أَسَدٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَكْرٌ
وَتَغَلَّبَ أَبَوَانِ يَتَّبِعُوهُ وَقَالُوا لَهُ : قَدْ أَصَبْتَ ثَارَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا
فَعَلْتُ وَلَا أَصَبْتُ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدًا .
قَالُوا : بَلَى وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ مَشُومٌ . وَكَرِهُوا قِتَالَهُمْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَنْصَرَفُوا
عَنْهُ فَمَضَى هَارِبًا لَوَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِحِمِيرٍ . ثُمَّ خَرَجَ فَظَفِرَ بِبَنِي أَسَدٍ
(قَالُوا) وَأَلَحَّ الْمُنْذِرُ فِي طَلَبِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَأَمَدَهُ أَنْوَشَرَوَانُ بِجَيْشٍ مِنْ
الْأَسَاوِرَةِ فَسَرَّحَهُمْ فِي طَلَبِهِ . وَتَفَرَّقَ حِمِيرٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَنْهُ فَتَجَا فِي
عُصْبَةٍ مِنْ بَنِي أَكِلِ الْمُرَارِ حَتَّى نَزَلَ بِالْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ مِنْ بَنِي
حَنْظَلَةَ وَمَعَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ أَدْرَاعٌ يُتَوَارَثُونَهَا مَلِكًا عَنْ مَلِكٍ . فَقَلَمَا
لَبِثُوا عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ الْمُنْذِرُ مَائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ
يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِ بَنِي أَكِلِ الْمُرَارِ . فَاسْلَدَهُمْ وَتَجَا
أَمْرُ الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَبِلْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ أَمْرِئِ

وَسَارِ قَبَائِلَ رَبِيعَةَ يَسْتَجِدُّوهُ وَقَالُوا : قَدْ جَلَّ الْحُطْبُ فَلَا قَرَارَ لَنَا
عَلَيْهِ . وَكَانَ الْبَرَّاقُ مُعْتَرِلاً عَنْهُمْ بِقَوْمِهِ . فَأَخَذَتْهُ الْغِيرَةُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
أَعْمَرِي لَسْتُ أَتْرُكُ آلَ قَوْمِي وَأَرْحَلُ عَنْ فِنَانِي أَوْ أَسِيرُ
أَأَزِلُ بَيْنَهُمْ إِنْ كَانَ يُسَرُّ وَأَرْحَلُ إِنْ أَلَمَّ بِهِمْ عَسِيرُ
ثُمَّ نَادَى فِي قَوْمِهِ وَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُمْ كَثْرَةَ قَبَائِلِ طِيٍّ وَشِدَّةَ
بَأْسِهِمْ وَنَجْدَتِهِمْ فَشَدُّوا بِنَا الْخَيْلَ وَأَبْدَوْوهُمْ بِالْغَارَةِ . فَوَضَعُوا فِيهِمْ
السُّيُوفَ وَعَلَّتِ الْأَصْوَاتُ وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ
قَبِيلَةٍ بِمَا يَلِيهَا . فَأَعْتَرَكُوا سَاعَةً وَوَلَّتْ طِيٌّ وَقِضَاعَةٌ بَعْدَ قِتْلَةٍ مُرِيعَةٍ .
وَاتَّبَعَهُمُ الْبَرَّاقُ وَأَمْتَلَاتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِمُ الْعُرَبَانُ .
وَعَظُمَتْ مَنَزِلَةُ الْبَرَّاقِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَأَسْتَهْلُوا أَمْرَهُ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ
جَمِيلًا . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ثَمَسْمَانَةِ وَخَمْسٍ وَعِشْرِينَ لِلْمَسِيحِ .
٣٥٩ (أَمْرُ الْقَيْسِ ٥٦٦) . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ أَمْرُ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ
أَبْنِ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي كِنْدَةَ صَاحِبِ الْمُعَلَّقَةِ الْمَشْهُورَةِ . وَكَانَ مِنْ فُحُولِ
شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مُقَدِّمًا عَلَى سَائِرِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ . سَبَقَ إِلَى
أَشْيَاءَ ابْتَدَعَهَا وَاسْتَحْسَنَتَهَا الْعَرَبُ وَاتَّبَعَتْهُ عَلَيْهَا الشُّعْرَاءُ . وَكَانَ حُجْرُ
أَبُو أَمْرِ الْقَيْسِ مَلِكًا عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَقَتَلُوهُ غِيلَةً . قَالَ أَبُو السَّكَيْتِ :
فَجَاءَ رَسُولٌ إِلَى أَمْرِ الْقَيْسِ فَأَخْبَرَهُ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ فَقَالَ : الْحُمُرُ عَلَيَّ
وَاللَّعِبُ حَرَامٌ حَتَّى أَقْتُلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِائَةً . وَأَجَزَ نَوَاصِي مِائَةً
ثُمَّ قَامَ أَمْرُ الْقَيْسِ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ غَلَامًا قَدْ تَرَعَرَ يَسِيرُ فِي أَحْيَاءِ

الْبَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي التَّرَاجِمِ (*)

شعراء النصرانية

٣٥٨ (الْبَرَّاقُ بْنُ رَوْحَانَ ٥٢٥). هُوَ أَبُو النَّصْرِ بْنِ رَوْحَانَ بْنِ أَسَدٍ
الْتَّمِيحِيِّ مِنْ شُعَرَاءِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ. وَكَانَ فِي صَغَرِهِ
يَتَّبِعُ رِعَاةَ الْإِبِلِ وَيَحْلُبُ اللَّبَنَ وَيَأْتِي بِهِ إِلَى رَاهِبٍ حَوْلَ الْمُرَاعِي
فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ تِلَاوَةَ الْإِنْجِيلِ وَكَانَ يَدِينُ بِدِينِهِ. ثُمَّ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَسَارَ
بَعْدَ ذَلِكَ. وَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْقِيَامِ وَالْفُرُوسِيَّةِ فِي الْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي إِيَادٍ وَلَحْمٌ مَا لَمْ يَكُنْ لغيرِهِ. وَمِنْ شِعْرِهِ :
يَا طَالِبَ الْأَمْرِ لَا يُعْطَى أَمَانِيهِ اسْتَغْمِلِ الصَّبْرَ فِي مَا كُنْتَ تَبْغِيهِ
وَالْبَسْ لِسْرِكَ مَا تُخْفِيهِ مُجْتَهِدًا وَالْبَسْ عِفَافَكَ فِي مَا كُنْتَ تَعْنِيهِ
فَصَاحِبُ الصَّدَقِ يَجْنِي صِدْقَهُ حَسَنًا وَصَاحِبُ الشَّرِّ سَوْءُ الشَّرِّ يَجْنِيهِ
وَلَمَّا وَقَعَتْ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي طِيٍّ وَقَضَاعَةَ الْحُرُوبِ الْمَشْهُورَةِ
وَتَعَاطَلَتْ الْقِتَّةُ بَيْنَهُمْ وَانْتَسَعَتْ أَعْيَا التَّدْبِيرِ فِي الصُّلْحِ حَتَّى لَحِقَ شَرُّهُمْ
مَنْ كَانَ مُعْتَرِلًا عَنْهُمْ. فَاجْتَمَعَ إِلَى الْبَرَّاقِ كَلِيبُ بْنُ رَبِيعَةَ وَإِخْوَتُهُ

(*) قد افردنا هذا الباب لذكر تراجم المشاهير من اهل النصرانية الذين مع اشتهارهم يعني
على الكثير تاريخهم . وقد افردنا باباً آخر لتراجم المشاهير من الاسلام وغيرهم قضى علينا ضيق
المقام بوضعه في الجزء التالي. وقد اصلحنا في الارقام ان يكون العدد الاول دالاً على سنة الميلاد
والثاني على سنة الوفاة . وان لم ترأ اعداداً فذلك تاريخ سنة الوفاة . وهو بحسب التاريخ المسيحي

أَوْطَأُ مِنْ أَمَلٍ . شَفَاكَ اللَّهُ تَعَالَى . وَحَسْبُكَ بِهِ طَيِّبًا (للخوارزمي)

وكتب الى تلميذ له ورد عليه كتابه بانه عليل

٣٥٦ وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ . ثُمَّ غَنَّنِي
أَطْلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَصَنَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ . جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَوَّلَهَا كَفَّارَةً
وآخِرَهَا عَافِيَةً . وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأُولَى أَجْرًا . وَعَلَى الْآخِرَةِ شُكْرًا .
وَيُودِّي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَاوَلُ عِيَادَتِكَ . فَأَحْتَمَلْتُ عَنْكَ بِالتَّعَهُدِ
وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ . فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ قِسْمٌ
كَقِسْمِكَ . وَمَرَضَ قَلْبِي لِمَرَضِ جِسْمِكَ . وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَقَيْتُكَ عَلِيلًا
لَا نَصَرْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعْلُ مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدْتُ عَلَى أَوْجَاعِ
أَعْضَائِي . غَيْرُ جَلَدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي . شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ . وَكَفَانِي
فِيكَ الْمُحْذُورَ وَكَفَاكَ . وَغَفَرَ ذَنْبَكَ . وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبِكَ (له)

فصول في وصاة للجاحظ

٣٥٧ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ أَسْعَفَتْهُ فِي حَاجَتِهِ وَأَجَبَتْهُ إِلَى طَلِبَتِهِ مَنْ
تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ وَزَرَعَ نَحْوَكَ بِالرَّجَاءِ . وَإِنْ فَلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ
بِنَا يَلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيْيَادِكَ عِنْدَنَا . وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ
الثِّقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ فَأَوَّلْنَا فِيهِ مَا نَعْرِفُ مَوْقِعَنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَتَكُونُ
مُسْكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا (وله) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانَا كِتَابُكَ فِي فُلَانٍ وَلَهُ لَدُنَّا
مِنْ الذِّمَامِ مَا يَلْزِمُنَا مُكَافَأَتَهُ وَرِعَايَةَ حَقِّهِ . وَنَحْنُ مِنَ الْمُعْتَبَةِ بِأَمْرِهِ عَلَى
مَا كَانَ فِي حُرْمَتِهِ وَيُودِّي شُكْرَهُ (لابن عبد ربه)

وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهَا بِاحْتِسَابِ الْأَجْرِ فِيهَا بِأَوْفَرِ الْأَنْصِبَاءِ . قَوْهَبَ اللَّهِ
لَكَ مِنْ عِصْمَةِ الصَّبْرِ مَا يَكْمُلُ لَكَ بِهِ زُلْفَى الْفَائِزِينَ وَقُرْبَةَ الشَّاكِرِينَ .
وَجَعَلَكَ مِنَ الْمَرْضِيِّينَ قَوْلًا وَفِعْلًا (لابن عبدربه)

كتاب ابي العيناء الى المهدي بعد موت الخليفة المنصور

٣٥٤ أَجَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ وَبَارَكَ لَهُ فِيمَا حَافَهُ
لَهُ . فَلَا مُصِيبَةَ أَعْظَمَ مِنْ مُصِيبَةِ إِمَامٍ وَالِدٍ وَلَا عُقْبَى أَفْضَلُ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ
عَلَى أَوْلِيَائِهِ . فَأَقْبَلَ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعَطِيَّةِ وَأَصْبَرَ لَهُ عَلَى أَعْظَمِ الرِّزْيَةِ

فصول الى عليل

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى تلميذه له قد ظهر عليه الجدرى

٣٥٥ وَصَلَنِي خَبْرُ الْجُدَرِيِّ فَنَالَ مِنِّي وَهَيْجٌ حُرْنِي . وَرَاعَ قَلْبِي
وَأَسْهَرَ عَيْنِي وَهَذِهِ الْعِلَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مُوجِعَةً . وَفِي رَأْيِ الْعَيْنِ فُطِيعَةً
شَنِيعَةً . فَإِنَّهَا إِلَى السَّلَامَةِ أَقْرَبُ . وَطَرِيقُهَا إِلَى الْحَيَاةِ أَقْصَدُ . لِأَنَّ
عَيْنَ الطَّيِّبِ تَقَعُ عَلَيْهَا . وَظَاهِرُ الدَّاءِ أَسْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ . وَبَارِزُ الْجُرْحِ
أَهْوَنُ مِنْ كَامِنِهِ . وَلَعَمْرِي إِنَّهَا تُورِثُ سَوَادَ اللَّوْنِ . وَتَذْهَبُ مِنْ
الْوَجْهِ بِدِيَابِجَةِ الْحُسْنِ وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَيْسِيرٌ فِي جَنْبِ السَّلَامَةِ لِلرُّوحِ
الطَّيِّفَةِ . وَالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ . وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ لَكَ غَيْرَ الدُّعَاءِ . لَا أَسْأَلُ
صِحَّتَكَ . إِلَّا مِمَّنْ خَاقَ عَلَيْكَ . وَأَرَى لَكَ أَنْ تُحْسِنَ ظَنَكَ بِرَبِّكَ .
وَتَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِكَ . وَتَجْعَلَ الصَّدَقَةَ شَفِيعَكَ . وَالْيَقِينَ طَيِّبَكَ .
وَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَا دَوَاءَ أَذْوًا مِنْ أَجَلٍ . وَلَا دَوَاءَ أَشْفَى مِنْ مَهْلٍ . وَلَا فِرَاشَ

فَتَحْلِفُهَا وَأَنْتَ جَدِيدٌ تَسْتَقْبِلُ أَمْثَالَهَا فَتَقْلَاكَ بِبَهَائِهَا (لابن عبد ربّه)

فصول في التعزية

كتاب الخوارزمي الى الشيخ ابي بكر

٣٥٢ بَلَّغْنِي مَا قَاسَاهُ شَيْخِي أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ مِنْ غَمٍّ يُشْكِي بَلَّ يُبْكِي . وَجَزَعٍ يُضْنِي . بَلَّ يُفْنِي . وَالْمَوْتُ خَطْبٌ ثَقُلَ حَتَّى خَفَّ وَكَثُرَ حَتَّى قَلَّ . وَهَانَ عَلَى الْبَاقِي لِمَا رَأَاهُ بِالْمَاضِي . وَعَلَى الْمُعْزِيِّ لِمَا نَظَرَهُ فِي الْمُعْزَى . وَدَخَلَ الْجَمِيعُ تَحْتَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

فَيَدْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَمْشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي وَشَيْخِي أَعْرَفَ بِاللَّهِ . مِنْ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِغَيْرِ أَدَبِ اللَّهِ . وَلَا يُسَلِّمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ . وَلَكِنْ لِمَفْاجَأَةِ الْمُصِيبَةِ لَذَعَةُ يُسْتَرَاخُ مِنْهَا إِلَى مُبَاتَةِ الصَّدِيقِ . وَإِلَى تَسْلِيَةِ الْأَخِ الشَّقِيقِ . وَالسَّلَامُ (رسائل الخوارزمي)

غيره لبعضهم

٣٥٣ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ تَعَزَّى وَأَوَّلَى مَنْ تَأَنَسَ وَسَلَّمَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَقَبْلَ تَأْدِيبِهِ فِي الصَّبْرِ عَلَى نَكَبَاتِ الدُّنْيَا وَتَجَرَّعَ غُصَصِ الْبَلْوَى مَنْ تَجَزَّ مِنْ اللَّهِ وَعَدَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ نَفْسَهُ وَأَعْتَرَفَ لَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . وَفِي قَلْبِهِ سَلَوَةٌ مِنْ فَقْدِ كُلِّ حَيْبٍ وَإِنْ لَمْ تَطْبِ النَّفْسُ عَنْهُ وَأُنْسُ مِنْ كُلِّ فَقِيدٍ وَإِنْ عَظُمَتِ اللَّوْعَةُ بِهِ . وَالْمَوْتُ سَبِيلُ الْمَاضِينَ وَالْغَايِرِينَ وَمَوْرِدُ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ . وَفِي أَنْبَاءِ اللَّهِ وَسَائِفِ أَوْلِيَاءِهِ أَفْضَلُ الْعِبَرَةِ وَأَحْسَنُ الْأَسْوَةِ . فَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْ فَجَائِعِ الدُّنْيَا بِأَجْزَلِ الْإِعْطَاءِ

هِنَّا بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ (للقيرواني)

كتاب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم النيروز

٣٥٠ أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بِيَادَةٍ مِنَ الْعُمُرِ
مَوْصُولَةٍ بِفَرَائِضِهَا مِنَ الشُّكْرِ . لَا يَنْقُضِي حَقُّ نِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ
أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ . وَإِنِّي
وَإِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَهِيَ مِلْكُكَ لَا حَظَّ فِيهَا لِغَيْرِكَ . وَرَمَيْتُ
بِطَرَفِي إِلَى كَرَائِمِ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ . فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا
لْمُهْدِي مَالِكَ إِلَيْكَ . وَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ
مُسْتَحْدَثَةٍ . فَرَأَيْتُنِي إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا
وَلَا لُطْفًا . وَلَمْ أُمِزْ مَنْزِلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنْزِلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ
الشُّكْرُ مُقْصِرًا عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَائِدًا عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ . فَجَعَلْتُ
الْإِعْتِرَافَ بِالْتَّمَصِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْعَجْزِ عَمَّا يَجِبُ
لَكَ بَرًّا أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْكَ

وكتب بعض الكتاب الى بعض الملوك

٣٥١ النَّفْسُ لَكَ وَالرَّجَاءُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ وَالْأَمَلُ مَضْرُوفٌ نُحُوكَ .
فَمَا عَسَى أَنْ أَهْدِيَ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ . وَهُوَ يَوْمٌ سَهَلَتْ فِيهِ الْعَادَةُ
سَبِيلَ الْهَدَايَا لِلْسَّادَةِ . فَأَقْتَصِرَ نَاعِلِي هَدِيَّةٍ تَقْتَضِي بَعْضَ الْحَقِّ وَتَقُومُ
عِنْدَكَ مَقَامَ أَجَلِ الْبِرِّ . وَلَا زِلْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَائِمَ السُّرُورِ وَالْعَبْطَةِ فِي
أَتَمِّ أَحْوَالِ الْعَافِيَةِ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْكِرَامَةِ تَرُبُّ بِكَ الْأَعْيَادُ الصَّالِحَةُ .

شُكْرِي لَكَ عَلَى مُعْجَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَحَشَّاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا وَرَمَقَ أَمْسَكَتَ بِهِ
وَقَمْتَ بَيْنَ التَّلَفِ وَبَيْنَهُ . فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ
وَمَدَى يُوقِفُ عَنْدَهُ وَعَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ . خَلَا هَذِهِ
النِّعْمَةُ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الْوَصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ . وَأَنْتَ
مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ . رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحُسُودِ
فَنَحْنُ نُلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَنْفٍ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ الْمُجْتَهِدِ . (وَلَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ) : وَصَلَ كِتَابُكَ فَمَا
رَأَيْتُ كِتَابًا أَسْهَلَ فُنُونًا وَلَا أَمْلَسَ مَثُونًا وَلَا أَكْثَرَ عُيُونًا وَلَا أَحْسَنَ
مَقَاطِعَ وَمَطَالِعَ مِنْهُ . أُنْجِزَتْ فِيهِ عِدَّةُ الرَّأْيِ وَبُشِّرَى الْفِرَاسَةِ . وَعَادَ
الظَّنُّ يَقِينًا وَالْأَمَلُ مَبْلُوغًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

كتاب ابن مكرم الى احمد بن المدر

٣٤٨ إِنْ مِنَ النُّعْمَةِ عَلَى الْمُشْنِيِّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافُ الْإِفْرَاطَ وَلَا
يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ . وَيَأْمَنُ أَنْ تُلْحَقَهُ نَقِصَةُ الْكُذِبِ . وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَدْحُ
إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنَّ الدَّاعِيَ لَا
يُقَدِّمُ كَثْرَةَ الْمُتَابِعِينَ لَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

فصول في التهنئة والهدايا

فصل للحسن بن وهب

٣٤٩ لَئِنْ تَخَلَّفْتُ عَنْ عِيَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا أَغْفَلَ
قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصَاعَنْ خَبْرَكَ . وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاتُكَ كَتَبْتُ

وَالْحَبْرَةُ حَلِيفُكَ . وَالْدَقْتُرُ أَلِيفُكَ . فَإِنْ قَصَّرْتَ وَلَا إِخَالَكَ . فَفَنِي
خَالَكَ وَالسَّلَامُ

(رسائل بديع الزمان الهمداني)

فصول لمحمد بن عبد الملك الزيات للخلفاء في التوصية

٣٤٦ إِنْ حَقَّ الْأَوْلِيَاءُ عَلَى السُّلْطَانِ تَفْعِيدُ أُمُورِهِمْ وَتَقْوِيمُ أَوْدِهِمْ
وَرِيَاضَةُ أَخْلَاقِهِمْ . وَأَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَهُمْ فَيَقْدِمَ مُحْسِنَهُمْ وَيُؤَخِّرَ مُسِيئَهُمْ .
لِيَزِدَّ أَدَاهُ وَلَا يَفِي إِحْسَانِهِمْ وَيَزِدَّ جِرْهُ وَلَا عَنْ إِسَاءَتِهِمْ . (وَفَضْلُهُ) :
إِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ لِلْخَلَفَاءِ عَلَى عِبَادِهِ حَقَّ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلَعَبِيدِهِ عَلَى
خُلَفَائِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ وَالرَّافَةِ وَإِحْيَاءَ الشُّنَنِ الصَّالِحَةِ . فَإِذَا أَدَّى كُلُّ
إِلَى كُلِّ حَقِّهِ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَامِ الْمَعُونَةِ وَاتِّصَالِ الزِّيَادَةِ وَاتِّسَاقِ
الْكَلِمَةِ وَدَوَامِ الْأَلْفَةِ . (وَفَضْلٌ) : لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللَّهُ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا أَتَّصَلَتْ بِرِعَّتِهِ عَامَّةً وَشَمَلَتْ الرُّعْيَةَ
كَافَّةً وَعَظُمَ بَلَاءُ اللَّهِ عَنْدهُمْ فِيهَا وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ عَلَيْهَا . لِأَنَّ اللَّهَ
جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تَمَامَ نِعْمَتِهِمْ وَبَدَأَ بِبِرِهِ وَذَبَّاهُ عَنْ دِينِهِ حِفْظَ حَرَمِهِمْ .
وَبِحَيَاظَتِهِ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمَّنَ سَبِيلَهُمْ . فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُنْطَوِي الْقَلْبِ عَلَى مُنَاصَحَتِهِ . مُؤَيِّدًا بِالنَّصْرِ . مُعَزِّزًا بِالتَّمَكُّنِ .
مَوْصُولًا بِالْبَقَاءِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

فصول في المدح والشكر

فصول للحسن بن وهب

٣٤٧ مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَقْدَرْتَهُ إِيَّاهَا . فَإِنْ

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَأَعِلهُ وَلَنْ تَرَاهُ يُخْطُ فِي كُتَيْبِ
 إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَتَاكَ مِنْ قَبْلِي فَعُدْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ
 فَأَعْفُ فِدَتَكَ النُّفُوسُ عَنْ رَجُلٍ يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ

فصول في التوصية

كتابُ عمر إلى أبي عبيدة بعد فتوح الشام

٣٤٤ وَبَعْدُ فَإِنِّي وَلَيْتَكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْتَحْيَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
 مِنَ الْحَقِّ . وَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَفْنَى مَا سِوَاهُ
 وَالَّذِي اسْتَخْرَجَكَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى جُنْدٍ مَا
 هُنَاكَ مَعَ خَالِدٍ فَأَقْبِضْ جُنْدَهُ وَأَعِزَّهُ عَنْ إِمَارَتِهِ . وَلَا تَقُلْ إِنِّي
 أَرْجُو أَبْكُمْ النَّصْرَ فَإِنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْيَقِينِ وَالثِّقَّةِ بِاللَّهِ .
 وَإِيَّاكَ وَالتَّغْرِيبَ بِإِلْقَاءِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْهَلَكَةِ . وَغَضَّ عَنْ الدُّنْيَا عَيْنَكَ
 وَالْهِيَئَةَ عَنْهَا قَلْبَكَ . وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْآخِرَةِ سِتْرُ الْحِمَارِ وَقَدْ تَقَدَّمَكَ
 سَلْفُكَ . وَأَنْتَ كَأَنَّكَ مُنْتَظَرٌ سَفَرًا وَرَحِيلًا مِنْ دَارِ مَضَتْ نَضَارَتُهَا
 وَذَهَبَتْ زَهْرَتُهَا . فَأَحْزَمُ النَّاسِ فِيهَا الرِّجَالُ عَنْهَا لِعِزِّهَا وَيَكُونُ زَادُهُ
 التَّقْوَى . وَرَاعِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتَ . وَأَمَّا اخْتِصَامُكَ أَنْتَ وَخَالِدٌ
 فِي الصُّلْحِ أَوْ الْقِتَالِ فَأَنْتَ الْوَلِيُّ وَصَاحِبُ الْأَمْرِ . وَالسَّلَامُ وَرَحْمَةُ
 اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ (فتوح الشام للواقدي)

كتاب بديع الزمان إلى ابن اخته

٣٤٥ أَنْتَ وَلَدِي مَا دُمْتَ وَالْعِلْمُ شَأْنُكَ . وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ .

هَمَّاهُ فِي السَّمَنِ وَالسَّمَنِ حَتْفُهَا . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعَامِلَ إِذَا زَاغَ زَاغَتْ رَعِيَّتُهُ .
وَأَشَقَى النَّاسَ مَنْ يَشْقَى بِهِ النَّاسُ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

كتاب صلاح الدين الى معز الدين صاحب الجزيرة

٣٤٢ إِنَّكَ أَنْتَ قَصَدْتَ الْأَنْتِمَاءَ إِلَيَّ ابْتِدَاءً وَرَاجَعْتَنِي فِي ذَلِكَ
مِرَارًا . وَأَظْهَرْتَ الْحَقِيقَةَ عَلَى نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ وَبَلَدِكَ مِنْ أَهْلِكَ .
فَقَبْلَتُكَ وَأَوَيْتُكَ وَنَصَرْتُكَ وَبَسَطْتُ يَدَكَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ وَدِمَائِهِمْ
وَأَعْرَاضِهِمْ . فَفَقِذْتُ إِلَيْكَ وَنَهَيْتُكَ عَنْ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمْ تَنْتَهُ . فَأَتَّفَقَ
وُقُوعُ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ لِلْإِسْلَامِ فَدَعَوْنَاكَ فَأَتَيْتَ بِعَسْكَرٍ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفَهُ
النَّاسُ . وَأَقَمْتَ هَذِهِ الْمُدَّةَ مُدِيدَةً وَقَلَّتْ هَذَا الْفَلَقُ وَتَحَرَّكَتْ هَذِهِ
الْحَرَكَةُ . وَأَنْصَرَفْتَ عَنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ وَغَيْرِ قَصْدٍ حَالٍ مَعَ الْعَدُوِّ .
فَأَنْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَبْصِرْ مَنْ تَتَّبِعِي إِلَيْهِ غَيْرِي . وَاحْفَظْ نَفْسَكَ مِمَّنْ
يَقْصِدُكَ فَمَا لِي إِلَى جَانِبِكَ الْتِفَاتٌ (سيرة صلاح الدين لابن شازي)
٣٤٣ كتاب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات

أَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نِلْتُ مُلْسَكَ قَهْتِهِ فِي كُتُبِكَ
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ أُلْ إِيَّاهُ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَّةٍ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعُ بِكَ
أَتَعَبْتُ كَفَيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتُ فِي تَعَبِكَ
(فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتُ)
كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَابَةَ الدَّهْرِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلِيًّا
أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ الْعُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا زَمَّ ثَمَّ حَوْلًا لَكَانَ عِنْدِي قَلِيلًا
فَأَجْعَلَنِي لِي إِلَى التَّلَاقِ بِالْعُذْرِ رَسِيدًا إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلًا
فَقَدِيمًا مَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَمَا سَاحَ الْخُلِيلُ خَالِيًّا

فصول في الذم

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى العامل على البريد بالاهواز

٣٤٠ كُنْتُ ظَنَنْتُ بِكَ يَا أَخِي ظَنًّا كَذَبَهُ قُبْحُ فِعْلِكَ . وَضَعُفُ هَجْرِكَ
وَوَصْلِكَ . فَإِنَّكَ لَا تَعْمَلُ فِيهِمَا عَلَى قِيَاسٍ وَاجِبٍ وَلَا تَصْبِرُ مِنْهُمَا عَلَى
طَعَامٍ وَاحِدٍ . فَلَا جَرَمَ لَقَدْ رَجَعْتُ فِي وَدِّي لَكَ وَمَا كُنْتُ أَرْجِعُ فِي
هَبَةٍ . وَنَدِمْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ وَعَهْدِي أَنْ لَا أُنْدِمَ عَلَى حَسَنَةِ (الخوارزمي)

كتاب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري

٣٤١ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِلنَّاسِ نَفْرَةً عَنِ سُلْطَانِهِمْ . فَأَحْذَرُ أَنْ تُدْرِكَنِي
وَأَيَّاكَ عَمِيَاءُ مَجْهُولَةٌ . وَضَعَائِنُ مَحْمُولَةٌ . وَأَهْوَاءُ مُتَّبَعَةٌ وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةٌ . فَأَقِمِ
الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ وَبَاشِرْ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَاقْفِضْ بَابَكَ لَهُمْ .
فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثَقَلَهُمْ حِمْلًا . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ قُشِتَ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ هَيْمَةٌ فِي لِبَاسِكَ وَمَطْعَمُكَ
وَمَرْكَبُكَ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلُهَا . فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ كَأَبِيهِمَةِ

فصل في العتاب للعتابي

٣٣٧ تَأْتِينَا إِفَاقَتَكَ مِنْ سَكْرَتِكَ وَتَرْقُبُنَا أَنْتَبَاهَكَ مِنْ رَقَدَتِكَ .
وَصَبْرَنَا عَلَى تَجَرُّعِ الْغَيْظِ فِيكَ . فَهِيَ أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي
تَعْدِيكَ لِطَوْرِكَ وَأَطْرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَلِطَ فِي اخْتِيَارِكَ (لابن عبد ربه)

فصول لابن مكرم في الاعتذار

٣٣٨ لَيْسَ يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلُ حَمَّاكَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ .
وَلَا يَقْطَعُنِي عَنْ رَجَائِكَ عَتَبُ حَدَثٍ عَلَيَّ مِنْكَ . بَلْ أَرْجُو أَنْ
بَتَقَاضَى كَرَمِكَ إِجْزَارَ وَعْدِكَ إِذْ كَانَ أَبْلَغَ الشُّفْعَاءِ إِلَيْكَ . وَأَوْجَبَ
الْوَسَائِلِ لَدَيْكَ . (فصل) أَنْتَ أَعَزُّهُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْغَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ
أَنْ تُجَازِيَنِي بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَيَّ لِسَانُ
وَاشٍ . فَلَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَرِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ
وَأَرْغَى لِلْحُقُوفَةِ . وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِدِمَائِمَاتِهِ . مِنْ أَنْ تُرَدِّدَ يَدَ مُوَمِّلِكَ
صَفْرًا مِنْ عَمَلِكَ إِذَا أُلْتَمَسَهُ . وَمَنْ عُذِرَكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ

٣٣٩ مرض الحسن بن وهب فلم يعده ابن الزيات ولم يتعرف خبره فكتب اليه :
أَيُّهَاذَا الْوَزِيرُ أَيْدَكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ لِي زَمَانًا طَوِيلًا
أَجْمِيلًا تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ الْأَسْوَءِ لِكَيْمَا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلًا
أَنْتِي قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيمًا مَا تَرَى مُرْسِلًا إِلَيَّ رَسُولًا
إِنْ يَكُنْ يُوجِبُ الْعَهْدُ فِي الصُّحُفِ بِهِ مَنَّا عَلَيَّ مِنْكَ طَوِيلًا
فَهُوَ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بَرًّا وَأَقْتَدَا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيمًا

تَعِيَهُ أَذُنَاكَ . وَنَحْنُ لِنَعْيَيْتِكَ كَعَقْدٍ ذَهَبَتْ وَاسِطَتُهُ وَشَبَابٍ قَدْ أَخَذَتْ
جِدَّتَهُ . وَإِذَا غَابَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ عَنَّا فَلَا بُدَّ أَنْ تَدْنُو شَمْسُ الْأَرْضِ
مِنَّا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَخْضَرُ لَتَصِلَ الْوَاسِطَةُ بِالْعَقْدِ . وَتَحْصُلَ بِكَ فِي جَنَّةِ
الْخُلْدِ . فَكُنْ إِنَّا أَسْرَعُ مِنَ السَّهْمِ فِي مَرِّهِ . وَالْمَاءُ إِلَى مَقَرِّهِ . لَلَّأَلَّا يَجُبُّ
مِنْ يَوْمِي مَا طَابَ ، وَيَعُودُ مِنْ نَوْمِي مَا طَارَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (للنواحي)

فصول في العتاب والاعتذار

فصول لاحمد بن يوسف

٣٣٦ لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَغْرَكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْضَائِكَ عَنِّي
مَا يَقْبِضُنِي عَنِ الطَّلَبَةِ إِلَيْكَ . وَلَكِنْ أُمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عَلَيَّ
بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَيَّ الَّذِي لَوْ قَبَضَتْهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ
لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكَّرًا وَسُودُوكَ شَافِعًا . (فَصْلٌ) . لَا سَبِيلَ إِلَى
شِكَايَتِكَ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا أَسْتَعَانَةَ إِلَّا بِكَ . وَمَا أَحَقَّ مَنْ جَعَلَكَ عَلَى
أَمْرٍ عَوْنًا أَنْ تَكُونَ لَهُ إِلَى التَّجَاحِ سَبَبًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ انْقَابَ وَمِنْ طُولِ وَدِّكَ أَنَّى ذَهَبَ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّنِي أَرَاكَ بَعَيْنِ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ

(فَصْلٌ) . إِنْ مَسَّنَا نِيَّ إِلَيْكَ حَوَائِجِي مَعَ عَتَبِكَ عَلَيَّ مِنَ اللُّومِ . وَإِنْ
إِمْسَاكِ عَنَّا فِي حَالِ ضَرُورَةٍ إِلَيْهَا مَعَ عَلَمِي بِكَرَمِكَ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا
لَعَجْزٌ . غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَقْرَبَ الْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ رِضَاكَ مَسْئَلَتَكَ
مَا سَنَعُ مِنَ الْحَاجَةِ . إِذْ كُنْتُ لَا تَجْعَلُ عَتَبَكَ سَبَبًا لِنَعْرِفُوكَ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى بعض المجلة يستدعيه

٣٣٣ يَوْمَ نَأْيُومَ اَيْنُ الْحَوَاشِي وَطِيءُ النَّوَاجِي وَسَمَاؤُنَا قَدْ أَقْبَلَتْ
وَرَعَدَتْ بِالْخَيْرِ وَبَرَقَتْ . وَأَنْتَ قُطْبُ السُّرُورِ وَنِظَامُ الْأُمُورِ . فَلَا
تُفْرِدْ نَافِقِلَ . وَلَا تُفْرِدْ عَنَّا فَنَذِلَّ (للقيرواني)

كتاب ابي العباس الغساني كاتب صاحب افريقية لبعض الاصدقاء

٣٣٤ سِرِّي إِلَى مَجْلِسٍ يَكَادُ يَسِيرُ شَوْقًا إِلَيْكَ . وَيَطِيرُ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ
جَوَاهِ حَتَّى يَحُلَّ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَلَمَّا دَرُكَمَالِهِ . إِنْ طَلَعَتْ بَدْرًا بِأَعْلَاهُ
وَجَمَالِهِ إِنْ ظَهَرَتْ غُرَّةً بِجَمِيَاهُ . فَهُوَ أَفْقٌ قَدْ حَوَى نُجُومًا تَشْوَقُ إِلَى
طُلُوعِ بَدْرِهَا . وَقَطْرٌ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى أَنْهَارٍ تَشْوَقُ إِلَى بَحْرِهَا . لَتَسْتَمِدَّ
مِنْهُ . فَإِنْ مَنَنْتَ بِالْحُضُورِ . وَإِلَّا فَيَا خَيْبَةَ السُّرُورِ . قَالَ ابْنُ الزَّيْنِ :

قَامَتْ لِعَيْنَتِكَ الدُّنْيَا عَلَى سَاقٍ وَالسَّكْسُ أَصْبَحَ غَضْبَانًا عَلَى السَّاقِ
وَالرَّاحُ قَدْ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا تَطِيبَ لَنَا حَتَّى تَرَى وَجْهَكَ الزَّاهِي بِإِشْرَاقِ
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ نَحْوُ الْبَابِ نَظِيرَةٌ وَقَدْ صَغَتْ أُذُنُ السُّوسَانِ لِلطَّاقِ
فَأَسْمَحْ بِجُودِكَ فَضْلًا بِالْحُضُورِ لَنَا مَا دَامَ شَمْلُ مَسَرَّاتِ أَلْهِنَا بَاقِ
فَلَوْ دُعِيتُ إِلَى هَذَا سَعِيتُ لَهُ يَا حَبَّ ذَاكَ عَلَى رَأْسِي وَأَحْدَاقِي

كتاب صاحب ابن عباد الى صديق له

٣٣٥ مَجْلِسُنَا يَا سَيِّدِي مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ مُعَوِّلٌ فِي شَوْقِهِ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَبَتْ
رَاحَتُهُ أَنْ تَصْفُو إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يَمْنَاكَ . وَأَقْسَمَ غَنَاؤُهُ لَا يَطِيبُ حَتَّى

مِنَ الْمُؤُونَةِ وَمَرَّةً أَكْتُبُ كِتَابَ الرَّاجِعِ مِنْكَ إِلَى الثَّقَةِ وَالْمُعْتَمِدِ مِنْكَ
 عَلَى الْمَقِيلِ لَا أَعْدَمْنَا اللَّهُ دَوَامَ عِزِّكَ وَلَا سَلَبَ الدُّنْيَا بِهَيْجَتِهَا بِكَ وَلَا
 أَخْلَانَا مِنَ الصَّنْعِ لِلَّهِ . فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا نِعْمَتَكَ وَلَا نُحَدِّثُ لِلْحَيَاةِ طَعْمًا
 إِلَّا فِي ظِلِّكَ . وَلَئِنْ كَانَتْ الرِّغْبَةُ إِلَى بَشَرٍ مِنَ النَّاسِ خَسَاسَةً وَذُلًّا
 لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الرِّغْبَةَ إِلَيْكَ كَرَامَةً وَعِزًّا . لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ حُرًّا قَعَدَ
 بِهِ دَهْرُهُ إِلَّا سَبَقَتْ مَسْأَلَتُهُ بِالْعَطِيَّةِ وَصَلَتْ وَجْهَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالذَّلَّةِ .
 (فَصْلٌ) : لَكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ عِنْدِي أَيَادٍ تَشْفَعُ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ وَمَعْرُوفُ
 يُوجِبُ عَلَيْكَ الْوُدَّ وَالْإِتْمَامَ . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُجِزِّيَنِي مَا لَمْ تَرَلِ
 الْقِرَاسَةَ تَعِدُّنِيهِ فِيكَ . (فَصْلٌ) : قَدْ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَكَ عَنِ الْإِعْتِذَارِ
 وَأَغْنَانِي فِي الْقَوْلِ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَفْنَعَ بِمَا فَعَلْتُ وَتَرْضَى بِمَا أُنْعَمْتُ
 وَصَلْتُ أَوْقَطْتُ

(العقد الفريد)

كان الامير عبد الرحمان قد جفا ابنه المنذر وابعدته لسوء خلقه فكتب الى ابيه :

٣٣٢ إني قد توَحَّشْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَوَحُّشًا مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ
 وَعَدِمْتُ فِيهِ مَنْ كُنْتُ آتِسُ إِلَيْهِ . وَأَصْبَحْتُ مَسْأُوبَ الْعِزِّ فَقِيدَ
 الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عِقَابًا لِلذَّنْبِ كَبِيرٍ أُرْتَكَبْتُهُ وَعِلْمُهُ
 مَوْلَايَ وَلَمْ أَعْلَمْهُ فَإِنِّي صَابِرٌ عَلَى تَأْدِيبِهِ ضَارِعٌ إِلَيْهِ عَفْوُهُ وَصَحْحُهُ :
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلُهُ لَكَالِدَهْرِ لَا عَارًا بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

(اللقري)

(فلما وقف الأمير على رُفْعَتِهِ أَرْجَعَهُ إِلَى مَا اعْتَادَهُ)

(فوجّه عبسة بالبيتين الى الاعراب فما بقي منهم اثنان) (لابن عبد ربه)

في الطلب وحسن التواصل

كتاب ابي العيناء الى عبيد الله بن سليمان

٣٢٩ أَنَا أَعَزُّكَ اللَّهُ وَوُلْدِي وَعِيَالِي زَرْعٌ مِنْ زَرْعِكَ إِنْ أَسْقَيْتَهُ رَاعَ وَزَكَ . وَإِنْ جَفَوْتَهُ ذَبِلَ وَذَوَى . وَقَدْ مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاءٌ بَعْدَ بَرٍّ وَإِنْفَالٌ بَعْدَ تَعَاهُدٍ حَتَّى تَسْكُمَ عَدُوٌّ وَشِمْتَ حَاسِدٌ . وَلَعِبْتَ بِي ظُنُونُ رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لَا عِبَاءَ وَلَهُمْ خُرْسَاءٌ . وَلِلَّهِ دَرَأِي الْأَسْوَدُ فِي قَوْلِهِ : لَا تُهِنِّي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْتَرَعَةٍ

٣٣٠ (فَوَقَعَ فِي رُقْعَتِهِ) : أَنَا أَسْعَدُكَ اللَّهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي عَوَدْتَ وَمِيلِي إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتَ . وَلَيْسَ مِنْ أُنْسِيَانِهِ أَهْمَانَاهُ وَلَا مِنْ آخِرِنَاهُ تَرْكُنَاهُ مَعَ اقْتِطَاعِ الشُّغْلِ لَنَا وَاقْتِسَامِ زَمَانِنَا . وَكَانَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْنَا أَنْ تُذَكِّرَنَا بِنَفْسِكَ وَتُعَلِّمَنَا أَمْرَكَ . وَقَدْ وَقَّعْتُ لَكَ بِرِزْقِ شَهْرَيْنِ لِتُرِيحَ غَلَّتَكَ وَتُعَرِّفَنِي مَبْلَغَ اسْتِحْقَاقِكَ لِأُطْلِقَ لَكَ بَاقِي أَرْزَاقِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ (للقيرواني)

فصول لابن عبد ربه

٣٣١ لِلْمُفْضِلِ أَنْ يَخْصَّ بِفَضْلِهِ مَنْ شَاءَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ثُمَّ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَ وَلَا حُجَّةَ عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ . كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي وَاجِدُ أَمْرِي خَالِصَةً سَرِيرَتِي . أَرَى بَقَاءَكَ بَقَاءً سُرُورِي وَبِدَوَامِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ دَوَامًا عِنْدِي . لَا أَزَالُ أَبْقَاكَ اللَّهُ أَسْأَلُ الْكِتَابَ إِلَيْكَ . فَمَرَّةً أَتَوَقَّفُ تَوَقَّفَ الْمُخَفَّفِ عَنْكَ

أَقْدِمَكَ مِصْرَ أَجْعَلَهَا لَكَ طُعْمَةً وَلَا ائْتُمُوكَ . وَلِكِنِّي وَجَّهْتُكَ لِمَا
 رَجَوْتُ مِنْ تَوْفِيرِكَ الْخُرَاجَ وَحُسْنِ سِيَاسَتِكَ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَجْمِلْ
 الْخُرَاجَ فَإِنَّمَا هُوَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدِي مِنْ تَعَامُ قَوْمٍ مُحْصُونَ . وَالسَّلَامُ
 ٣٢٧ (فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَبْطِنِي فِي الْخُرَاجِ . وَيَزْعُمُ أَنِّي أَعْنَدُ عَنِ الْحَقِّ وَأَنْتَ
 عَنِ الطَّرِيقِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرْغَبُ عَنْ صَالِحِ مَا تَعْلَمُ وَلَكِنْ أَهْلُ
 الْأَرْضِ اسْتَظَرُّونِي إِلَى أَنْ تُدْرِكَ غَلَّتْهُمْ فَظَرْتُ لِلْمُسْلِمِينَ فَكَانَ
 الرِّفْقُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْ أَنْ يُخْرَقَ بِهِمْ فَصِيرُ إِلَى مَا لَا غِنَى بِهِمْ عَنْهُ .
 (جلال الدين السيوطي) وَالسَّلَامُ

كتاب غنصة بن اسحاق الى المأمون وهو عاملة على الرقة

يصف خروج الاعراب بناحية سنجار وعبثهم بها

٣٢٨ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَطَعَ سَبِيلَ الْمُجْتَازِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ
 نَفَرٌ مِنْ شُدَّادِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَلَا
 يَخَافُونَ فِي اللَّهِ حَدًّا وَلَا عُقُوبَةً . وَلَوْ لَا ثِقَتِي بِسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَحَصْدِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةَ وَبُلُوغِهِ فِي أَعْدَاءِ اللَّهِ مَا رَدَعْتُ قَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ
 لَا ذَنْتُ بِالْإِسْتِجَادِ عَلَيْهِمْ وَلَا سَعَيْتُ الْخَيْلَ إِلَيْهِمْ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُعَانٌ
 فِي أُمُورِهِ بِالتَّائِيدِ وَالنَّصْرِ . (فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ) :

أَسْمَعْتَ غَيْرَ كَهَامِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَا يَقْطَعُ السَّيْفُ إِلَّا فِي يَدِ الْحَدْرِ
 سَيُصْبِحُ الْقَوْمُ مِنْ سَيْفِي وَضَارِبِهِ مِثْلَ الْمَشِيمِ ذَرْتَهُ الرِّيحُ بِالْمَطَرِ

وَأَخِي السَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ
أَمْرِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ . وَكُونِهِمْ غَمَطُوا أَنْعَمَ آبَائِكَ وَأَسْلَافِكَ
غَمَطًا وَخَرُوجِهِمْ عَلَيْكَ وَدَحْضِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مُلْكِكَ فَتَدَاخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ
أَمْرٌ حَرَّكَنِي عَلَى التَّرَافِ بِكَ وَعَلَيْكَ وَإِمْدَادِكَ بِمَا سَأَلْتُ . فَأَمَّا مَا
ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْأَسْتِارَ تَحْتَ جَنَاحِ مَلِكٍ عَدُوٍّ وَالْإِسْتِظْلَالَ بِكَنْفِهِ
أَثَرٌ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ وَالْمَوْتَ عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ
أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْعَبِيدِ فَإِنَّكَ اخْتَرْتَ أَفْضَلَ الْخِصَالِ
وَرَغِبْتَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ فَقَدْ صَدَّقْنَا قَوْلَكَ وَقَبِلْنَا كَلَامَكَ وَحَقَّقْنَا
أَمْلَكَ وَأَتَمَمْنَا بُغْيَتَكَ وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ وَحَمَدْنَا سَعْيَكَ وَشَكَرْنَا حُسْنَ
ظَنِّكَ بِنَا . وَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ الْجُيُوشِ وَالْأَمْوَالِ وَصَيَّرْتُكَ
لِي وَلَدًا وَكُنْتُ لَكَ أَبًا . فَأَقْبِضِ الْأَمْوَالَ مَبَارَكًا لَكَ فِيهَا وَقَدْ أَجُوشَ
وَسِرْ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَلَا يَعْتَرِكَ الضَّجْرُ وَالْهَلَعُ . بَلْ تَشْتَرِ لِعَدُوِّكَ
وَلَا تُقْصِرْ فِيمَا يَجِبُ لَكَ إِذَا تَطَاوَأْتَ مِنْ دَرَجَتِكَ وَأَنْتَ حَاطَتْ عَنْ
مَرْتَبَتِكَ . فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُظْفِرَكَ اللَّهُ بِعَدُوِّكَ وَيُرَدَّ كَيْدُهُ فِي نَحْرِهِ
وَيُعِيدَكَ إِلَى مَرْتَبَتِكَ بِرَجَاءِ اللَّهِ تَعَالَى (لابي الفرج الماطي)

كتاب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص

٣٢٦ إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَجِبْتُ
مِنْ كَثْرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَائِكَ بِالْخُرَاجِ وَكِتَابِكَ إِلَيَّ بِنِيَّاتِ
الطَّرْقِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ . وَلَمْ

الْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك و لامراء

كتاب كسرى بن هرمز الى موريقى ملك الروم

لما وثب الفرس على هرمز ملكهم فسلموا عينيه ثم قتلوه وملكوا عليهم بمرام الرزبان. كان لهرمز ابن حدث اسمه كسرى وهو المعروف بانوشروان العادل. فتكرّر كانه سائل وشقّ سلطان الفرس حتى جاء نصيبين وصار الى الرها ومنها الى منبج وكتب الى موريقى كتاباً نسخته:

٣٢٤ لِلْبَابِ الْمُبَارَكِ وَالسَّيِّدِ الْمُقَدَّمِ مُورِيقِي مَلِكِ الرُّومِ مِنْ كِسْرَى
أَبْنِ هُرْمَزِ السَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَعْلَمُ الْمَلِكَ أَنَّ بَهْرَامَ وَمَنْ مَعَهُ
مِنْ عَيْدٍ أَيْ جَهْلُوا قَدَرَهُمْ وَنَسُوا أَنَّهُمْ عَيْدٌ وَأَنَا مَوْلَاهُمْ . وَكَفَرُوا
نَعَمْ آبَائِي لَدَيْهِمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيَّ وَارَادُوا قَتْلِي . فَهَمَمْتُ أَنْ أَفْزَعَ إِلَى
مِثْلِكَ فَأَعْتَصِمَ بِفَضْلِكَ وَأَكُونَ خَاضِعاً لَكَ . لِأَنَّ الْخُضُوعَ لِمَلِكٍ مِثْلِكَ
وَإِنْ كَانَ عَدُوّاً أَيْسَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَيْدِ الْمُرْدَةِ . وَلَآنَ يَكُونُ
مَوْتِي عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ أَفْضَلَ وَأَقْلُ عَاراً مِنْ أَنْ يُجْرِيَ عَلَى أَيْدِي
الْعَيْدِ . فَفَزَعْتُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِفَضْلِكَ وَرَجَاءً أَنْ تَتَرَأَّفَ عَلَيَّ مِثْلِي
وَتَمُدَّنِي بِجُيُوشِكَ لِأَقْوَى بِهِمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ وَأَصِيرَ لَكَ وَلِذَا
سَامِعاً وَمُطِيعاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

فلما قرأ موريقى كتاب كسرى بن هرمز عزم على إجابة مسئلته لانه لحاً اليه فأجده
بعشرين ألفاً . وسأله من الأموال أربعين قطاراً ذهباً وكتب اليه كتاباً نسخته :

٣٢٥ مِنْ مُورِيقِي عَبْدِ يَشُوعَ أَلَسِيحَ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفَرَسِ وَلَدِي

وَشَارَكُوهُمْ فِيهَا . فَاسْتَبَطُوا الْمِيَاهَ وَغَرَسُوا الْأَشْجَارَ وَاحْدَثُوا الْأَرْحِيَّ
الطَّاحِنَةَ بِالْمَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَعَلِمُوهُمْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا وَلَا
رَأَوْهَا . فَشَرَفَتْ بِلَادُهُمْ وَصَلَحَتْ أُمُورُهُمْ وَكَثُرَتْ مُسْتَغْلَاتُهُمْ وَعَمَتَتْهُمْ
الْخَيْرَاتُ . وَأَمَّا أَهْلُ الْخَوَاضِرِ فَمَالُوا إِلَى الْخَوَاضِرِ وَاسْتَوَطَنُوهَا . وَأَمَّا
أَهْلُ الْأَدَبِ فَكَانَ مِنْهُمْ الْوُزَرَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالْعَمَالُ وَجِبَاةُ الْأَمْوَالِ
وَالْمُسْتَعْمَلُونَ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ . وَلَا يُسْتَعْمَلُ بِلَدِي مَا وَجَدَ أُنْدَلُسِيٌّ .
وَأَمَّا أَهْلُ الصَّنَائِعِ فَابْتَنَاهُمْ فَأَقْبُوا أَهْلَ الْبِلَادِ وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ وَأَجْمَلُوا
أَعْمَالَهُمْ وَصَيَّرُوهُمْ أَتْبَاعَهُمْ وَمُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَمَتَى دَخَلُوا
فِي شُغْلِ عَمَلِهِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَأَفْرَغُوا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَدِّقِ وَالتَّجْوِيدِ
مَا يُمِيلُونَ بِهِ النُّفُوسَ إِلَيْهِمْ وَيُصَيِّرُ الذِّكْرَ لَهُمْ . وَلَا يَدْفَعُ هَذَا عَنْهُمْ إِلَّا
جَاهِلِيٌّ أَوْ مُبْطِلٌ . وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ فِي الذِّكَاةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْعُلُومِ
وَأَسْتَبْطَائِهَا أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَانَ حَكِيمَ الْأَنْدَلُسِ أَوَّلَ مَنْ
اسْتَبْطَأَ بِالْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ الزُّجَاجِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَوَّلَ مَنْ فَكَّ بِهَا
كِتَابَ الْعَرُوضِ لِلْخَلِيلِ . وَأَوَّلَ مَنْ فَكَّ الْمَوْسِيقَى وَصَنَعَ الْأَلَةَ
الْمَعْرُوفَةَ بِالْمِثْقَالِ لِيَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ . وَاحْتَالَ فِي
تَطْيِيرِ جُثَمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ وَطَارَ فِي الْجَوِّ
مَسَافَةً بَعِيدَةً . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الْإِحْتِيَالَ فِي وَقْعِهِ . وَلَمْ يَذَرَنَّ
الطَّائِرَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمَكِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنْبًا . وَصَنَعَ فِي بَيْتِهِ هَيْئَةً
السَّمَاءِ وَخَيَّلَ لِلنَّاطِرِ فِيهَا النُّجُومَ وَالْغُيُومَ وَالْبُرُوقَ وَالرُّعُودَ (للقري)

هِنْدِيُّونَ فِي إِفْرَاطِ عِنَايَتِهِمْ بِالْعُلُومِ وَحُبِّهِمْ فِيهَا وَضَبْطِهِمْ لَهَا وَرَوَايَتِهِمْ .
صِيْنِيُّونَ فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ وَإِحْكَامِ الْمَهَنِ الصُّورِيَّةِ .
تُرْكِيُّونَ فِي مُعَانَاةِ الْحُرُوبِ وَمُعَالَجَاتِ آلَاتِهَا وَالنَّظَرِ فِي مُهِمَّاتِهَا .
بَعْدَادِيُّونَ فِي نَظَافَتِهِمْ وَظَرَفِهِمْ وَرِقَّةِ أَخْلَاقِهِمْ وَنَبَاهَتِهِمْ وَذِكَايَتِهِمْ
وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ وَجُودَةِ قَرَائِحِهِمْ وَلَطَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَحِدَّةِ أَفْكَارِهِمْ
وَنَفُوذِ خَوَاطِرِهِمْ . يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِبْطَاطِهِمْ لِلْمِيَاهِ وَمُعَانَاَتِهِمْ لِضُرُوبِ
الْفَرَاسَاتِ وَاخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الْفَوَاكِهِ وَتَدْبِيرِهِمْ لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ
وَتَحْسِينِهِمْ لِلْبَسَاتِينِ بِأَنْوَاعِ الْخَضِرِ وَصُنُوفِ الزَّهْرِ . فَهُمْ أَحْكَمُ
النَّاسِ لِأَسْبَابِ الْفَلَاحَةِ . وَمِنْهُمْ ابْنُ بَصَالٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ
الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ التَّجَرِبَةُ بِفَضْلِهِ . وَهُمْ أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى مُطَاوَلَةِ التَّيِّبِ
فِي تَجْوِيدِ الْأَعْمَالِ . وَمُقَاسَاةِ النَّصَبِ فِي تَحْسِينِ الصَّنَائِعِ . أَحَذَقُ
النَّاسِ بِالْفَرُوسِيَّةِ وَأَبْصَرُهُمْ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ . وَمِنْ فَضَائِلِهِمْ
اخْتِرَاعُهُمْ لِلْخُطُوطِ الْخُصُوصَةِ بِهِمْ (قَالَ) وَكَانَ خَطُّهُمْ أَوَّلًا مَشْرِقِيًّا .
وَعَدَّ ابْنُ غَالِبٍ فِي فَضَائِلِهِمْ اخْتِرَاعَهُمْ لِلْمَوْشِحَاتِ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا أَهْلُ
الْمَشْرِقِ وَصَارُوا يَنْزِعُونَ مَنَزَعَهَا . وَأَمَّا نَظْمُهُمْ وَنَثْرُهُمْ فَلَا يَخْفَى عَلَى مَنْ
وَقَفَ عَلَيْهِمَا عَلُوُّ طَبَقَاتِهِمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَلَمَّا نَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى
عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مَخْرُوجَ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْقِنَةِ الْأَخِيرَةِ
الْمُبِيرَةِ تَفَرَّقُوا بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مِنْ بَرِّ الْعُدُوةِ فِي بِلَادِ أَفْرِيقِيَّةِ .
فَأَمَّا أَهْلُ الْبَادِيَةِ فَمَالُوا فِي الْبُوَادِي إِلَى مَا أَعْتَادُوهُ وَدَاخَلُوا أَهْلَهَا

فِيهَا لَنَا تَبَرُّ وَفِي حَانِهَا صُحْبَةُ أَبْنَاءِ الْكِرَامِ الْحِيَادُ
كَالَّذِينَ الْحَالِصِ فِي حِلِّهِ مَا خَرَجَتْ عَنْهُ سِوَى بِالسَّوَادِ
قَالَ آخَرُ:

عَرَجَ عَلَى الْقَهْوَةِ فِي حَانِهَا فَلَا لُطْفَ قَدْ حَفَّ بِئِدْمَانِهَا
فَإِنَّهَا لَا غَمَّ تُبْقِي إِذَا قَابَلَكَ السَّاقِي بِفُجْأَنِهَا
لَا يُوجَدُ الْغَمُّ بِحَانَاتِهَا قَدْ خَضَعَ الْغَمُّ لِسُلْطَانِهَا
بِمَائِهَا نَغْسِلُ أَكْثَادَنَا وَتَحْرِقُ الْهَمَّ بِبِيرَانِهَا
يَقُولُ مَنْ أَبْصَرَ كَانُونَهَا أَفَّ عَلَى الْخُمْرِ وَأَذْنَانِهَا
فَأَشْرَبَ وَلَا تَسْمَعُ كَلَامَ الَّذِي بِجَهْلِهِ يُفْتِي بِطُلَانِهَا

(عمدة الصفوة في حل القهوة لعبد القادر الجزيري)

ذكر الاندلس وما خُصَّ به أهلها من العوائد والاختراعات

٣٣٣ إِعْلَمَنَّ أَنَّ فَضْلَ الْأَنْدَلُسِ ظَاهِرٌ. كَمَا أَنَّ حُسْنَ بِلَادِهِمْ بَاهِرٌ.
أَشْرَافُ عَرَبِ الْمَشْرِقِ أُفْتَحُوا. وَسَادَاتُ أَشْرَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ
تَزَلُّوْهَا. فَبَقِيَ النَّسْلُ فِيهَا بِكُلِّ إِقْلِيمٍ. عَلَى عِرْقٍ كَرِيمٍ. فَلَا يَكَادُ
بَلَدٌ مِنْهَا يُجْلُو مَنْ كَاتِبٍ مَاهِرٍ. وَشَاعِرٍ قَاهِرٍ. وَقَدْ أَعَاتَتْهُمْ عَلَى الشَّعْرِ
أَنْسَابُهُمُ الْعَرَبِيَّةُ. وَبَقَاعُهُمُ النَّصْرَةُ وَهُمْهُمْ الْأَبْيَةُ. قَالَ صَاحِبُ
الْفَرَحَةِ: أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَرَبٌ فِي الْأَنْسَابِ وَالْعِزَّةِ وَالْأَنْفَةِ وَعُلُوِّ
الْهَمِّ وَفَصَاحَةِ الْأَلْسُنِ وَطِيبِ النُّفُوسِ وَإِبَاءِ الضِّمِّ وَقِلَّةِ احْتِمَالِ
الدَّلِّ وَالسَّمَاخَةِ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالنَّزَاهَةِ عَنِ الْخُضُوعِ وَإِتْيَانِ الدِّيَّةِ.

الْأَضْرَارَ بِالْعَقْلِ وَالْبَدَنِ . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّعَاوَى وَالْتِهَابَاتِ
 الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْجِدَالِ وَالْفِتَنِ . وَأَمَّا اشْتِقَاقُ اسْمِ الْقَهْوَةِ (كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ
 الْأَخْزَرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي يَزِيدٍ فِي مُؤَلَّفِهِ إِثَارَةُ الْخَوْفِ بِحِلِّ الْقَهْوَةِ)
 فَمِنْ الْإِفْهَاءِ وَهُوَ الْاجْتَوَاءُ أَيْ الْكَرَاهَةُ . أَوْ مِنَ الْإِفْهَاءِ بِمَعْنَى الْإِقْعَادِ
 مِنْ أَقْهَى الرُّجُلِ عَنِ الشَّيْءِ أَيْ قَعَدَعْنَهُ وَكَرَاهَهُ كُلَّ شَيْءٍ وَالْتَعَوْدُ
 عَنْهُ بِحَسَبِهِ . وَمِنْهُ سُمِّيَتْ الْخَمْرُ قَهْوَةً لِأَنَّهَا تُقْهِي أَيْ تُكْرِهُ الطَّعَامَ أَوْ
 تُقْعِدُ عَنْهُ أَوْ تُقْعِدُ عَنِ النَّوْمِ . وَكَانَ ظُهُورُهَا وَأَنْتِشَارُهَا عَلَى يَدِ جَمَالِ
 الدِّينِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَعْرُوفِ بِالذَّجَانِيِّ . وَكَانَ مُتَوَلِّيًا لَوْظِفَةِ تَضَعِيجِ
 الْقَتَاوَى بَعْدَهُ . وَسَبَبُ إِظْهَارِهِ لَهَا أَنَّهُ كَانَ عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ أَقْبَحِي لَهُ
 الْخُرُوجُ مِنْ عَدَنَ إِلَى بَرٍّ أَتَجَمَّ فَأَقَامَ بِهِ مُدَّةً فَوَجَدَ أَهْلَهُ يَسْتَعْمَلُونَ الْقَهْوَةَ
 وَلَمْ يَعْلَمْ لَهَا خَاصِيَّةً . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ لَمَّا رَجَعَ إِلَى عَدَنَ مَرَضٌ فَتَذَكَّرَهَا فَشَرِبَهَا
 فَنَفَعَتْهُ فِيهِ . وَوَجَدَ فِيهَا مِنْ الْخَوَاصِّ أَنَّهَا تُذْهِبُ النُّعَاسَ وَالْكَسَلَ
 وَتُورِثُ الْبَدَنَ خِفَّةً وَنَشَاطًا . فَلَمَّا سَلَكَ طَرِيقَ التَّصَوُّفِ صَارَ هُوَ
 وَغَيْرُهُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بَعْدَهُ يَسْتَعِينُونَ بِشَرِبِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ . ثُمَّ تَتَابَعَ
 النَّاسُ بَعْدَهُ عَلَى شَرِبِهَا لِلْإِسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى مُطَالَعَةِ الْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
 مِنَ الْحِرَفِ وَالصَّنَاعَاتِ وَلَمْ تَرَلْ فِي أَنْتِشَارِ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِهَا :
 يَا قَهْوَةُ تَذْهِبُ هَمَّ الْفَقَى أَنْتِ لِحَاوِي الْعِلْمِ نِعَمَ الْمُرَادِ
 شَرَابُ أَهْلِ اللَّهِ فِيهَا الشِّفَا لِطَالِبِ الْحِكْمَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ
 نَظِيهَا قِشْرًا فَتَاتِي لَنَا فِي نَكْهَةِ الْمِسْكِ وَلَوْنِ الْمِدَادِ

شَرَدَتْ أَغْنَايَ وَلَمْ تَكُ عَالِمًا أَنِّي هَزَبْتُ لَا أَزَالُ مَهْرُوبًا
 هَذِي فِعَالِي فِيكَ يَا كَلْبَ الْفَلَا هَلَّا شَهِدْتَ مَوَاقِعًا وَحُرُوبًا
 لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا تَلْتَقِي مِنِّي وَتُضْحِي لِلْحِمَامِ شَرُوبًا
 لَمْ تَأْتِ تُخَوِّي تَبْتَغِي صَيْدًا فَقَدْ وَأَفَاكَ حَنُفَكَ عَاجِلًا مَضْبُوبًا
 ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الْأَسَدِ وَوَقَعَ عَلَيْهِ كَوْقُوعُ الْبَرْدِ . وَنَفَخَ عَلَيْهِ مِثْلَ
 الثُّعْبَانِ الْأَسْوَدِ . وَوَثَبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَاوَاهُ فِي وَثْبَتِهِ . وَصَرَخَ عَلَيْهِ
 صَرَخَةً أَعْظَمَ مِنْ صَرَخَتِهِ . وَقَبَضَ عَلَى فَمِهِ بِكَفِّهِ . وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ
 فَشَقَّ حَنَكِيهِ . إِلَى حَدِّ كَفِّهِ . وَصَاحَ صَيْحَةً أَرْعَجَ بِهَا الْوَادِي وَجَانِبِيهِ .
 وَصَبَرَ عَلَى الْأَسَدِ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِ
 (سيرة عنتر لابن اسمعيل)

ذكر القهوة

٣٢٢ إَعْلَمَنَّ أَنَّ الْقَهْوَةَ هِيَ النَّوْعُ الَّتِي تَتَّخَذُ مِنَ قِشْرِ الْبُنِّ أَوْ مِنْهُ مَعَ حَبِّهِ
 الْمُجْتَمِعِ أَيْ الْمُقْلِيِّ . وَصِفَتُهَا أَنَّ يُوضَعَ الْقِشْرُ إِمَّا وَحْدَهُ وَهِيَ الْقَشْرِيَّةُ
 أَوْ مَعَ الْبُنِّ الْمُجْتَمِعِ الْمَذْقُوقِ وَهِيَ الْبُنِّيَّةُ فِي مَاءٍ . ثُمَّ يُغْلَى عَلَيْهِ حَتَّى
 تَخْرُجَ خَاصِيَّتُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِدُ عَايَةَ اعْتِدَالِ اسْتَوَائِهَا بِطَعْمِ مَذَاقِهَا
 إِلَى الْمَرَارَةِ . ثُمَّ تُشْرَبُ . فَمَنْ قَابِلٌ بِحُكْمِهَا يَرَى أَنَّهَا الشَّرَابُ الطَّهُّورُ الْمُبَارَكَةُ
 عَلَى أَرْبَابِهَا . الْمَوْجِبَةُ لِلنَّشَاطِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِ
 الْعِبَادَةِ لِطَلَابِهَا . وَمَنْ قَابِلٌ بِجُرْمَتِهَا مُفْرِطٌ فِي ذِمِّهَا وَالتَّشْنِيعِ عَلَى
 شَرِّهَا . وَكَثُرَ فِيهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ التَّصَانِيفُ وَالْفِتَاوَى . وَبَالَغَ الْقَائِلُ
 بِجُرْمَتِهَا فَادَّعَى أَنَّهَا مِنَ الْحُمْرِ وَقَاسَمَهَا بِهِ وَسَاوَى . وَبَعْضُهُمْ نَسَبَ إِلَيْهَا

وَسَرَحَتِ الْأَغْنَامُ تَرْعَى فِي ذَلِكَ الْأَرْضِ. وَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ كَبِيرٍ مِنْ بَطْنِ
الْوَادِي ظَهَرَ يَمْشِي وَيَتَجَنَّبُ. أَفْطَسُ الْخَر. يَطِيرُ مِنْ عَيْنَيْهِ الشَّرُّ. يَقْلِبُ
الْوَادِي إِذَا هَمَّرَ. بَأْنِيَابٍ أَحَدٌ مِنَ النَّوَابِ. وَخَالَابٍ أَحَدٌ مِنَ الْمَصَابِ.
شَدُوقٌ شَدَقُمْ. عَبُوسٌ أَدْعَمُ. تَسْمَعُ الرُّعْدَ إِذَا هَمَّ هَمٌّ وَدَمْدَمَ. يَلْمَعُ الْبَرْقُ
مِنْ عَيْنَيْهِ إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَأَعْتَمَ. شَدِيدُ الْحِيلِ صَعْبُ الْمِرَاسِ. عَرِيضُ
الْكُتْفِ كَبِيرُ الرَّاسِ. فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَشَمَّتِ الْحِيلُ رَاحَتَهُ
فَرَّتْ مِنْ هَيْبَتِهِ. وَكَذَلِكَ النُّوقُ وَالْجِمَالُ. شَرَدَتْ فِي الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ.
فَلَمَّا نَظَرَ عَنْتَرُ إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُسْكِرِ. نَزَلَ إِلَى الْوَادِي حَتَّى يَبْصُرَ.
وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ مُشَهَّرٌ. وَإِذَا هُوَ بِالْأَسَدِ رَابِطٌ بِأَسْطُ يَدَيْهِ. وَهُوَ
يَلْعَبُ بِذَنَبِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ جَنْبَيْهِ. وَالشَّرُّ يَطِيرُ مِنْ عَيْنَيْهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ
زَعَقَ عَنْتَرُ عَلَيْهِ زَعَقَةً دَوَتْ بِهَا الْجِبَالُ. وَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا
الْأَشْبَالِ. يَا كَبَّ الْفَلَاحِ. يَا مُحْسَ وَحُوشِ الْبَيْدَا. فَلَقَدْ أَبَدَيْتَ
بَأْسَكَ وَصَوْلَتَكَ. وَأَفْتَخَرْتَ بِهَيْبَتِكَ وَهَمَمَتِكَ. فَلَا شَكَّ أَنَّكَ هَلَاكُ
السَّبَاعِ. وَسُلْطَانُهُمُ الْمَطَاعُ. وَلَكِنْ عُدْ بِالْحَيَبَةِ وَالْإِذْلَالِ. فَمَا أَنَا
كَمَنْ لَا قِيَتَهُ مِنَ الرِّجَالِ. أَنَا مُهْلِكُ الْأَبْطَالِ. أَنَا مُدِيمُ الْأَطْفَالِ.
فَأَنَا لَا أَرْضَى أَنْ أَقْتَلَكَ بِسِنَانٍ وَلَا بِجُسَامٍ. وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْفِكَكَ كَأْسَ
الْحِمَامِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَحَمَلَ عَلَى السَّبْعِ وَهُوَ يَشْدُ:
يَا أَيُّهَا السَّبْعُ الْهَجُومُ عَلَى الرَّدَى هَا قَدْ بَقِيتَ مُعْفَرًا مِنْهُوْبًا
أَتُرِيدُ أَمْوَالِي تَكُونُ مُبَاحَةً هَا قَدْ تَرَكَتْكَ بِالْذِمَّةِ مَخْضُوبًا

وَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ بْنِ حَبَّارَةَ :

لِلَّهِ أَيُّ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ فِي صَنَعَةِ الْأَهْرَامِ لِأَلْبَابِ
أَخَفَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ قِصَّةَ أَهْلِهَا وَقَصَّتْ عَلَى الْأَنْبَاءِ كُلَّ نِقَابِ
فَكَأَنَّمَا هِيَ كَالْحَيَامِ مُقَامَةٌ مِنْ غَيْرِ مَا عَمِدٍ وَلَا أَطْنَابِ
قَالَ الْقُضَاعِيُّ : مِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ النَّيْلِ قَالُوا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
نَهْرٌ أَطْوَلُ مِنَ النَّيْلِ . لِأَنَّ مَسِيرَهُ شَهْرٌ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَشَهْرَانِ فِي
بِلَادِ النُّوبَةِ وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي الْخُرَابِ إِلَى أَنْ يُخْرَجَ بِبِلَادِ الْقَمَرِ خَلْفَ
خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ . وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَهْرٌ يَصُبُّ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ
وَيَمْدُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ عِنْدَ انْتِصَاصِ الْمَيَّاهِ وَالْأَنْهَارِ كُلِّهَا وَيَزِيدُ بِتَرْتِيبٍ
وَيَنْقُصُ بِتَرْتِيبٍ إِلَّا النَّيْلُ . وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَفِيًّا يُزْرَعُ عَلَيْهِ وَيُسْتَعْنَى
عَنِ الْمَطَرِ بِهِ فِي زَمَانِ الْقَيْظِ إِذَا انْصَبَّ الْمَيَّاهُ . قَالَ ابْنُ خُرُوفٍ :

مَا عَجَبَ النَّيْلُ مَا أَبْهَى شِمَائِلَهُ فِي ضَفَّتَيْهِ مِنَ الْأَشْجَارِ أَدْوَاهُ
مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ فَيَاضُ عَلَى تَرْعٍ تَهَبُ فِيهَا هُبُوبُ الرِّيحِ أَرْوَاحُ
لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقُ وَارْبَاحُ

(اخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي)

عنترة والاسد

٣٢١ قَالَ الرَّائِي : فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ تَوَغَّلَ عَنْتَرُ فِي الْبَرِّ بِالْجَمَالِ
وَالْغَنَمِ . وَتَوَصَّدَ بِهَا الرَّوَّابِي وَالْأَكْمَ . إِلَى أَنْ حَمِيتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ . وَبَعْدَ
عَنْ حَيِّ عَبَسَ . فَقَصَّدَ شَجَرَةً مِنَ الْأَشْجَارِ . يَسْتَظِلُّ بِهَا مِنْ حَرِّ النَّهَارِ .

الْهَنْدَسَةِ وَحُسْنِ التَّنْدِيرِ بِحَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِعَصْفِ الرِّيحِ وَهَطْلِ
السَّحَابِ وَزَعَزَعَةِ الزَّلَازِلِ . وَهَذَا الْبِنَاءُ أَيْسَ بَيْنَ حِجَارَتِهِ بَلَاطٌ إِلَّا
مَا يُتَخَيَّلُ أَنَّهُ ثَوْبٌ أَبْيَضُ فُرْشَ بَيْنَ حَجَرَيْنِ أَوْ وَرَقَةٌ لَا يَتَخَلَّلُ بَيْنَهُمَا
الشَّعْرَةُ . وَطُولُ الْحَجَرِ مِنْهَا خَمْسَةُ أَذْرُعٍ فِي سَمَكِ ذِرَاعَيْنِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :
مَا سَمِعْتُ شَيْئًا عَظِيمًا فَحِجَّتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ صِفَتِهِ إِلَّا الْأُحْرَمِينَ . فَإِنِّي
لَمَّا رَأَيْتُهُمَا كَانَ رُؤْيُيَهُمَا أَعْظَمَ مِنْ صِفَتَيْهِمَا . وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي مَنْ بَنَى
الْأَهْرَامَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَسَرْتُ عَقُولَ ذَوِي النَّهْيِ الْأَهْرَامُ وَاسْتُصْفِرْتُ لِعَظِيمِهَا الْأَجْرَامُ
مُلَسَّ مُوَنَّةُ الْبِنَاءِ شَوَاهِقُ قَصَرْتُ لِعَالِ دُونِهَا سِهَامُ
لَمْ أَدْرِ حِينَ كَبَا التَّفَكُّرُ دُونَهَا وَاسْتَوْهَمْتُ لِعَجِيبِهَا الْأَوْهَامُ
أَقْبُورُ أَمْ أَلَاكِ الْأَعَاجِمُ هُنَّ أَمْ طَلَسْتُ رَمَلٍ هُنَّ أَمْ أَعْلَامُ
وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَهْرَامَ بِمِصْرَ قُبُورِ مُلُوكِ عِظَامِهَا أَثَرُوا أَنَّ
يَتَمَيَّزُوْنَ بِهَا عَلَى سَائِرِ الْمُلُوكِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ كَمَا تَمَيَّزُوا عَنْهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ .
فَيَسْبِقُ ذِكْرَهُمْ عَلَى تَطَاوُلِ الدُّهُورِ . قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

بَعِثْتُكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا عَلَى مَا رَأَتْ عَيْنُكَ مِنْ هَرَمِي مِصْرَ
أَنَافًا بِأَعْنََاءِ السَّمَاءِ وَاشْرَفَا عَلَى الْجَوِّ اشْرَافَ السَّمَاءِ أَوِ التُّسْرِ
وَقَالَ الْفَقِيهُ عُمَارَةُ الْيَمِينِيُّ الشَّاعِرُ :

سَخِيلِي مَا تَحْتَ السَّمَاءِ بَابِيَّةُ تَمَائِلُ فِي إِتْقَانِهَا هَرَمِي مِصْرَ
تَنَزَّهَ طَرْفِي فِي بَدِيعِ بِنَائِهَا وَلَمْ يَتَنَزَّهْ فِي الْمُرَادِ بِهَا فِكْرِي

ذِرَاعًا . وَكُلُّ ذِرَاعٍ مُفَصَّلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا أَقْسَامًا مُتَسَاوِيَةً
 تُعْرَفُ بِالْأَصَابِعِ . فَإِذَا اسْتَوَى الْمَاءُ تِسْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الْفَيْضِ فَهِيَ
 الْغَايَةُ عِنْدَهُمْ فِي طَيْبِ الْعَامِ . وَرُبَّمَا كَانَ الْمَاءُ فِيهَا كَثِيرًا الْعُمُومِ الْفَيْضِ .
 وَالْمُتَوَسِّطُ مَا اسْتَوَى سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا زَادَ عَلَيْهِ . وَالَّذِي
 يَسْتَحِقُّ بِهِ السُّلْطَانُ خَرَجَهُ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا . وَعَلَيْهَا تُعْطَى
 الْبِشَارَةُ لِلَّذِي يَرْقُبُ الزِّيَادَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيَعْلَمُ بِهَا مِائِمَةً
 وَمِنْ الْمُبَانِي الَّتِي يَبْلَى الزَّمَانُ وَلَا تَبْلَى وَتَدْرُسُ مَعَالِمُهُ وَأَخْبَارُهَا لَا
 تَدْرُسُ الْأَهْرَامُ الَّتِي بِأَعْمَالِ مِصْرَ . وَهِيَ عَلَى نَحْوِ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ فِي
 الصَّحْرَاءِ الَّتِي يُفَضُّ مِنْهَا إِلَى الْأِسْكَنْدَرِيَّةِ . وَهِيَ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ مُعْجَزَةُ
 الْبِنَاءِ غَرِيبَةُ الْمَنْظَرِ مُرَبَّعَةُ الشَّكْلِ كَأَنَّهَا الْقَبَابُ الْمَضْرُوبَةُ . قَدْ قَامَتْ
 فِي جَوِّ السَّمَاءِ لَا سِيَّمَا الْإِثْنَانِ مِنْهَا . فِي سَعَةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا مِنْ رُكْنِهِ إِلَى
 رُكْنِهِ أَلَا ثَمَانِيَةَ خُطْوَةٍ وَسِتُّ وَسِتُّونَ خُطْوَةً مُحَدَّدَةً الْأَطْرَافِ فِي رَأْيِ
 الْعَيْنِ . وَرُبَّمَا امْكُنَ الصُّعُودُ إِلَيْهَا عَلَى خَطَرٍ وَمَشَقَّةٍ فَيَتَلَقَّى أَطْرَافُهَا الْمُحَدَّدَةُ
 كَأَنَّهُ سَمْعٌ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّحَابِ . قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الصُّخُورِ الْعِظَامِ
 الْمُنْحَوْتَةِ وَرُكِبَتْ تَرْكِيبًا بَدِيعُ الْإِلْصَاقِ يَكَادُ يُعْجِزُ أَهْلَ الْأَرْضِ
 نَقْضُ بُنْيَانِهَا . أَمَّا الْهَرَمَانِ الْعَظِيمَانِ فَفُحَاذِيَانِ لِلْفُسْطَاطِ . كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا جِسْمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحِجَارَةِ مُرَبَّعُ الْقَاعِدَةِ . إِرْتِفَاعُ عُمُودِهِ أَرْبَعُ مِائَةٍ
 ذِرَاعٍ يُحِيطُ بِهَا أَرْبَعَةُ سَطُوحٍ مُتَسَاوِيَاتٍ الْأَضْلَاعِ وَفِي أَعْلَاهُ سَطْحٌ
 مُرَبَّعٌ رَحْبٌ . وَهُمَا مَعَ هَذَا الْعِظَمِ مِنْ إِحْكَامِ الصَّنْعَةِ وَإِثْنَانِ

الْبَسَاتِينَ وَقَدْ أَتَقَنَهُ إِلَى الْغَايَةِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا طَائِلَةً . وَوَضَعَ فِي
وَسَطِ الْخَبِيرَةِ قُبَّةً مِنْ زُجَاجٍ مُلَوَّنٍ مَنُفُوشٍ بِالذَّهَبِ وَجَابَ الْمَاءُ عَلَى
رَأْسِ الْقُبَّةِ بَدِيدٌ أَحْكَمُهُ الْمُهَنْدِسُونَ . فَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ
عَلَى جَوَانِبِهَا مُحِيطًا بِهَا وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَكَانَتْ قُبَّةُ الزُّجَاجِ فِي
غَلَالَةِ مِمَّا سَكَبَ خَلْفَ الزُّجَاجِ لَا يَفْتُرُ مِنَ الْجَرِيِّ وَتَوَقَّدُ فِيهَا الشُّعُوعُ
فَيَرَى لِدَلِكِ مَنْظَرٌ بَدِيعٌ . وَتَمَّ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ بَارِعِيزَ سَنَةٍ (للمقري)

عجائب مصر منها المقياس والاهرام والنيل

٣٢٠ قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ فِي وَصْفِ مِصْرَ : وَلَقَدْ شَاهَدْتُ
مِنْهَا بَلَدًا يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ عَلَى الْبِلَادِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْمِصْرَ وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ
السَّوَادُ . فَمَا رَأَاهُ رَأَى إِلَّا مَلَأَ عَيْنَهُ وَصَدْرَهُ . وَلَا وَصَفُهُ وَاصِفٌ إِلَّا عِلِمَ
أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ قَدْرَهُ . وَبِهِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَنْبَاءِ مَا لَا يَضْبِطُهَا الْعِيَانُ فَضَّلَا
عَنِ الْأَخْبَارِ . مِنْ ذَلِكَ الْهَرَمَانِ اللَّذَانِ هَرَمَ الدَّهْرِ وَهَمَا لَا يَهْرَمَانِ .
قَدْ اخْتَصَّ كُلُّ مِنْهُمَا بِعَظَمِ الْبِنَاءِ . وَسَعَةِ الْفَنَاءِ . وَبَلَغَ مِنَ الْإِرْتِقَاعِ
غَايَةً لَا يَبْلُغُهَا الطَّيْرُ عَلَى بُعْدِ تَحْلِيْقِهِ . وَلَا يُدْرِكُهَا الطَّرْفُ عَلَى مَدَى
تَحْدِيقِهِ . فَإِذَا أَضْرَمَ بِرَأْسِهِ قَبَسُ ظَنِّهِ الْمُتَمَلِّمِ نَجْمًا . وَإِذَا اسْتَدَارَ عَلَيْهِ
قَوْسُ السَّمَاءِ كَانَ لَهُ سَهْمًا . وَمِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ الْمِقيَاسُ الَّذِي يُعْتَبَرُ فِيهِ
قَدْرُ زِيَادَةِ فَيْضِ النَّيْلِ كُلِّ سَنَةٍ . وَابْتِدَاؤُهُ مِنْ شَهْرِ جُودَةِ وَمُعْظَمُ انْتِهَائِهِ
أَغْشَتْ وَآخِرُهَا أَوَّلُ شَهْرِ اكْتُوبَرِ . وَالْمِقيَاسُ عُمُودُ رُخَامٍ سُمِّرَ فِي مَوْضِعٍ
يُخَصَرُ فِيهِ الْمَاءُ عِنْدَ انْتِهَائِهِ إِلَيْهِ . وَهُوَ مُفَصَّلٌ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ

لَا تُهْدَى الْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ اسْتِقْصَاءِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا (الْكُفَى مَثَلًا) . وَكُنْتُ
تَرَى فِي مَقْصُورَةِ الْخَلِيفَةِ بَرَكَةِ الْمَاءِ فِيهَا بِصَنَعَةِ مُحْكَمَةٍ وَفِي وَسْطِهَا
يَعُومُ أَسَدٌ عَظِيمُ الصُّورَةِ بَدِيعُ الصَّنَعَةِ شَدِيدُ الرُّوْعَةِ . لَمْ يُشَاهَدْ أَبْهَى
مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكُ فِي غَابِرِ الدَّهْرِ . مَطْلِيٌّ بِذَهَبٍ إِبْرِيْزٍ وَعَيْنَاهُ
جَوْهَرَتَانِ لُهُمَا وَبَيْضٌ شَدِيدٌ . فَيَجُّ الْمَاءُ فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ مِنْ فِيهِ فَيَبْهُرُ
الْمُنَاطِرُ بِحُسْنِهِ وَرُوْعَةِ مَنْظَرِهِ وَتُجَاجَعُ صَبَّهِ . فَتُسْقَى مِنْ مُجَاجِهِ جِنَانُ هَذَا
الْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا وَيَسْتَفِيزُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَاتِهِ . وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ
وَقَمَّالُهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَالِبِ الدَّهْرِ لِلْخَمَةِ بُنْيَانِهَا . وَمَا
يُخْصُ سَائِرُ الْبَنَائِ فَكَانَ النَّاصِرُ قَدْ جَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ الْأَبْيَضَ
الْمُجْتَمِعَ مِنْ رِيَّةٍ وَالْأَبْيَضَ مِنْ غَيْرِهَا وَالْوَرْدِيَّ وَالْأَخْضَرَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ
وَبَنَى فِي الْقَصْرِ الْمَجْلِسَ وَجَعَلَ فِي وَسْطِهِ الْيَتِيْمَةَ الَّتِي اتَّخَذَ النَّاصِرُ
بِهَا الْيُونُ مَلِكُ قُسْطَنْطِيْنِيَّةٍ . وَكَانَتْ قَرَامِدُ هَذَا الْقَصْرِ مِنْ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَهَذَا الْمَجْلِسُ فِي وَسْطِهِ صَهْرَبُجٌ عَظِيمٌ مَمْلُوءٌ بِالزَّيْبِقِ .
وَكَانَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ ثَمَانِيَّةُ أَبْوَابٍ قَدْ أُنْعَقَتْ عَلَى حَنَائِيَا
مِنْ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ الْمُرْصَعِ بِالذَّهَبِ وَأَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ قَامَتْ عَلَى
سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ الْمَلُونِ وَالْبَلُورِ الصَّافِي . وَكَانَتْ الشَّمْسُ تَدْخُلُ
عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَيَضْرِبُ شُعَاعُهَا فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَحَيْطَانِهِ فَيَصِيرُ
مِنْ ذَلِكَ نُورٌ يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ . وَكَانَ بِنَاءُ الزُّهْرَاءِ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ
وَالْحُسْنِ وَبِهَا مِنَ الْمَرْصِيِّ وَالْعَمَدِ كَثِيرٌ وَأَجْرَى فِيهَا الْمِيَاهُ وَأَحْدَقَ بِهَا

الْبَابُ السَّابِعُ عَشَرَ فِي النُّوَادِرِ

مدينة الزهراء في الاندلس

٣١٩ كَانَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ كُلْفًا بِعِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ وَإِقَامَةِ
مَعَالِمِهَا وَتَحْلِيدِ الْأَثَارِ الدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَلِكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ . فَأَفْضَى بِهِ
الْإِغْرَاقُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ ابْتَنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءَ الشَّائِعَ ذِكْرَهُ
الْمُنْتَشِرَ صِدْقَهُ . وَاسْتَفْرَغَ جِهْدَهُ فِي تَنْمِيقِهَا وَإِثْقَانِ نُصُورِهَا وَزَخْرَفَهُ
مَصَانِعِهَا . فَاسْتَدْعَى عُرَفَاءَ الْمُهَنْدِسِينَ وَحَشَدَ بُرْعَاءِ الْبَنَائِينَ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ
فَوَفَدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَغْدَادَ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمُسْتَزْهَرَاتِ
وَالْإِنِّشَاءِ مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْمَوْصُوفَةَ بِالْفُصُورِ الْبَاهِرَةِ . وَأَقَامَهَا بِطَرِيقِ
الْبَلَدِ عَلَى صِفَةِ نَهْرِ قُرْطُبَةٍ . وَنَسَقَ فِيهَا كُلَّ اقْتِدَارٍ مُعْجَزٍ وَنِظَامٍ .
وَكَانَ قَصْرُ الْخَلِيفَةِ مُتَنَاهِيًا فِي الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ . أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ
يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ الْبَتَّةِ . وَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ
وَالْخَلِ الْخُلُفَاءِ إِلَّا وَكُلُّهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَلْهُ شَيْهًا بَلْ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ بَلْ لَمْ
يَتَوَهَّمْ كَوْنَ مِثْلِهِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا السَّطْحُ الْمُرْدُ الْمَشْرِفُ عَلَى
الرَّوْضَةِ الْمُبَاهِي تَجَلَّسَ الذَّهَبِ وَالْقَبَّةِ . وَعَجِيبَ مَا تَصَمَّنُهُ مِنْ إِثْقَانِ
الصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ الِهْمَةِ وَحُسْنِ اسْتَشْرَافِ وَرَاعَةِ الْمَلْبَسِ وَالْحُلَّةِ مَا بَيْنَ
مَرَمَرٍ مَسْنُونٍ وَذَهَبٍ مَصْنُونٍ وَعَمَدٍ كَأَنَّمَا أَفْرِغَتْ فِي الْقَوَائِبِ . وَقَائِلِ

فَقَالَ: اسْتَحَقَّهُ بِحُضُورِهِ إِنِّي أَمِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ. قَالَ الْوَزِيرُ: أَقْسَمْتُ
عَلَيْكَ إِلَّا أَخَذْتَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِكَ وَرَكَبْتَهُ فِي كَبِدِ قَوْسِكَ
وَأَوَمَاتَ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ. فَإِنْ رَدَّ عَنْ نَفْسِهِ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ. وَإِلَّا
فَأَسْتَغْفُ مَالَكَ وَيَكُونُ لَهُ فِي بَعْضِهِ كَفَايَةٌ. فَأَخَذَ الْفَضْلُ سَهْمًا
وَرَكَبَهُ فِي كَبِدِ قَوْسِهِ وَأَوَمَاتَ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ لَهُ: رُدَّ سَهْمِي
بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لَقَوْسُكَ قَوْسُ الْجُودِ وَالْوَتْرُ وَالنَّدَى وَسَهْمُكَ سَهْمُ الْغِرِّ فَارْمَ بِهِ قَشْرِي
قَالَ فَضْحَكُ الْفَضْلُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِذَا مَلَكَتْ كَفِّي مَنْأَلًا وَلَمْ أَنْلِ فَلَا أَنْبَسَطْتُ كَفِّي وَلَا نَهَضَتْ رِجْلِي
عَلَى اللَّهِ إِخْلَافُ الَّذِي قَدْ بَدَلْتُهُ فَلَا مُبْقِي لِي بِخُلِي وَلَا مُتَلْفِي بِذِي
أَرُونِي بِخَيْلٍ لَا نَالَ مَجْدًا بِخُيَالِهِ وَهَاتُوا كَرِيَمَاتٍ مِنْ كَثْرَةِ الْبَذْلِ
ثُمَّ قَالَ الْفَضْلُ لَوْزِيرِهِ: أَعْطِ الْأَعْرَابِيَّ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِقَصْدِهِ
وَشَعْرِهِ وَمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِيَكْفِيَنَا شَرَّ قَوَائِمِ نَاقَتِهِ. فَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ
الْمَالَ وَأَنْصَرَفَ. وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: مِمَّ بَسَاؤُكَ يَا أَعْرَابِي.
أَسْتَعْلَا لِنَمَالِ الَّذِي أَعْطَيْنَاكَ. قَالَ: لَا وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى مِثْلِكَ يَا كُلُّهُ
الْتَرَابُ وَتَوَارِيهِ الْأَرْضُ. وَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ فَقَدْ مَالٌ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ فَقَدْ حَرٌّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

ثُمَّ أَنْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ مُسْرُورًا (اعلام الناس للإتليدي)

إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا كَانَهُمْ مَحَلُّ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ . أُنْشِدْنَا غَيْرَ
 الْأَسْمِ وَالْكُنْيَةِ وَالْقَافِيَةِ . قَالَ : وَاللَّهِ لَنْ زَادَنِي الْفَضْلُ وَأَمْتَحَنَنِي
 بَعْدَ هَذَا لَا قَوْلَ لَنَا أَرْبَعَةَ آيَاتٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِنَّ عَرَبِيٌّ وَلَا أَعْجَمِي .
 وَلَنْ زَادَنِي بَعْدَهَا لَأَجْمَعَنَّ قَوَائِمَ نَاقَتِي هَذِهِ وَأَجْعَلُهَا فِي فَمِ الْفَضْلِ .
 وَلَا زَجَعَنَّ إِلَى قُضَاعَةٍ خَاسِرًا وَلَا أَبَالِي . فَتَنَكَّسَ الْفَضْلُ رَأْسَهُ وَقَالَ
 لِلْأَعْرَابِيِّ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَسْمِعْنِي الْآيَاتَ الْأَرْبَعَةَ . قَالَ أَقُولُ :
 وَلَا مِثْلَ لَامَتِكَ يَافُضْلُ فِي النَّدَى فَكَلَّمْتُ لَهَا أَهْلَ يَمْدَحِ اللَّوْمِ فِي الْبَحْرِ
 أَتَيْنَ فُضْلًا عَنْ عَطَايَاهُ لَوْرِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْهَى السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ
 كَانَ نَوَالُ الْفَضْلِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ تَحْدُرُ مَاءُ الْمُزْنِ فِي مَهْمَةٍ قَفَرِ
 كَانَ وَفُودُ النَّاسِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ إِلَى الْفَضْلِ لَا قُوَا عِنْدَهُ أَيْلَةُ الْقَدْرِ
 قَالَ فَأَمْسَكَ الْفَضْلُ عَنْ فِيهِ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ضَاحِكًا . ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ . وَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنَا وَاللَّهِ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى . سَلْ مَا شِئْتَ .
 فَقَالَ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّكَ لَهْوٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ لَهُ :
 فَأَقِلْنِي قَالَ : أَقَالَكَ اللَّهُ أَذْكَرَ حَاجَتَكَ . قَالَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
 قَالَ الْفَضْلُ : أَزْدَدْتِ بِنَاوِيئِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . تُعْطَى عَشْرَةَ آلَافٍ
 دِرْهَمٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَأَمْرٍ بِدَفْعِ الْمَالِ . فَلَمَّا صَارَ الْمَالُ إِلَيْهِ
 حَسَدَهُ وَزِيرُ الْفَضْلِ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ هَذَا إِسْرَافٌ . يَا تَيْتَكَ جَافٌ مِنْ
 أَجْلَافِ الْعَرَبِ بِآيَاتٍ أَسْتَرْقُهَا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَتُخْزِي بِهِ هَذَا الْمَالِ .

رَمَقَتْكَ الْأَدْبَاءُ بِالْأَبْصَارِ وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ إِلَيْكَ وَتَحْتَاجُ أَنْ تُنَاضِلَ
عَنْ نَفْسِكَ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :

مَلَّتْ جِهَابُذُ فَضْلٍ وَزَنَ نَائِلُهُ وَمَلَّ كِتَابُهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ
وَاللَّهِ لَوْلَاكَ لَمْ يَمْدَحْ بِمَكْرَمَةٍ خَلَقَ وَلَمْ يَرْتَفِعْ بِمَجْدٍ وَلَا حَسَبُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ هَذَانِ الْبَيْتَانِ
مَسْرُوقَانِ . أَنَشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ : قَالَ . إِذَنْ أَقُولُ :

وَلَوْ قِيلَ لِلْمَعْرُوفِ نَادِ أَخَا الْعُلَا لَنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا فَضْلُ يَا فَضْلُ
وَلَوْ أَنْفَقَتْ جَدُّوَالِكُمِنْ رَمْلِ عَالِجٍ لَأَصْبَحَ مِنْ جَدِّوَالِكَ قَدْ نَفَدَ الرَّمْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : هَذَانِ

الْبَيْتَانِ مَسْرُوقَانِ أَيْضًا . أَنَشِدْنِي غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ : قَالَ أَقُولُ :
وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَثْنَانِ صَبٌّ وَبَاذِلٌ وَإِنِّي لَذَاكَ الصَّبِّ وَالْبَاذِلِ الْفَضْلُ
عَلَى أَنْ لِي مِثْلًا إِذَا ذُكِرَ الْوَرَى وَلَيْسَ لِفَضْلٍ فِي سَمَاحَتِهِ مِثْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أَنَشِدْنِي
غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ . قَالَ : أَقُولُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ :

حَكِيَ الْفَضْلُ عَنْ يَحْيَى سَمَاحَةِ خَالِدٍ فَقَامَتْ بِهِ التَّقْوَى وَقَامَ بِهِ الْعَدْلُ
وَقَامَ بِهِ الْمَعْرُوفُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَلَمْ يَكُ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدُ وَلَا قَبْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ . فَإِنْ قَالَ لَكَ : قَدْ ضَجِرْنَا مِنْ الْفَاضِلِ وَالْمَفْضُولِ
أَنَشِدْنِي بَيِّنِينَ عَلَى الْكُنْيَةِ لَا عَلَى الْأِسْمِ فَمَا تَقُولُ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :
أَلَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا وَاحِدَ الْوَرَى وَيَا مَلِكًا خَدُّ الْمُلُوكِ لَهُ نَعْلُ

إِلَّا الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ وَالْأَدَبَاءَ وَالشُّعْرَاءَ وَالْكِتَابُ وَالْمُنَظِّرُونَ لِلْعِلْمِ .
 أَعْلَمُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَأَدِيبُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَعَارِفُ
 أَنْتَ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا . قَالَ : لَا . قَالَ : وَرَدْتَ عَلَى الْفَضْلِ
 بِكِتَابِ وَسِيلَةٍ . قَالَ : لَا . فَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ . مِثْلَكَ
 يَقْصِدُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى وَهُوَ مَا عَرَفْتُكَ عَنْهُ مِنَ الْجَلَالَةِ . بِأَيِّ ذَرِيعَةٍ
 أَوْ وَسِيلَةٍ تَقْدُمُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرُ مَا قَصَدْتُهُ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ
 الْمَعْرُوفِ . وَكَرَّمِهِ الْمَوْصُوفِ . وَبَيْتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ قَاتُمَا فِيهِ . فَقَالَ
 الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنْشِدْنِي الْبَيْتَيْنِ فَإِنْ كَانَا يَصْلُحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ
 بِهِمَا أَشَرْتُ عَلَيْكَ بِلِقَائِهِ . وَإِنْ كَانَا لَا يَصْلُحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ بِهِمَا بَرَرْتُكَ
 بِشَيْءٍ مِنْ مَالِي وَرَجَعْتُ إِلَى بَادِيَتِكَ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْتَحِقَّ إِشْعْرَكَ
 شَيْئًا . قَالَ : أَفَتَفْعَلُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنِّي أَقُولُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ تَحَدَّرَ حَتَّى صَارَ يَمْتَصُّهُ الْفَضْلُ
 وَلَوْ أَنَّ أُمًّا مَسَّهَا جُوعُ طِفْلِهَا غَذَتْهُ بِإِسْمِ الْفَضْلِ لَاغْتَدَا الطِّفْلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ قَدْ مَدَحْنَا
 بِهِمَا شَاعِرٌ وَأَخَذَ الْجَائِزَةَ عَلَيْهِمَا فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ . قَالَ أَقُولُ :
 قَدْ كَانَ آدَمُ حِينَ حَانَ وَقَاتُهُ أَوْصَاكَ وَهُوَ يُجُودُ بِالْحَوْبَاءِ
 بَنِيهِ أَنْ تَرْعَاهُمْ فَرَعِيَّتُهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَوْلَةَ الْأَبْنَاءِ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ مُتَحَنِّنًا . هَذَانِ
 الْبَيْتَانِ أَخَذْتَهُمَا مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ . فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ وَقَدْ

الفضل بن يحيى والاعرابي

٣١٨ وَمِمَّا جَاءَ مِنْ أَخْبَارِ أَلْبَرَامِكَةَ مَا رَوَاهُ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ خَرَجَ الْفَضْلُ لِلصَّيْدِ
وَالْفَضْلُ وَبَيْنَمَا هُوَ فِي مَوْكِهِ إِذْ رَأَى أَعْرَابِيًّا عَلَى نَاقَةٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ صَدْرِ
الْبَرِّيَّةِ يَرْكُضُ فِي سَيْرِهِ . قَالَ : هَذَا يَقْصِدُنِي فَلَا يَسْكُمُهُ أَحَدٌ غَيْرِي .
فَلَمَّا دَنَا الْأَعْرَابِيُّ وَرَأَى الْمَضَارِبَ تُضْرَبُ . وَالْحَيَامُ تُنْصَبُ . وَالْعَسْكَرُ
الْكَثِيرُ . الْجَمُّ الْفَقِيرُ . وَسَمِعَ الْغَوْعَاءَ وَالصَّبْحَةَ ظَنَّ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَنَزَلَ
وَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ
اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . قَالَ : أَخْفِضْ عَلَيْكَ مَا تَقُولُ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ
أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : الْآنَ قَارَبْتَ أَجْلِسْ فَجَلَسَ الْأَعْرَابِيُّ . فَقَالَ لَهُ
الْفَضْلُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَيْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . قَالَ : مِنْ قُضَاعَةَ . قَالَ : مِنْ
أَدْنَاهَا أَوْ مِنْ أَقْصَاهَا . قَالَ : مِنْ أَقْصَاهَا . فَقَالَ يَا أَخَا الْعَرَبِ : مِثْلُكَ
مَنْ يَقْصِدُ مِنْ ثَمَانِيَةِ فَرَسَخٍ إِلَى الْعِرَاقِ لِأَيِّ شَيْءٍ . قَالَ : قَصِدْتُ
هُؤُلَاءِ الْأُمَاةِ الْأَنْجَادِ الَّذِينَ قَدْ اُسْتَهْرَ مَعْرُوفُهُمْ فِي الْبِلَادِ . قَالَ :
مِنْ هُمْ . قَالَ : الْبَرَامِكَةُ . قَالَ الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْبَرَامِكَةَ
خَلَقَ كَثِيرٌ . وَفِيهِمْ جَلِيلٌ وَخَطِيرٌ . وَلِكُلِّ مِنْهُمْ خَاصَّةٌ وَعَامَّةٌ . فَهَلْ
أَفْرَزْتَ لِنَفْسِكَ مِنْهُمْ مَنْ اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ وَآتَيْتَهُ لِحَاجَتِكَ . قَالَ :
أَجَلْ أَطَوَّلُهُمْ بَاعًا وَأَسَمَحَهُمْ كَنًا . قَالَ : مَنْ هُوَ . قَالَ : الْفَضْلُ
أَبْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ . فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْفَضْلَ
جَلِيلُ الْقَدْرِ عَظِيمُ الْخَطَرِ . إِذَا جَلَسَ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا لَمْ يَخْضُرْ مَجْلِسُهُ

وَذَا مِنْ الْجَبْرِ بَحْرُ الصَّيْنِ مَعْدِنُهُ وَذَا مِنْ الْبَرِّ الْمَدْعُو بِرُبُورِ
فَإِنْ رَأَيْتَ بِالْأُسْتِقَاءِ ذَا وَرَمِ قُلْ تَوَرَّمْ مِنْ لَسَعِ الزَّنايِرِ
إِنْ أَقْشَعَرَّ قُلْ بِرُدِّ عَرَاهُ وَإِنْ يُحِمَّ قُلْ حَرَّهُ وَهَجِ التَّنَائِيرِ
وَإِنْ أَتَاكَ مَرِيضٌ لَا تَخَفْ وَأَشِرْ بِمَا تَرَى مِنْ دَوَاءِ دُونِهِ الْبُورِي
فَإِنْ يَعِشْ قُلْ دَوَائِي كَانَ مُنْعِشُهُ وَإِنْ يَمُتْ قُلْ أَتَاهُ حُكْمٌ مَقْدُورِ
فَإِنْ أَصَبْتَ قُلْ عِلْمِي وَمَعْرِفَتِي وَفِي التَّخَالُفِ قُلْ ضِدُّ الْمَقَادِيرِ
وَإِنْ رَأَيْتَ فَقِيهًا فِرَ مِنْهُ وَلَا تَنْطِقْ يُخْطِئُكَ فِي جَهْلٍ وَتَكْفِيرِ
وَأَنْتَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا وَذَاكَ إِلَى ذَوْقٍ وَمَعْرِفَةٍ مَعَ حُسْنِ تَدْبِيرِ
فَأَتَّفَقَ أَنْ زِمَامَ خَلِيفَةِ الْأَنَامِ رَأَى فِي الْمَنَامِ شَيْئًا هَالَهُ وَغَيْرَ
حَالَهُ فَحَصَلَ لَهُ فِي رَأْسِهِ صُدَاعٌ وَفِي فُؤَادِهِ أَوْجَاعٌ فَسَمِعَ بِهَذَا الْمُعِيرِ
الْجَدِيدِ . وَأَنَّهُ أَسْتَاذٌ مُفِيدٌ فَقَالَ : مَاذَا تَشْكُو . فَقَالَ : فِي فُؤَادِي
أَوْجَاعٌ . وَفِي رَأْسِي صُدَاعٌ . فَقَالَ : يَا زَيْنَ مَنْ فَآخَرَ . أَعْطَنِي دِينَارًا
آخَرَ . أَصِفْ لَكَ أَيْسَرَ دَوَاءٍ . يَحْصُلُ لَكَ مِنْهُ الْعَافِيَةُ وَالْإِشْفَاءُ .
فَدَفَعَ إِلَيْهِ الدِّينَارَ . وَطَلَبَ مِنْهُ دَوَاءَ الدُّوَارِ . وَمَا بِفُؤَادِهِ مِنْ أَلَمٍ .
أَوْرَثَهُ الْوُجَعُ وَالضَّرَمُ . فَقَالَ : يَا أَبَا الْفَيْضِ . صَمِّدْ رَجُلًا بِعِجَّةٍ بَيْضَ .
مُضَافًا إِلَيْهَا عَسَلٌ مُشْتَارٌ . وَلَيْكِنْ ذَلِكَ مُسَخَّنًا بِالنَّارِ . فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا .
وَفَارَ كَالنَّارِ شَوَاطِئًا وَلَهَبًا . وَعَرَفَ أَنَّهُ جَاهِلٌ . وَعَنْ طُرُقِ الْعِلْمِ غَافِلٌ .
فَادَّيَبَهُ التَّأْدِيبُ الْبَالِغُ . وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُنَادِمَةِ السَّالِغِ . وَاسْتَمَرَّ
عَلَى كَلَاخَتِهِ . بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى فِلَاحَتِهِ (فَاكِهِةُ الْخُلَفَاءِ لَا بَنَ عَرَبِشَاهُ)

وَأَضْعَفَ هَمِي . فَقَالَ لَهُ الطَّيِّبُ : لَا بَأْسَ يَا حَبِيبُ هَذَا دَائُ هَبِي .
وَعِلَاجُهُ بَيْنُ . أَعْطِنِي دِينَارًا أَصِفْ لَكَ دَوَاءً شَافِيًا . فَأَعْطَاهُ مَا أَسْتَهِي
وَأَسْتَوْصِفُهُ الدَّوَاءَ . فَقَالَ صَمَدُهُ بِعْجَةٍ بَيْضٍ كَثِيرَةٍ الْأَبْزَارِ . وَضَعَ عَلَيْهِ
عَسَلًا مُسَخَّنًا عَلَى النَّارِ . فَفَعَلَ ذَلِكَ قَبِرَتْ قَدَمُهُ . وَزَالَ بِالْكَلِيَّةِ أَلَمُهُ .
فَفَكَّرَ الْفَلَّاحُ فِي أَمْرِ الطَّيِّبِ . وَقَوْلِهِ الْمُصِيبِ . فَرَأَى الرِّاحَةَ . فِي
تَرْكِ الْفَلَّاحَةِ . وَالْإِسْتِغَالَ بِعِلْمِ الطَّبِّ فَإِنَّهُ أَمْرٌ هَيِّنٌ يَسِيرٌ . وَبَادَنِي
أَمْرٌ حَقِيرٌ . يُحْصِلُ أَلْمَالَ الْكَثِيرَ . فَبَاعَ آلَاتِ الزَّرَاعَةِ . وَعَزَمَ عَلَى تَعَاطِي
مَا فِي الطَّبِّ وَالتَّعْمِيرِ مِنَ الصَّنَاعَةِ . وَجَمَعَ كُتُبًا وَدَفَاتِرَ . وَكَرَّارِيسَ خُرْمَةً
مَنْثَرَةً . وَوَسَّعَ أَكْمَامَهُ . وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً كَعَمَامَةٍ . وَجَمَعَ شَقَائِرَ
وَأَوْرَاقًا وَبَسَطَ بَسْطَهُ فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ وَأَشَارَ عَلَى لِسَانِ مُخْبِرٍ : أَنَّ
الْمَكَانَ الْفُلَانِيَّ فِيهِ طَبِيبٌ مُعَبَّرٌ وَهُوَ أَسْتَاذُ الزَّمَانِ وَعَلَامَةُ الْأَوَانِ .
وَتَلَامِذَتُهُ فِي الطَّبِّ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ . وَفِي التَّعْمِيرِ ابْنُ سِيرِينَ وَكَرْمَانَ .
وَتَصَدَّرَ كَأَبِي زَيْدٍ وَسَاسَانُ . عَامِلًا بِمَا قَالَهُ شَيْخُ الْبَيَانِ وَهُوَ :

الطَّبُّ أَهْوَنُ عِلْمٍ يُسْتَفَادُ فَطَرُ
وَأُجْمِعَ لَذَلِكَ كَرَّارِيسًا مَنْثَرَةً
وَضَعُ عَلَى الرَّأْسِ بَقِيَارًا تُدَوِّرُهُ
وَأُجْمِعَ مَعَاجِينَ مِنْ رُبِّ تُخَلِّطُهَا
وَسَمِّ مَا شِئْتَ مِنْ أَسْمَاءٍ مُعَرَّبَةٍ
وَقُلْ مِنَ الْهِنْدِ جَاهَذَا وَمِنْ عَدَنٍ
بَيْنَ الْأَنَامِ بِهِ طَيْرُ الزَّنَابِيرِ
وَجَمَلَةٌ مِنْ حَشِيشٍ مِنْ عَقَائِرِ
كَقَبَةِ النَّسْرِ فِي وَزْنِ الْقَنَاطِيرِ
وَأَسْحَقُ سَفُوفًا وَانْكَحَالَ الْعَوَاوِيرِ
كَالسِّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالسَّرْحَا وَخُنُورِ
هَذَا وَهَذَا أَتَى مِنْ مِلَاكِ قُنُورِ

كُونَ اللَّهُ حَدَبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتَ مِنْ الْفَضْلِ وَالْإِلَامِ مِنَ الْإِفْضَالِ
فَأَتَتْ رُبُوبَةً عَلَى طَوْدٍ حِلْمٍ مِنْكَ أَوْ مَوْجَةً بِبَحْرِ نَوَالٍ
مَا رَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلَّا تَمَتَّتْ أَنَّهَا حَايَةٌ لِكُلِّ الرِّجَالِ
٣١٦ قَالَ ابْنُ دَانِيَالٍ فِي أَحَدَبَ يُسَمَّى حَسَّانَ :

قَسَمًا بِحُسْنِ قَوَامِكَ الْفَتَّانِ يَا أَوْحَدَ الْأَمْرَاءِ فِي الْحُدْبَانِ
يَا مُشَبِّهَ الْفُضْنِ الرُّطِيبِ إِذَا انْتَنَى مِنْ حَدَبَةٍ فَيَمِيسُ كَالرَّيَّانِ
يَا مُنْجِلًا شَكْلَ الزَّمَانِ بِقَدَمِهِ حَاشَاكَ أَنْ تُعْزَى إِلَى نُقْصَانِ
مَا عَابَ قَامَتِكَ الْحُسُودُ جَهَالَةً إِلَّا أَجَبْتَ مَتَالَةَ بِيَدَانِ
هَلْ تَحْسُنُ الْحَرَكَاتُ إِلَّا أَنْ يَرَى ذُو حَدَبَةٍ فِي حَابَةِ الْمِيدَانِ
لَوْلَاكَ مَا اشْتَقْنَا قِبَابَ الْمُتَحَنَّى مِنْ حَاجِرٍ وَالتَّلَّ مِنْ عُسْفَانِ
وَالْعُودُ أَحَدَبُ وَهُوَ يُلْهِي مُطْرَبًا وَلَقَدْ سَمِعْتَ بِنَعْمَةِ الْعِيدَانِ
وَأَنْظُرْ سَفِينِ الْبَحْرِ لَوْلَا حَدَبَةُ فِي ظَهْرِهِ لَمْ يَقْوِ الطُّوفَانِ
وَمُدَبِّرُ الْإِكْسِيرِ يُدْعَى أَحَدَبًا فِي عِلْمِهِ وَالْقِسْطُ فِي الْمِيزَانِ
وَإِذَا اكْتَسَى الْإِنْسَانُ قِلَ تَمَثَّلًا بِالْمَدْحِ قَامَتْ حَدَبَةُ الْإِنْسَانِ
يَفْدِيكَ فِي الْحُدْبَانِ كُلِّ مُكَرَّبٍ يَمْشِي الْهُوَيْنَا مِشْيَةَ السَّرَطَانِ
مُتَجَمِّعَ الْكَتِفَيْنِ أَقْوَسَ قَدْ بَدَأَ فِي هَيْئَةِ الْمُتَخَوِّفِ الضَّعْفَانِ

الطيب والحليقة

٣١٧ يُحْكِي أَنْ فَلَاحًا حَصَلَ لَهُ شِدَّةٌ مِنْ مَرَضٍ آَلَمَهُ وَأَصَابَ قَدَمَهُ
فَجَاءَ إِلَى طَيْبٍ وَشَكَا إِلَيْهِ الْآلَامَ وَقَالَ: أَلِمَى فِي رِجْلِي ضَاعَفَ هَمِّي

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ
فِي الْفَكَاهَاتِ

٣١٣ كَتَبَ ابْنُ الْخَازَنِ الْكَاتِبُ الدَّنُورِيُّ إِلَى الْحَكِيمِ أَبِي
الْقَاسِمِ الْأَهْوَازِيِّ وَقَدْ فَصَدَهُ وَأَمَلَهُ :

رَحِمَ إِلَاهُ مُجَدِّلَيْنِ سَلِيمُهُمُ مِنْ سَاعِدَيْكَ مُبَضَّعٌ مُبَضَّعٌ
فَقَصَائِبُ تَأْتِيهِمْ بِعَصَائِبِ نُشِرَتْ قَطُوي أذْرَعًا فِي الْأَذْرَعِ
أَفْصَدْتَهُمْ بِاللَّهِ أَمْ أَفْصَدْتَهُمْ وَخَرًّا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الشُّرَعِ
دَسْتُ الْمُبَاضِعِ أَمْ كِنَانَةُ أَسْهُمِ أَمْ ذُو الْقَمَارِ مَعَ الْبَطِينِ الْأَنْزَعِ
غَرًّا بِنَفْسِي إِنْ لَقَيْتُكَ بَعْدَهَا يَا غَنَتُ الْعَبْسِيِّ غَيْرَ مُدَرَّعِ
٣١٤ كَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ إِلَى صَاحِبِ لَهُ يَطْلُبُ خَمْرًا :

أَشْكُو إِلَيْكَ بَرَاعِيًا بُلَيْتُ بِهَا سُودًا إِذَا انْتَبَهَوْا فِي اللَّيْلِ لَمْ أُنْمِ
أَصِيدُ هَذَا فَيَبْقَى ذَا فَيَلْدَغُنِي فَيَنْقُضِي اللَّيْلُ فِي صَيْدِي وَلَدَغُهُمْ
وَقَدْ تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَيْسَ يُنْقِذُنِي سِوَى ابْنَةِ الْكَرَمِ يَا ابْنَ الْجُودِ وَاتَّكِرَمْ
إِبْعَثْ إِلَيَّ دَمَ الْعُقُودِ أَشْرِبَهَا لَكِنِّي أَنَامُ وَلَا أَشْعُرُ بِسَفْكَ دَمِي
٣١٥ قَالَ ابْنُ الدَّرَوِيِّ فِي ابْنِ أَبِي حَصِينَةَ الْأَحَدَبِ :

لَا تَظَنَّ حَذَبَةَ الظُّهْرِ عِيَاً فَهِيَ فِي الْحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ
وَكَذَلِكَ الْقَيْسِيُّ مُحْدُودَاتٌ وَهِيَ أَنْكَى مِنَ الظُّبَا وَالْعَوَايِ
وَإِذَا مَا عَالَا السَّانَمُ فَفِيهِ لِقُرُومِ الْجَمَالِ أَيْ جَمَالِ

الْمَأْمُونُ : يَا عَمَّ لَقَدْ آمَتَ حِمْدِي بِحَيَاةِ عُذْرِكَ . وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ
 وَلَمْ أُجْرِعْكَ مَرَارَةً أَمْتِنَانِ الشَّافِعِينَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَجَدَ وَقَبَّلَ
 الْأَرْضَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِي : يَا عَمَّ أَتَدْرِي لِمَاذَا سَجَدْتُ وَقَبَّلْتُ
 الْأَرْضَ . فَقُلْتُ : نَعَمْ أَظُنُّهُ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَظْفَرَكَ بَعْدَ
 دَوَاتِكَ . فَقَالَ : مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَلْهَمَنِي
 الْعَفْوَ عَنْكَ فَحَدَّثَنِي الْآنَ حَدِيثَكَ فِي اخْتِفَائِكَ . فَشَرَحْتُ لَهُ
 صُورَةَ أَمْرِي مَعَ الْحُجَّامِ وَالْجُنْدِيِّ وَأَمْرَاتِهِ وَمَا جَرَى لِي مَعَ جَارِيَتِي .
 فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِخْضَارِ الْجَمِيعِ . فَدَعَا جَارِيَتِي وَكَانَتْ مُنْتَظِرَةً لِلْجَائِزَةِ .
 وَقَالَ مَا : مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا فَعَلْتِ بِسَيِّدِكَ . فَقَالَتْ : الرُّغْبَةُ فِي الْمَالِ .
 فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ أَوْ زَوْجٌ . فَقَالَتْ : لَا . فَأَمَرَ بِضَرْبِهَا
 مِائَةَ سَوْطٍ وَخَلَدَ سِجْنَهَا . ثُمَّ أَحْضَرَ الْجُنْدِيَّ وَأَمْرَاتَهُ وَالْحُجَّامَ . فَسَأَلَ
 الْجُنْدِيَّ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَ . فَقَالَ : الرُّغْبَةُ فِي الْمَالِ . فَقَالَ لَهُ
 الْمَأْمُونُ : أَنْتَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَجَّامًا لِتَتَعَلَّمَ الْحِجَامَةَ . ثُمَّ طَرَدَهُ مِنَ
 الْجُنْدِيَّةِ وَأَكْرَمَ زَوْجَتَهُ وَأَمَرَ فَادْخُلُوهَا قَصْرَهُ وَقَالَ : هَذِهِ أَمْرَاةُ
 عَائِلَتِكَ تَصْنَعُ لِلْمُهَمَّاتِ . ثُمَّ أُلْتَفَتْ إِلَى الْحُجَّامِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ ظَهَرَ مِنْ
 مَرْوَةِكَ مَا يُوجِبُ الْمُبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ دَارَ الْجُنْدِيِّ بِمَا
 فِيهَا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ رِزْقَ الْجُنْدِيِّ وَأَجْرِي لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ
 سَنَةٍ . فَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ (حَدِيقَةُ الْإِفْرَاحِ لِلْيَمِينِ)

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيرَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 قَالَ: فَكَشَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُنْقَعَةَ عَنْ رَأْسِي وَكَبَّرْتُ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً
 فَرَحًا وَقُلْتُ: عَفَا وَاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْمُأْمُونُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ
 يَا عَمَّاهُ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَقَوَّدَ مَعَهُ بِعَذْرِ
 وَعَفْوِكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَنَاطِقَ مَعَهُ بِشُكْرِ وَلَكِنِّي أَقُولُ:

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَازَهَا فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِعِ
 مِلَّتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً وَتَظَلُّ تُكَلِّمُهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ
 فَعَفَوْتَ عَنْ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ عَفْوٌ وَلَمْ يُشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ
 وَرَحِمْتَ أَطْفَالَ كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَخَبِيرَ وَالِدَةٍ بِقَلْبٍ جَارِعٍ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: لَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. وَقَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ وَرَدَدْتَ
 عَلَيْكَ مَالَكَ وَضِيَاعَكَ بِاجْمَعِهَا. فَقَبَّاتُ الْأَرْضَ وَأَنْشَدَتْ:

رَدَدْتَ مَا لِي وَلَمْ تُجْزِلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَا لِي قَدْ حَقَّتْ دَرِي
 نَأَيْتُ مِنْكَ وَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعْمًا هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
 فَلَوْ بَذَلْتُ دَرِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ وَالْمَالُ حَتَّى أَسْأَلَ النُّعْلَ مِنْ قَدَمِي
 مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعْتُ إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعْذَهَا كُنْتُ لَمْ تُلَمَّ
 فَإِنْ جَدَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتُ مِنْ نِعَمٍ إِنِّي إِلَى اللُّؤْمِ أَوْلَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ لَدَرًا وَهَذَا مِنْهُ. ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ وَقَالَ
 لِي: يَا عَمُّ إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ أَخِي وَالْعَبَّاسَ أَشَارَا عَلَيَّ بِقِتْلِكَ. فَقُلْتُ لَهُ:
 إِنَّهُمَا نَصَحَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ. فَقَالَ

عِيَانًا . فَحَمَلُونِي بِالزَّيِّ الَّذِي أَنَا فِيهِ إِلَى الْمُأْمُونِ . فَعَقَّدَ مَجَاسًا عَامًّا
وَأَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ : لَا
سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا حَيَاكَ وَلَا رَعَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ وَلِيَّ النَّارِ مُحْكَمٌ بِالْقِصَاصِ وَلَكِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .
وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ كَمَا جَعَلَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ . فَإِنْ
تَهْتَلُ فَبِعَدْلِكَ وَإِنْ تَعْفُ فَمِنْ فَضْلِكَ . ثُمَّ أُنْشَدَتْ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ

فَحُذِّ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَأُضْفَحُ بِجَاهِكَ عَنْهُ

إِنْ لَمْ أَكُنْ عِنْدَ فِئَلِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

قَالَ : فَرَفَعَ الْمُأْمُونُ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيَّ فَبَدَرْتُهُ قَائِلًا :

أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ

فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ وَإِنْ قَتَلْتَ فَعَدْلٌ

فَرَفَعَ إِلَيَّ الْمُأْمُونُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ قَدْ هَشَّ وَأُسْتَرَوْحَتْ رَوَاحُ

الرَّحْمَةِ مِنْ شِمَائِلِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَأَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ وَجَمِيعَ مَنْ

حَضَرَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُمْ : مَاذَا تَرَوْنَ فِي أَمْرِ فُكَيْلٍ أَشَارَ بِفِئَلِي

إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْقِتْلَةِ . فَقَالَ الْمُأْمُونُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ : مَا تَقُولُ

يَا أَحْمَدُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَتَدَّ وَجَدْنَا مِثْلَكَ قَدْ قَتَلَ

مِثْلَهُ . وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ لَمْ نَحِذْ مِثْلَكَ قَدْ عَفَا عَنْ مِثْلِهِ . فَنَكَّسَ الْمُأْمُونُ

رَأْسَهُ مُطْرِقًا إِلَى الْأَرْضِ سَاعَةً . ثُمَّ رَفَعَهُ وَأُنْشَدَ :

أَنَا فِي الْمَشْيِ حَتَّى قَطَعْتُ الْجِسْرَ فَدَخَلْتُ شَارِعًا فَوَجَدْتُ بَابَ دَارٍ
وَأَمْرًا وَقَفَةً فِي الدَّهْلِيْزِ . فَقُلْتُ لَهَا : يَا سَيِّدَةَ النَّسَاءِ أَحَقَّنِي دَيْمِي
فَإِنِّي رَجُلٌ خَائِفٌ . فَقَالَتْ لِي : عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ . وَأَطْلَعَنِي إِلَى
غُرْفَةٍ وَفَرَشَتْ لِي فِرَاشًا وَقَدَّمَتْ لِي طَعَامًا وَقَالَتْ : هَدَى رَوْعَكَ
فَمَا عَلِمَ بِكَ مَخْلُوقٌ . فَيَنِمَّا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا بِالْبَابِ يُطْرَقُ طَرَقًا
عَنِيفًا . فَخَرَجْتُ وَفَتَحْتُ الْبَابَ وَإِذَا بِصَاحِبِي الَّذِي دَفَعْتُهُ عَلَى الْجِسْرِ
وَهُوَ مُشْدُوخُ الرَّأْسِ وَدَمُهُ يَسِيلُ عَلَى ثِيَابِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ فَرَسٌ . فَقَالَتْ
لَهُ : يَا هَذَا مَا دَهَاكَ . فَقَالَ : إِنِّي ظَفِرْتُ بِالْغَنَى وَأَنْفَلَتَ مِنِّي .
وَأَخْبَرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَصَابَ وَعَصَبَتْ رَأْسَهُ وَفَرَشَتْ
لَهُ فَنَامَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّمَا طَلَعَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : أَظُنُّكَ أَنْتَ صَاحِبُ
الْقَضِيَّةِ . فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ . فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا تَخَفْ . ثُمَّ
جَدَدَتْ لِي الْكُرَامَةَ فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَتْ لِي : إِنِّي خَائِفَةٌ
عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ (وَعَنْتَ زَوْجَهَا) لِئَلَّا يَطَّلِعَ عَلَيْكَ فَيَمَّ بِكَ .
فَالْأَوَّلَى بِكَ أَنْ تَنْجُوَ بِنَفْسِكَ فِي خَيْرٍ . فَسَأَلْتُهَا الْمُهَلَّةَ إِلَى اللَّيْلِ .
فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ لَبِسْتُ زِيَّ النَّسَاءِ وَخَرَجْتُ
مِنْ عِنْدِهَا وَاتَّيْتُ إِلَى بَيْتِ جَارِيَةٍ لِي . فَلَمَّا رَأَيْتُنِي بَكَتْ وَتَوَجَّعَتْ
وَحَمَدَتْ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِي وَخَرَجَتْ وَهِيَ تُوهِنُنِي أَنَّهَا تُرِيدُ السُّوقَ
لِلْإِهْتِمَامِ بِالضِّيَافَةِ وَظَنَنْتُ بِهَا خَيْرًا . فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِإِبْرَاهِيمَ الْمُوَصِّلِي
قَدْ أَقْبَلَ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ وَالْجَارِيَةَ مَعَهُ . فَاسْتَدْنِي إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَاشْتَدَّ عَلَيَّ الطَّرَبُ وَنِمْتُ وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا بَعْدَ
 الْعِشَاءِ . فَعَاوَدَنِي فِكْرِي فِي نَفَاسَةِ هَذَا الْحُجَّامِ وَحُسْنِ أَدَبِهِ . فَقُمْتُ
 ثُمَّ أَخَذْتُ خَرِيطَةً كَانَتْ صُحْبَتِي فِيهَا دَانَايِرُ لَهَا قِيَمَةٌ . فَرَمَيْتُ بِهَا
 إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي هَذَا وَالَكَ
 عِنْدِي الْمَزِيدُ إِنْ أَمِنْتُ مِنْ خَوْفِي . فَأَبَى أَخْذَهَا وَأَعَادَهَا عَلَيَّ بِعِزَّةٍ
 وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنْ الصَّعَالِيكَ مِنَّا لَا قَدَرُ لَهُمْ عِنْدَكُمْ . أَاخُذْ عَلَيَّ
 مَا وَهَبَنِيهِ الزَّمَانُ قُرْبَكَ وَحُلُولَكَ فِي مَنَزِلِي غَنَى . وَاللَّهُ لَنْ رَاجِعَتَنِي
 بِهَا لَا قَتْلَنَ نَفْسِي . فَأَعَدْتُ الْخَرِيطَةَ إِلَى كَيْمِي وَقَدْ أَثْقَلَنِي حَمْلُهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ . وَلَمَّا أُتَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِهِ قَالَ لِي : يَا سَيِّدِي إِنْ هَذَا
 الْمَكَانَ أَخْفَى لَكَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ عَلَيَّ فِي مَوْوَنَتِكَ ثِقَلٌ فَأَقِمْ
 عِنْدِي إِلَى أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : بِشَرْطٍ أَنْ تُنْفِقَ مِمَّا فِي
 هَذِهِ الْخَرِيطَةِ . فَأَوْهَمَنِي الرِّضَا بِذَلِكَ الشَّرْطِ . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّامًا
 عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فِي الدَّعَاشِ وَهُوَ لَمْ يَصْرِفْ مِنْ الْخَرِيطَةِ شَيْئًا .
 فَتَذَمَّتُ مِنَ الْأَقَامَةِ فِي بَيْتِهِ وَأَحْسَشْتُ مِنَ الثَّقِيلِ عَلَيْهِ . فَتَرَبَّيْتُ
 بِزِيِّ النِّسَاءِ بِالْخُفِّ وَالنَّقَابِ وَوَدَعْتُهُ وَخَرَجْتُ . فَلَمَّا صِرْتُ فِي
 الطَّرِيقِ دَاخِلَنِي مِنَ الْخَوْفِ أَمْرٌ شَدِيدٌ وَجِئْتُ لِأَعْبُرَ الْجِسْرَ وَإِذَا
 بِمَوْضِعٍ مَرُشُوشٍ فَظَنَنْتُ جُنْدِيٍّ مِمَّنْ كَانَ يُجَادِمُنِي فَصَاحَ وَقَالَ :
 هَذَا حَاجَةُ الْمُأْمُونِ . ثُمَّ تَعَلَّقَ بِي فَمِنْ حَلَاوَةِ الرُّوحِ دَفَعْتُهُ هُوَ وَفَرَسَهُ
 فَوَقَعَ فِي ذَلِكَ الْمَرْزَلِقِ فَصَارَ عِبْرَةً . وَتَبَادَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَأَجْتَهَدْتُ

عَبْدَكَ يُعْنِي فَلَاكَ عَلُوُّ الرَّأْيِ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَيْ أَحْسِنُ
الْغِنَاءَ . فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ . مَوْلَايَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُخْفِيَ أَلَسْتَ أَنْتَ
سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّي خَلِيفَتَنَا فِي الْأَمْسِ الَّذِي جَعَلَ الْمَأْمُونُ لِمَنْ
دَلَّهُ عَلَيْكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ عَظُمَ الرَّجُلُ فِي عَيْنِي
وَتَبَتَ مِرْوَةٌ عِنْدِي . فَتَأَوَّلْتُ الْعُودَ وَأَصْلَحْتُهُ وَقَدْ مَرَّ بِخَطْرِي
فِرَاقُ أَهْلِي وَوُلْدِي وَوَطَنِي فَغَنَيْتُ :

وَعَسَى الَّذِي أَهْدَى لِيُوسُفَ أَهْلَهُ وَأَعَزَّهُ فِي السَّجْنِ وَهُوَ أَسِيرُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا وَيَجْمَعَ ثَمَلَنَا وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدِيرُ
فَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ الطَّرَبُ الْمَفْرُطُ وَطَابَ خَاطِرُهُ وَقَالَ لِي : يَا سَيِّدِي
وَمَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُغْنِيَ مَا سَخَّ بِخَطْرِي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِ
أَهْلِ الصَّنَاعَةِ . فَقُلْتُ : وَهَذَا مِنْ زِيَادَةِ أَدَبِكَ وَمِرْوَةٍ تَكْ . فَأَخَذَ
الْعُودَ وَأَنْشَدَ :

شَكُونَا إِلَى أَحِبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلُ عِنْدَنَا
وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عَيْنَهُمْ سَرِيعًا وَلَا يَغْشَى لَنَا النَّوْمُ أَعِينًا
فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَلْقَوْنَ مِثْلَمَا نَلَاقِي لَكَانُوا فِي الْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا
قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَدَاخَانِي مِنَ الطَّرَبِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ مِنِّي
كُلُّ مَا كَانَ بِي مِنَ الْهَلَعِ فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ كُلَّ الْإِحْسَانِ
وَأَذْهَبَتْ عَنِّي أَلَمُ الْأَحْزَانِ . فَرَدَّنِي مِنْ هَذِهِ الزُّهَاتِ فَأَنْشَدَ لِلسَّمَوَاتِ :
تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْنَا لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ

فِيهِ حَصِيرٌ وَبَسَاطٌ وَوَسْدٌ نَظِيفَةٌ مِنْ جُلُودٍ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَغْلَقَ عَلَى
 الْبَابِ وَمَضَى . فَتَوَهَّمَتْ أَنَّهُ سَمِعَ بِجَعَالَةِ الْمَأْمُونِ لِلَّذِي يَأْتِيهِ بِي وَطَمَعَ
 بِالرَّيْحِ وَخَرَجَ يَدُلُّ عَلَيَّ فَبَقِيتُ أَتَقَلَّى عَلَى جِمرِ الْغَضَا . فَبَيْنَمَا كُنْتُ
 أَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ حِمَالٌ حَامِلٌ كُلَّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خُبِرٍ
 وَلَحْمٍ وَقِدْرًا جَدِيدَةً وَجَرَّةً نَظِيفَةً وَكِيزَانًا جَدْدًا فَحَطَّهَا عَنْ الْحِمَالِ
 وَقَالَ لَهُ : أَمْضِ بِخَيْرٍ . فَخَرَجَ وَأَقْفَلَ وَرَاءَهُ بَابَ الدَّارِ وَجَاءَ إِلَيَّ وَقَالَ
 لِي : جُعَلْتُ فِدَاكَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي رَجُلٌ حَجَّامٌ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَقَدَّرُ
 مِنِّي لِمَا أَتَوَلَّاهُ مِنْ مَعِيشَتِي . فَشَأْنُكَ أَنْتَ بِمَا لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ يَدِي . قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ : وَكُنْتُ شَدِيدَ الْجُوعِ وَلِي حَاجَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَى الطَّعَامِ فَطَبَخْتُ
 لِنَفْسِي قِدْرًا لَمْ أَدْرِ فِي غَمْرِي أَنِّي أَكَلْتُ أَلَدَّ مِنْهَا . فَلَمَّا قَضَيْتُ
 أَرَيْتُ مِنَ الطَّعَامِ قَالَ لِي الْأَسْوَدُ : هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي شَرَابٍ
 فَإِنَّهُ يَنْفِي أَلْهَمَ وَيَدْفَعُ أَلْغَمَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي
 مُوَأَسَّاتِكَ . فَمَضَى وَجَاءَ نِي بِقَدَحٍ وَبَدَسْتُ مَلَانَ شَرَابًا مُطِيبًا وَقَالَ
 لِي : رَوِّقْ لِنَفْسِكَ خَافَةً أَنْ تَتَقَرَّرَ مِنِّي . فَظَنَرْتُ فِي الدَّسْتِ
 فَرَأَيْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ فَرَوَّقْتُ مِنْهُ . ثُمَّ أَتَانِي بِفَاكِهِةٍ وَأَبْقَالَ
 مُخْتَلِفَةٍ . وَبَعْدَهُ قَالَ لِي : يَا مَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقْعُدَ فِي نَاحِيَةِ
 أَمَامِكَ وَأَتِي بِشَرَابٍ لِي فَأَشْرِبُهُ سُرُورًا بِكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَفَعَلُ
 فَشَرِبَ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى خِرَانَةٍ لَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا عُودًا وَقَالَ
 لِي : لَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ فِي الْغِنَاءِ وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ

مَنْزِلَتِكَ . وَإِمَّا أَنْ نَأْذَنَ لَكَ فَتَلْحَقَ بِبِلَادِكَ وَنَشْرِطَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تُخْدِثَ مُنْكَرًا وَلَا تُؤْذِيَ أَحَدًا . قَالَ : بَلْ أَخْتَارُ صُحْبَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَجَعَلَهُ مِنْ سُمَارِهِ وَخَوَاصِهِ . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَلَّاهُ عَلَى الْيَمَامَةِ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ

عصيان ابرهيم بن المهدي على امير المؤمنين المأمون وما جرى له في اختفائه

٣١٢ حَكَمِي الْوَاقِدِيُّ قَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدِيِّ أَخَا هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمَّا آلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ إِلَى الْمَأْمُونِ ابْنِ أَخِيهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمْ يُبَايِعْهُ بَلْ ذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَادَّعَى فِيهَا الْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ . وَأَقَامَ مَا لَهَا سَنَةً وَاحِدَةً عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَابْنُ أَخِيهِ الْمَأْمُونُ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ إِلَّا نَقِيَادَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْتِظَامِ فِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ حَتَّى يَنْسُ مِنْ عَوْدِهِ . فَرَكِبَ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ وَذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَحَاصَرَ الْمَدِينَةَ وَافْتَتَحَهَا وَدَخَلَهَا . قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ نَفْسِهِ : فَخِفْتُ عَلَى دَمِي وَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنْ دَارِي عِنْدَ الظُّهْرِ وَأَنَا لَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ جَعَلَ لِمَنْ أَتَاهُ فِي مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَفِيمَا كُنْتُ سَائِرًا فِي الطَّرِيقِ إِذَا أَنَا بِزُقَاقٍ فَمَشَيْتُ فِيهِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ نَافِذٍ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِنْ رَجَعْتُ عَلَى أَثَرِي يُرْتَابُ فِي أَمْرِي وَالسَّارِعُ غَيْرُ نَافِذٍ فَمَا الْحِيلَةُ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي صَدْرِ السَّارِعِ عَبْدًا أَسْوَدَ قَانِمًا عَلَى بَابِ دَارٍ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ أَقِيمُ بِهِ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَفَتَحَ الْبَابَ . فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ تَظْفِيفِ

وَجَعَلَنِي مَعَ الْفَرَسَانِ لَرَأَى مِنِّي مَا يُحِبُّهُ . قَالَ الرَّأَوِي : فَتَجَبَّ
 الْحُجَّاجُ مِنْ ثَبَاتِ عَقْلِهِ وَمَنْطِقِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا جَمْدَرُ إِنِّي قَازِفُ بَكَ فِي
 حَفَارٍ بِهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ . فَإِنْ قَتَلْتَ كَفَانَا مَوْنَتَكَ . وَإِنْ قَتَلْتَهُ عَفَوْنَا
 عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قُرْبُ الْفَرَجِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَمَرَ
 بِهِ فَصَفَّدُوهُ بِالْحَدِيدِ ثُمَّ كَتَبَ لِعَامِلِهِ أَنْ يَرْتَادِلَهُ أَسَدًا عَظِيمًا وَيَحْمِلَهُ
 إِلَيْهِ . فَأَرْتَادِلَهُ الْعَامِلُ أَسَدًا كَرِيهَ الْمُنْظَرِ كَثِيرًا خَبِيثًا قَدْ أَفْنَى عَامَّةَ
 الْمَوَاشِي . وَأَمَرَ أَنْ يُصِيرَ فِي قَفْصِ حَدِيدٍ وَيُسْحَبَ الْقَفْصُ عَلَى عَجَلٍ .
 فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْحُجَّاجِ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي الْحَفَارِ وَلَمْ يُطْعَمْ
 شَيْئًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاعَ وَاسْتَكَابَ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَمْدَرٍ أَنْ يُنْزِلُوهُ إِلَيْهِ
 فَأَعطَوْهُ سَيْفًا وَأَنْزَلُوهُ إِلَيْهِ مُقَيَّدًا وَأَشْرَفَ الْحُجَّاجُ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ
 يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَسَدِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِجَمْدَرٍ . فَلَمَّا نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى جَمْدَرٍ
 نَهَضَ وَوَثَبَ وَتَمَطَّى وَزَارَ زَبِيرًا دَوَى مِنْهُ الْجِبَالُ وَارْتَاعَتْ مِنْهُ أَهْلُ
 الْأَرْضِ . فَشَدَّ عَلَيْهِ جَمْدَرٌ وَهُوَ يَقُولُ :

لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَجَالِ صَنْكِ كِلَاهُمَا ذُو قُوَّةٍ وَسَفْكِ
 وَصَوْلَةٍ وَبَطْشَةٍ وَفَتْكِ إِنْ يَكْشِفِ اللَّهُ قِنَاعَ الشَّكِّ

فَأَنْتَ لِي فِي تَبَضُّعِي وَمُلْكِي

ثُمَّ دَنَا مِنْهُ وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَمَلَقَ هَامَتَهُ . فَكَبَّرَ النَّاسُ وَأَعْجَبَ
 الْحُجَّاجُ وَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ مَا أَنْجَدَكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْحَفَارِ وَفُكَّ
 وَثَاقُهُ وَقِيدُهُ . وَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ إِمَّا أَنْ تُقِيمَ عِنْدَنَا فَتُكْرِمَكَ وَنُقَرِّبَ

وَأَثْنَى عَلَيْهِمَا أَحْسَنَ ثَنَاءٍ وَتَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ :

مَنْ يَصْنَعُ الْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَازَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْرِفَ لَهُمَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ دِيَّةَ
أَبِيهِمَا . فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا عَفَوْنَا عَنْهُ أَبْتِغَاءَ لَوْجِهِ اللَّهِ . وَمَنْ
نِيَّتُهُ كَذَا . لَا يَتَّبِعُ إِحْسَانُهُ مِنَّا وَلَا أَذَى . قَالَ الرَّأْيِي : فَأَعْتَدْتُهَا
مِنْ أَنْفُسِ الْعَجَائِبِ . وَاثْبَتَهَا فِي دِيْوَانِ الْغَرَائِبِ (للاتليدي)

جحدرد والسبع

٣١١ قِيلَ إِنَّ جُحْدَرَ بْنَ رَبِيعَةَ كَانَ بَطَلًا شَجَاعًا فَاتَكَ شَاعِرٌ أَبْلِيغًا .
فَغَزَا أَهْلَ الْيَمَامَةِ وَأَبَادَهُمْ فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحُجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ . فَكَتَبَ إِلَى
عَامِلِهِ يُوجِّهُهُ بِتَغْلِبِ جُحْدَرَ وَيَأْمُرُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهِ
أَسِيرًا . فَوَجَّهَ الْعَامِلُ إِلَيْهِ فِتْيَةً مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ وَجَعَلَ لَهُمُ الْجَعَالِ
الْعَظِيمَةَ إِنْ هُمْ قَتَلُوا جُحْدَرَ أَوْ اتَّوَا بِهِ أَسِيرًا . فَتَوَجَّهَ الْفِتْيَةُ إِلَى طَلَبِهِ
فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مَكَانِهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ إِلَّا نَقْطَاعَ
إِلَيْهِ وَالْقِيَامَ بِخِدْمَتِهِ . فَوَثِقَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَسَكَنَ إِلَى قَوْلِهِمْ . فَبَيْنَمَا هُوَ
مَعَهُمْ يَوْمًا إِذْ وَثَبُوا إِلَيْهِ فَشَدُّوهُ وَثَاقًا وَقَدِمُوا بِهِ إِلَى الْعَامِلِ . فَوَجَّهَهُ
مَعَهُمْ إِلَى الْحُجَّاجِ . فَلَمَّا قَدِمُوا بِهِ عَلَيْهِ مِثْلَ بَيْنِ يَدَيْهِ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ
جُحْدَرُ . قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : مَا جَرَّكَ عَلَى مَا بَلَغَنِي
عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . كَلَبُ الزَّمَانِ ، وَجَفْوَةُ السُّلْطَانِ .
وَجَرَاءَةُ الْجُنَانِ . قَالَ : وَمَا بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : لَوْ أَبْلَا نِي الْأَمِيرُ

الشَّيْخُ . فَعَرَضَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ عَلَى الشَّابِّينَ اخْذَ الدِّيَةِ . وَاعْتَنَامَ
 الْأَثْنِيَّةَ . فَأَصْرَعَ عَلَى عَدَمِ الْقَبُولِ . وَأَيَّاءُ إِلَّا الْأَخْذَ بِثَارِ الْمُقْتُولِ . فَبَيْنَمَا
 النَّاسُ يَمْجُونَ تَلَهْفًا لِمَا صَرَ . وَيَصِيحُونَ تَأْسَفًا عَلَى أَبِي ذَرٍّ . إِذَا أَقْبَلَ
 الْغُلَامُ . وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَتَمَّ سَلَامٍ . وَوَجْهَهُ يَتَهَلَّلُ
 مُشْرِقًا . وَتَتَكَلَّلُ عِرْقًا . وَقَالَ : قَدْ أَسْلَمْتُ الصَّبِيَّ إِلَى أَخَوَالِي . وَعَرَفْتُهُمْ
 خَفِيَ أَحْوَالِي . وَأَطْلَعْتُهُمْ عَلَى مَكَانِ مَالِهِ وَأَمْوَالِي . ثُمَّ أَقْتَحَمْتُ
 هَاجِرَاتِ الْحَرِّ . وَوَفَيْتُ وَفَاءَ الْحَرِّ الْأَعْرَى . فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ صِدْقِهِ
 وَوَفَائِهِ . وَإِقْدَامِهِ عَلَى الْمَوْتِ وَأَجْتِرَائِهِ . فَقَالَ : مَنْ غَدَرَ . لَمْ يَفُ عَنْهُ
 مَنْ قَدَرَ . وَمَنْ وَفَى . رَحِمَهُ الطَّالِبُ وَعَفَا . وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ الْمَوْتَ إِذَا
 حَضَرَ لَمْ يُنْجِ مِنْهُ أَحْتِرَاسٌ . وَبَادَرْتُ كَيْ لَا يُقَالَ ذَهَبَ الْوَفَاءُ مِنْ
 النَّاسِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ ضَمَنْتُ هَذَا الْغُلَامَ
 وَلَمْ أَعْرِفْهُ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ . وَلَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ
 مَنْ حَضَرَ فَقَصَّدَنِي . وَقَالَ : هَذَا يَضْمَنُنِي . فَلَمْ أَسْتَحْسِنِ رَدَّهُ . وَأَبَتْ
 الْمَرْوَةُ أَنْ تُحِبَّ قَصْدَهُ . إِذْ لَيْسَ فِي إِجَابَةِ الْقَصْدِ مِنْ بَاسٍ . كَيْ لَا
 يُقَالَ : ذَهَبَ الْفَضْلُ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَ الشَّابَّانِ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . قَدْ وَهَبْنَا لِهَذَا الْغُلَامِ دَمَ آبِنَا . فَلْتَبْدَلْ وَخَشْتُهُ بِإِنْسَانٍ .
 كَيْ لَا يُقَالَ : ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ مِنَ النَّاسِ . فَاسْتَبَشَرَ الْإِمَامُ . بِالْعَفْوِ
 عَنِ الْغُلَامِ . وَعَجِبَ مِنْ صِدْقِهِ وَوَفَائِهِ . وَاسْتَغْفَرَ مَرْوَةَ أَبِي ذَرٍّ
 دُونَ جُلَسَائِهِ . وَاسْتَحْسَنَ اعْتِمَادَ الشَّابِّينَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ

عَلَيَّ . وَقَالَ : هَذَا لِأَخِيكَ عِنْدَكَ . فَأَحْفَظْهُ جَهْدَكَ . فَأَتَّخَذْتُ لَذَلِكَ
مَدْفِنًا . وَوَضَعْتُهُ فِيهِ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا . فَإِنْ حَكَمْتَ الْآنَ
بِقِتْلِي ذَهَبَ الذَّهَبُ . وَكُنْتَ أَنْتَ السَّبَبَ . وَطَالَ بَكَ الصَّغِيرُ بِحَقِّهِ .
يَوْمَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنْ أَنْظَرْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . أَقَمْتُ مِنْ
يَتَوَلَّى أَمْرَ الْعُلَامِ . وَعُدْتُ وَإِنِّي بِالذِّمَامِ . وَلِي مَنْ يَضْمِنُنِي عَلَى هَذَا
الْكَلَامِ . فَأَطْرَقَ عُمَرُ سَاعَةً ثُمَّ نَظَرَ . إِلَى مَنْ حَضَرَ . وَقَالَ :
مَنْ يَقُومُ عَلَى ضَمَانِهِ . وَالْعُودُ إِلَى مَكَانِهِ . قَالَ : فَظَرَ الْعُلَامُ إِلَى
وُجُوهِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ النَّاطِرِينَ . وَأَشَارَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ دُونَ الْحَاضِرِينَ .
وَقَالَ : هَذَا يَكْفُلُنِي . وَهُوَ الَّذِي يَضْمِنُنِي . فَقَالَ عُمَرُ : أَتَضْمَنُ يَا أَبَا
ذَرٍّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ أَضْمَنُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَرَضِيَ
الشَّابَّانِ بِضْمَانِ أَبِي ذَرٍّ . وَأَنْظَرَاهُ ذَلِكَ الْقَدْرَ . فَلَمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ
الْإِمهَالِ . وَكَادَ وَقْتُهَا يَزُولُ أَوْ زَالَ . حَضَرَ الشَّابَّانِ إِلَى مَجْلِسِ عُمَرَ .
وَالصَّبَابَةُ حَوْلَهُ كَالنَّجُومِ حَوْلَ الْقَمَرِ . وَأَبُو ذَرٍّ قَدْ حَضَرَ . وَالْحَصَمُ
يَنْتَظِرُ . فَقَالَا : أَيْنَ الْعَرِيمُ يَا أَبَا ذَرٍّ . وَكَيْفَ يَرْجِعُ مِنْ قَدَفٍ . فَلَا
نَبْرَحُ مِنْ مَكَانِنَا . حَتَّى تَفِي بِضْمَانِنَا . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَحَقَّ الْمَلِكِ
الْعُلَامِ . إِنْ أَنْقَضَى تَمَامُ الْأَيَّامِ . وَلَمْ يَحْضُرِ الْعُلَامُ . وَفَيْتُ بِالضَّمَانِ .
وَأَسَأَمْتُ نَفْسِي وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ . فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ إِنْ تَأَخَّرَ الْعُلَامُ .
لَأَمْضِينَ فِي أَبِي ذَرٍّ مَا أَقْتَضَتْهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ . فَهَمَلَتْ عِبْرَاتُ
الْحَاضِرِينَ . وَأَرْفَضَتْ زَفَرَاتُ النَّاطِرِينَ . وَعَظُمَ الصَّحِيحُ . وَتَرَايَدَ

قَصَّيْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَالْأَمْرُ فِيهَا إِلَيْكَ . إَعْلَمُ أَنِّي عَرِيمٌ مِنَ الْعَرَبِ
 الْعَرَبَاءُ نَبَتْ فِي مَنَازِلِ الْبَادِيَةِ . وَصَبَحَتْ عَلَيَّ أَسْوَدُ السِّنِينَ الْعَادِيَةِ .
 فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَاهِرِ هَذَا الْبَلَدِ . بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . فَأَقْضَيْتُ فِي
 بَعْضِ طَرَائِقِهَا . إِلَى الْمَسِيرِ بَيْنَ حَدَائِقِهَا . بِنْيَاقٍ إِلَيَّ حَبِيبَاتٍ . عَلَيَّ
 غَزِيرَاتٍ . بَيْنَهُنَّ فُحْلٌ كَرِيمٌ الْأَصْلِ . كَثِيرُ النَّسْلِ . مَلِيحُ الشَّكْلِ .
 حَسَنُ النَّجَاحِ . يَمْشِي بَيْنَهُنَّ كَأَنَّهُ مَلِكٌ عَلَيْهِ تَاجٌ . فَدَنَّتِ الذُّنُوقُ إِلَى
 حَدِيقَةٍ قَدْ ظَهَرَ مِنَ الْحَائِطِ شَجَرُهَا . فَتَنَاوَلْتُهَا بِمَشْقَرِهَا . فَطَرَدَتْهَا
 عَنْ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ ظَهَرَ . وَتَسَوَّرَ الْحَائِطَ وَزَفَرَ . وَفِي يَدَيْهِ
 أَلْمُنَى حَجَرٌ . يَتِمَادَى كَأَلَيْثٍ إِذَا خَطَرَ . فَضْرَبَ الْفُحْلَ بِذَلِكَ الْحَجَرِ
 فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَأَبَادَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ الْفُحْلَ سَقَطَ لِحْنِيهِ وَأَنْقَابُ .
 تَوَقَّدَتْ فِي جِمَرَاتِ الْغَضَبِ . فَتَنَاوَلْتُ ذَلِكَ الْحَجَرَ بَعْنِيهِ فَضْرَبْتُهُ
 بِهِ . فَكَانَ سَبَبَ حَيْنِهِ وَلَقِيَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِ . وَالْمَرْءُ مَقْتُولٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ .
 بَعْدَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً . وَصَرَخَ صَرَخَةً أَلِيمَةً . فَاسْرَعْتُ هَارِبًا
 مِنْ مَكَانِي . فَلَمْ أَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ هَذَيْنِ الشَّابَّيْنِ فَأَمْسَكَا نِي .
 وَأَحْضَرَانِي كَمَا تَرَانِي . قَالَ عَمْرُ : قَدْ اعْتَرَفْتَ . بِمَا اقْتَرَفْتَ . وَتَعَذَّرَ
 الْخِلَاصُ . وَوَجَبَ الْقِصَاصُ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصُ . فَقَالَ الشَّابُّ :
 سَمِعْنَا وَطَوْعًا لِمَا حَكَمَ الْإِمَامُ . وَرَضِيتُ بِمَا أَقْضَيْتَهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ .
 وَلَكِنْ لِي أَخٌ صَغِيرٌ . كَانَ لَهُ أَبٌ خَيْرٌ . خَصَّهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِمَالٍ جَزِيلٍ .
 وَذَهَبٍ جَلِيلٍ . وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيَّ . وَسَأَمُ أَمْرُهُ إِلَيَّ . وَأَشْهَدُ اللَّهَ

الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء

٣١٠ حكي أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَالِسًا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ
وَعِنْدَهُ أَكْبَارُ الصَّحَابَةِ . وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالْإِهَابَةِ . وَهُوَ فِي الْقَضَايَا .
يُخِصُّكُمْ بَيْنَ الرَّعَايَا . إِذْ أَقْبَلَ شَابٌّ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ . نَظِيفُ
الْأَثْوَابِ . يَكْتَسِفُهُ شَابَّانٌ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ أَيْضًا . وَقَدْ جَذَبَاهُ
وَسَحَبَاهُ . وَأَوْقَفَاهُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِبَّاهُ . فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ
يَدَيْهِ . نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَحْنُ أَخَوَانِ شَقِيقَانِ .
جَدِيدَانِ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ حَقِيقَانِ . كَانَ لَنَا أَبُو شَيْخٍ كَبِيرٌ . حَسَنُ
التَّدْبِيرِ . مُعْظَمٌ فِي قِبَالِهِ . مُنَزَّهٌ عَنْ رَذَائِلِهِ . مَعْرُوفٌ بِفَضَائِلِهِ .
رَبَّنَا صَغَارًا . وَأَوْلَا نَامِتًا غَرَارًا . كَمَا قِيلَ فِي الْمَعْنَى :

لَنَا وَالِدٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أَبٌ آخَرُ أَغْنَاهُمْ بِالْمُنَاقِبِ
فَخَرَجَ الْيَوْمَ إِلَى حَدِيقَةٍ لَهُ يَتَنَزَّهُ فِي أَشْجَارِهَا . وَيَقْتَطِفُ يَانِعَ
أَثْمَارِهَا . فَقَتَلَهُ هَذَا الشَّابُّ . وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ . فَسَأَلَكَ
الْقَصَاصَ عَمَّا جَنَاهُ . وَالْحُكْمَ فِيهِ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ . قَالَ الرَّأْيِيُّ : فَنَظَرَ
عُمَرُ إِلَى الشَّابِّ . وَقَالَ لَهُ : قَدْ سَمِعْتَ فَمَا الْجَوَابُ . وَالْغُلَامُ مَعَ ذَلِكَ
ثَابِتُ الْجُنَانِ . خَالَ عَنْ الْإِسْتِيْشَاشِ . قَدْ خَلَعَ ثِيَابَ الْهَلَمِ . وَزَرَ
لِبَاسَ الْجَزَعِ . فَتَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْجُمَانِ . وَتَكَلَّمَ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ . وَحَيًّا
بِكَلِمَاتٍ حِسَانٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَقَدْ وَعَيْتُ . فِي مَا أَدْعَايَا
وَصَدَقَا . فِي مَا نَطَقَا . وَأَخْبَرَا بِمَا جَرَى . وَعَبَّرَا عَمَّا طَرَا . وَسَأَنْهِي

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

هارون بن عبد الله والفيل

٣٠٩ قَالَ الْقُرَوَيْنِيُّ: كَانَ هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْأَزْدِ شَجَاعًا شَاعِرًا. وَلَمَّا حَارَبَ الْهِنْدُ الْمُسْلِمِينَ بِالْفِيلِ لَمْ يَقِفْ قُدَّامَ الْفِيلِ شَيْءٌ. وَقَدْ رَبَطُوا فِي خُرْطُومِهِ سَيْفًا هَذَا مَا طَوِيلًا ثَقِيلًا يَضْرِبُ بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا يَرَفَعُهُ فَوْقَ رَأْسِ الْفِيَالَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ. فَوَثَبَ هَارُونُ وَثَبَةً أَتَجَلَّهَ بِهَا عَنْ الضَّرْبِ وَلَزِقَ بِصَدْرِ الْفِيلِ وَتَعَلَّقَ بِأَنْبَاهِهِ. فَجَالَ بِهِ الْفِيَالُ جَوْلَةً كَأَدَى مِخْطُمِهِ مِنْ شِدَّةِ مَا جَالَ بِهِ. وَكَانَ هَارُونُ شَدِيدَ الْخُلُقِ رَابِطَ الْجَلَّاشِ. فَأَعْتَمَدَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ عَلَى نَائِيهِ وَأَصْلَهُمَا جُجُوفٌ فَأَنْقَلَعَتَا مِنْ أَصْلِهِمَا. وَأَذْبَرَ الْفِيلُ وَبَقِيَ النَّابَانِ فِي يَدِ هَارُونِ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَزِيمَةِ الْهِنْدِ وَغَنِمِ الْمُسْلِمُونَ. فَقَالَ هَارُونُ فِي ذَلِكَ:

مَشَيْتُ إِلَيْهِ رَادِعًا مُتَمَهِّلًا وَقَدْ وَصَلُوا خُرْطُومَهُ بِجِسَامِ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّهُ الْفِيلُ ضَارِبًا بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ هُذَامِ
فَإِنْ تَنَكَّيَا مِنْهُ فَعُذْرُكَ وَاضِحٌ لَدَى كُلِّ مَنْخُوبِ الْفُؤَادِ عِبَامِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ كَمَا لَاحَ بَرْقٌ مِنْ خِلَالِ غَمَامِ
فَعَاقَسْتُهُ حَتَّى لَزِقْتُ بِصَدْرِهِ فَلَمَّا هَوَى لَازِمْتُ أَيَّ لِزَامِ
وَعُذْتُ بِنَائِيهِ وَأَذْبَرَ هَارِبًا وَذَلِكَ مِنْ عَادَاتِ كُلِّ مُحَامِي

لِلَّهِ أَيَّامٌ تَقْصُتُ لِي بِهَا مَا زِلْتُ نَحْوَ ظِلَالِهَا مُتَشَوِّقًا
 هِيَ مَشَايَ لَا حَاجِرٌ وَطَوِيلٌ وَمَحَلُّ أُنْسِي لَا الْغَوِيْرُ وَلَا النَّقَا
 وَطَنِي وَأَوَّلُ مَا وَطِئْتُ بِهَا الثَّرَى لَا زَالَ عَيْشِي عَنْ حِمَاهَا مُطْلَقًا
 لُذْ يَا فُؤَادِي بِمَا بِهَا مِنْ مَعَشِرٍ إِنْ سَامَكَ الْخُطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقَا

سقاية وأَعْظَمَهَا سقاية باب جيرون . وذكر ان حول باب جيرون من الابنية الغربية ما يطول وصفه . وذكر باب جيرون فقال : يخرج من دهليز الى بلاط طويل عريض له خمسة ابواب مقوَّسة لها ستة اعمدة في جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه راس الحسين قبل ان ينقل الى القاهرة بازائه مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز . وقد انتظمت امام البلاط ادراج يتخدر عليها الى الدهليز وهي كالحندق العظيم تصل الى باب عظيم الارتفاع يتخير الطرف دونه سموًا . قد حفَّته اعمدة كالجدوع طولًا وكالاطواد ضخامة وبجاني الدهليز اعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم . وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبوت للكرام مشرفة على الدهاليز . وفوقها سطح بيت فيه سكان الحجر والبوت وفي وسط الدهاليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تُقَلِّها اعمدة من الرخام . وفي وسط الحوض انبوب صُفر يزجج الماء بقوة فيرتفع في الهواء ازيد من القامة . وحوله انابيب صغار ترمي الماء علوًا فتخرج منها كقضبان البَين فكأَنَّها اغصان تلك الدوحة المائتة . ومنظرها ابداع من ان يوصف . وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامه شبه غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صُفر وقد فتحت ابوابًا صغارًا على عدد ساعات النهار ودُبِرت تداوير هندسية . فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من في بازيين من صفر قائمتين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يَدَانِ اعناقها للصنجيتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تتغيَّلُ الاوهام سحرًا . فعند وقوعها يسمع لها دويٌّ فيعودان من الانتقاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينغلق الباب تلك الساعة بلوح اصفر . فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتتغلق الابواب كلها . ثم تعود الى حالاتها الأولى ولها بالليل تدبير آخر . وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من الخاس مخترمة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة . فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة شعاعًا فلاحَت دائرة محمَّرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل . وقد وكل بها من يدبّر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصبح الى موضعه وهي التي تُسمَّى المِقَانَة . ثم ذكر في دمشق عجائب ليس من غرضنا اثباتها (للشرشي)

قَدْ أَتَيْتُ صُنَاعَهُ بَيَانَهُ فَاتَى الْمُرْخِفُ زَانَهُ وَتَأَنَّنَا
 وَتَرَى دُرُوسَ الْعِلْمِ فِيهِ دَائِمًا فِي كُلِّ فَنٍّ مَنْ تَدَاوَلَهُ رَقَى
 وَثَلَاثُ هَاتِيكَ الْمَآذِنِ تَجَلَّى مِثْلَ الْعَرَائِسِ قَدْ لَبَسْنَ الْيَلَمَقَا
 مِنْ فَوْقِهَا أَهْلُ الْأَذَانِ تَرَسَّلُوا بِتَرْنَمٍ يُشْجِي الْفُؤَادَ الشَّيْقَا
 وَالْعَشْرَةُ الْأَبْوَابُ لَمَّا أَنْ زَهَتْ فَتَحَتْ عَلَى الْمُشْتَقِ بَابًا مُغْلَقًا
 يَأْخُذُكَ الصَّخْنُ أَشْرَقَ وَانْجَلَى فَعَدَا بِهِ مَاءُ الْلَسِيمِ مُرْفَقًا
 فِيهِ الصَّخَابُ رَوَاحِيًا وَغَوَادِيَا مَا بَيْنَهُ وَتَجْمَعًا وَتَفْرُقَا
 مِنْ حَوْلِهِ الْأَسْوَاقُ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى مِثْلَ النَّهَارِ بِمَا بِهَا قَدْ عَلَقَا
 فِيهَا تَرَى مَا تَشْتَهِي وَتَلَذُّهُ وَيُوتُ قَهْوَاتٍ شَذَاهَا عَبَقَا
 هِيَ شَامِنَا أَعْلَى الْإِلَهِ مَنَارَهَا وَبِهَا آدَمَ اللَّهُ عَيْشًا رَيَقَا
 لَمْ تَرْضَ عَيْنِي غَيْرَهَا مِنْ مَنْظَرٍ وَلِذَا تَرَى قَلْبِي بِهَا مُتَعَلِّقَا

وسقف الجامع كله من خارج الواح رصاص . واعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالحراب
 وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من
 الحراب الى الصحن . والقبة قد اغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلًا . ومن اي جهة
 استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو . وعدد شمساتها الزجاجية المذهبة الملوثة
 اربع وسبعون . فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل
 ذلك بالجدار القبلي . ويتصل بالإبصار منها اشعة ملوثة هائلة لا تبلغ العبارة تصورها . ومخرباها
 من اعجب الحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهابا كله . قد قامت في وسطه محاريب
 صفار متصلة بجداره تحفها سويريات مفتولات فتل الاسورة . فانها مغروطة بعضها احمر كأنها
 مرجان لم ير شيء اجمل منها . وله اربعة ابواب وباب جديرون اعظمها وله وللفري دهلين
 متسعة يفضي كل دهلين منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة . فبقيت على حالها
 ثم ذكر ابن جبير في الصحن عجائب من الابنية والقباب والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه
 واختصاره انه قال : هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها . وللجامع اربع سقايات في كل جهة

كَيْفَ اتَّجَهْتَ يَخْرُجُ نَحْوَكَ مَاؤُهُ وَإِلَيْكَ يَرْكُ كُلُّ غُصْنٍ أَوْرَقًا
 يَا حَبْدًا إِشْرَاقُ مَرْجَبِهَا الَّتِي أَضْحَى غَنِيَّ أَلْهَمَ فِيهَا مُمْلَقًا
 وَتَلَاعَبَتْ فُرْسَانُهَا وَتَرَكَضَتْ مَا بَيْنَهَا تَعَالَوْ الْجِيَادُ السُّبْقَا
 ضَحَكَتْ أَزَاهِرُهَا عَلَى أَغْصَانِهَا فَأَتَى السِّيمُ يُمِيلُهُنَّ وَصَفَقَا
 قَدْ دَنَدَنْتُ أَنْهَارُهَا فِي جَرِيهَا لَمَّا شَدَا ذَاكَ الْحَمَامُ وَشَقَشَقَا
 وَالصَّالِحِيَّةُ يَا لَهَا مِنْ مَنْزِلٍ فِيهَا قُبُورُ الصَّالِحِينَ أُولِي التُّقَى
 وَبِهَا الْقُصُورُ الْعَالِيَاتُ تَزَخَّرَتْ مِثْلَ النُّجُومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنْ أُرْتَقَى
 تَسْمُو عَلَى أَطْرَافِ جَلَّتْ بِهَجَّةٍ وَطَلَاوَةٌ فِيهَا السُّرُورُ تَحَقَّقَا
 سُقِيتْ دِمَشْقُ الشَّامِ صَوْبَ غَمَامَةٍ أَشْفَى عَلَى غِيَطَانِهَا فَتَدَقَّقَا
 كَمْ زَهَّةٌ لِلْعَيْنِ فِيهَا قَدْ زَهَتْ وَسَرَتْ عَلَى طَرَفِ الْهُمُومِ فَأَطْرَقَا
 مَا الْجَامِعُ الْأُمَوِيُّ (*) إِلَّا زَهَّةٌ فِيهَا تَرَاهُ بِالْعِبَادَةِ مُشْرِقَا

(*) ذكر ابن جبير جامع دمشق قال : هذا الجامع من أشهر جوامع الاسلام حسناً
 وانقاراً بناءً وغرابةً صنعةً واحتفالاً تنسيقاً وترتيباً . انتدب لبنائه الوليد وبلغ الغاية في
 التأنق فيه . وأنزلت جذرُهُ كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفُسَيْفَسَاء . وخلطت بها انواع من
 الاصبغة الغريبة قد مثَّلت اشجاراً وفُرَعَت اغصاناً منظومة بالفصوص بيدع الصنعة المعجزة وصف
 كل واصف . فجاء يغشي العيون وميضاً وبصيصاً . وبلغت النفقة فيه احد عشر الف الف دينار
 ومائتي الف دينار . وطول هذا الجامع من الغرب الى الشرق ذرعه ثلاثمائة ذراع . وذرعه في
 السعة من القبلة الى الشمال مائتا ذراع . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق الى
 المغرب سعة كل بلاطة منها ثمانى عشرة خطوة . وقد قامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها
 ٥٢ سارية و ٨ رجل واثنتان مرخمةً مُلصقةً بالحدار الذي يلي الصحن . واربعة ارجل مرخمة ابدع
 ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملوثة قد نُظمت خواتيم وصُورت محارِب واشكالاً غريبة
 قائمة في البلاط الاوسط . ودور كل رجل منها اثنان وسبعون شهراً . ويستدير بالصحن بلاط من
 ثلاث جهاته سبعة عشر خطاً . عدد قوائمه سبع واربعون منها اربعة عشر رجلاً والباقي سوار .

وَبَلْبُلُ الدَّوْحِ فَصِيحٌ عَلَى الْأَيْكَةِ وَالشَّخْرُورُ تَمَامٌ
وَتَسْمَةُ الرِّيحِ فِي ضَعْفِهَا لَهَا بِنَا صَرْ وَإِلَامٌ
٣٠٧ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَهْلٍ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :

أَطْرَفُ قَاتِ طَرْفِي أَمْ شِهَابٌ هَفَا كَأَلْبَرْقِ ضَرَمَهُ التَّهَابُ
أَعَارَ الصُّبْحُ صَفْحَتَهُ نِقَابًا فَقَرَبَهُ وَصَحَّ لَنَا النَّقَابُ
إِذَا مَا أَنْقَضَ كُلَّ النَّجْمِ عَنْهُ وَصَلَتْ عَنْ مَسَالِكِهِ السَّحَابُ
سَلَ الْأَرْوَاحَ عَنْ أَدْنَى مَدَاهُ فَعِنْدَ الرِّيحِ قَدْ يُنْفَى الْجَوَابُ

٣٠٨ قصيدة الشيخ عبد الغني النابلسي في وصف الشام

إِنْ سَامَكَ الْخَطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقَا فَأَنْزِلْ بِأَرْضِ الشَّامِ وَأَسْكُنْ جِلَقَا
تَجِدُ الْمَرَامَ بِهَا وَكُلَّ مُنَاكَ بَلْ وَتَرَى بِهَا عِزًّا وَتَفْصُحُ مَنْطَقَا
بَلَدٌ سَمَتْ بَيْنَ الْبِلَادِ مُحَاسِنَا وَنَمَتْ بِهَا وَأَسْتَرَادَتْ رَوْنَقَا
زَادَ السَّرُورُ بِهَا إِكْلٌ مُعْرِجٌ لَاسِيًا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التُّقَى
إِنْ تَعَشَّقُوا وَطَنًا فَذِي أَوْلَى لَكُمْ دُونَ الْبِلَادِ بَانَ تُحِبُّ وَتُعْشَقَا
خَيْرُ الْإِنْسَانِ أَنْاسُهَا يَرْعُونَ أَنْوَاعَ الْوُدَادِ وَيَحْفَظُونَ الْمُوثَقَا
هِيَ جَنَّةٌ لِلطَّائِعِينَ مُعَدَّةٌ يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَرُونَ بِهَا شَقَا
طَابَتْ هَوَاءٌ لِلنَّفُوسِ وَمَاؤُهَا عَذْبٌ زَلَالٌ سَائِغٌ لِمَنْ أَسْتَقَى
جَلَّتْ مُحَاسِنُهَا عَنِ التَّعْدَادِ فَلَنَاتٍ بِمَا يُخْتَارُ مِنْهُ وَيُنْتَقَى
يَا حُسْنَ وَادِيهَا وَطِيبَ شِمِيمِهِ قَدْ فَاحَ عَرَفُ الزَّهْرِ فِيهِ وَعَبَقَا
وَرَأَسَاتُ أَطْيَارِهِ بَيْنَ الرَّبِّي سَحَرًا فَهَيَّجَتِ الْفُؤَادَ الشِّيقَا

مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ أَوْ أَخْضَرٍ نَضِرٍ أَوْ أَصْفَرٍ فَاتِحٍ أَوْ أَبْيَضٍ يَبْقُ
 وَالسُّحْبُ تَبْكِي وَتَغْرُ الْبَرْقُ مَبْتَسِمٌ وَالطَّيْرُ تَسْجُجُ مِنْ تَيْهِ وَمِنْ أَتَقِ
 فَالطَّيْرُ فِي طَرَبٍ وَالسُّحْبُ فِي حَرْبٍ وَالْمَاءُ فِي هَرْبٍ وَالْغُصْنُ فِي قَلَقِ
 ٣٠٣ قَالَ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ يَصِفُ دِجْلَةَ فِي الظَّلَامِ وَالْقَمَرُ يَلْمَعُ عَلَيْهَا:
 أَحْسَنَ بِدِجْلَةَ وَالِدُجَى مُتَصَوِّبٌ وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مُغْرِبٌ
 فَكَأَنَّهَا فِيهِ بِسَاطُ أَرْزَقُ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَازُ مُذْهَبٌ
 ٣٠٤ وَقَالَ أَيْضًا:

كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بِدْرَهَا مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَبْلَ أَنْ تَغِيْبَا
 وَالْبَدْرُ يَخْنُجُ لِلْأَفْوَلِ كَأَنَّهُ قَدْ سَلَ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبَا
 ٣٠٥ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي حَمَامَةٍ:

وَمَا نَارِحَاتُ سَاجِعَاتُ بِشَجْبِ وَهَآ تَرْمَحُ أَغْصَانُ النَّقَا وَتَرْتَمِ
 تَنُوحُ بِلَا إِلْفٍ وَتُمْلِي غَرَامَهَا عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَالطَّلُّ يَرْقُمُ
 وَتُقَرِّبُ فِي الْحَانِهَا وَفَنُونِهَا فَتُقَرِّبُ عَنْ أَشْجَانِهَا وَهِيَ تَعْجُمُ
 وَتَنْظُرُ فَرْخِيهَا قَدْ اخْتَطَفَتْهَا كَوَاسِرُ أَطْيَارٍ عَلَى الْأَفْقِ حُومُ
 تَرَامَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى عَنْ وَكُونِهَا فَلَا عَيْشَهَا يَصْفُو وَلَا يَتَصَرَّمُ
 بِأَكْرَمِ مَنِي لَوْعَةٍ وَصَبَابَةٍ سِوَى أَنَّهَا تُبْدِي الْغَرَامَ وَآكُمُ
 ٣٠٦ مِنَ الْمُعْجَبِ قَوْلُ بَدْرِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ لُؤْلُؤٍ مِنْ قَصِيدَةٍ:

بَاكِرٌ إِلَى الرُّوضَةِ تَسْتَجْلِهَا فَتَغْرُهَا فِي الصُّبْحِ بَسَامُ
 وَالنَّرْجِسُ الْغَضُّ اعْتَرَاهُ الْحَيَا فَغَضَّ طَرَفًا فِيهِ أَسْقَامُ

ذَلِكَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَضَرٍ تَقِيهِ نَفْسِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ
 ٣٠٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا طَاهِرُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ وَخَرَّبَ بِنَاءَهَا :

بَكَتْ دَمًا عَلَى بَغْدَادَ لَمَّا فَقَدْتُ نَضَارَةَ الْعَيْشِ الْأَنِيقِ
 تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورٍ وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
 أَصَابِنَا مِنَ الْحُسَادِ عَيْنٌ فَافَّتْ أَهْلَهَا بِالْمُخْنِيقِ
 وَقَوْمٌ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَسْرًا وَنَائِحَةٌ تَنُوحُ عَلَى غَرِيقِ
 وَصَائِحَةٌ تُتَادِي وَاصْبَاحًا وَبَاكِةٌ لِفَقْدَانِ الشَّقِيقِ
 تَفِرُّ مِنَ الْحَرِيقِ إِلَى الْتِهَابِ وَوَالِدَهَا يَفِرُّ إِلَى الْحَرِيقِ
 حَيَارَى هَكَذَا وَمَفَكَّرَاتٌ عَلَيْهِنَ الْقَلَائِدُ فِي الْحُلُوقِ
 يُتَادِينَ الشَّقِيقَ وَلَا شَفِيقُ وَقَدْ فُقِدَ الشَّقِيقُ مِنَ الشَّقِيقِ
 وَمُعْتَرِبٌ قَرِيبُ الدَّارِ مُلِقٌ بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعًا فَمَا يَدْرُونَ مِنْ أَيِّ الْفَرِيقِ
 فَمَا وَلَدٌ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ وَقَدْ فَرَّ الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ
 وَمَهْمَا أَنْسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى فَإِنِّي ذَاكِرُ دَارِ الرِّفِيقِ
 وَصَفَ صَفِي الدِّينِ الْحَلِّيُّ حَدِيثَهُ قَالَ :

وَأَطْلَقَ الطَّيْرُ فِيهَا سَجَعَ مَنْطِقِهِ مَا بَيْنَ مُخْتَلَفٍ فِيهَا وَمُتَّفِقِ
 وَالظِّلُّ يَسْرِقُ بَيْنَ الدُّوْحِ خُطْوَتَهُ وَلِلْمَيَّاهِ دَيْبٌ غَيْرُ مُسْتَرَقِ
 وَقَدْ بَدَأَ الْوَرْدُ مُفْتَرًّا مَبَايِمَهُ وَالنَّجَسُ الْغَضُّ فِيهَا شَاخِصُ الْحَدَقِ

تَأْتِيكَ لَيْلًا كَمَا يَأْتِي الْمُرِيبُ فَإِنْ لَاحَ الصَّبَاحُ طَوَّتْهَا دُونَهَا الْجُدُرُ
 ٣٠٠ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعَرِّي فِي الشَّمْعَةِ أَيْضًا :

وَصَفْرَاءُ لَوْنِ التَّبَرِّ مِثْلِي جَلِيدَةٌ عَلَى نُوبِ الْأَيَّامِ وَالْعَيْشَةِ الضَّنْكَ
 تُرِيكَ ابْتِسَامًا دَائِمًا وَتَجَلْدًا وَصَبْرًا عَلَى مَا نَابَهَا وَهِيَ فِي الْهَلَاكِ
 وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا لَقَالَتْ أَظُنُّكُمْ تَخَالُونَ أَنِّي مِنْ حِذَارِ الرَّدَى أَبْكِي
 فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجِدُّهُ فَقَدْ تَدَمَّعَ الْأَحْدَاقُ مِنْ كَثْرَةِ الضَّحْكِ

٣٠١ كَتَبَ الصَّابِيُّ فِي وَصْفِ الْبَغَاءِ إِلَى ابْنِ نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَغَاءِ :

الْقَهْرُ صَبِيحَةٌ مَلِيحَةٌ نَاطِقَةٌ بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ
 عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللَّسَانِ يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
 تُنْهِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارِ وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَ
 بِكَمَاءٍ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ تُعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ
 زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَاسْتَوْطَنْتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ
 صَيْفٌ قَرَأَهُ الْجَوْزُ وَالْأَرُزُّ وَالضَّيْفُ فِي إِيْتَانِهِ يَعْزُ
 تَرَاهُ فِي مَنَقَارِهَا الْخُلُوقِ كَلُولُوءٌ يُلْقِطُ بِالْعَقِيقِ
 تَمِيسُ فِي حَاتِمِهَا الْخَضْرَاءُ مِثْلُ الْفَتَاةِ الْعَادَةِ الْعُذْرَاءِ
 خَرِيدَةٌ خُدُورُهَا الْأَقْفَاصُ لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
 تَحْبِسُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ وَإِنَّمَا ذَاكَ لِقَرَطِ الْحَبِّ
 تِلْكَ الَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفٌ كُنَيْتُ عَنْهَا وَأُسَمُّهَا مَعْرُوفُ
 يُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرُ الزَّمَانِ أَلْكَاتِبُ الْمَعْرُوفِ بِالْيَانِ

أَوْ مَا تَرَى الْغَيْمَ الرَّقِيقَ وَمَا بَدَا
وَالسُّحْبُ تَقَعْدُ فِي السَّمَاءِ مَا تَمَّا
وَالْغَيْمُ يَحْكِي الْمَاءَ فِي جَرَيَانِهِ
فَأَبْكُرُ إِلَى رَوْضِ الصَّرَاةِ وَظِلِّهَا
٢٩٧ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زِيَارٍ فِي مَدِينَةِ وَادِي أَش :

وَادِي الْأَشَاتِ يَهِيحُ وَجَدِي كَلَمًا
لِلَّهِ ظِلُّكَ وَالْهَجِيرُ مُسَلَّطٌ
وَالشَّمْسُ تَرْغَبُ أَنْ تَقُوزَ بِلَحْظَةٍ
وَالنَّهْرُ يَنْسِيمُ بِالْحَبَابِ كَأَنَّهُ
فَلَذَاكَ تَحْذَرُهُ الْغُصُونُ فَمِائِلَهَا
٢٩٨ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ تَمِيمٍ :

مَذْقِيلٌ لِلْأَغْصَانِ إِنَّ الْوَرْدَ قَدْ
بَسَمَتْ تُغُورُ الْأَفْحْوَانِ مَسَرَّةً
٢٩٩ قَالَ الصَّابِيُّ فِي شُعْبَةٍ

وَلَيْلَةٌ مِنْ مَخَاقِ الشَّهْرِ مَذْجَنَةٌ
كَتَفْتُ نَفْسِي بِهَا الْإِدْلَاجَ مُتَطَيًّا
إِلَى حَيْبٍ لَهُ فِي النَّفْسِ مَنْزِلَةٌ
وَلَا دَلِيلٌ سِوَى هَيْفَاءِ مَخْطَفَةٍ
غُصْنٌ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ أَمْرٌ فِي
لَا النَّجْمُ يَهْدِي الشَّرَى فِيهَا وَلَا الْقَمَرُ
عَزَمَ أَهُوَ الصَّارِمِ الْعِصْمَامَةِ الذَّكَرُ
مَا حَاثَهَا قَبْلَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرُ
تَهْدِي الرِّكَابَ وَجُحَّ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ
أَعْلَاهُ يَأْقُوتَةُ صَفْرَاءُ تَسْتَعِرُ

وَالطَّلُّ فِي سِلَكَ الْغُصُونِ كُلُّوهُ رَطْبٌ يُصَافِحُهُ الْأَسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامُ يَنْقُطُ
٢٩٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ يَصِفُ رَوْضًا :

رَوْضٌ بِهِ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ فِي سِوَاهُ تُؤَلَّفُ
فَمِنْ الْهَزَارِ تَهَازَرُ وَمِنْ الْأَضْيَابِ تَتَّصِفُ
وَمِنْ الْأَسِيمِ تَلَطَّفُ وَمِنْ الْغَدِيرِ تَعَطَّفُ

زهريه صفي الدين الحلي

٢٩٦

وَرَدَ الرَّيْعُ فَرَحَبًا يوروده
وَيُحْسِنُ مَنَظَرَهُ وَطِيبَ نَسِيمِهِ
فَصَلُّ إِذَا أَفْتَحَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ
يُغْنِي الْمَزَاجَ عَنِ الْعِلَاجِ نَسِيمُهُ
يَا حَبِذَا أَزْهَارُهُ وَثَمَارُهُ
وَتَجَاوُبُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ
وَالْغُصْنُ قَدْ كَسَى الْغُلَائِلَ بَعْدَ مَا
نَالَ الصَّبَا بَعْدَ الْمَشِيبِ وَقَدْ جَرَى
وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْغُصُونِ كَأَنَّهُ
وَأَنْظُرْ لِنَرْجِسِهِ الْجَنِيِّ كَأَنَّهُ
وَأَعْجَبْ لَا ذَرِيُونَهُ وَبَهَارِهِ
وَأَنْظُرْ إِلَى الْمَنْظُومِ مِنْ مَشُورِهِ
وَبُنُورِ بَهْجَتِهِ وَنَوْرِ وُرُودِهِ
وَأَنِيقَ مَلَابِسِهِ وَوُشْيِ بُرُودِهِ
إِنْ سَأَلَ مُقَاتِلَهُ وَبَيْتَ قَصِيدِهِ
بِاللُّحْفِ عِنْدَ هُبُوبِهِ وَرُكُودِهِ
وَنَبَاتُ نَاجِيهِ وَحَبُّ حَصِيدِهِ
كَبَاتِ مَعْبَدٍ فِي مَوَاجِبِ عُدِهِ
أَخَذَتْ يَدَا كَانُونٍ فِي تَجَرِيدِهِ
مَاءُ الشَّيْبَةِ فِي مَنَابِتِ عُدِهِ
مَلِكٌ تَحَفُّ بِهِ سَرَاهُ جُنُودِهِ
طَرَفٌ تَنَبَّهَ بَعْدَ طُولِ هُجُودِهِ
كَاتِبٌ يَزْهُو بِاخْتِلَافِ نُقُودِهِ
مُتَنَوِّعًا بِفُضُولِهِ وَعُهُودِهِ

غَيْرُ عُبُوسٍ • لَيْسَتْ بِكَ بِطَلَّاقَةٍ • وَيُحْيِيكَ بِبَشَرٍ • وَيَسْتَدِيرُكَ بِكَرَمٍ
 غَيْثٍ وَجَمِيلٍ بِبَشَرٍ • تَبْهِيكَ طَلَّاقَتُهُ • وَيَرْضِيكَ بَشَرُهُ • ضَحَّاكَ عَلَى
 مَا بَدَتْهُ • عَبْدُ الضَّيْفَانِهِ • غَيْرُ مُلَاحِظٍ لِأَكِيلِهِ • بَطِينٌ مِنَ الْعَقْلِ •
 خَمِصٌ مِنَ الْجَمَلِ • رَاجِحُ الْحِلْمِ • ثَاقِبُ الرَّأْيِ • طَيِّبُ الْخُلُقِ •
 مُحَصِّنُ الضَّرْبَةِ • مُعْطٍ غَيْرُ سَأَالٍ • كَاسٌ مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ • عَارٍ مِنْ
 كُلِّ مَلَامَةٍ • إِنْ سُلِّ بَذَلٌ • وَإِنْ قَالَ فَعَلَّ (للقيرواني)

٢٩١ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ تَمِيمٍ فِي وَصْفِ نَاعُورَةٍ :
 وَنَاعُورَةٌ قَدْ أَلْبَسَتْ لِحْيَهَا مِنْ الشَّمْسِ ثَوْبًا فَوْقَ أَثَوَابِهَا الْخَضِرِ
 كَطَاوُسٍ بُسْتَانٍ تَدُورُ وَتَجْلِي وَتَقْضُ عَنْ أَرْيَاسِهَا بَلَلُ الْقَطْرِ
 ٢٩٢ قَالَ نُورُ الدِّينِ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي ذَوْلَابِ النَّاعُورَةِ :
 لِلَّهِ ذَوْلَابٌ يَفِيضُ بِسَلْسَلٍ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أُنِيعَتْ أَفْنَانَا
 قَدْ طَارَحَتْهُ بِهَا الْحَمَامُ تَجْوَهَا فَيُجِيبُهَا وَيُرْجِعُ الْأَلْحَانَا
 فَكَأَنَّهُ دَفٌّ يَدُورُ بِمَعْهَدٍ يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانََا
 صَاقَتْ مَجَارِي جَفْنِهِ عَنْ دَمْعِهِ فَتَفْتَحُ أَضْلَاعُهُ أَجْفَانَا
 ٢٩٣ قَالَ ابْنُ النَّبِّهَةِ :

وَرَوْضَةٌ وَجَنَاتُ الْوَرْدِ قَدْ حَجَلَتْ فِيهَا ضَحَى وَعُيُونُ التَّرْجِسِ انْفَتَحَتْ
 تَشَاجِرُ الطَّيْرِ فِي أَفْنَانِهَا سَحَرًا وَمَاتِ الْقُضْبُ لِلتَّغْنِيقِ وَأَصْطَلَحَتْ
 وَالْقَطْرُ قَدْ رَشَّ ثَوْبُ الدَّوْحِ مِيزَانُ رَأَى جَبَامِرَ الزَّهْرِ فِي أَذْيَالِهِ نَفَتْ
 ٢٩٤ قَالَ عَلِيُّ بْنُ رُسْتَمٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّاعَاتِيِّ :

وَأَنَا أَشَارِفُ النَّحُومِ . وَأَسَارِقُ النُّجُومِ . وَأَسَاقِ الرُّجُومِ . بِي تَكْثُرُ
الْبِدْعُ . بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ . وَيَظْهَرُ مِنَ الْفِتَنِ . مَا بَطَنَ . وَيَغْلِبُ مِنَ
الْتِتَارِ . وَأَهْلُ الْبَوَارِ وَالْحَسَارِ . أَنْوَاعُ الشُّرُورِ وَالْجِدَالِ . إِلَى حِينِ
يَظْهَرُ الدَّجَالُ . وَتَسْتَمِرُّ إِلَيَّ هَذِهِ الْأُمُورُ . إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ .
وَبِالْجُمْلَةِ وَالنَّقْصِيلِ . أَنَا شَيْخُ التَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ . وَتِلْكَ صَنَعَتِي مِنَ
الْأَبِيدَاءِ . وَحِرْفَتِي إِلَى الْإِنْتِهَاءِ . أَنَسَهُمْ مَرَامِي الْمَشُومَةِ نَافِذَةٌ فِي
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَسُيُوفُ مَنَاشِرِي الْمُسُومَةِ قَاطِعَةٌ فِي الْأَعَاجِمِ
وَالْأَعَارِبِ . كَمْ لِي فِي الْأَطْرَافِ وَالْأَفَاقِ وَالْأَكْنَافِ مِنْ قَاضٍ
وَنَائِبٍ . وَمَانِعٍ مِنَ الْخَيْرِ وَحَاجِبٍ . وَكَمْ لِي مِنْ جَائِي . مَنْوُطٍ
بِتَفْرِيقِ قُلُوبِهِمْ وَجَمْعِ سُودَائِهَا إِلَى بَائِي . وَكَمْ لِي فِي الزَّوَايَا . مِنْ
خَبَايَا . وَفِي أَصْحَابِ الرِّوَايَاتِ . مِنْ دَرَايَاتٍ . وَفَقِيهِ فِي النَّادِي . فَاقِ
الْحَاضِرَ وَالْبَادِي . يُعَلِّمُ لِي فِي الشَّيْطَنَةِ أَوْلَادِي . وَفِي الْبَيَاسَةِ
حَفْدَتِي وَأَجْنَادِي . وَبِالْجُمْلَةِ غَابُ الطَّوَائِفِ . وَارْبَابُ الْوُطَائِفِ .
عَلَى بَابِ خِدْمَتِي وَاقِفٌ . وَعَلَى طَاعَةِ مَرِاسِمِي لَيْلًا وَنَهَارًا عَاكِفٌ .
مُنَايَ مُنَاهُمْ . وَرِضَايَ رِضَاهُمْ . وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُ سِرِّي نَجَوَاهُمْ .
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ (ابن عربشاه)
٢٩٠ وَصَفَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ رَجُلًا فَقَالَ : إِنَّهُ بَسِيطُ الْكُفِّ . رَحْبُ
الصَّدْرِ . مُوْطَأُ الْأَكْنَافِ . سَهْلُ الْخُلُقِ . كَرِيمُ الطَّبَاعِ . غَيْثُ
مَغُوثٍ . وَبَحْرُ زُخُورٍ . وَضُحُوكُ السِّنِّ . بَشِيرُ الْوَجْهِ . بَادِي الْقَبُولِ .

وَبَعِيدِ الْحِدْثَانِ . أَضَلَّتْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ . بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالْوَسْوَاسِ .
وَكَانَ مِنْ جِنْسِ بَنِي آدَمَ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ عَالَمٍ خُدَّائِي وَمَعِي .
وَجُنْدِي وَتَبَعِي . مِنْهُمْ رُؤُوسُ الرُّشَادِ . وَعُلَمَاءُ الْعِبَادِ . وَعَلَى مَحَبَّتِي
مَضَوْا . وَبَاتَّبَاعِ أَوْامِرِي قَضَوْا . فَأَنَا فِتْنَةُ الْعَالَمِ . وَأَعْدَى أَعْدَاءِ بَنِي
آدَمَ . الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ . وَإِبْلِيسُ الدِّمِيمُ . اسْمُ ذَاتِي . وَوَصَفُ
صِفَاتِي . أَنَا رَأْسُ الْغَفَارِيَةِ الْمُتَمَرِّدِينَ . وَمَحَلُّ غَضَبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
خُلِقْتُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَطُبِعْتُ عَلَى الْإِقَاءِ الْبَوَارِ وَاللِّدْمَارِ . رُجُومُ
النُّجُومِ إِنَّمَا أُعِدَّتْ لِأَجْلِي . وَعَتَاةُ الْغَوَاةِ لَا تَصِلُ رُؤُوسَهَا إِلَى مَوَاطِئِ
رِجْلِي . الشَّيَاطِينُ تَسْتَمِدُّ مِنْ زَوَاحِرِ مَكْرِي . وَالزُّنْدِيقُ يَقْتَسِمُ مِنْ
ضَمَائِرِ فِكْرِي . لَمْ تَمْ قُضِيَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ الْغَابِرِ إِلَّا وَلِي شَرَكَةٌ فِيهَا .
وَلَا حَدَثَتْ مِحْنَةٌ لِنَبِيِّ وَلَا وَلِيٍّ إِلَّا وَأَنَا مُتَعَاطِيهَا . جَدِّي إِبْلِيسُ .
نَهَضَ جَدِّي التَّعِيسُ . وَإِلَى نُحُورِ آدَمَ هَوَى . فَعَصَى رَبَّهُ فَعَوَى . وَأَنَا
قُضِيْتُ بِالتَّسْوِيلِ . حَتَّى قَتَلَ قَائِنُ هَابِيلَ . أَنَا سَوَّلْتُ لِأَوْلَادِ يَعْقُوبَ .
وَحَاوَلْتُ فِي قُضِيَّةِ أَيُّوبَ . وَأَنَا كُنْتُ الْعَوْنَ . لِهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ .
وَجَرَّاتُ عَلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ . وَتَوَصَّلْتُ بِتَرْيِينِ الْوَسْوَاسِ .
لِقَاتِلِي الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ . وَدَعَوْتُ إِلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ
قَوْمَ مُوسَى . وَسَاعَدْتُ فِي التَّفْرِيقِ وَالْإِضْلَالِ بَيْنَ أُمَّةِ عِيسَى .
وَكَمْ أَغْوَيْتُ مِنْ بُلْدَانٍ . بِمَا ذَخَرْتُ مِنْ أَوْثَانٍ . وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ جَمْعٍ مِنْ
مُسْتَرْقِي السَّمْعِ وَطَنَ عَلَى أَذُنِي وَوَعَاهُ خَاطِرِي . وَوَقَّرَ فِي ذَهْنِي .

وَأِنْ دَنَتْ مِنَ الصِّغَارِ رَفَصَتْهُمْ . وَإِنْ دَارَ حَوْلَهَا أَهْلُ الدَّارِ
كَدَمَتْهُمْ . تَكْشُ عَلَى أَسْنَانِهَا . وَتَقْرِضُ فِي عِنَانِهَا . وَتَمْشِي فِي سَنَةِ
أَقْلٍ مِنْ يَوْمٍ . الْوَيْلُ لِرَاكِبِهَا إِنْ وَثَبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ . وَإِنْ رُمَتْ
تَقْدِيمُهَا تَأَخَّرَتْ . وَإِنْ لَكَزَتْهَا شَخَرَتْ وَنَخَرَتْ . مَنْ أَسْتَنْصَرَ بِهَا
خَذَلَتْهُ . وَمَنْ سَاقَهَا رَمَتْهُ . فَمَتَلَتْهُ . وَمَتَى حَمَلَتْهَا فَلَا تَنْهَضُ . وَتَقْرِضُ
فِي حَبْلِهَا . وَتُجْفِلُ مِنْ ظِلِّهَا . وَلَا تَعْرِفُ مَنْزِلَ أَهْلِهَا . كِدَامَةٌ . هَجَامَةٌ .
نَوَامَةٌ . كَانَتْهَا هَامَةٌ . وَهِيَ فِي الدَّوَابِّ شَامَةٌ . حُرُونَةٌ . مَلْعُونَةٌ . مَجْنُونَةٌ .
تَقْلَعُ الْوَتْدَ وَتُمْرِضُ الْجَسَدَ . وَتُقَتِّتُ الْكَبِدَ . وَلَا تَرُكُنْ إِلَى أَحَدٍ .
تَشْمِرُ وَتَعْدُرُ وَتَعَثُرُ . وَاقِفَةُ الصَّدْرِ . مَحْلُولَةُ الظَّهِيرِ . بَدَاءَةُ الْأَذْنَيْنِ .
عَمَشَاءُ الْعَيْنَيْنِ . طَوِيلَةُ الْأَصْبَعَيْنِ . قَصِيرَةُ الرَّجْلَيْنِ ضَيْقَةُ الْإِنْفَاسِ .
مُتَمَلِّعَةُ الْأَضْرَاسِ . صَغِيرَةُ الرَّاسِ . كَثِيرَةُ النَّفَاسِ . مَشْيُهَا قَلِيلٌ . وَجِسْمُهَا
نَحِيلٌ . وَرَاكِبُهَا عَلِيلٌ . وَهُوَ بَيْنَ الْأَعْزَاءِ ذَلِيلٌ . تُجْفِلُ مِنَ الْهَوَا . وَتَشْتُرُ
بِالنَّوَى . وَتُجْبَلُ بِشَعْرَةٍ . نَهَاقَةٌ . شَهَاقَةٌ . غَيْرُ مِطْرَاقَةٍ . وَتَحْشُرُ صَاحِبَهَا
فِي كُلِّ ضَيْقٍ . وَتَهْوِسُ عَلَيْهِ فِي الْمَكَانِ الْمَضِيقِ . وَتَنْقَطِعُ بِهِ فِي
الطَّرِيقِ عَنِ الصَّدِيقِ . وَتَعَضُّ رُكْبَةَ الرَّفِيقِ . وَهِيَ عَدِيمَةُ التَّوْفِيقِ .
عَلَى التَّحْقِيقِ . فَإِنْ رَدَّهَا فَأَكْرَمَ جَانِبَهُ . وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهَا فَأَصْفَعَ غَارِبَهُ . وَفَكَ
مَضَارِبَهُ . وَلَا تُخَوِّجُنِي أَنْ أَضَارِبَهُ . وَالسَّلَامُ (الكنز المذفون للسيوطي)

وصف ابليس لنفسه

٢٨٩ قَالَ شَيْخُ الْعَفَارِيَةِ الطُّغَاةِ الْمَصَالِيَةِ: إِنِّي مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

وَيُنَالُ مِنْهُمْ مَنْ غَيْرِ حَدِّهِمْ. حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَاؤُهُ مِنْ فَوْقِهِ
 الْبَدَى. وَغَذَاهُ مِنْ تَحْتِهِ الثَّرَى. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدْرُجُ لَبُهُ. وَيَغْنِي ذُبَابُهُ.
 فَيَنْمَاهِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةً بَيْضَاءً. إِذَا هِيَ غَبَرَةُ سَوْدَاءَ. فَإِذَا هِيَ
 زَبْرَجْدَةٌ خَضْرَاءَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ. فَلَمَّا وَقَفَ عُمَرُ عَلَى كَلَامِهِ
 قَالَ: لِلَّهِ دَرُكُ يَا ابْنَ الْعَاصِ لَقَدْ وَصَفْتَ لِي وَصَرَ حَتَّى كَأَنِّي شَاهِدْتُهَا

وصف دابة

٢٨٨ قِيلَ اشْتَرَى رَجُلٌ دَابَّةً مِنْ دَمِيرَةٍ. فَوَجَدَ بِهَا عُيُوبًا كَثِيرَةً.
 فَخَضَرَ إِلَى الْقَاضِي يَشْتَكِي حَالَهُ. وَمَا أَصَابَهُ مِنَ الْغَمِّ وَنَالَهُ. فَقَالَ لَهُ
 الْقَاضِي: مَا قِصَّتُكَ وَشُكْرَاكَ. وَمَا الَّذِي مِنَ الْأَلَمِ وَالْغَمِّ دَهَكَ.
 فَقَالَ: أَيُّهَا الْقَاضِي. إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضٍ. اشْتَرَيْتُ مِنْ هَذَا الْغَرِيمِ
 دَابَّةً اشْتَرَطَ لِي فِيهَا الصِّحَّةَ وَالسَّلَامَةَ. فَوَجَدْتُ بِهَا عُيُوبًا أَعْتَبَنِي
 نَدَامَةً. وَقَدْ سَأَلْتُهُ رَدَّهَا فَأَبَى. وَقَالَ عِنْدَ رُؤْيِيهِ إِيَّايَ: لَا أَهْلًا بِكَ
 وَلَا مَرْحَبًا. فَقَالَ الْقَاضِي: أَبْنِ مَا بِهَا مِنَ الْعُيُوبِ. وَإِلَّا جَعَلْتُكَ عَلَى
 هَذِهِ الْحَشَبَةِ مَصْلُوبًا. فَقَالَ: كُلُّهَا عُيُوبٌ وَذُنُوبٌ. وَهِيَ أَيُّهَا الْقَاضِي
 أَمْخَسُ مَرْكُوبٍ. وَأَخْسُ مَصْحُوبٍ. إِنْ رَكِبْتُهَا رَقِصَتْ. وَإِنْ نَحَسْتُهَا
 شَمِصَتْ. وَإِنْ هَمَزْتُهَا قَمِصَتْ. وَإِنْ لَكَزْتُهَا رَقِصَتْ. وَإِنْ سُسْتُهَا
 رَقِدَتْ. وَإِنْ نَزَلْتُ عَنْهَا شَرِدَتْ. تَقْطَعُ فِي يَدَيْهَا. وَتَصُكُّ
 بِرِجْلَيْهَا. حَدْبَاءُ جَرَبَاءُ كَبَّاءُ. لَا تَقُومُ حَتَّى تُحْمَلَ عَلَى الْحَشَبِ.
 وَلَا تَنَامُ حَتَّى تُكَبَّلَ بِالسَّابِ. إِنْ قَرُبْتُ مِنَ الْجِرَارِ كَسَرَتْهَا.

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٨٦ (قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَصِفُ قَوْمًا) : هُمْ لُبُوثُ غَابَاتٍ • وَغُبُوثُ
جَدَبَاتٍ • مَا فِي عُهُودِهِمْ خَوْرٌ • وَلَا فِي صَفْوِهِمْ كَدْرٌ • وَلَا فِي
خُدُودِهِمْ صَعَرٌ • وَلَا فِي عُيُونِهِمْ خَزَرٌ • وَلَا فِي صُدُورِهِمْ وَغَرٌ • وَلَا فِي
حَدِيثِهِمْ زَوْرٌ • وَلَا فِي قَوْلِهِمْ خَلْفٌ

وصف مصر

٢٨٧ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ
أَمِيرُ مِصْرَ : أَنَّ صِفَ لِي مِصْرَ • فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ • وَمِصْرُ
تُرْبَةٌ غَبْرَاءُ • وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءُ • طُولُهَا شَهْرٌ • وَعَرْضُهَا عَشْرٌ • يَكْنُفُهَا جَبَلٌ
أَغْبَرُ • وَرَمْلٌ أَغْفَرُ • يَخْطُ وَسَطُهَا نَهْرٌ مَيِّمٌ الْقِدَوَاتِ • مُبَارَكُ
الرُّوحَاتِ • يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ • كَجَرِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ •
تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ الْأَرْضِ وَيَنَابِيعُهَا • حَتَّى إِذَا أَصْلَحَ عَجَاجُهُ • وَتَعَظَّمَتْ
أَمْوَاجُهُ • لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْقُرَى إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِفَافِ
الْقَوَارِبِ • وَصِغَارِ الْمَرَائِبِ • فَإِذَا تَكَامَلَتْ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكْصَرَ عَلَى
عَقِبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمًا فِي جِدَّتِهِ • فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَهْلُ مِلَّةٍ
مَحْصُورَةً يُخْرِجُونَ مِنْ كُلِّ مَحَلَّةٍ أَدْلَةً • يَخْرِثُونَ بَطُونَ أَوْدِيَّتِهِ وَرَوَائِيهِ •
يَبْذُرُونَ الْحَبَّ • يَرْجُونَ الثَّمَارَ مِنَ الرَّبِّ لِغَيْرِهِمْ مَا سَعَوْا مِنْ كَسْبِهِمْ •

٢٨٤ وَقَالَ مُلْغَزًا فِي دُرَّةٍ :

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْجَمَادَاتِ يُلْفَى وَتَرَى ذَلِكَ الْجَمَادَ عَزِيزًا
وَتَرَى الرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانٍ وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى الْعُودِ يَوْمًا
أَوْ بَدَا فِي مُقَقَّصٍ فَأَبْنُ بُرْدٍ كُهُ طَائِرٌ وَفِي ثُلْثِيهِ
كُهُ عَاطِلٌ بِهِ تَحَلَّى وَتَرَاهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ عَظِيمًا
عَكْسُهُ فِي تَضَخُّفِهِ زِدْ بِقِصِّهِ وَإِذَا لَمْ تَذَرِ التَّصَاحِيفَ ذَرَهُ
وَبِخَرِيفِهِ تُوَدِّبُ مَنْ شِئْتَ إِذَا كَانَ يَجْمَلُ الْعِرْفَانَا
ثَلَاثَةُ دُرٍّ نَفِيسٌ وَفِيهِ إِذَا جَاءَ يَصْحَبُ الْمَرْجَانَا
لَكِنَّ الثَّلَاثُ عِنْدَهُ نِصْفٌ وَخَشَرٌ وَهُوَ فِي الْبَرِّ نَافِرٌ وَإِذَا مَا
فَافْتَرَسَهُ بِالْحَلِّ إِنْ كُنْتَ لَيْثًا ٢٨٥ قَالَ الْحَمَوِيُّ فِي الْقِصَصِ :

أَيُّ مَعْنَى أَعْوَادُهُ بَيْتٌ شَدُو وَلِجْمُوعِهِ النَّبَاتِيُّ حُسْنٌ
مُرْقِصٌ مُطَرَّبٌ وَبِالْقَلْبِ صَفَقَ فُزْتُ مِنْ بَعْضِهِ بِسَجْعِ الْمُطَوَّقِ

٢٨٢ قَالَ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ مُنْغَرَّافِي بَابٍ أَيْضًا:
 أَيُّ شَيْءٍ تَرَاهُ فِي الدُّورِ وَالْكُتُبِ مَجَازًا هَذَا وَذَلِكَ مُحَقَّقٌ
 هُوَ زَوْجٌ وَتَارَةٌ هُوَ فَرْدٌ وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يُطْرَقُ
 وَطَلِقٌ فِي نَشَأَتِهِ وَلَكِنْ بِحَدِيدٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُوثَقُ
 وَهُوَ فِي الْقَلْبِ يَسْتَوِي وَتَرَاهُ بَانَ تَضَيَّفُهُ لِمَنْ يَتَرَمَّقُ
 فَأَجْبَنِي عَنْهُ بَقِيَتْ مُطَاعًا لَسْتُ فِي حَالَةِ الْفَضَائِلِ تَسْبَقُ

٢٨٣ قَالَ صَاحِبُ دَوَاوِينِ الْإِنْشَاءِ بِدَمْشَقٍ الْحَرُوسَةُ مُنْغَرَّافِي فَاخْتَةِ:
 وَمَاطَرٌ يَهْوَى الرِّيَاضَ تَنْزَهَا وَيَسْرَحُ فِي أَفْلَانِهَا وَيَغْرَدُ
 وَفِيهِ أَخٌ إِنْ تَهَتَّ عَنْهُ فَاخْتَهُ تَدُلُّ عَلَى مَا قَدْ عَنَيْتُ وَتُرْشِدُ
 هَذَا الْغُرُورُ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِِيَّةِ وَحَلَّهُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْعَجَمِيِّ يَقُولُهُ:
 أَيَّامَنْ لَهُ مَجْدٌ أَثِيلٌ وَسُودٌ غَدَا دُونَ مَرْقَاهُ سِمَاكَ وَفَرْقَدُ
 تُفِيدُ يَسَارَ الْمُقْتَرِينَ يَمِينُهُ وَيُسْرَاهُ مِنْ يَمِينِ الْعِمَامَةِ أَجُودُ
 سُؤَالُكَ عَنْ أَنْثَى طَرُوبٍ وَلَمْ تَرَلْ عَلَى عُودِهَا فِي الرُّوضِ تَشْدُو وَتَنْشُدُ
 وَتَجْدُبُنِي بِالطُّوقِ عِنْدَ نَشِيدِهَا لِنَحْوِ النَّصَابِيِّ لَا أَطِيقُ أَفْنَدُ
 وَمُذْبَانَ مِنْهَا الطَّرْفُ أَمْسَتْ بِعَكْسِهَا تَخَافُ الرَّدَى مِمَّنْ لَهَا يَتَرَصَّدُ
 وَإِنْ سُلِبَتْ ثَانِي الْأَخِيرِ فَإِنَّهُ عَلَى الْعَكْسِ خَافٍ بَلْ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
 فَأَوْهَاهُ مَعَ مَا يَلِيهِ وَطَرَفُهَا لَنَا فَاهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي فِيهِ يُقْصَدُ
 بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ عِزُّكَ بَادِخُ وَفِي مَفْرَقِ الْجُوزَا لَوَاؤُكَ يَعْقَدُ
 فَخِذَهُ مِينًا مُغْضِيًا عَنْ إِسَاءَتِي فَإِنَّكَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ وَمَقْصَدُ

ضَعِيفٌ وَكَمْ أَغْنَتْ مُجَاجَةٌ رَتْعَهُ فَمَيَّرًا بِهِ أَمْسَى وَمَرْبَعُهُ خَصْبٌ
يُرَى مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ طَوْرًا وَتَارَةً مِنَ الطَّيْرِ لَكِنْ دُونَهُ تُسَلُّ الْحُجُبُ
شَقِيٌّ لِنَفْعِ الْغَيْرِ يَسْجُنُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي السِّجْنِ أَكْلٌ وَلَا شَرْبٌ
٢٧٨ لِبَعْضِهِمْ فِي النَّجْرِ :

وَحَمَالٌ أَثْقَالُ الْبَرِيَّةِ قَادِرٌ وَيَعْجِزُ إِنْ حَمَلَتْهُ نِصْفَ دِرْهَمٍ
يَسِيرُ بِأَيْدِي النَّاسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَيَسْرِي بِلَا رِجْلٍ لَهُ سَيْرَ أَرْقَمٍ
٢٧٩ لِآخِرِ فِي الْفِكْرِ :

وَمَا شَيْءٌ يُجُوبُ الْأَرْضَ سَبْقًا وَيُبْصِرُ مَا أَرَادَ بِغَيْرِ عَيْنٍ
يُشَاهِدُ مَا يُرِيدُ بِأَلَا لُغُوبٍ وَلَا يَبْرَحُ بِأَلَا كَدَرٍ وَمَيْنٍ
٢٨٠ لِلْمُتَّبِعِي فِي الْحُمَى :

وَزَايِرَةٌ كَانَتْ بِهَا حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَذَلَتْ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَائِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتَوَسَّعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
٢٨١ وَمِنْ لَطَائِفِ مَا وَقَعَ فِي بَابِ الْأَلْغَازِ أَنَّ شَيْخَ الشُّيُوخِ بِحَمَاةٍ
كَتَبَ إِلَيَّ وَالِدِهِ مُلَغِّزًا فِي بَابٍ يَقُولُهُ :

مَا وَقِفْتُ بِالْخُرْجِ يَذْهَبُ طَوْرًا وَيَمُجِي
لَسْتُ أَخَافُ شَرَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ مُبْرِجًا

فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ فِي الْجَوَابِ : ذَهَابٌ وَمُجِيٌّ وَخَوْفٌ وَشَرٌّ هَذَا
بَابُ خُصُومَةٍ . وَالسَّلَامُ

بَطْنٍ بَارِدٍ جِدًّا وَلَكِنْ كُلُّهُ نَارُ

وَأَنْفَذَ الْغَزْنَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ عَلَى الْأَوَّلِ : هُوَ طَيْفُ الْخَيَالِ . وَكَتَبَ
عَلَى الثَّانِي : هُوَ الزَّبَقُ . فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ : هَبِ الْغَزَّ الْأَوَّلَ هُوَ طَيْفُ
الْخَيَالِ وَالْيَتِ الثَّانِي يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي الْيَتِ الْأَوَّلِ .
فَقَالَ : لِأَنَّ الْمَنَامَ يُفَسِّرُ بِالْعَكْسِ لِأَنَّ مَنْ بَكَى يُفَسِّرُ لَهُ بِالصَّحْكِ .
وَمَنْ مَاتَ يُفَسِّرُ لَهُ بِطُولِ الْحَيَاةِ . وَقَوْلُهُ فِي الثَّانِي هُوَ طَيَّارٌ أَنَّ أَرْبَابَ
صَنَعَةِ الْكِيمِيَاءِ يَرْمِزُونَ لِلزَّبَقِ بِالطَّيَّارِ وَالْفَرَارِ وَالْأَبْقِ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُنَاسِبُ صِفَتَهُ . وَأَمَّا بَرْدُهُ فَظَاهِرٌ . وَلِإِفْرَاطِ بَرْدِهِ ثَقُلَ
جَسْمُهُ وَجَرَمَهُ . وَكُلُّهُ نَارٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَتَشَكُّلِهِ فِي أُفْتِرَاقِهِ وَالتَّامِهِ .
فَأَعْجَبَا مِنْ ذِكَايِهِ وَتَوَقَّدَ عَقْلُهُ

(لبن حجة الحموي)

٢٧٥ قَالَ الصَّفْدِيُّ فِي الْمَدَامِ :

وَمَا شَيْءٌ حَشَاهُ فِيهِ دَاءٌ وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ سَوَاءٌ
إِذَا مَا زَالَ آخِرُهُ فَجُمِعَ يَكُونُ الْحَدُّ فِيهِ وَالْمَضَاءُ
وَإِنْ أَهْمَلْتَ أَوَّلَهُ فَفِعَلٌ لَهُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ اُعْتِنَاءُ

٢٧٦ لِابْنِ الْمُعْتَرِّ فِي شَمْعَةٍ :

صَفَرَاءُ مِنْ غَيْرِ عِلَلٍ مَرْكُورَةٌ مِثْلَ الْأَسَلِ
كَأَنَّهَا عُمُرُ الْفَتَى وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ

٢٧٧ لِلْحَلِيِّ فِي دُودِ الْقَرِّ :

وَمَا حَيَوَانٌ عَمَّسُهُ مِثْلَ طَرْدِهِ لَهُ جَسَدٌ سَبْطٌ وَلَيْسَ لَهُ قَلْبٌ

وَطَائِرٍ فِي وَكْرِهِ نَائِمٍ يَطِيرُ فِي الْأَرْضِ بِأَسْرَارِهِ
حَيَاتُهُ فِي قَطْعِ أَوْدَاجِهِ وَعَيْشُهُ فِي قَطْعِ مَنَاقِرِهِ
يَكْرَعُ مِنْ مُسْتَتَعٍ الْقَارِ كِي يَأْخُذَ بِالْمَنَارِ مِنْ قَارِهِ
٢٧٢ قَالَ ابْنُ بَصَاقَةَ مُلْغَزًا فِي الْبَيْضَةِ :

وَمَوْلُودَةٍ لَا رُوحَ فِيهَا وَإِنَّهَا لَتَقْبَلُ نَفْخَ الرُّوحِ بَعْدَ وَلَادِهَا
وَتَسْمُو عَلَى الْأَقْرَانِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَلَكِنْ سُمُوًّا لَمْ يَكُنْ بِمُرَادِهَا
أَرَادَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بَيْضَةَ الدَّجَاجَةِ وَفِي الثَّانِي بَيْضَةَ الْحَرْبِ
٢٧٣ أُنْشِدَ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَلَاوِيِّ رَجُلٌ لُغَزَا فِي شَبَابَةٍ فَقَالَ :

وَنَاطِقَةٍ خَرَسَاءَ بَادٍ شُحُوبُهَا تَكْنَفُهَا عَشْرُ وَعَنْهِنَّ نُحْبِرُ
يَلْدِي إِلَى الْأَسْمَاعِ رَجْعُ حَدِيثِهَا إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَنَحْرُ جَاشٍ مَنَحْرُ
٢٧٤ كَانَ ابْنُ شَيْبٍ مُقَدِّمًا فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ لَا يَكَادُ يَتَوَقَّفُ عَمَّا يُسْأَلُ
عَنْهُ . فَتَقَاوَضَ أَبُو غَالِبٍ بْنُ الْحَصِينِ وَأَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ
فِي أَمْرِ ابْنِ شَيْبٍ هَذَا وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَلِّ الْأَلْغَزِ . فَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ :
تَعَالَ حَتَّى نَعْمَلَ لُغَزًا مُحَالًا وَلِنَسْأَلَهُ عَنْهُ . فَنَظَّمَ أَبُو الْمَنْصُورِ :

وَمَا شَيْءٌ لَهُ فِي الرَّأْسِ رِجْلٌ وَمَوْضِعُ وَجْهِهِ مِنْهُ قَفَاهُ
إِذَا غَمَضْتَ عَيْنَكَ أَبْصَرْتَهُ وَإِنْ فَتَحْتَ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ
وَنَظَّمَ أَيْضًا :

وَجَارٌ هُوَ تَيَّارٌ ضَعِيفُ الْعَقْلِ ضَوَّارٌ
بِلَا لَحْمٍ وَلَا رِيشٍ وَهُوَ فِي الرَّمْزِ طَيَّارٌ

وَقَدْ ذَمَّ عِنْدَ أَهْلِهَا مَثْوَاهُ . وَصَفَرَتْ مِنْ نَائِلِهِمْ يَدَاهُ :

أَقَمْتُ فِيكُمْ عَلَى الْإِقْتَارِ وَالْعَدَمِ لَوْ كُنْتُ حُرًّا أَيْ النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ .
وَضَلْتُ أَبْيَ لَكُمْ عُدْرًا لَعَلَّكُمْ تَسْتَيْقِظُونَ وَقَدْ نِمْتُمْ عَنْ الْكَرَمِ .
وَلَا حَدِيثُكُمْ يُجْنِي بِهَا ثَمْرٌ وَلَا سَمَاؤُكُمْ تُهْلُ بِالْدِّيمِ .
أَوَغَلْتُ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَأَعْجَزَنِي نَيْلُ الرِّغَائِبِ حَتَّى أَبْتُ بِالْأَنْدَمِ .
٢٦٨ قَالَ أَحْمَدُ الشَّاهِينِي يُعْجِزُ أَبَا الْبَقَاءِ الصَّالِحِي السَّاحِرَ :

أَبَا الْبَقَاءِ حَلَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ فِيكَ الطَّبِيعَةُ قَدْ قَدَّتْ مِنَ الْحَجَرِ .
كَمْ تَدَّعِي بِعُلُومِ النُّجُومِ مَعْرِفَةً وَلَيْسَ تَفْرُقُ بَيْنَ النُّجُومِ وَالْقَمَرِ .
٢٦٩ هَجَا بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ قَبَائِلَ الْبَرَبْرِ فَقَالَ :

رَأَيْتُ آدَمَ فِي نَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ أَبَا الْبَرِّيَّةِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
أَنَّ الْبَرَابِرَ نَسَلُ مِنْكَ قَالَ إِذَا حَوَاءُ طَالِقَةُ إِنَّ كَانَ مَا زَعَمُوا

الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ

فِي الْأَلْفَاظِ

٢٧٠ لَغَزُّ فِي خَاتَمِ الصَّفَدِيِّ :

وَمُسْتَدِيرٌ رُوقُ الْعَيْنِ بِهَجْتِهِ كَأَنَّهُ مَلَكٌ نُجْمُ الدُّجَا فِيهِ
حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ قَدْ رُكِبَتْ فَإِذَا مَا قُلْتَ أَوَّلَ حَرْفٍ تَمَّ بَاقِيهِ

٢٧١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلَغِزًا فِي قَلَمٍ :

الرُّوحُ يَشْكُو لِحُثْمَانِ الْعَلِيلِ عَلَى عِلَاتِهِ فَإِذَا مَا طَبَّهُ رَحَلَا
٢٦٣ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَوْلُهُ فِي هَجْوِ قَاضٍ:

قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حَانُوتًا لِمَجْرِهِ وَقَدْ فَتَحْتَ لَكَ الْحَانُوتَ بِالْدِّينِ
بَيْنَ الْأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِلَا غَلَقٍ تَبْتَاعُ بِالْدِّينِ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
صَيَّرْتَ دِينَكَ شَاهِيئًا تَصِيدُ بِهِ وَلَيْسَ يَفْلَحُ أَصْحَابُ الشَّوَاهِينِ
٢٦٤ مِنْ شِعْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ يَهْجُو بَنِي الزُّبَيْرِ:

بَنِي أَسَدٍ لَا تَذْكُرُوا أَنْفَحَرِ إِنْكُمْ مَتَى تَذْكُرُوهُ تَكْذِبُوا وَتُحْمَقُوا
مَتَى تَسْأَلُوا فَضْلًا تَضْنُوا وَتُخْلُوا وَنِيرَانُكُمْ بِالْشَّرِّ فِيهَا تَحْرُقُ
إِذَا اسْتَبَقْتُ يَوْمًا قُرَيْشٍ خَرَجْتُمْ بَنِي أَسَدٍ سَكَنًا وَذُو الْحِجْدِ يَسْبِقُ
تَجِيئُونَ خَلْفَ الْقَوْمِ سُدَّ أَوْجُوهَكُمْ إِذَا مَا قُرَيْشٌ الْأَضَامِيمِ أَصْفَقُوا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ لِلَّوْمِ طَابَعًا يُلُوحُ عَلَيْكُمْ رَسْمُهُ لَيْسَ يَخْلُقُ
٢٦٥ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَذُمُّ أَهْلَ مَدِينَةِ قَاسٍ:

مَشَى اللَّوْمُ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشَرَّدًا يَجِبُ بِأَلَدِ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلَمَّا أَتَى فَلَسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
٢٦٦ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُرْجِ الْمُتَمِّمُ لَمَّا احْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ صُورَةَ بِمِصْرَ:

أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ دَارَ ابْنِ صُورَةَ وَلِلنَّارِ فِيهَا مَارِجٌ يَتَضَرَّمُ
كَذَا كُلِّ مَالٍ أَصْلُهُ مِنْ مَهَاوِشٍ فَعَمَّا قَالِيلٍ فِي نَهَابٍ يَغْرَمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَافِرٌ طَالَ عُمُرُهُ فَجَاءَتْهُ لَمَّا اسْتَبَطَّاهُ جَهَنَّمُ
٢٦٧ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بَنُ بَقِيٍّ لَمَّا أَنْصَرَفَ عَنِ الْمَغْرِبِ:

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَقْبَحُ مِنْ خَوَانٍ عَلَيْهِ الْخُبْرُ يَخْضُرُهُ الزَّحَامُ
٢٥٧ قَالَ آخِرُ :

لَقَدْ عَثَرْتُ بِجَنَحِ اللَّيْلِ رَجُلِي عَلَى شَخْصٍ وَلَمْ يَكُ فِي حِسَابِي
فَقَالَ مُجَابِبًا لِي أَنْتَ أَعْمَى فَقُلْتُ نَعَمْ وَدَوَّاسُ الْكِلَابِ
٢٥٨ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي بَعْضِ مَنْ هَجَاهُ :

وَلَقَدْ قَتَلْتُكَ بِالْهَجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ إِنَّ الْكِلَابَ طَوِيلَةُ الْأَعْمَارِ
٢٥٩ قَالَ جَرِيرٌ يَهْجُو الْفَرَزْدَقَ :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْفَرَزْدَقَ حَيَّةٌ وَمَا قَتَلَ الْحَيَّاتِ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي
٢٦٠ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي نَفْطَوَيْهِ :

لَوْ أُوحِيَ النَّحْوُ إِلَى نَفْطَاوِيهِ مَا كَانَ هَذَا النَّحْوُ يُعْزَى إِلَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنَصْفِ أُسْمِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِيَ صُرَاخًا عَلَيْهِ
٢٦١ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوَلِي فِي مَنْ هَجَرَهُ :

وَكَنتَ أَخِي بِالذَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَأَ نَبَوْتُ فَلَمَّا عَادَ عُدْتُ مَعَ الذَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالٍ عَدَدْتُكَ طَائِلًا وَلَا يَوْمَ إِدْبَارٍ عَدَدْتُكَ فِي وَثْرِ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ كِلَا حَالَتَيْكَ مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ غَدْرِ

٢٦٢ هَجَا ابْنُ خُرُوفٍ مَهْدَبُ الدِّينِ بْنِ الطَّيِّبِ :

إِنَّ الْأَعْيُرَجَ حَازَ الطَّبَّ أَجْمَعَهُ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا الْعِلَامَ وَالْعَمَلَا
وَلَيْسَ يَجْهَلُ شَيْئًا مِنْ غَوَامِضِهِ إِلَّا الدَّلَائِلَ وَالْأَمْرَاضَ وَالْعِلْمَالَا
فِي حِيلَةِ الْبُرْءِ قُلْتُ عِنْدَهُ حَيْلٌ بَعْدَ اجْتِهَادٍ وَيَدْرِي لِلرَّدَى حَيْلَا

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي الْهَجْوِ

٢٥٤ كَانَ الرَّشِيدُ أَحْمَدُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ صِفَاتُ وَأَخْلَاقُ
تَقْتَضِي أَنْ تُجَوَّدَ مَعَانِي الْهَجَاءِ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ وَلَا
يَزَالُ يَدَّعِي الذِّكَاءَ وَأَنَّ خَاطِرَهُ مِنْ نَارِهِ فَقَالَ فِيهِ ابْنُ قَادُوسٍ :
إِنْ قُلْتَ مِنْ نَارِ خُلِقْتُ وَفُقْتُ كُلُّ النَّاسِ فَهَمَّا
قُلْنَا صَدَقْتَ فَمَا الَّذِي أَطْفَاكَ حَتَّى صِرْتَ فَحْمًا

٢٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي بَحْرِ الْخَيْلِ :
يَرَاءَةُ غَرَّيْنِي مِنْهَا وَمِيضُ سَنَاءٍ حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْتَسِمًا
فَصَادَفَتْ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لَوْمَةٍ بِعَصَا مُوسَى لَمَا أُنْجِسَا
٢٥٦ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي آخِرِ :

أَبُو نُوحٍ دَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَعَدَّانِي بِرَائِحَةِ الطَّعَامِ
وَقَدَّمَ بَيْنَنَا لَحْمًا سَمِينًا أَكَلْنَاهُ عَلَى طَبَقِ الْكَلَامِ
فَلَمَّا أَنْ رَفَعْتُ يَدَيَّ سَقَانِي كُؤُوسًا خَمْرُهَا رِيحُ الْمُدَامِ
فَكَانَ كَمَنْ سَقَى الظَّمْآنَ إِلَّا وَكُنْتُ كَمَنْ تَغَدَّى فِي الْمَنَامِ
وَقَالَ أَيْضًا فِي غَيْرِهِ :

رَأَيْتُ أَبَا زَرَادَةَ قَالَ يَوْمًا لِحَاجِبِهِ وَفِي يَدِهِ الْحُسَامُ
لَنْ وَضَعَ الْهَوَانَ وَلَا حَاشَ شَخْصٍ لَا خُطْفَنَ رَأْسَكَ وَالسَّلَامُ

٢٥٠ وَمَا يُسْجَدُ لِعَبْدِنِ الْأَبْرَصِ قَوْلُهُ :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا إِنَّكَ عَنْ مَسْعَاتِنَا جَاهِلُ
 إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِآبَائِنَا فَسَلْ نَبَأَ أَيُّهَا السَّائِلُ
 سَائِلُ بَنَى حُجْرًا غَدَاةَ الْوَعَى يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ الْحَافِلُ
 قَوْمِي بَنُو دُودَانَ أَهْلُ الْحَجَى يَوْمًا إِذَا أَتَقَحَّتِ الْحَائِلُ
 كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَيْدٍ سَيِّدٍ ذِي نَفْحَاتٍ قَائِلُ فَاعِلُ
 مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعْلُهُ فِعْلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ
 لَا يَحْرِمُ السَّائِلُ إِنْ جَاءَهُ وَلَا يُعْغِي سَيِّبُهُ الْعَاذِلُ
 الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى يَذْهَلُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْبَاسِلُ

٢٥١ فَقَالَ كَبُيْمَدَحُ الْأَنْصَارِ :

لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ تَرَأَتْ بِهِمْ شَهْبَاءُ ذَاتُ مَعَاقِرٍ وَأَوَارِ
 وَرَثُوا السِّيَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ إِنَّ الْكِرَامَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ

٢٥٢ قَالَ الْمُتَنَبِّي :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجَاسِنَا بِأَنْبِي خَيْرٌ مِنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ
 أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْيِي وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مِنْ بِهِ صَمَمُ
 الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسِّيفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
 ٢٥٣ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ شَمْسٍ الْخِلَافَةِ :

أَنَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ مَالِي آفَةٌ سِوَى نَقْصٍ تَمَيِّزِ الْمُعَانِدِ فِي نَقْدِي
 وَرَبِّ جَهْوَلٍ عَابَنِي بِمَحَاسِنِي وَيَشْجُضُ الشَّمْسُ فِي الْأَعْيُنِ الرَّمْدُ

إِنِّي إِذَا كَانَ قَوِي فِي الْوَرَى عَمَّا فَإِنِّي عَاسِمٌ فِي ذَلِكَ الْعَاسِمِ
٢٤٨ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ يُحْيَى بْنُ بَقِيٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

هُوَ الشَّعْرُ أَجْرَى فِي مَيَادِينِ سَبْقِهِ وَافْرَجَ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّ مُبْهِمٍ
وَسَلَّ أَهْلُهُ عَنِّي هَلْ أُمْتَرْتُ مِنْهُمْ بِطَبْعِي وَهَلْ غَادَرْتُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ
سَلَكْتُ أَسَالِيبَ الْبَدِيعِ فَأَصْبَحْتُ بِأَقْوَالِي الرُّكْبَانُ فِي أَلْيَدِ تَرْتَمِي
وَرَبْتَمَا غَنَى بِهِ كُلُّ سَاجِعٍ يَرُدُّهُ فِي شَجْوِهِ وَالْتَرَمِ
وَضِيعِي قَوِي لِأَنِّي لِسَانُهُمْ إِذَا أَفْهِمَ الْأَقْوَامُ عِنْدَ التَّكَلُّمِ
وَطَلَبَنِي دَهْرِي لِأَنِّي زَنْتُهُ وَإِنِّي فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ أَدْهَمِ
٢٤٩ مِنْ شِعْرِ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ قَوْلُهُ :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ يَنْبُوا سُنَنًا لِلنَّاسِ تَتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيْرَتُهُ تَقْوَى إِلَهِهِ وَبِالْأَصْرِ الَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخْدَتَةٍ إِنْ اُخْلَاقُ فَأَعْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ
لَوْ كَانَ فِي النَّاسِ سَابِقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ
لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الرِّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ أَوْ وَارَثُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مُنِعُوا
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أَصْدَبُوا فَلَا ضَوْرَ وَلَا هَامَ
وَلَا يَضْنُونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَمَعُ
كَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعَ

عَلَى الرُّعْمِ وَنِي أَنْ أَرَى لَكَ سَيِّدًا
وَلِي هَمَّةٌ لَا تَرْتَفِي الْأَفْقَ مَقْعِدًا
لَحَزْتُ جَمِيعًا نَحْوَ وَجْهِ سُبْحَدَا
ذَكَاءٌ وَعِلْمًا وَاعْتِلَاءٌ وَسُودَدَا
مِنْ الْغَيْظِ مِنْهُ سَاكِنُ الْبَحْرِ مُزِيدَا
فَمَا ضَرَّنِي أَنْ لَا أَهْزُ الْمُهَنْدَا
فَإِنْ صَايِلَ الْمَشْرِفِي لَهُ صَدَى

وَإِنَّكَ عَبْدِي يَا زَمَانُ وَإِنِّي
وَمَا أَنَا رَاضٍ أَنَّنِي وَاطَى الثَّرَى
وَلَوْ عَلِمْتُ زُهْرَ النُّجُومِ مَكَانِي
أَرَى الْخَلْقَ دُونِي إِذَا أَرَانِي فَوْقَهُمْ
وَبَذَلُ نَوَالِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا
وَلِي قَلَمٌ فِي أَغْمَلِي إِنْ هَزَزْتُهُ
إِذَا صَالَ فَوْقَ الطَّرْسِ وَقَعَ صَرِيرُهُ
٢٤٥ لَا يَبِي الطَّحَّانُ الْقَيْنِي :

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
بَدَا كَوَكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَاقِبُهُ
تَسِيرُ الْمَنَآيَا حَيْثُ سَارَتْ كِتَابَتُهُ

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَابَ كَوَكَبُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مَسُودٌ

٢٤٦ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ :

وَأَسُودُ يَوْمَ الْإِنَابَاتِ وَنَعْتَلِي
وَمَتَى نَحْمَكُمُ فِي الْبَرِيَّةِ نَعْدِلِ
فِيهِمْ وَنَفْصِلُ كُلَّ أَمْرٍ مُضِلِّ

وَلَقَدْ ثَقَلْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
وَتَزُورُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رِكَابُنَا
وَنُحَاوِلُ الْأَمْرَ الْمَهْمَ خِطَابُهُ
٢٤٧ قَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ الْبَكْرِيُّ :

أَبَاؤُنَا الْغُرُّ مِنْ مُجْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ
إِلَّا إِلَى صَاحِبِكَ مِنَّا وَمُبْتَسِمٍ

إِنَّا لَنَبْنِي عَلَى مَا شَيْدَتْهُ لَنَا
لَا يَرْفَعُ الضَّيْفُ عَيْنًا فِي مَنَازِلِنَا

٢٤٢ وَمِنَ الْمُعْجَبِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ مُحِيرِ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :

لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَيَّيْتُ الْوَعْدَى فِي مَوْقِفٍ مَا الْمَوْتُ فِيهِ بِمَعْزِلٍ
لَتَرَى أَنَايِبَ الْقَنَاقَةِ عَلَى يَدَيَّ تَجْرِي دَمًا مِنْ تَحْتِ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
٢٤٣ قَالَ بَدْرُ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ يَتَهَدَّدُ بِمُورَانِكَ عَلَى لِسَانِ الظَّاهِرِ رُقُوقَ
السِّيفِ وَالرُّخِّ وَالنَّشَابِ قَدْ عَلِمْتُ مِنَّا الْحُرُوبَ فَسَلْ مِنْهَا تَلْيِيكََا
إِذَا التَّقِينَا تَجِدْ هَذَا مُشَاهِدَةً فِي الْحَرْبِ فَأَثَبْتُ فَأَمْرُ اللَّهِ آتِيكََا
بِخِدْمَةِ الْحَرَمَيْنِ اللَّهُ شَرَفَنَا فَضْلًا وَمَلَكْنَا الْأَمْصَارَ تَمْلِيكََا
وَبِالْجَمِيلِ وَحُلُوِ النَّصْرِ عَوْدَنَا خُذِ التَّوَارِيخَ وَأَقْرَأْهَا فَتَنِيكََا
وَمَنْ يَكُنْ رَبُّهُ الْفَتْاحُ نَاصِرُهُ فَمَنْ يَخَافُ وَهَذَا الْقَوْلُ يَكْفِيكََا

قصيدة ابن سناء الملك في الفخر

٢٤٤

سَوَايَ بَابِ الْمَوْتِ أَوْ يَرْهَبُ الرَّدَى وَغَيْرِي يَهْوَى أَنْ يَعِيشَ خُلْدًا
وَأَكِنِّي لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا وَلَا أَحْذَرُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ إِذَا عَدَا
وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَدِثُ الدَّهْرِ كَفَّهُ لَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أُمِدَّ لَهُ يَدَا
تَوَقَّدُ عَزْمِي يَتْرُكُ الْمَاءَ جَمْرَةً وَحِيلَةُ حَامِي تَتْرُكُ السِّيفَ مِهْرَدَا
وَمَرَطُ احْتِقَارِي لِلْأَنَامِ لِأَنِّي أَرَى كُلَّ عَارِمٍ حَلَى سُودَدِي سُدَى
وَيَأْتِي إِبَائِي أَنْ يَرَانِي قَاعِدَا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدَا
وَأَظْمَأُ إِنْ أَبْدَى لِي الْمَاءُ مِنْةً وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ الْحَجَرَةِ مَوْرَدَا
وَلَوْ كَانَ إِدْرَاكَ الْهُدَى بِتَذَلُّ رَأَيْتُ الْهُدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهُدَى
وَقَدَمَا بَغِيرِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَشِيدَا وَيِي وَبِفَضْلِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَمْرَدَا

خُلِقَ الرُّوحُ إِيَّايَ وَالْحُسَامُ الْهُندُوَانِي
وَمَعِيَ فِي الْمَهْدِ كَانَا فَوْقَ صَدْرِي يُؤْنِسَانِي
وَإِذَا مَا الْأَرْضُ صَارَتْ وَرْدَةً مِثْلَ الدِّهَانِ
وَالدِّمَا تَجْرِي عَلَيْهَا لَوْنُهَا أَحْمَرُ قَانِ
فَأَسْقِيَانِي وَأَسْتَعِيَانِي نَعْمَةً كَيْ تَطْرِبَانِي
أَطِيبُ الْأَصْوَاتِ عِنْدِي حُسْنُ صَوْتِ الْهُندُوَانِي
وَصَرِيرُ الرُّوحِ جَهْرًا فِي الْوَعْيِ يَوْمَ الطَّلَعَانِ
وَصِيَاحُ الْقَوْمِ فِيهِ وَهُوَ لِلْأَبْطَالِ دَانِ

٢٤١ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَمْدَانٍ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَقْرَعُ بِالْأَتَانَا فَوَارِسُهَا حُمْرُ الْعُيُونِ دَوَامِ
وَأَقْبَلَ رَهْجٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ غَمَامَةٌ دَجَنُ أَوْعِرَاضٍ قَتَامِ
وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَتَتْهَا عَصَابَةٌ ذَوُو نَجْدَاتٍ فِي اللَّائِي كِرَامِ
وَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً فَأَجَابَنِي فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بِعَزَلِ
يَقُودُهُمْ حَاوِيِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ نِدَاةُ الْوَعْيِ مِنْ شَأْنِكَ وَسَنَامِ
جَزَى اللَّهُ هَمْدَانَ الْجَنَانِ فَإِنَّهُمْ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْكَرِيمُ يُحَايِ
مَتَى تَأْتِيهِمْ فِي دَارِهِمْ تَسْتَضِيئُهُمْ سِهَامُ الْأَعَادِي عِنْدَ كُلِّ حِمَامِ
وَاقَوْمُ يُحِبُّونَ الْإِمَامَ وَهَدِيهِ تَبَتْ نَاعِمًا فِي غِبْطَةٍ وَطَعَامِ
إِذَا كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ سِرَاعُ إِلَى الْهَيْجَا بِكُلِّ حُسَامِ
أَقُولُ لَهُمْدَانَ أَدْخُلُوا بِسَلَامِ

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا نَذِلُّ لِحَافٍ عَلَيْنَا وَلَا نَرْضَى حُكُومَةَ حَافٍ
 مَلَكْنَا أَلْعَوَالِي بِالْمَعَالِي فَجَارُنَا وَرِثَانَعْنَ إِلَّا بَاءَ عِنْدَ اخْتِرَامِهَا
 تُؤَمِّرُنَا أَسْيَافُنَا وَرِمَاحُنَا إِذَا لَمْ يُؤَمِّرْنَا لَوَاءُ الْخِلَافِ
 بَيْنَنَا بِأَطْرَافِ الْأَسْتَةِ كَعَبَّةٌ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْشُشْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَلِمْ
 وَسَوْفَ نُجَازِي بِاللَّطَائِفِ أَهْلَهَا وَلَسَقِي زَعَافَ السَّمِّ أَهْلَ الْكَتَائِفِ
 ٢٣٩ قَالَ الْقُرَيْطُ بْنُ أُنَيْفٍ يَفْتَخِرُ بِقَوْمِهِ :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ
 لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً
 كَانَ رَبِّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا
 ٢٤٠ وَلِلَّهِ عَنَّتْ حَيْثُ يَقُولُ :

أَنَا فِي الْحَرْبِ أَلْعَوَانِ وَحُسَامِي مَعَ قَتَائِي
 غَيْرُ مُجْهُولِ الْمَكَانِ إِنِّي أَطْعَمُ خَضْمِي
 وَأَشْهَدَانِ شَاهِدَانِ وَهُوَ يَقْظَانُ الْجَنَانِ
 وَقَرَاهَا مِنْهُ دَانِ أَسْقِهِ كَأْسَ الْمُنَايَا

وَجَوَادًا مَا سَارَ إِلَّا سَرَى الْبَرِّ قُ وَرَاهُ مِنْ أَقْتِدَاحِ النَّعَالِ
 أَذْهَمُ يَصْدَعُ الدُّجَى بِسَوَادٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ كَالْهَلَالِ
 يَفْتَدِينِي بِنَفْسِهِ وَأَقْدِيهِ بِنَفْسِي يَوْمَ الْقِتَالِ وَمَالِي
 وَإِذَا قَامَ سُوقُ حَرْبِ الْعَوَالِي وَتَلَطَّى بِالْمُرْهَفَاتِ الصِّقَالِ
 كُنْتُ دَلَالًا وَكَانَ سِنَانِي تَاجِرًا يَشْتَرِي النُّفُوسَ الْغَوَالِي
 يَا سِبَاعَ الْفَلَاحِ إِذَا اشْتَعَلَ الْحَرْبُ بُ أَتْبَعِينِي مِنَ الْقِفَارِ الْخَوَالِي
 أَتْبَعِينِي تَرَى دِمَاءَ الْأَعَادِي سَائِلَاتٍ بَيْنَ الرَّبِّي وَالرِّمَالِ
 ثُمَّ عَوْدِي مِنْ بَعْدِ ذَاوِ اشْكُرِي بِي وَأَذْكُرِي مَا رَأَيْتَهُ مِنْ فِعَالِي
 وَخُذِي مِنْ جَاهِمِ الْقَوْمِ قُوَّتًا لِيْنِيكَ الصِّغَارِ وَالْأَشْبَالِ

٢٣٧ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ :

مَتَى مَا تَأْتِ يَثْرَبَ أَوْ تُرْدَهَا تَجِدْنَا نَحْنُ أَكْرَمَهَا جُدُودًا
 وَأَعْلَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ رُكْنًا وَالنِّهَا لِبَاغِي الْخَيْرِ عُودًا
 وَأَخْطَبَهَا إِذَا أُجْتَمِعُوا لِأَمْرٍ وَأَقْصَدَهَا وَأَوْفَاهَا عُهُودًا
 إِذَا نُدْعَى لِشَارٍ أَوْ لِحَارٍ فَتَحْنُ الْأَكْثَرُونَ بِهَا عَدِيدًا
 مَتَى مَا نُدْعَ فِي جُشَمٍ وَعَوْفٍ تَجِدُنِي لَا أَعْمَّ وَلَا وَحِيدًا
 وَحَوْلِي جَمْعُ سَاعِدَةِ بْنِ عَمْرٍ وَتَتِمُّنُ اللَّاتِ قَدْ لَبَسُوا الْحَدِيدًا
 زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ نَلْتُمُ مُلُوكًا وَزَعَمْنَا أَنَّنَا نَلْنَا عِيدًا
 وَمَا نَسْبِي مِنَ الْأَحْلَافِ وَتَرَا وَقَدْ نَلْنَا الْمُسُودَ وَالْمُسُودَا

٢٣٨ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

حِصَانِي كَانَ دَلَالُ الْمَنَايَا
وَسَيْفِي كَانَ فِي الْهَيْمِ طَيْبًا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي حُبِرَتْ عَنْهُ
وَلَوْ أُرْسِلْتُ رُحْمِي مَعَ جَبَانَ
مَلَأْتُ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي
إِذَا الْأَبْطَالُ قَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي
٢٣٥ وَقَالَ مُضَرَّسُ بْنُ رَبِيعٍ :

إِنَّا لَنَصْنَحُ عَنْ مَجَاهِلٍ قَوْمَنَا
وَمَتَى نَخَفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ
وَإِذَا بَوَّأُ صُعْدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ
وَنَعِينُ فَاغْلَبْنَا عَلَى مَا نَابَهُ
وَنَحِبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبٍ
فَنَقْلُ شَوْكَتِهَا وَنَفْثُا حَمِيرَهَا
وَنَحْلُ فِي دَارِ الْخِيفِاطِ يُؤْتِنَا
٢٣٦ وَقَالَ عَنَتَرَةُ الْعَبْسِي :

وَأَجْهَدِي فِي عِدَاوَتِي وَعِنَادِي
إِنَّ لِي هِمَّةً أَشَدَّ مِنَ الصَّخْرِ
وَحُسَامًا إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ الدِّهْمَ
وَسِنَانًا إِذَا تَعَسَّفْتُ فِي اللَّيْلِ
أَنْتِ وَاللَّهِ لَمْ تُلْعِمِي بِبَالِي
رِوَأَقْوَى مِنْ رَأْسِيَاتِ الْجِبَالِ
رَنَحَلَّتْ عَنْهُ الْقُرُونُ أَخْوَالِي
لِهُدَايَني وَرَدَّني عَنْ ضَالِّي

وَإِنِّي لَأَسْتَعِينِي فَمَا أَبْطَرَ الْغَنَى
وَأَعِيسُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي
وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصْفُو خَلِيقَتِي
وَأَسْتَقْبِذُ الْمَوْلَى مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ مَا
وَأَمْنَهُ مَا لِي وَوُدِّي وَنُصْرَتِي
وَيَعْمُرُهُ حِلْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا أَلَامَ نَابِي
وَأَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتَهُ
وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُعَيِّرُ شَيْئَتِي
٢٣٤ وَلِعَنْتَ فِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ :

وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعًا
وَدَافِعٌ مَا أُسْتَطِغَتْ لَهَا دِفَاعًا
وَلَا تَبْكُ الْمُنَازِلَ وَالْبِقَاعَا
وَيَهْتَكُنَ الْبَرِاقِعَ وَالْأَفَاعَا
إِذَا مَا جَسَّ كَفَّكَ وَالذَّرَاعَا
يُرْدُّ الْمَوْتَ مَا قَلَسَى النَّزَاعَا
لَنَا بِفَعَالِنَا خَبْرًا مُشَاعَا
وَصَيَّرَنَا النُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا

نَهْدًا وَذَا شُطْبٍ يَشُدُّ الْيُسْ وَالْأَبْدَانِ قَدًا
وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مُنَازِلُ كَعْمًا وَنَهْدًا
قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ تَمَرُّوا حَقًّا وَقَدًا
كُلُّ أَمْرٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَيَاجِ بِمَا اسْتَعَدَّا
نَازَلْتُ كَبَشْتَهُمْ وَلَمْ أَرِ مِنْ زَالِ الْكَبَشِ بُدًّا
هُمْ يَنْذِرُونَ دَنِي وَأَنَا نَذِيرٌ أَنْ أَشَدَّا
كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأَتْهُ يَدَيَّ لِحْدًا
مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَعْتُ وَلَا يَرُدُّ بَكَيَ زَنْدًا
أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخَلَقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جِلْدًا
أُغْنِي غَنَاءَ الدَّاهِيَةِ نَ أَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا
ذَهَبَ الَّذِينَ أَحَبُّهُمْ وَبَقِيَتْ مِثْلُ السِّيفِ قَرْدًا

٢٣٢ قَالَ عَنَّا وَقَدْ خَرَجَ إِلَى دِيَارِ بَنِي زَيْدٍ فِي طَلَبِ رَأْسِ ابْنِ مُحَارِبٍ:
أَطْوِي فَيَا فِي الْفَلَا وَالْأَيْلِ مُعْتَكِرُ
وَأَقْطَعُ الْيَدَ وَالرِّمَاءُ تَسْتَعِرُ
وَلَا أَرَى مُوَسِّئًا غَيْرَ الْحُسَامِ وَإِنْ
قَلَّ الْأَعْدَاءُ غَدَاةُ الرَّوْعِ أَوْ كَثُرُوا
فَحَازِرِي يَا سَبَاعَ الْبَرِّ مِنْ رَجُلٍ
وَرَأْفَتِي تَرَى هَامًا مُفْلَقَةً
مَا خَالِدٌ بَعْدَ مَا قَدَسَتْ طَالِبُهُ
وَلَا دِيَارُهُمْ بِالْأَهْلِ أُنْسُهُ
وَقَالَ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ:
٢٣٣

وَإِنِّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الْأَعَادِي
وَفِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ وَلِدْتُ طِفْلاً
فَمَا لِلرُّخِ فِي جِسْمِي نَصِيبٌ
وَلِي بَيْتٌ عَلا فَلَكَ الثَّرِيَا
٢٣٠ وَقَالَ أَيْضاً يَفْتَحُرُ :

أَعَادِي صَرَفَ دَهْرٍ لَا يُعَادِي
وَأُظْهِرُ نَضْحَ قَوْمٍ ضَيَّعُونِي
أَعْلَلُ بِالْمَنَى قَلْبًا عَلِيلاً
تُعِيرُنِي الْعَدَى بِسَوَادِ جِلْدِي
وَرَدْتُ الْحَرْبَ وَالْأَبْطَالُ حَوْلِي
وَحُضْتُ بِمُهْجَتِي بِخَرِ الْمَنَايَا
وَعُدْتُ مُخَضَّباً بِدَمِ الْأَعَادِي
وَسَيْفِي مُرْهَفُ الْحَدَيْنِ مَاضٍ
وَرُحْمِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعِيناً
وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِنَانُ رُحْمِي
٢٣١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُتَزَرٍّ
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ
أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا
فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
وَمَنَاقِبُ أَوْرَثْنِ مَجْدَا
بَغَةٌ وَعَدَاءٌ عُلْدَا

الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحَمَاسَةِ

٢٢٧ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَرَجَانِيُّ فِي بَابِ الْفَخْرِ :

أَنَا أَشَعْرُ الْفُقَهَاءِ غَيْرِ مُدَافِعٍ فِي الْعَصْرِ أَوْ أَنَا أَفْقَهُ الشُّعْرَاءِ
شِعْرِي إِذَا مَا قُلْتُ دَوْنَهُ أَلُورِي بِالطَّبَعِ لَا يَتَكَلَّفُ إِلَّا أَقَاءَ
كَالصَّوْتِ فِي قُلُلِ الْجِبَالِ إِذَا عَلَا لِسَمْعٍ هَاجَ تَجَاوَبَ الْأَصْدَاءُ
٢٢٨ قَالَ التَّائِي أَبُو الرَّشِيدِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْفَسَّانِيُّ الْأَسْوَانِيُّ :

جَلَّتْ لَدَيَّ الرِّزَايَا بَلْ جَلَّتْ هِمَّتِي وَهَلْ يَضُرُّ جَلَاءَ الصَّارِمِ الذِّكْرُ
غَيْرِي يُغَيِّرُهُ عَنْ حُسْنِ شِمَّتِهِ صَرَفَ الزَّمَانَ وَمَا يَأْتِي مِنَ الْغَيْرِ
لَوْ كَانَتْ النَّارُ لِلْيَاقُوتِ مُحْرِقَةً لَكَانَ يَشْتَبُهُ الْيَاقُوتُ بِالْحَجَرِ
وَلَا تَعْرِفُكَ أَطْمَارِي وَقِيمَتَهَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافٌ عَلَى دُرِّ
وَلَا تَطْنَنَّ خَفَاءَ النِّجْمِ عَنْ صِغْرِ فَلَذَنْبٌ مِنْ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْبَصَرِ

٢٢٩ قَالَ عَنَتْرُ يَتَهَدَّدُ هَوَازِنَ وَجْشَمَ وَكَانَا قَدْ أَغَارَا عَلَى دِيَارِ عَبَسَ :

سَكَتُ فُغْرًا عَدَائِي السُّكُوتُ وَظَنُونِي لِأَهْلِي قَدْ نَسِيتُ
وَكَيْفَ أَنَامُ عَنْ سَادَاتِ قَوْمِ أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَبِّيتُ
وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ الْأَعَادِي وَنَادَوْنِي أَجِبْتُ مَتَى دُعِيتُ
بِسَيْفٍ حَدَّهُ مَوْجُ الْمَنَآيَا وَرَمَحَ صَدْرُهُ الْحَتْفُ الْمَمِيتُ
خُلِقْتُ مِنَ الْحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا وَقَدْ بَلَى الْحَدِيدُ وَمَا بَلِيتُ

لَوْ خَلَدَ الدَّهْرُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
تَبَلَّى الْكِرَامُ وَآثَارُ الْكِرَامِ وَمَا
٢٢٣ لَا بِي الشَّيْصِ الْحَزَاعِي :

عَشَقَ الْمَكَارِمَ فَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِهَا
وَأَقَامَ سُوقًا لِلشَّاءِ وَلَمْ تَكُنْ
بَثِّ الصَّنَائِعِ فِي الْبِلَادِ فَأَصْبَحَتْ
٢٢٤ قَالَ أَبُو حَوَثَةَ :

قَوْمٌ إِذَا أُفْتَحُوا الْعِجَاجَ رَأَيْتُهُمْ
لَا يَعْدِلُونَ بِرَفْدِهِمْ عَنْ سَائِلٍ
وَإِذَا الصَّرِيحُ دَعَاهُمْ لِلْمَةِ
وَإِذَا زَادَ الْحَرْبُ أَخَذَ نَارَهَا
٢٢٥ قَالَ الْغَرْنَدَسُ يمدح قَوْمًا :

هَمِينُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارُ ذَوُو كَرَمٍ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ الْجُدُّ مُتَلَدًا
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا قَيْتَ سَيِّدِهِمْ
٢٢٦ قَالَ الْحَزِينُ اللَّيْثِيُّ فِي عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشُ قَالَ قَائِلُهَا
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ

لَنْ ضَعُفَتْ وَأَضْنَاكَ السَّامُ فَلَمْ
يُضَعِفْ قُوَى عَقْلِكَ الصَّافِي وَلَمْ يَمِدْ
لَوْ كَانَ أَفْضَلُ مَا فِي الْخَلْقِ بَطْشَهُمْ
دُونَ الْعُقُولِ لَكَانَ الْفَضْلُ لِلْأَسَدِ
٢١٧ قَالَ عُمَارَةُ الْيَمِينِي :

(ابن خلكان)

يَا إِيَّانَ الزَّمَانِ لَفْظًا وَمَعْنَى
وَرَبِيعِ الْأَنَامِ كَفْمًا وَمَعْنَى
تَعْلِي كَوْكَبًا وَتَشْرِقُ شَمْسًا
وَتَحَايَ لَيْثًا وَتَهْلُ زُرْنًا
٢١٨ قَالَ آخَرُ :

إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضٍ وَهِيَ مُجْدِبَةٌ
قَلِيلَةُ الْغَيْثِ لَمْ يَخْطُرْ بِهَا السَّارِي
فَلَيْسَ تَرَحَّلُ إِلَّا وَهِيَ مُعْشِبَةٌ
كَأَنَّمَا أَنْتَ فِيهَا رَحْمَةُ الْبَارِي
٢١٩ قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْبَغَّاءُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :

نَدَاكَ إِذَا ضَنَّ الْغَمَامُ غَمَامُ
وَعَزُمَكَ إِنْ فَلَ الْخُسَامُ خُسَامُ
فَهَذَا يُذِيلُ الرِّزْقَ وَهُوَ مُنَمَّعٌ
وَذَلِكَ يُرَدُّ الْجُلُوسَ وَهُوَ لَهُامُ
وَمَنْ طَلَبَ الْأَعْدَاءَ بِالْمَالِ وَالطَّبِي
وَبِالسَّعْدِ لَمْ يَبْعُدْ عَلَيْهِ مَرَامُ
٢٢٠ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي فِي تَجَلٍ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ :

فَتَى جَمَعَ الْعُلَمَاءَ عِلْمًا وَعِفَّةً
وَجُودًا وَبَأْسًا لَا يُفِيقُ فَوَاقَا
كَمَا جَمَعَ التَّفَاحُ شَكْلًا وَبَهْجَةً
وَرَائِحَةً مَحْبُوبَةً وَمَذَاقَا
٢٢١ قَالَ عُمَارُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَلِيعَةَ :

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَرَوْ لَيْلَةً
فَقَدْ سَارَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَمَالُهَا
إِذَا ذُكِرَ الْأَخْبَارُ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ
فَهُمْ أَنْجَمُ فِيهَا وَأَنْتَ هِيَ آلُهَا
٢٢٢ أَنَشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ فِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ :

وَلِقُرْقُورٍ أَدْرَتْ رَحًا لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ
 قَدْ تَأَنَّنْتَ الْبَقَاءَ لَهُ فَأَبَى الْمُخْتَوْمُ مِنْ قَدَرِهِ
 فَأَمَّا أَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ هَذِهِ الْهَصِيدَةَ اسْتَحْسَنَهَا أَبُو دُفْلٍ
 وَسَرَّ بِهَا وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ

٢١٣ أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ: بَيْنَمَا أَبُو دُفْلٍ يَسِيرُ مَعَ
 أَخِيهِ مَعْقِلٍ وَهَمَّا إِذْ ذَاكَ بِالْعِرَاقِ إِذْ مَرَّ بِأَمْرَأتَيْنِ تَتَمَاشِيَانِ .
 فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِصَاحِبَتِهَا: هَذَا أَبُو دُفْلٍ . قَالَتْ: وَمَنْ أَبُو دُفْلٍ .
 قَالَتْ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ: (إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُفْلٍ) . (قَالَ):
 فَاسْتَعْبَرَ أَبُو دُفْلٍ حَتَّى جَرَى دَمْعُهُ . قَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: مَا لَكَ يَا أَخِي
 تَبْكِي . قَالَ: لِأَنِّي لَمْ أَقْضِ حَقَّ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ (الْإِغَانِي)

٢١٤ قَالَ آخِرُ فِي الْمَدْحِ:
 أَهْلُ بَانَ يُسْعَى إِلَيْهِ وَيُرْتَجَى وَيُزَارُ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ عَلَى الرَّجَا
 فَلَقَدْ غَدَا بِالْمَكْرِ مَاتٍ مُقَلِّدًا وَمُوشِحًا وَمُخْتَمًا وَمُتَوَجًّا
 ٢١٥ قَالَ الْمُتَنَبِّي يَمْدَحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ:

ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَ الْأَرْضَ عَنْ مَلِكٍ مِلَّ الزَّمَانِ وَمِلَّ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
 وَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَأَبْرُ فِي شُغْلٍ وَالْبَجْرُ فِي خَجَلٍ
 ٢١٦ وَقَالَ أَيْضًا:

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ أَخْلَاقًا وَأَوْفَرَهُمْ عَقْلًا وَأَسْبَقَهُمْ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ
 أَصْبَحْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمِشِي عَلَى قَدَمٍ بِالرَّأْيِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْبَطْشِ وَالْجَلَدِ

لَوْ كَانَتْ الرِّيحُ حَقًّا تَحْمِلُ الْخَبْرَا
إِلَى الشُّجَاعِ الَّذِي مَا سَلَ صَارِمُهُ
لَيْتُ يُلَاقِي رِجَالَ الْحَرْبِ مُقْتَدِرًا
يَا حَامِيًا عَبَسَ قَدْ بَنَيْنَا عَلَى وَجَلٍ
لَقَدْ رَجَوْنَاكَ عِنْدَ الْخُطْبِ تُدْرِكُنَا
قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ يَمْدَحُ أَبَا دُلْفٍ وَكَانَ قَتَلَ قُرْقُورَ فِي الْحَرْبِ:

إِمْتَدَحَ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا
الْمُنَايَا فِي مَنَايِهِ
مَلِكٌ تَنَدَى أَنَا مِلَهُ
مُسْتَهْلًا عَنْ مَوَاهِبِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ
يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةً
وَزَحُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ
قُدَّتْهُ وَالْمَوْتُ مُكْتَمِنٌ
زُرَّتُهُ وَالْخَيْلُ عَابِسَةٌ
خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَاتِهَا
عَصَرَ الْأَفَاقَ فِي عُصْرِهِ
وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حُجْرِهِ
كَأَنْبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
كَأَنْبَسَامِ الرُّوضِ عَنْ زَهْرِهِ
بَيْنَ بَادِيِهِ وَخُتْضَرِهِ
وَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
وَمَدِيلَ الْيَسْرِ مِنْ عُصْرِهِ
بَيْنَ بَادِيِهِ إِلَى حَضْرِهِ
يَكْتَسِيهَا يَوْمَ مُقْتَحَرِهِ
كَصِيَاكِ الْحَشْرِ فِي أَثَرِهِ
فِي مَذَاكِيهِ وَمُسْتَجَرِهِ
تَحْمِلُ الْبُؤْسَ عَلَى عُقْرِهِ
كَخُرُوجِ الطَّيْرِ مِنْ وَكْرِهِ

سَلَّ عَنْهُ وَأَنْطَقَ بِهِ وَأَنْظَرُ إِلَيْهِ تَجِدُ مِلَّ السَّمِيعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمُقَلِّ
 ٢٠٨ قَالَتِ الْخَنَسَاءُ فِي أَخِيهَا وَقَدْ أَرَادَتْ مُسَاوَاتَهُ بِأَبِيهِ مَعَ مُرَاعَاةِ
 حَقِّ الْأَوْلَادِ بِزِيَادَةِ مَدْحٍ لَا يَنْقُصُ بِهِ حَقُّ الْأَوْلَادِ :

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَ وَهَمَّا يَتَعَاوَرَانِ مَلَأَةً اُتْفَخِرَ
 وَهَمَّا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا صَمْرَانِ قَدْ حَطَّأَ عَلَى وَكْرِ
 بَرَقَتْ صَفِيحَتُهُ وَجْهَهُ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلَوَائِهِ يَجْرِي
 أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السِّنِّ وَالْكِبَرِ

٢٠٩ قَالَ زَهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى فِي بَنِي سِنَانٍ :

قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسِبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
 لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَبَائِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا
 وَقَالَ يَمْدَحُ هَرَمُ بْنُ سِنَانٍ :

وَأَبْيَضَ فَيَاضُ يَدَاهُ عَمَامَةٌ كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتُهُ مُتَهَلِّلًا عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تَقْبُ فَوَاضِلُهُ
 أَخُو ثِقَةٍ لَا تُتْلَفُ الْحُمْرُ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ الْمَالُ نَائِلُهُ

٢١٠ قَالَ أَعَشَى قَيْسٍ يَمْدَحُ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَخَا النُّعْمَانِ :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجُوهُ الرِّجَالِ
 فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ غَزِيرُ اللَّهِ عَظِيمُ الْجَمَالِ
 فَإِذَا مِنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَحْزُورُ نَاوَكَبُ الَّذِي يُطِيعُكَ عَالِ

٢١١ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

٢٠٣ قَالَ النَّبِيفَةُ يَمْدَحُ غَسَّانَ حِينَ ارْتَحَلَ مِنْ عِنْدِهِمْ رَاجِعًا .
 لَا يُبْعِدُ اللَّهُ جِيرَانًا تَرَكْتُهُمْ مِثْلَ الْمَصَابِيحِ تَجْلُو لَيْلَةَ الظُّلَامِ
 هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَوْدَاءِ وَالنِّعَمِ
 أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادُ مُطَهَّرَةٍ مِنْ الْمَقَةِ وَالْأَقَاتِ وَالْأَثَمِ
 ٢٠٤ دَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى الْمَلِكِ الْوَاتِقِ وَقَالَ لَهُ :

إِنِّي رَأَيْتُكَ سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ قَعَدَ الْمُلُوكُ بِحَافَتَيْهِ وَقَامُوا
 فَكَانَتْكَ الدَّهْرُ الصَّوُولُ عَلَيْهِمْ وَكَانَهُمْ مِنْ حَوْلِكَ الْأَيَّامُ
 فَقَالَ : أَحْسَنْتَ كَمْ أَمَلْتُ أَطْلُبُ مَا تَشَاءُ . قَالَ : يَا مَوْلَايَ
 يَدُكَ بِالْعَطِيَّةِ أَوْسَعُ مِنْ لِسَانِي بِالْمَسْئَلَةِ . فَوَهَبَهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ
 ٢٠٥ قَالَ ابْنُ نُبَاتَةَ فِي الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ :

لَنَا مَلِكٌ قَدْ قَامَتْنَا هِبَاتُهُ فَتَرُّ الْعَطَامِنُ مِنْهُ وَنَظْمُ الشَّامِنَا
 يُذَكِّرُنَا أَخْبَارَ مَعْنٍ بِجُودِهِ وَنُشِي لَهْ لَفْظًا فَيُنْشِي لِنَامَعِنَا
 ٢٠٦ وَأَحْسَنُ مَا سَمِعَ فِي الْقَسَمِ عَلَى الْمَدْحِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

خَلَقْتُ بَيْنَ سَوَى السَّمَاءِ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَجَ الْجَبْرَيْنِ يَتَقَيَانِ
 وَمَنْ قَمَ فِي الْمَعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ بِأَثْبَتَ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
 لَمَا خُلِقْتُ كَفَاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ تُعْقِلْ لَهْنٌ ثَوَانِي
 لِتَقِيلَ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ وَتَقْلِبَ هِنْدِيَّ وَحَبْسِ عِنَانِ
 ٢٠٧ قَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْفَقِيرِ وَانِي :

جَاوَزَ عَلِيًّا وَلَا تَخْفَلُ بِجَادَتِهِ إِذَا أَدْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْأَسَلِ

مَنَاقِبُ فِي الْجَلَّاحِ كَانَتْ قَدِيمَةً فَسَارَ عَلَيْهَا ابْنُهُ يَتَّبِعُ
 ١٩٩ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَمْدَحُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ:

تَرَكَ الْمَنَابِرَ وَالسَّرِيرَ تَوَاضَعًا وَلَهُ مَنَابِرُ لَوْ يَشَاءُ وَسَرِيرٌ
 وَلِغَيْرِهِ يُجْبَى الْحَرَاجُ وَإِنَّمَا يُجْبَى إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَأَجُورُ

٢٠٠ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ:

إِنَّ الْأِمَامَ هُوَ الطَّيِّبُ وَقَدْ شَفَى عِلَالَ الْبَرَائِيَا ظَاهِرًا وَدَخِيلًا
 حَمَلَ الْبَسِيطَةَ وَهِيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ كَالرُّوحِ يُوجَدُ حَامِلًا لَا مَحْمُولًا

٢٠١ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْمَدْحِ:

قَدْ هَزَزْنَاكَ فِي الْمَكَارِمِ غُصْنَا وَأُسْتَلَمْنَاكَ فِي النَّوَابِ رُكْنَا
 وَوَجَدْنَا الزَّمَانَ قَدْ لَانَ عِطْفًا وَتَأَتَّى فِعْلًا وَأَشْرَقَ حُسْنًا
 فَإِذَا مَا سَأَلْتُهُ كَانَ سَمْعًا وَإِذَا مَا هَزَزْتُهُ كَانَ لَدْنَا
 أَنْتَ مَاءُ السَّمَاءِ أَخْصَبَ وَادِيهِ وَرَقَّتْ رِيَاضُهُ فَأَنْتَجَعْنَا
 رَزَعْتُ بِي إِلَى وَدَادِكَ نَفْسٌ قَلَمًا اسْتَحَبَّتْ سِوَى الْفَضْلِ خِدْنَا

٢٠٢ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ يَمْدَحُ صَالِحَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ:

هُوَ الْعَادِلُ الظَّلَامُ لِلْمَالِ وَالْعَدَى كَرِيمٌ لَهُ نَفْسٌ تَجُودُ بِمَا حَوَتْ
 خَزَائِنُهُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَدِيَارُهَا وَاعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ اعْتَذَارُهَا
 حَسَامٌ لَهُ حَدٌّ يَرُوعُ مِثْلُ مِثْلِهِ وَصَفْحَةٌ صَفَحَ لِلذُّنُوبِ اعْتِفَارُهَا
 لَهُ رَاحَةٌ فِي السَّلَامِ تُجَنِّى جَنَانُهَا وَيَوْمَ هَيَاجِ الْحَرْبِ تُوَقَّدُ نَارُهَا
 أَنْامِلُهُ طَوْرًا غُصُونُ نَوَاضِرُ وَطَوْرًا سِوْفُ دَامِيَاتٍ شِفَارُهَا

يَا سَائِلِي مَا الَّذِي حَصَلَتْ عِنْدَهُمْ
أَفَادَنِي الْمَلِكُ أَلَيْمُونُ طَلَارُهُ
وَأَشْتَقُّ مِنْ حَقِّهِ بَحْرًا طَغَى وَطَمَى
فَإِنْ أَكُنْ سَاكِتًا عَنْ شُكْرِ أَنْعَمِهِ
دَعِ السُّؤَالَ وَقُمْ فَأَنْظُرِي إِلَى حَالِي
عِزًّا وَالْبَسْنِي سِرْبَالِ إِقْبَالِ
حَبَابُهُ فَوْقَ أَفْكَارِي وَأَمَالِي
فَإِنَّ ذَاكَ لِعِجْزِي لَا لِإِغْفَالِي
١٩٦ وَقَالَ فِي أَبِي نَضْرٍ:

أَبَا نَضْرٍ نَضِرْتُ عَلَى الْأَعَادِي
بِرَائِي يَهْزِمُ الْجَيْشَ اللَّهُامَا
١٩٧ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ:
وَصِرْتُ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ إِمَامَا
وَعَزَمَ يُجْلُ السِّيفِ الْحُسَامَا

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ
مَا يُبَالُونَ إِذَا مَا أَفْضَلُوا
عَقَلَتِ السُّنَنُ عَنْ قَوْلٍ لَا
مِنْهُمْ مُوسَى جَوَادٌ مَاجِدٌ
زَيْنُوا الْأَرْضَ كَمَا قَدْ زَيْنَتْ
١٩٨ قَالَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَمْدَحُ أَبَا عَمْرٍو أَحِيَّةَ بْنَ الْجَلَّاحِ:
فَنَادِ أَبَا عَمْرٍو أَحِيَّةَ يَسْمَعُ
لَهُ فَوْقَ أَكْنَافِ السَّمَاءِ كَيْنَ مَوْضِعُ

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْعِزَّ مِنْ آلٍ يَثْرِبُ
بَنَى فِي الْعُلَى وَالْفَخْرِ وَالْمَجْدِ مَنْزِلًا
وَإِنْ هَزَّ فِي يَوْمِ الْكُرْهِيةِ سَيْفُهُ
وَإِنْ وَهَبَتْ كَفَاهُ وَالْغَيْثُ هَاطِلٌ
وَيَأْمَنُ فِي أَيْمَانِهِ كُلُّ خَائِفٍ
رَأَيْتُ شُعَاعَ الْمَوْتِ فِي السِّيفِ يَلْمَعُ
يَدُومُ عَطَاهُ وَالسَّحَابُ تَقْلَعُ
وَيَشْبَعُ مِنْ نِعْمَاهُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ

لَيْتُ بِحَقَّقَانِ قَدْ حَمَى أَجْمَا فَصَارَ مِنْهَا فِي مَنْزِلِ أَشْبِ
سِبْلَاهُ قَدْ أَزْيَا بِهِ فَهَمَا شِبَاهُ فِي جَدِّهِ وَفِي لَعَبِ
قَدْ وَمَقَا شَكْلَهُ وَسِيرَتَهُ وَأَحْكَمَا مِنْهُ أَكْرَمَ الْأَدَبِ
نِعَمَ أَلْفَتِي تُقَرَّنُ الصَّعَابُ بِهِ عِنْدَ تَجَاثِي الْخُصُومِ لِلرَّكَبِ
تَرَى لَهُ الْحِلْمَ وَالنَّهْيَ خُلُقًا فِي صَوْلَةٍ مِثْلَ جَاحِمِ اللَّهَبِ
سَيْفُ الْإِمَامَيْنِ ذَاكَ وَذَا إِذَا قُلَّ بُذَاةُ الْوَفَاءِ وَالْحَسَبِ
ذَا هَوَادَةٍ لَا يُخَافُ نَبَوْتَهَا وَدِينُهُ لَا يُشَابُ بِالرَّيْبِ
فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْنُ قَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ مَدَحْنَاكَ كَمَا مَدَحْتَنَا . وَإِنْ
شِئْتَ أَثْبَتْنَاكَ . فَاسْتَحْيَا مُطِيعٌ مِنْ اخْتِيَارِ الثَّوَابِ عَلَى الْمُدِيحِ وَهُوَ مُخْتِاجٌ
إِلَى الثَّوَابِ فَأَنْشَأَ :

ثَنَاءٌ مِنْ أَمِيرٍ خَيْرُ كَسْبِ لِصَاحِبٍ مَعْنٍ وَأَخِي ثَرَاءِ
وَلَكِنَّ الزَّمَانَ بَرَى عِظَامِي وَمَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ
فَضْحَكَ مَعْنٌ حَتَّى اسْتَلَقَى . وَقَالَ : لَقَدْ لَطُفْتَ حَتَّى تَخَلَّصْتَ مِنْهَا .
صَدَقْتَ لَعَمْرِي مَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ . وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجْهَهُ
(الآغا نِي)

١٩٥ قَالَ الْبُسْتِي يُمْدَحُ آلُ فُرَيْعُونَ :

بُنُو فُرَيْعُونَ قَوْمٌ فِي وُجُوهِهِمْ نُورُ الْهُدَى وَضِيَاءُ السُّودِّ الْعَالِي
كَأَنَّمَا خَلَقُوا مِنْ سُودِّ وَعَالَا وَسَاطِرُ النَّاسِ مِنْ طِينٍ وَصَلَّالِ
مَنْ أَتَى مِنْهُمْ تَقَلَّ هَذَا أَجْلُهُمْ شَانًا وَأَسْمَحَهُمُ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

أَخْلَصْتُ فِيهِ شُكْرَهُ وَوَفَّيْتُ فِيهِ بِالْغُورِ
لَمَّا أَعْتَلَّتْ تَصَدَّعَتْ شَعْبُ الْقُلُوبِ مِنَ الصُّورِ
مِنْ بَيْنِ مُلْتَهَبِ الْفُؤَا دِ وَبَيْنِ مُكْتَتِبِ الصِّمْرِ
يَا عُدَّتِي لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَلِلْخَطْبِ الْخَطِيرِ
كَانَتْ جُفُونِي ثَرَّةً أَوْ أَمَاقٍ بِالْذَّمِّ الْغَزِيرِ
لَوْ لَمْ أُمْتَ جَزَعًا لَعَمَ رُكَّ إِنِّي عَيْنُ الصَّبُورِ
يَوْمِي هُنَا لَكَ كَالسَّيِّدِ نَ وَسَاعَتِي مِثْلُ الشُّهُورِ
يَا جَعْفَرُ الْمُتَوَكَّلُ أَوْ هَالِي عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ
الْيَوْمَ عَادَ الدِّينُ عَضَّ مِ الْعُودِ ذَا وَرَقٍ نَضِيرِ
وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ الْخِلَا فَةً وَهِيَ أَرْسَى مِنْ ثَبِيرِ
قَدْ حَالَتْكَ وَعَاقَدَتْكَ عَلَى مُطَاوَلَةِ الدُّهُورِ

فَقَالَ الْمُتَوَكَّلُ لِلْفَتْحِ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنْطِقُ عَنْ نَبِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَوَدَّ مُحَضِّ
وَمَا قَضَيْنَا حَقَّهُ فَتَقَدَّمَ بِأَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ السَّاعَةَ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ

١٩٤ مَدَحَ مُطِيعُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِسَيِّدِ الْعَرَبِ ذِي الْغُرَرِ الْوَاضِحَاتِ وَالْجُبِ
فَتَى زَارَ وَكَلَّهَا وَأَخِي أَوْ جُودِ حَوَى عَانِيَهُ مِنْ كَسْبِ
جَاءَ الَّذِي تُفْرَجُ الْهُمُومُ بِهِ حِينَ يُبْزُ الْوَضِيعُ بِالْحَقْبِ
شَهْمٌ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّ دَارُهَا أَعَادَهُ عَوْدَةً عَلَى الْقُطْبِ
يُطْفِئُ زِيرَانَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَتْ نَارُهَا بِلَا حَطَبِ

خَبَطُوا فِيهِ خَبْطَ عَشَوَاءَ . إِذَا وَقَعُوا مِنْهُ فِي مُضِلَّةٍ عَمِيَاءَ . وَلَا يَهْتَدُونَ
إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ . بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي تَبَةٍ بِلَا دَلِيلٍ (الطَّرِيزُ)

١٩٢ قَالَ الْبَرْعِيُّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَكَمِيِّ :

إِلَى صَارِمِ الدِّينِ الْفَتَى ابْنِ مُحَمَّدٍ رَمَتْ بِي مَقَادِيرُ جَرَتْ وَخُطُوبُ
وَحَطَّتْ بِي أَلَا مَالُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ لَدَى خَيْرِ مَنْ يُلَوِّي إِلَيْهِ أَدِيبُ
فَوَافَيْتُ أَعْلَى النَّاسِ نَفْسًا وَمَنْصِبًا وَأَخْصَبَ رُبْعًا وَالزَّمَانَ جَدِيبُ
هُوَ الْكُورُ الْفَيَاضُ فِي آلِ فَارِحٍ بِهِ الْعَيْشُ يَحْلُو وَالزَّمَانُ يَطِيبُ
غَمَامُ يَعْمُ الْخَلْقَ ظِلًّا فَتَائِلًا لِكُلِّ مِنَ الرَّاجِينَ فِيهِ نَصِيبُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ جِئْتُكَ زَائِرًا وَشَأْنِي وَقِيتَ الشَّائِنِينَ عَجِيبُ
أَوَّمِلْ مِنْكَ الْبِرَّ وَالْبِرُّ وَاسِعُ وَأَرْجُو نَدَاكَ أَجْمَمُ وَهُوَ قَرِيبُ
فَقُمْ بِي وَعَاوِلْنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّ رَجَائِي فِيكَ لَيْسَ يَخِيبُ
وَصُنْ مَاءً وَجْهِي عَنْ زَمَانٍ مُعَانِدٍ وَصِلْ حَبْلَ أُنْسِي فَالْغَرِيبُ غَرِيبُ
وَدُمْتَ مَنَارَ الدِّينِ مَا لَاحَ بَارِقُ وَمَا أَهْتَزَّ غُصْنُ فِي الْأَرَاكِ رَطِيبُ
وَلَا زِلْتَ مَأْمُولِي وَعَوْنِي وَنُصْرَتِي عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ

١٩٣ حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ قَالَ : مَرَضَ الْمُتَوَكِّلُ مَرَضَةً خَيفَ
عَلَيْهِ مِنْهَا . ثُمَّ عُوْفِي وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ فَدَخَلُوا عَلَى
طَبَقَاتِهِمْ كَأَقَّةَ . وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ فَلَمَّا رَأَانِي اسْتَدْنَانِي حَتَّى قُمْتُ وَرَاءَ
الْفَتْحِ وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَطَقًّا فَأَنْشَدَنِي :

يَوْمَ أَتَانَا بِالْأَسْرُورِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ

فِيَا بَقِي فَلَا زُجُوهُ . فَتَحْنُ جَمِيعًا نَدْعُوَاكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ . خَصْبَ لَنَا
 جَنَابِكَ وَعَذْبَ ثَوَابِكَ . وَحَسَنَتَ نَظَرُتِكَ . وَكَرَمَتَ مَقْدَرُتِكَ .
 جَبَرْتَ الْفَقِيرَ . وَفَكَكْتَ الْأَسِيرَ . وَآخِزُ بِنَفْسِكَ . وَالشَّرُّ بِسَاحَةِ
 أَعْدَائِكَ . وَالنَّصْرُ مَنُوطٌ بِأَيِّوَانِكَ . وَالْخِذْلَانُ مَعَ أَلْوِيَةِ حُسَّادِكَ .
 وَالْبِرُّ فِعْلُكَ . قَدْ طَحَطَ عَدُوُّكَ غَضَبُكَ . وَهَزَمَ مَغَانِيَهُمْ مَشْهَدُكَ .
 وَسَارَ فِي النَّاسِ عَدَاؤُكَ . وَشَسَعَ بِالنَّصْرِ ذِكْرُكَ . وَسَكَنَ قَوَارِعَ
 الْأَعْدَاءِ ظَفْرُكَ . الْأَذَى عَطَاؤُكَ . وَالْدَّوَاءُ رَمْزُكَ . وَالْأَوْرَاقُ لِحْظُكَ
 وَأَطْرَافُكَ (الابن عبد ربّه)

مدح مقامات الحريري

١٩١ إني لما لم أَر في كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ . وَلَا فِي تَصَانِيفِ
 الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ . كِتَابًا أَحْسَنَ تَأْلِيفًا . وَأَعْجَبَ تَصْنِيفًا . وَأَغْرَبَ تَرْصِيفًا .
 وَأَشْمَلَ لِلْعَجَائِبِ الْعَرَبِيَّةِ . وَأَجْمَعَ لِلْغَرَائِبِ الْأَدَبِيَّةِ . وَكَثَرَ تَضَمُّنًا
 لِمِثَالِ الْعَرَبِ . وَنَكَتِ الْأَدَبِ . مِنْ الْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْإِمَامُ
 جَمَالُ الْعَصْرِ . وَكَمَالُ الدَّهْرِ . أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيُّ
 الْبَصْرِيُّ بِرَدِّ اللَّهِ مَضْجَعَهُ . وَطَيَّبَ مَجْجَعَهُ . إِنْشَاءً فَاخِرًا . وَكِتَابًا
 بَاهِرًا . وَتَصْنِيفًا عَجِيبًا مُعْجَزًا . وَتَأْلِيفًا غَزِيرًا مُعْوِزًا . نَعَمْ كِتَابٌ بَدِيعٌ
 لَهُ قَدْرٌ رَفِيعٌ . قَدْ نَمَتْ حَسَنَاتُهُ . وَدَلَّتْ عَلَى الْإِعْجَازِ آيَاتُهُ . هَذَا
 وَالْآخِرُ مَقْبُولُ النِّظَامِ . مُتَدَاوِلًا فِيمَا بَيْنَ الْأَنَامِ . أَكْبَأُ أَبْنَاءَ زَمَانِنَا
 عَلَى تَحْصِيلِهِ . وَوَاطِبُوا عَلَى تَفْهَمِ جَمْلِهِ وَتَفْصِيلِهِ . غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ رَجَا

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْمَدِيحِ

بلعاء بن قيس وبنو هاشم

١٨٩ قَالَ بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ: أَلْعَرَبُ كَأَلْبَدَنِ وَقُرَيْشُ رُوحُهَا. وَقُرَيْشُ رُوحٌ وَبَنُو هَاشِمٍ سِرُّهَا وَلِبَاسُهَا. وَمَوْضِعُ غَايَةِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مِنْهَا. وَهَاشِمٌ مَلِحُ الْأَرْضِ وَزِينَةُ الدُّنْيَا. وَحَيُّ الْعَالَمِ وَالسَّامُ الْأَضْنَمُ. وَالْكَاهِلُ الْأَعْظَمُ. وَلِبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ وَسِرُّ كُلِّ غُنْصَرٍ شَرِيفٍ. وَالطَّيْنَةُ الْبَيْضَاءُ وَالْمَغْرَسُ الْمُبَارَكُ وَالنِّصَابُ الْوَثِيقُ وَمَعْدِنُ الْفَهْمِ وَيَذْوَعُ الْعِلْمُ. وَشَهْلَانُ ذُو الْمَضَابِ فِي الْحِلْمِ وَالسَّيْفِ. الْحُسَامُ فِي الْعَزْمِ مَعَ الْأَنَاءَةِ وَالْحَزْمِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْجُرْمِ وَالْقَصْدِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالصَّفْحِ بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ. وَهُمْ الْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّامُ الْأَكْرَمُ. وَكَأَلْمَاءِ الَّذِي لَا يُنْجِسُهُ شَيْءٌ. وَكَأَلشَّمْسِ الَّتِي لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ. وَكَأَلذَّهَبٍ لَا يَعْرِفُ بِالنُّقْصَانِ. وَكَأَلنَّجْمٍ لِلْخَيْرَانِ وَالْبَارِدِ لِلظَّمْآنِ (للقيرواني)

مدح المأمون

١٩٠ قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ: دَخَلَ الْمَأْمُونُ بَغْدَادَ فَتَلَقَّاهُ وَجُوهُ أَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَقْدَمِكَ. وَزَادَ فِي نِعْمَتِكَ وَشُكْرِكَ عَنْ رِعْيَتِكَ. تَقَدَّمْتَ مِنْ قِبَالِكَ. وَأَتَعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ. وَأَيَسَّتْ أَنْ يُعَايِنَ مِثْلَكَ. أَمَّا فِيمَا مَضَى فَلَا نَعْرِفُهُ. وَأَمَّا

١٨٦ لِتَاجِ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْحَوَارِيِّ فِي الْمُرْقُصِ :

وَوَاللَّهِ مَا آخَرْتُ عَنْكَ مَدَامِحِي لِأَمْرِ سَوَى أَنِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
وَقَدْ رَضْتُ فِكْرِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَمَا سَاعَ أَنْ أَهْدِيَ إِلَى مِثْلِكُمْ شِعْرِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا فَتِلْكَ نَقِصَةٌ وَإِنْ كَانَ دُرًّا كَيْفَ يَهْدِي إِلَى الْبَحْرِ

١٨٧ كَتَبَ ابْنُ وَضَّاحٍ الْمُرْسِيُّ لِرَبِّيسٍ قَطَعَ عَنْهُ إِحْسَانُهُ فَقَطَعَ مَدْحَهُ
هَلْ كُنْتُ إِلَّا طَائِرًا بَثْنَاكُمْ فِي دَوْحِ مُجْدِكُمْ أَقُومُ وَأَقْعُدُ
إِنْ تَسْلُبُونِي رِيَشَكُمْ وَتَقْلَبُوا عَنِّي ظِلَالَكُمْ فَكَيْفَ أُعَرِّدُ

١٨٨ كَتَبَ الْحَمْدَانِيُّ إِلَى الْقَاضِي أَبِي حَصِينٍ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الرِّقَّةِ :

يَا طُولَ شَوْقِي إِنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا لَا فَرَّقَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدَا
يَا مَنْ أَصَافِيهِ فِي غُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ وَمَنْ أَخَالِصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
رَاعَ الْفِرَاقُ فَوَادَا كُنْتُ ثَوْنُهُ وَزَادَ بَيْنَ الْجُفُونِ الدَّمْعُ وَالسَّهْدَا
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ شَخْصًا لَا أَرَى أَنَسَا وَلَا تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا إِذَا بَعْدَا
أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرِّي وَعَلَنَ أَعْدَهُ وَالِدَا إِذْ عَدَنِي وَلَدَا
مَا زَالَ يَنْظُمُ فِي الشَّعْرِ مُجْتَهِدَا فَضْلًا وَأَنْظُمُ فِيهِ الشَّعْرَ مُجْتَهِدَا
حَتَّى اعْتَرَفْتُ وَعَزَّيْتُ فَضَائِلَهُ وَفَاتَ سَبَقًا وَحَازَ الْفَضْلَ مُنْفَرِدَا
إِنْ قَصَرَ الْجُهْدُ عَنْ إِدْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعْذَرُ النَّاسَ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا
لَا يَطْرُقُ النَّازِلُ الْمُخْذُورُ سَاحَتَهُ وَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ الْحَادِثَاتُ يَدَا
أَبْقَى لَنَا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا بَرَحَتْ أَيَّامُنَا أَبَدًا فِي ظِلِّهِ جُدَا

لَيْسَ يَا مَوْلَايَ لِي مِنْ جَابِرٍ إِذْ غَدَا قَائِي مِنَ الْبَاوَى جُذَاذَا
غَيْرَ صَاحِبِكَ أَحْمَرُ تَكْتُبُ لِي فِيهِ يَمْنَاكَ أَعْتَاءَ صَحَّ هَذَا
١٨٣ سَلَّمَ عَلَى الْمُتَنَبِّيِّ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرُدَّ . فَقَالَ مُعْتَذِرًا :

إِذْ كُنْتُ حِينَ أَقْبَيْتَنِي مُتَوَجِّعًا لِتَغْيِبِكَ
فَشُغِلْتُ عَنْ رَدِّ السَّلَامِ وَكَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ
١٨٤ سَأَلَ الْحُجَّاجُ ابْنَ الْقُرَيْبَةِ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَنْ نَطَقَ
بِالشَّعْرِ . فَقَالَ : آدَمُ وَهُوَ حِينَ قَتَلَ قَايِنَ أَخَاهُ هَابِيلَ فَأَنشَدَ :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَهُ الْأَرْضِ مِغْيَارٌ قَبِيحٌ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَلَمْ يَرَفِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مَلِيحٌ
بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا التَّبَاكِ وَجَفَنِي بَعْدَ أَحْبَابِي قَرِيحٌ
فَأَجَابَهُ إِبْلِيسُ عَلَى قَوْلِهِ :

تَنُوحُ عَلَى الْبِلَادِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَبِالْفِرْدَوْسِ ضَاقَ بِكَ الْفَسِيحُ
وَكُنْتَ بِهِ وَعِزُّكَ فِي نَعِيمٍ مِنْ الدُّنْيَا وَقَلْبُكَ مُسْتَرِيحٌ
فَمَا زَالَتْ مُكَائِدَتِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ قَاتَكَ الثُّنَى الرَّيْحُ
١٨٥ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الْمَعَرِيِّ فِي الْمُرْقِصِ :

أَبَا صَالِحٍ أَشْكُو إِلَيْكَ نَوَائِبًا عَرَّتَنِي كَمَا يَشْكُو النَّبَاتُ إِلَى الْهَاطِرِ
لِتَسْطُرَ نَحْوِي نَظْرَةً لَوْ نَظَرْتَهَا إِلَى الصَّخْرِ فَجَرَّتِ الْعُيُونُ مِنَ الصَّخْرِ
وَفِي الدَّارِ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتَهُمْ يُطْلُونَ إِطْلَالَ الْفِرَاحِ إِلَى الْوَكْرِ
جَنَيْتُ عَلَى رُوحِي بِرُوحِي جِنَايَةً فَأَثَقْتُ ظَهْرِي بِالَّذِي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي

لَكُمْ آلَ عَمَّارٍ يُبُوتُ رَفِيعَةً تُشِيدُ مِنْ كَسْبِ الشَّاءِ بَدْعَانِمْ
 إِذَا نَحْنُ أَذْنَبْنَا رَجَوْنَا ثَوَابَكُمْ وَلَمْ نَسْتَعْمِ بِالْعَفْوِ دُونَ الْمَكَارِمِ
 وَإِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ أَصُولِ كَرِيمَةٍ وَلَا تَلِدُ الْأَزْهَارَ غَيْرُ الْكَمَائِمِ
 وَإِنِّي مَظْلُومٌ لَزُورٍ سَمِعْتَهُ وَقَدْ جِئْتُ أَرْجُوا الْعَفْوَ فِي زِيِّ ظَالِمٍ
 فَعَفَا عَنْهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ (الذخيرة لابن بسام)

كَتَبَ ابْنُ خُرُوفٍ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ :

يَا مَنْ حَوَى كُلَّ مَجْدٍ بِمَجْدِهِ وَبِحِجْدِهِ
 أَتَاكَ نَجْلُ خُرُوفٍ فَأَمَّنْ عَلَيْهِ بِمَجْدِهِ

١٧٩ كَتَبَ آخَرُ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ :

تَبَسَّمَ الثَّغْرُ عَنْ أَوصَافِكُمْ فَسَرَى مِنْ طِيبِ عَرَفِكُمْ رِيحٌ فَأَحْيَانَا
 فَمِنْ هُنَاكَ عَشِمْنَاكُمْ وَلَمْ نَزْكَمْ وَالْأَذُنُ تُعَشِّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
 ١٨٠ لِأَبِي الْوَلِيدِ مِمَّا يَكْتُبُ عَلَى قَوْسٍ :

إِنِّي إِذَا رُفِعَتْ سَمَاةٌ عَجَّاجَتِي وَالْحَرْبُ تَتَقَدُّ بِالرَّدَى وَتَقُومُ
 وَتَمُرُّ وَالْأَبْطَالُ فِي جَنَابَتِهَا وَالْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ النُّفُوسِ يَحُومُ
 مَرَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْخُتُوفُ كَأَنَّمَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ وَالسِّهَامُ نُجُومُ
 ١٨١ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَرْقُونُ :

يَا مَعْدِنَ الْفَضْلِ وَطُودَ الْحَجَى لَا زِلْتَ مِنْ بَحْرِ الْعُلَى تَعْتَرِفُ
 عَبْدُكَ بِالْبَابِ فَقُلْ مُنْعِمًا يَدْخُلُ أَوْ يَصِيرُ أَوْ يَنْصَرِفُ

١٨٢ كَتَبَ ابْنُ هُذَيْلٍ الْفَزَارِيُّ لِلْغَنِيِّ بِاللَّهِ سُلْطَانِ ابْنِ الْحَطِيبِ :

أَحَدُ وُزَرَاءِ دَوْلَتِهِ • وَسُيُوفِ صَوْلَتِهِ • فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَدِيهَا فِي وَرِيقَةٍ
كَرُّنَبٍ يَعُودُ مِنْ شَجَرَةٍ :

أَقْبِلْ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَاسْقُطْ سُقُوطَ النَّدَى عَلَيْنَا
فَنَحْنُ عُمْدٌ بَغَيْرِ وَسْطَى مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا
١٧٦ أَخْبَرَنَا مِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ
بَادِيسَ بِالْمُهَدِّيَةِ فِي الْمِيدَانِ وَقَدْ رَمَى بِالنُّشَابِ فَصَنَعَتْ فِيهِ بَدِيهَا :
يَا مَلِكًا قَدْ خُلِقْتَ كَعَمُّهُ لَمْ تَدْرِ إِلَّا الْجُودَ وَالْبَاسَا
إِنَّ النُّجُومَ الزُّهْرَ مَعَ بَعْدِهَا قَدْ حَسَدَتْ فِي قُرْبِكَ النَّاسَا
كَمَا تَمَّتْ أَلْبَدُ لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى لِنُشَابِكَ بُرْجَاسَا
١٧٧ سَخَطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى ابْنِ سَيَّابَةَ فَأَسْتَرْضَاهُ فَأَمْتَمَعَ •

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ سَيَّابَةَ بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ :

إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ لَحَاطَ بِجُرْمَتِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوَكَ أُمَامُ وَلَا
فَكَمْ ارْتَحِمْتُكَ فِي أَلَّتِي لَا يُرْتَجَى فِي مِثْلِهَا أَحَدٌ فَنِلْتُ السُّوْلَا
وَضَلَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبًا وَوَجَدْتُ حِلْمَكَ لِي عَلَيْكَ دَلِيلًا
هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَاتُ أَقْرُبُكِ يَزْدَادُ عَفْوَكَ بَعْدَ طَوْلِكَ طَوْلًا
فَالْعَفْوُ أَجَلُ وَالْفَضْلُ بِأَمْرِي لَمْ يَعْدِمِ الرَّاجُونَ مِنْهُ جَمِيلًا
فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَضْلُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَرَضِيَ عَنْهُ (بِدَائِعِ الْبِدَائِعِ لِلْأَزْدِيِّ)

١٧٨ وَشِيَّ ابْنُ سَيِّدٍ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ فَجَافَاهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :
وَلَا غَرْوَ أَنْ تَعْفُو وَأَنْتَ ابْنُ مَنْ غَدَا يَعُودُ عَفْوًا عَنْ كِبَارِ الْجَرَائِمِ

١٧٣ وَقَالَ يَعْتَذِرُ إِلَى ابْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُوصِلِيِّ وَقَدْ حُجِبَ عَنْ بَابِهِ :
 قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرًا وَأَعْفُو مِنْ شِمِئِكَ فَأَمِّدْ لِعُذْرِي مَقِيلًا فِي ذُرَى كَرَمِكَ
 وَإِنْ أَرَدْتَ جَعَلْتُ الْخُدَّ وَاسِطَةً حَتَّى يَكُونَ شَفِيعًا لِي إِلَى قَدَمِكَ

علي بن الحليل ويزيد بن المزيدي

١٧٤ وَلِدَ إِيزِيدُ بْنُ مَزِيدِ بْنِ قَاتَانَةَ عَلِيُّ بْنُ الْحَلِيلِ فَقَالَ : أَسْمَعْ أَيُّهَا
 الْأَمِيرُ تَهْنِئَةً بِالْفَارِسِ الْوَارِدِ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : هَاتِ . فَأَنَشَدَهُ :

يَزِيدُ يَا ابْنَ الصَّيْدِ مِنْ وَائِلٍ أَهْلُ الرِّئَاسَاتِ وَأَهْلُ الْمَعَالِ
 يَا خَيْرَ مَنْ أَتَجَبَّهُ وَالِدٌ لَيْسَ بِكَ الْفَارِسُ لَيْثُ الْإِنِّزَالِ
 جَاءَتْ بِهِ غَرَاءُ مَيُّونَةٍ وَالسَّعْدُ يَبْدُو فِي طُلُوعِ الْهَلَالِ
 عَلَيْهِ مِنْ مَعْنٍ وَمِنْ وَائِلٍ سِيمَا تَبَاشِيرٍ وَسِيمَا جَلَالِ
 وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لَنَا سَيِّدًا مُدَافِعًا عَنَّا صُرُوفَ الْوَلِيَالِ
 حَتَّى نَرَاهُ قَدْ عَلا مِنْبَرًا وَفَاضَ فِي سُؤَالِهِ بِالنَّوَالِ
 وَسَدَّ ثَغْرًا فَكُنْهُ شَرُّهُ وَقَارَعَ الْأَبْطَالَ تَحْتَ الْعَوَالِ
 كَمَا كُنَّا نَا ذَاكَ آبَاؤُهُ فَيَحْتَذِي أَعْمَالَهُمْ عَنْ مِثَالِ

فَأَمَرَ لَهُ عَنْ كُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ (الآغَانِي)

١٧٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : خَرَجَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَمَادِجٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
 يَوْمًا عَلَى بَعْضِ مُنْتَرَهَاتِهِ . فَحَلَّ بِرَوْضَةٍ قَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا الْبَهْجِ .
 وَتَنَفَّسَتْ عَنْ مِسْكِيهِ الْأَرِيحِ . وَمَاسَتْ مَعَاطِفُ أَغْصَانِهَا . وَتَكَالَّتْ
 بِلَالِيءُ الطَّلِّ أَجْيَادُ قُضْبَانِهَا . فَتَشَوَّقَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي طَالِبِ بْنِ غَانِمٍ

عَلَى السَّهْلِ الْحَدَرِ رَوْعَةُ الْخِلَافَةِ وَبَهْرُ الدَّرَجَةِ وَنُفُورُ الْقَوَافِي عَلَى
الْبَدِيَّةِ . فَأَرَوْدُنِي تَتَأَلَّفُ لِي نَوَافِرُهَا وَيَسْكُنُ رَوْعِي . قَالَ : قَدْ
فَعَلْتُ وَجَعَلْتُ أَعْتَزَّكَ بَدَلًا مِنْ أَمْتَحَانِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
نَفَسْتَ الْخِنَاقَ . وَسَهَّتَ مَيْدَانَ السَّبَاقِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَنَيْتَ لِعَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ذُرِّيَّةَ الْإِسْلَامِ فَأَخْضَرَ عَوْذَهَا
هَما طُيْبَاهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودَهَا
فَقَالَ الرَّشِيدُ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ فَسَلْ وَلَا تَكُنْ مَسْئَلَتِكَ دُونَ إِحْسَانِكَ .
قَالَ : الْهَنِيْدَةَ . فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ وَسَبْعِ خَلَعٍ (لابن عبد ربه)
١٧٠ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَعْتَذِرُ :

أَسَأْتُ إِلَى نَفْسِي وَطَأَمْتُ مِنْ قَدْرِي فَحَكَّمْ غَنَى أَخْلَاقِكَ الْغَرِّي فِي فَقْرِي
فَمَا الْعَقْلُ إِلَّا خَاتَمٌ أَنْتَ فَصُّهُ وَعَفْوُكَ نَفْسُ الْقَفْصِ فَأَخْتِمْ بِهِ عُذْرِي
١٧١ وَقَالَ أَيْضًا فِي رِسَالَةٍ أَلْتَهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

مَا إِنْ سَمِعْتُ بُنْوَارَ لَهُ ثَمَرٌ فِي الْوَقْتِ يَمْتَعُ تَمَعُ الْمَرْءِ وَالْبَصَرَا
حَتَّى أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمًا عَنْ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَى أَشْبَهَ الدَّرَارَا
فَكَانَ لَفْظُكَ فِي آيَاتِهِ زَهْرًا وَكَانَ مَعْنَاكَ فِي أَثْنَائِهِ ثَمَرًا
تَسَابَقًا فَأَصَابَا الْقَصْدَ فِي طَلْقِ اللَّهِ مِنْ ثَمَرٍ قَدْ سَابَقَ الزَّهْرَا
١٧٢ وَقَالَ وَهُوَ مِنْ أَجْمَلِ مَا قِيلَ فِي بَابِ الشُّكْرِ :

أَقُولُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا لَا يَشُوبُهُ رِيَاءٌ وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ هُوَ صَادِقُ
تُرْكِبٍ مِنْ شُكْرِي وَبِرِّكَ صُورَةٌ فَبِرُّكَ بِي حَيٌّ وَشُكْرِي نَاطِقٌ

يَا أَبْنَ الْخُلَافِ الْأَوَّلِينَ وَيَا أَبَا الْمَتَّخِرِينَ
 إِنَّ ابْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَأُ أَيَّامُ تَخْتَرِمُ الْقَرِينَا
 وَمَضَى وَخَلَفَ صَبِيَّةً بِعَرَاصِهِ مُتَلَدِّدِينَ
 وَهَيْرَةً عَبْرَى خِلَافِ أَقَارِبِ مُسْتَعْبِرِينَ
 أَصْبَحْنَا فِي رَيْبِ الْحَوَا دِثٍ يُحْسِنُونَ بِكَ الظُّنُونَا
 قَطَعَ الْوَلَاةَ جِرَايَةً كَانُوا بِهَا مُسْتَسْكِنَا
 فَأَمَّنْ بَرْدَ جَمِيعٍ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِينَ
 أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تُؤْمَلُ أَفْضَلَ الْمُتَفَضِّلِينَ
 (قَالَ): فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ لَهُ بِمَا سَأَلَ فَقَالَ يَشْكُرُهُ:

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ إِسَامُ وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ بَاسٍ
 أَحْيَيْتَ مِنْ أَمَلِي نِضْوًا تَكَوَّرَدُ تَعَاوَبُ الْيَأْسِ حَتَّى مَاتَ بِالْيَأْسِ

الباهلي والرشيدي

١٦٩ قَدِمَ عَلَى الرَّشِيدِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَاهِلَةَ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ حَبْرَةٌ وَرِدَاءٌ
 يَمَانٌ قَدْ شَدَّهُ عَلَى وَسْطِهِ ثُمَّ تَنَادَى عَلَى عَاتِقِهِ . وَعِمَامَةٌ قَدْ عَصَبَهَا عَلَى
 فُودِيهِ . وَأَرْخَى لَهَا عَذَبَةً مِنْ خَلْفِهِ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ . فَقَالَ :
 سَعِيدُ يَا أَعْرَابِي خُذْ فِي شَرَفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَنْدَفَعَ فِي شَعْرِهِ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا أَعْرَابِي أَتَمَعَكَ مُسْتَحْسِنًا وَأَنْكَرَكَ مُتَمِمًّا . فَقَالَ لَنَا
 بَيَّتَيْنِ فِي هَذَيْنِ يَعْني مُحَمَّدًا الْأَمِينَ وَعَبْدَ اللَّهِ الْمَأْمُونِ ابْنَيْهِ وَهُمَا
 حِفَافَاهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَلْتَنِي عَلَى الْوَعْرِ الْقَرْدِدِ . وَأَرْجَعْتَنِي

غُلْمَانِهِ مَاءً • فَيَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ وَإِذَا بِثَلَاثِ جَوَارٍ قَدْ أَقْبَلْنَ حَامِلَاتٍ
ثَلَاثَ قُرْبٍ فَسَقَيْنَهُ • فَطَلَبَ شَيْئًا مِنْ أُمَالٍ مَعَ غُلْمَانِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ • فَدَفَعَ
لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشْرَةَ أَسْهُمٍ مِنْ كِنَانَتِهِ نَصُولَهَا مِنْ ذَهَبٍ •
فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَيَلَكُنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّمَائِلُ إِلَّا لِمَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ •
فَلْتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ شَيْئًا مِنْ الْأَبْيَاتِ • فَقَالَتِ الْأُولَى :

يُرْكَبُ فِي السَّهَامِ نَصُولَ تَبَرٍ وَيُرْمِي لِلْعَدَى كَرَمًا وَجُودًا
فَلِمَ رَضَى عِلَاجٌ مِنْ جِرَاحٍ وَكَفَانُ لِمَنْ سَكَنَ الْخُودَا
وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ :

وَحَارِبٍ مِنْ فَرَطِ جُودٍ بَنَانِهِ عَمَّتْ مَسَارِمُهُ الْأَقَارِبَ وَالْعَدَى
صَيِغَتْ نَصُولُ سَهَامِهِ مِنْ عَسَجِدٍ كَيْ لَا يُفَوِّتَهُ التَّقَارِبُ وَالنَّدَا
وَقَالَتِ الثَّالِثَةُ :

وَمِنْ جُودِهِ يُرْمِي الْعُدَاةَ بِأَسْهُمٍ مِنْ الذَّهَبِ الْأَبْرِيزِ صَيِغَتْ نَصُولُهَا
لِيُنْفِثَهَا الْمَجْرُوحُ عِنْدَ أَنْقِطَاعِهِ وَيَشْتَرِي الْأَكْفَانَ مِنْهَا قَتِيلَهَا

الحسين بن الضحاك عند المتروكل

١٦٨ حَدَّثَ الصَّوْلِيُّ قَالَ : كَانَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الصَّحَّالِ ابْنٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا
لَهُ أَرْزَاقُ ثَمَاتٍ فَقُطِعَتْ أَرْزَاقُهُ • فَقَالَ يُخْسَاطُ بُ الْمُتَوَكِّلِ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يَجْعَلَ أَرْزَاقَ أَبْنَيْهِ الْمُتَوَفَّى لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ :

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعًا بَوَلِّي عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ
وَشَبِيرُكَ الْمُعْتَرُّ أَوْ جَهْ شَافِعٍ فِي الْعَالَمِينَ

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُتَجَعُّ الْوَلَاةُ
فَقُلْنَا أَكْرَمُ الثَّقَلَيْنِ طَرًّا وَمِنْ كَفِّهِ دَجَلَةٌ وَالْفَرَاتُ
فَقَالُوا يَقْبَلُ الْمَدَحَاتِ لَكِنْ جَوَازُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَمَا تُغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي إِنَّمَا تُغْنِي الرِّكَاتُ
وَأَمَّا إِذْ أَبِي إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقَتْنِي الِهُمُومُ السَّاعِلَاتُ
فَيَا مُرْلِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تُنْشِطَنِي الصَّلَاتُ
فَتَصْلُحْ لِي عَلَى هَذَا حَيَاتِي وَيَصْلُحْ لِي عَلَى هَذَا الْمَمَاتُ

فَضَحِكَ وَأَسْتَظَرَفَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ (الشريشي)

١٦٦ حَدَّثَ الصَّوَلِيُّ قَالَ: وُلِدَ لِلْهَادِي وَلَدٌ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَلِيَ الْخِلَافَةَ
فَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَنشَدَهُ:

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَادِهِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ
وَجَاءَنَا مِنْ صُلَيْهِ سَيِّدٌ أَصِيدُ فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ
فَأَكْتَسَتِ الْأَرْضُ بِهِ بَهْجَةً وَأُسْتَبَشَّرَ الْمَلِكُ بِمِيْلَادِهِ
وَأَبْتَسَمَ الْمُنْبَرُ عَنْ فَرَحَةٍ عَلَتْ بِهَا ذِرْوَةُ أَعْوَادِهِ
كَأَنَّنِي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقُودِهِ
فِي مَحْفَلٍ تَحْقُقُ رَايَاتُهُ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ
فَأَمَرَ لَهُ مُوسَى بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ فَرَضِي عَنْهُ (الغانبي)

معن بن زائدة والثلاث جواربي

١٦٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ فِي بَعْضِ صُيُودِهِ فَعَطِشَ فَلَمْ يَجِدْ مَعَ

وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالًا
 حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَجَعَفَرٌ يُرْسِلُ دُمُوعَهُ عَلَى خَدَّيْهِ . فَقَالَ :
 هَلْ أَثَابَكَ عَلَى هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَلَدِهِ . قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَلَوْ كَانَ مَعْنٌ حَيًّا تَسْمَعُهَا مِنْكَ كَمْ كَانَ يُثِيبُكَ عَلَيْهَا . قَالَ :
 أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : فَإِنَّا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَرْضَى لَكَ بِذَلِكَ وَقَدْ
 أَمَرْنَا لَكَ عَنْ مَعْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالضَّعْفِ مِمَّا ظَنَنْتَهُ وَزِدْنَاكَ مِثْلَ
 ذَلِكَ . فَأَقْبِضْ مِنَ الْخَازِنِ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةَ دِينَارٍ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ . فَقَالَ
 مَرْوَانُ يُذَكِّرُ جَعْفَرًا وَمَا سَمِعَ بِهِ عَنْ مَعْنٍ :

نَفَحْتُ مَكَافِيًا عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجَبُّودُ بِهِ سِجَالًا
 فَعَجَلَتِ الْعَطِيَّةُ يَا ابْنَ يَحْيَى لِنَادِيهِ وَلَمْ تُرِدِ الْمِطَالَا
 فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بِذَلِكَ نَوَالَا
 بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُنَالَا
 كَانَ الْبَرْمَكِيُّ إِكْلًا مَالٍ تَجُودُ بِهِ يَدَاهُ يُفَادُ مَالَا

الصلوات والصلوة

١٦٥ وَمَا يُسْتَحْسَنُ مِنْ تَجْنِيسِ الصَّلَاتِ وَالصَّلَاةِ حِكَايَةُ أَحْمَدَ بْنِ
 الْمَدِيرِ . وَكَانَ إِذَا مَدَحَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَرْضَ شِعْرَهُ قَالَ لِغُلَامِهِ : اْمْضِ
 بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا تُفَارِقْهُ حَتَّى يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ خَافَهُ . فَتَحَامَاهُ
 الشُّعْرَاءُ إِلَّا الْأَفْرَادَ الْمُجِيدُونَ . فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيُّ
 فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الشِّعْرِ . فَقَالَ : أَعَرَفْتَ الشَّرْطَ . قَالَ : نَعَمْ وَأَشَدُّ :

قَالَ آخَرُ فِي الشُّكْرِ :

لَقَدْ أَضَحَّتْ خِلَالُ أَبِي حُصَيْنٍ حُصُونًا فِي الْمِلَمَاتِ الصَّعَابِ
كَسَانِي طَلٍّ وَابِلِهِ وَأَوَى غَرَابَ مَنْطِقِي بَعْدَ اغْتِرَابِ
وَكُنْتُ كَرَوْضَةٍ سَقِيَتْ سَحَابًا فَأَثَلْتُ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا كُنْتَ مِنْ كُلِّ الطَّبَاعِ مُرَكَّبًا فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ حَبِيبُ
قَالَ آخَرُ فِي قِلَّةِ الْمُرُوءَةِ :

مَرَرْتُ عَلَى الْمُرُوءَةِ وَهِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ لَهَا لِمَا تَبْكِي الْفَتَاةُ
فَقَاتَتْ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَهْلِي جَمِيعًا دُونَ خَلْقِ اللَّهِ مَاثُوا
قَالَ الْبَهَاءُ زُهَيْرٌ فِي الْمُوَدَّةِ :

حَفِظْتُ لَكُمْ ذَاكَ الْوَدَادَ وَصْنَتَهُ فَمَا هُوَ مَخْتُومٌ لَكُمْ بِخِتَامِ
فَلَا تُنْكِرُوا طِيبَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى إِلَيْكُمْ فَذَلِكَ الطِّيبُ فِيهِ سَلَامِي
مروان بن أبي حفصة وجعفر البرمكي

١٦٤ دَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَأَنشَدَهُ :

أَبْرَ مَا تَرْجُو الْجِيَادُ خِلَاقَهُ أَبُو الْفَضْلِ سَبَاقُ الْأَضَامِيمِ جَعْفَرُ
وَزِيرُ إِذَا نَابَ الْخِلَافَةُ حَادِثُ أَشَارَ بِمَا عَنْهُ الْخِلَافَةُ تَصْدُرُ
فَقَالَ جَعْفَرُ : أَنَشِدْنِي مَرِثَتَكَ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ فَأَنشَدَهُ :

أَقَمْنَا بِالْيَمَامَةِ أَوْ نَسِينَا مُقَامًا لَا زَيْدُ بِهِ زَوَالَا
وَقُلْنَا أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالَا

أَلْبَابُ التَّاسِعِ فِي اللَّطَائِفِ

وزير المأمون والشاعر

١٦٢ كَانَ أَبُو عَبَّادٍ الرَّازِيُّ وَزِيرُ الْمَأْمُونِ شَدِيدَ الْحِدَّةِ سَرِيعَ
الْغَضَبِ . رُبَّمَا اغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَمَاهُ بِدَوَاتِهِ
أَوْ شَتَمَهُ فَأَفْحَشَ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْغَالِي الشَّاعِرُ وَانْشَدَهُ :

لَمَّا ائْتَيْنَا بِالْوَزِيرِ رَكَّابَنَا مُسْتَعْصِمِينَ بِجُودِهِ أَعْطَانَا
ثَبَتَ رَحًا مُلْكِ الْإِمَامِ بِثَابِتٍ وَأَفَاضَ فِينَا الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ
يَقْرِي الْوُفُودَ طَلَاقَةً وَسَمَاحَةً وَالنَّاسَ كَثِيرِينَ هُنْدًا وَسِنَانًا
مَنْ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ غِيَةً مُرْعَاً مُتَخَرِّقًا فِي جُودِهِ مِعْوَانًا
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِي جُودِهِ وَقَفَ وَارْتَجَّ عَلَيْهِ . وَصَارَ يُكْرَرُ
فِي جُودِهِ مِرَارًا . حَتَّى ضَجِرَ أَبُو عَبَّادٍ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السَّوْدَاءُ فَقَالَ :
يَا شَيْخُ فَقُلْ : قَرْنَانَا أَوْ صَفْعَانَا وَخَلَصْنَا . فَضَحِكَ جَمِيعٌ مَنْ كَانَ بِالْمَجْلِسِ
وَذَهَبَ غَيْظُهُ هُوَ أَيْضًا فَضَحِكَ مَعَ النَّاسِ . وَأَتَمَّ الْغَالِي قَافِيَتَهُ
بِقَوْلِهِ مِعْوَانًا . ثُمَّ وَصَلَهُ الْوَزِيرُ (لَا بَنَ الطِّقْطَقِي)

١٦٣ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ظُلْمِ الدُّنْيَا :

عَبْتُ عَلَى الدُّنْيَا بِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ وَتَأْخِيرِ ذِي لُبٍّ فَأَبْدَتْ لِي الْعُذْرَا
بُنُو الْجَهْلِ أَبْنَائِي وَأَمَّا أَلْوَا النَّهْيِ فَإِنَّهُمْ أَبْنَاءُ ضَرَّتِي الْأُخْرَى

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهُوَ صُنْعُ سَحَابَةٍ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهُوَ مِنْ لُجَةِ الْجَبْرِ
بِأَيْدِيهِمْ أَقْلَامٌ . تَخْتَلِسُ بِلُطْفِهَا الْأَحْلَامَ . صَافِيَةُ الْجَوَاهِرِ . زَاهِيَةُ
الْأَزَاهِرِ . لَيْثَةُ الْأَعْطَافِ . نَاعِمَةُ الْأَطْرَافِ . تَبْكِي وَهِيَ مُبَسِّمَةٌ .
وَتَسْكُتُ وَهِيَ بِمَا يُطْرِبُ السَّمْعَ مُتَكَلِّمَةٌ . قَدِ اعْتَدَلَتْ قُدُودُهَا .
وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْبَرَاةِ سُعُودُهَا . أَسَانَتْهَا مُرْهَفَةٌ . وَمَطَارِفُهَا مُقَوِّفَةٌ .
تَجْتَهِدُ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي . وَتُبْدِي مِنْ دُرَرِهَا مَا يَفْضَحُ الدَّرَارِي .
تَمِيسُ فِي وَشْيِ أَرْوَاحِهَا . وَتَشْرَحُ الصُّدُورَ بِعَذُوبَةِ إِرَادِهَا . نَشَأَتْ
عَلَى سُطُوطِ الْأَنْهَارِ . وَتَعَلَّمَتْ اللَّحْنَ مِنْ إِعْرَابِ الْأَطْيَارِ . طَوِيلَةٌ
الْأَنْبَابِ . تَسْلُبُ الْقُلُوبَ بِحُسْنِ الْأَسَالِيبِ . تَذْهَشُ النَّاطِرُ وَتَحْجُلُ
الْعَامِلُ . وَلَا تَرْضَى بِأَمْتِطَاءٍ غَيْرِ الْأَنَامِلِ . السَّجَاعَةُ كَامِنَةٌ فِي مُهْجَتِهَا .
وَالْفَصَاحَةُ جَارِيَةٌ عَلَى لَهْجَتِهَا . تَبْهَرُ بِالنِّصَارَةِ نَوَاطِرُ الْبَهَارِ . وَتُطَرِّزُ
بِاللَّيْلِ أَرْدِيَةَ النَّهَارِ . إِنْ قَالَتْ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالًا إِلَّا قَائِلٌ . وَإِنْ صَالَتْ
رَجَعَتْ السُّيُوفُ مُسْتَتِرَةً بِأَذْيَالِ الْحَمَائِلِ . سَجَدَتْ لِلطَّرْسِ فَرَفَعَتْ إِلَى
أَعْلَى الرُّتَبِ . وَحَلَّتْ وَسَبَّتْ فَسَمِيَتْ بِالْأَقْصَبِ (لِكُلِّ الدِّينِ الْحَاجِي) ١٦١
إِعْتَمَدْنَا وَهَبٍ بِقَلَمٍ صَافٍ فَصَرَ الْقَلَمُ فِي يَدِهِ فَأَنشَدَ :

إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا وَاتَّضَيْنَا صَوَارِمًا يَكَادُ يُصِمُّ السَّامِعِينَ صَرِيرُهَا
تَسَاقَطَ فِي الْقِرْطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعُ كَمِثْلِ الْأَلَاكِ نَظْمُهَا وَتَثِيرُهَا
تُقَوِّدُ أَيْبَاتَ الْبَيَانِ بِفِطْنَةٍ وَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الْبَلَاغَةِ نُورُهَا
تَظَلُّ الْمُنَايَا وَالْعَطَايَا شَوَارِعًا تَدُورُ بِمَا شِئْنَا وَتَمْضِي أُمُورُهَا

إِذَا أُفْتَحَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ وَعَدُوهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَمَ
كَفَى قَلَمَ الْكِتَابِ فَخْرًا وَرِفْعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَامِ
لِأَيِّ الْقَرَجِ بْنِ الدَّهَّانِ

قَوْمُ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ قَصَبٍ ثُمَّ اسْتَمَدُوا بِهَا مَاءَ الْمُنِيَّاتِ
نَالُوا بِهَا مِنْ أَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعْدُوا مَا لَا يُنَالُ بِحَدِّ الْمَشْرِفِيَّاتِ
فِي شَرَفِ الْكِتَابِ

١٦٠ الْكِتَابُ عِمَادُ الْمُلْكِ وَأَرْكَانُهُ. وَعِيُونُهُ الْمُبْصِرَةُ وَأَعْوَانُهُ. وَبَهَاءُ
الدُّوَلِ وَنِظَامُهَا. وَرُؤُوسُ الرِّئَاسَةِ وَقَوَامُهَا. مَا لَيْسَ لَهُمْ فَاحِرَةٌ. وَمَحَاسِنُهُمْ
بَاهِرَةٌ. وَشَمَائِلُهُمْ لَطِيفَةٌ. وَنُفُوسُهُمْ شَرِيفَةٌ. مَدَارُ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ
عَلَيْهِمْ. وَمَرْجِعُ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ إِلَيْهِمْ. بِهِمْ يُحْلَى الْعَوَاطِلُ. وَتَبْتَسِمُ
تُغُورُ الْمُعَاقِلُ. مَجَالِسُهُمْ بِالْفَضَائِلِ مَعْمُورَةٌ. وَبِنِدَاهِهِمْ أُنْدِيَةُ الْقُصَادِ
مَعْمُورَةٌ. يَهْدُونَ إِلَى الْأَسْمَاعِ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ. وَيَنْزِعُهُونَ الْأَحْدَاقَ فِي
حَدَائِقِ التَّوَشِيحِ وَالتَّوَشِيْعِ. هُمْ أَهْلُ الْبَرَاةِ وَاللَّسَنِ. وَشَيْئُهُمْ لَفُ
الْقَبِيحِ وَنَشْرُ الْحَسَنِ. يَمِيلُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِمُوجِبِ الْمَدْحِ. وَلَا يَمِيلُونَ
مِنْ مُرَاجَعَةِ الرَّاعِبِينَ فِي الْمُنْحِ. دَائِبُهُمْ اسْتِخْدَامُ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ.
وَعَدَمُ التَّوَرِيَةِ عَنِ الْعَالِي وَالْمُهَوِّفِ. يَحِلُّونَ الْكَبِيرَ. وَيَحِلُّونَ الصَّغِيرَ.
وَلَا يُحِلُّونَ بِمُرَاعَاةِ النَّظِيرِ. لَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ رُجُوعٌ وَالتَّقَاتُ. وَبِالْجُمْلَةِ
فَقَدْ حَارَوْا جَمِيعَ جَمِيلِ الصِّفَاتِ :

كَتَبَتْ قُلُوبَنَا أَنَّ هَذَا مُحَلَّلٌ وَذَلِكَ حَرَامٌ قِسْتَ خَطِّكَ بِالسَّحْرِ

لِمَنْصُورٍ حِينَ أَمَرَهُ بِالْقُدُومِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفَظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا
الْفَرَسِ : أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ . سُنَّةُ اللَّهِ فِي
عِبَادِهِ وَالسَّلَامُ

(مقدمة ابن خلدون)

١٥٧ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السَّيْفُ الَّذِي خَصَّصَتْ
قَالُمُوتُ وَالْمُوتُ لَا شَيْءَ يُقَالُ لَهُ
بِذَا قَضَى اللَّهُ لِلْإِقْلَامِ مَذْبُوتُ
لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ
مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مَذْأَرْهَفَتْ خَدَمُ

١٥٨ قَوْلُ حَبِيبٍ فِي قَلَمِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ وَأَحْسَنَ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَسَّنَاهُ
لَهُ الْجَلُوتُ الْأَلَاءُ لَوْلَا نَجِيهَا
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ
لَهُ دِيمَةٌ طَلٌّ وَابْكِنٌ وَقَعْمَا
فَصِيحٌ إِنْ اسْتَنْطَمَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ
إِذَا مَا أَمْتَطَى الْخُمْسَ اللَّطَافِ رَأْفَتُ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ
إِذَا اسْتَعْدَرَ الذَّهْنُ الذِّكْيُ وَأَقْبَلَتْ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ وَسَدَدَتْ
رَأَيْتَ جَالِيلاً شَأْنَهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ

١٥٩ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

تَصَابُ مِنَ الْمَرْءِ السُّكْلَى وَالْمَفَاصِلُ
لَمَّا احْتَفَلَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْحَافِلُ
وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ
بِأَثَرِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ
وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْحَيَامِ الْحُجَافِلُ
أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ آسَافِلُ
ثَلَاثَ نَوَاجِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
ضَنَى وَشَمِينًا خَطْبَهُ وَهُوَ نَاجِلُ

بها على أمره . إلا أن الحاجة إلى السيف في أول الدولة مادام أهلها
 في تهديد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم إذ القلم في تلك الحال خادم
 فقط منفذ للحكم السلطاني . والسيف شريك في المعونة . وكذلك
 في آخر الدولة حيث تضعف عصيتها ويقل أهلها بما ينالهم من الهرم .
 فحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم
 في حماية الدولة والمدافعة عنها . كما كان الشأن أول الأمر في تهديدها .
 فتكون للسيف مزية في الحالتين على القلم . ويكون أرباب السيف
 حينئذ أوسع جاهاً وأكثر نعمة وأسنى إقطاعاً . وأما في وسط الدولة
 فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف . لأنه قد تهدد أمره ولم
 يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط والمباهاة
 الدول وتنفيذ الأحكام . والقلم هو المعيز له في ذلك فتعظم الحاجة
 إلى تضريفه وتكون السيوف مهمة في مضاجع غمودها . إلا إذا نابت
 نائبة أودعت إلى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها .
 فيكون أرباب الأقاليم في هذه الحالة أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم
 نعمة وثروة . وأقرب من السلطان مجلساً وأكثر إليه تردداً . وفي
 خلواته نجياً . لأنه حينئذ الله التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه
 والنظر في أعطافه وتثقيف أطرافه والمباهاة بأحواله . ويكون الوزراء
 حينئذ وأهل السيوف مستغني عنهم مبعدين عن ناظر السلطان حذرين
 على أنفسهم من بؤاديه . وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ بِأَنَامِلٍ يَحْمِلْنَ شَخْتًا مُرْهَفًا
مُتَقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُنْصَصِلًا وَمَوْصِلًا وَمُشْتَتًا وَمُؤَلَّفًا
تَرَكَ الْعُدَّةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاوُهَا وَقِلَاعَهَا قُلْعًا هُنَالِكَ رُجَفًا
كَالْحَيَّةِ الرَّقَشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلَطُّفًا
يَرِي بِهِ قَلَمًا يُجِ لُعَابَهُ فَيَعُودُ سِنْفًا صَارِمًا وَمُشْتَفًا
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِي :

أَخْرَسُ يُنْبِيكَ بِإِطْرَاقِهِ عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
يُذِرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً يُبْذِرِي بِهَا السِّرَّ وَمَا يَذِرِي
يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ
أَخْرَقُ لَوْ لَمْ تَبْرِهِ لَمْ يَكُنْ يَرْشُقُ أَقْوَامًا وَمَا يُبْرِِي
كَأَنْجَرٍ إِذَا يُجْرِي وَكَأَلَلِيلٍ إِذَا يَغْشَى وَكَأَلْصَّارِمٍ إِذَا يَفْرِِي
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَرَّار :

أَهْفُ مُشَوِّقٌ يَتَخَرِّكُهُ يَحُلُّ عَقْدَ السِّرِّ إِعْلَانُ
لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَذُّهُ مِنْ رِيْقَةِ الْكُرْسُفِ رِيَّانُ
تَرَى بَسِيطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجْهَانُ
كَأَنَّمَا يَسْتَحِبُّ فِي إِثْرِهِ ذِيلاً مِنَ الْحِكْمَةِ سَحْبَانُ
لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْمَدَى وَلَا سَمَا لِلْمَلِكِ دِيْوَانُ

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

١٥٦ إَعْلَمُ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةٌ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ

الْبَابُ الثَّلَاثُونَ فِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ

١٥٤ فَأَخْرَجَ صَاحِبُ سَيْفٍ صَاحِبَ قَلَمٍ فَقَالَ صَاحِبُ الْقَلَمِ : أَنَا
أَفْتُلُ بِالْأَعْرَارِ . وَأَنْتَ تَقْتُلُ عَلَى خَطَرٍ . وَصَرِيحُ الْأَقْلَامِ . أَشَدُّ مِنْ صَلِيلِ
الْحُسَامِ . فَقَالَ صَاحِبُ السَّيْفِ : الْقَلَمُ خَادِمُ السَّيْفِ إِنْ تَمَّ مُرَادُهُ وَإِلَّا
فَالِ السَّيْفِ مَعَادُهُ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ :

السَّيْفُ أَعْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
بَيْضُ الصَّفَائِحِ لِأَسْوَدِ الصَّحَافِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي أَلْجَدُ لِلْسَّيْفِ لَيْسَ أَلْجَدُ لِلْقَلَمِ
اُكْتُبْ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي تَفْضِيلِ الْقَلَمِ عَلَى السَّيْفِ :

لَعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ بِأَخْوَفَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
أَدَاةُ الْمُنِيَّةِ فِي جَانِبِهِ فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْمَةُ الرَّاهِبِ
سِنَانُ الْمُنِيَّةِ فِي جَانِبِ وَحَدُّ الْمُنِيَّةِ فِي جَانِبِ
أَلَمْ تَرَى فِي صَدْرِهِ كَالسِّنَانِ وَفِي الرِّدْفِ كَالْمُرْهَفِ الْقَاضِ
١٥٥ قَالَ الصَّوَلِيُّ أَنَشَدَنِي طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ فِي الْقَلَمِ :

الْخَيْرَ دَابَّهُمْ . وَخَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِشْفَاقِكَ وَخَنَانِكَ . أَكْثَرَ مِنْ غَاظَةِ
 جَنَانِكَ . وَانْكَمَّ عَنْهُمْ مَيْلُكَ . وَأَفِضْ فِيهِمْ جُودَكَ وَنَيْلَكَ . وَائْتِهِمْ عَلَى
 حُسْنِ الْجَوَابِ . وَسَبِّقْ لَهُمْ خَوْفَ الْجَزَاءِ عَلَى رَجَاءِ الثَّوَابِ . وَعَلِّمَهُمْ
 الصَّبْرَ عَلَى الصَّرَائِرِ . وَالْمُهْلَةَ عِنْدَ اسْتِخْقَافِ الْجَرَائِرِ . وَخُذْهُمْ بِحُسْنِ
 السَّرَائِرِ . وَحَبِّبْ إِلَيْهِمْ مِرَاسَ الْأُمُورِ الصَّغْبَةِ الْمِرَاسِ . وَحُسْنَ
 الْأَصْطِنَاعِ وَالْإِحْتِرَاسِ . وَالْأَسْتِكْثَارَ مِنْ أُولَى الْمَرَاتِبِ وَالْعُلُومِ .
 وَالسِّيَاسَاتِ وَالْحُلُومِ . وَالْمَقَامِ الْمَعْلُومِ . وَكَرِّهْ إِلَيْهِمْ مُجَاسَاةَ الْمَاهِيْنَ .
 وَمُصَاحَبَةَ السَّاهِيْنَ . جَاهِدْ أَهْوَاءَهُمْ عَنْ عُقُولِهِمْ . وَحَذِّرِ الْكُذْبَ
 عَنْ مَقُولِهِمْ . وَرَشِّحْهُمْ إِذَا آتَيْتَ مِنْهُمْ رُشْدًا أَوْ هُدًيًا . وَأَرْضِعْهُمْ
 مِنَ الْمَوَازِرَةِ وَالْمَشَاوِرَةِ ثَدْيًا . لِيَتَرَّبَّ نَحْمُ عَلَى الْأَعْيَادِ وَتَحْمِلَهُمْ عَلَى
 الْإِزْدِيَادِ . وَرَضِّعْهُمْ رِيَاضَةَ الْجَلِيَادِ . وَأَحْذَرِ عَلَيْهِمُ الشَّهَوَاتِ فَهِيَ
 دَاوُهُمْ . وَأَعْدَاؤُكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَعْدَاؤُهُمْ . وَتَدَارَكِ الْخَلْقَ الذَّمِيَّةَ كُلَّ
 مَا حَجَمَتْ . وَأَقْدَعِهَا إِذَا هَجَمَتْ . قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ تَضَعِيفُهَا . وَيَتَوَيَّ ضَعِيفُهَا :
 إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتْهَا أَعْتَدَلَتْ . وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتْهَا الْحَشَبُ
 وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى التَّدْبِيرِ . وَتَشَوَّفُوا لِلْحَلِّ الْكَبِيرِ . فَإِيَّاكَ أَنْ
 تُوْطِنَهُمْ فِي مَكَانِكَ جُهْدَ إِمْكَانِكَ . وَفَرِّقْهُمْ فِي بُلْدَانِكَ تَفْرِيقَ
 عَبْدَانِكَ . وَأَسْتَعْمِلْهُمْ فِي بُعُوثِ جِهَادِكَ . وَالنِّيَابَةِ عَنْكَ فِي سَبِيلِ
 اجْتِهَادِكَ . وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ الثَّنَاتِ . فَإِنَّ عَيْنَ الثَّنَةِ . تُبْصِرُ مَا لَا
 تُبْصِرُ عَيْنُ الْحُبِّ وَالْمَحَبَّةِ

(المقري)

فَالْأَمْرُ يَصْعَبُ ثُمَّ يَرْجِعُ هَهْنًا
حَتَّى إِذَا أَذْرَكْتَ مَا أَمَلْتَهُ
فَأَشْكُرْ إِلَهَكَ وَاتَّبِعْ رِضْوَانَهُ
وَأَرْغَبْ لِكِفِّكَ أَنْ تَخْطُبَ بَنَانَهَا
فَجَمِيعُ فِعْلِ الْمَرْءِ يَلْقَاهُ عَدَا
وَلَرُبَّ سَهْلٍ جَاءَ بَعْدَ عَسِيرٍ
أَضْحَيْتَ رَبِّ مَسْرَةٍ وَحُبُورٍ
إِنَّ إِلَهَ يُحِبُّ كُلَّ شَكُورٍ
خَيْرًا تُخْلِفُهُ بِدَارِ غُرُورٍ
عِنْدَ التَّقَاءِ كِتَابِهِ الْمَشُورِ

في الادب وتربية الصغار

١٥٢ كَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ هَبَّةُ اللَّهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مَدْرَسٍ أَنَّهُ :
أَبَا عَلِيٍّ هُوَ الدَّهْرُ اأَلْوَنُ وَمَا
إِنِّي لِأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ
وَلَوْ أَرَدْتُ مُكَافَأَةً عَلَى مَنْ
عَهَدْتُ فَضْلَكَ لَا يَحْتَاجُ تَذَكُّرَةً
رَاجِعٌ سَدَادَكَ فِيهِ فَهَوَ إِنْ سَمَحْتَ
وَأَحْفَظُ لَهُ حَقَّ آبَاءٍ وَمَعْرِفَةٍ
وَأَوَّلِهِ مِنْكَ قِسْطًا مِنْ مِلْحَظَةٍ
فَإِنَّهُ نَبْعَةٌ طَابَتْ مَنَابِتُهُ
مُغْرَى بِمَا زَادَ فِي قَدَرٍ وَمَنْزِلَةٍ
دَلَائِلُ مُخْبِرَاتٍ عَنْ نَجَابَتِهِ
مِنْ مَعَشَرٍ حَلَّتِ الْعُلَيَّا بَيْنَهُمْ
١٥٣ قَالَ لِسَانَ الدِّينِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ : أَحْسِنِ آدَابَهُمْ • وَاجْعَلِ

قصيدة ابن البواب في وصف صناعة الخط

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَّحْرِيرِ
إِنْ كَانَ عَزَمَكَ فِي الْكِتَابَةِ صَادِقًا
أَعِدْ مِنْ الْأَقْلَامِ كُلِّ مُتَقِفٍ
وَإِذَا عَمِدْتَ لِبَرِيهِ فَتَوَخَّهْ
أَنْظِرْ إِلَى طَرْفِهِ فَأَجْعَلْ بَرِيَهُ
وَأَجْعَلْ لِحَلْفِهِ قَوَامًا عَادِلًا
وَالشَّقَّ وَسَطَهُ لِيَبْقَى بَرِيَهُ
حَتَّى إِذَا اتَّقَنْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ
فَأَصْرِفْ لِرَأْيِ الْقَطْعِ عَزَمَكَ كُلَّهُ
لَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ أَبُوحَ بِسِرِّهِ
لِيَكُنَّ جُمْلَةً مَا أَقُولُ بِأَنَّهُ
وَأَلِقْ دَوَاتِكَ بِالْدُخَانِ مُدَبَّرًا
وَأَصِفْ إِلَيْهِ مُفَرَّةً قَدْ صُوِّلَتْ
حَتَّى إِذَا مَا خَمَرَتْ فَأَعْمِدْ إِلَى الْوَرَقِ النَّقِيِّ النَّاعِمِ الْخَبُورِ
فَاكْبِسْهُ بَعْدَ الْقَطْعِ بِالْمَعْصَارِ كِي
ثُمَّ أَجْعَلِ التَّمْيِيلَ دَأْبَكَ صَابِرًا
إِبْدَأْ بِهِ فِي اللَّوْحِ مُنْتَضِيًا لَهُ
لَا تَحْجَلَنَّ مِنَ الرَّدِيِّ تَحْطُهُ
وَيَوْمَ حُسْنِ الْخَطِّ وَالتَّصْوِيرِ
فَارْعَبْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي التَّيْسِيرِ
صَبِّ يَصُوغُ صِيَاغَةَ التَّخْيِيرِ
عِنْدَ الْقِيَاسِ بِأَوْسَطِ التَّقْدِيرِ
مِنْ جَانِبِ التَّدْقِيقِ وَالتَّخْصِيرِ
يَخْلُو عَنْ التَّطْوِيلِ وَالتَّهْصِيرِ
مِنْ جَانِبَيْهِ مُشَاكِلَ التَّقْدِيرِ
إِتْقَانَ طَبِّ بِالْمُرَادِ خَيْرِ
فَالْقَطْعُ فِيهِ جُمْلَةُ التَّدْبِيرِ
إِنِّي أَضِنُّ بِسِرِّهِ الْمُسْتَوْرِ
مَا بَيْنَ تَحْرِيفٍ إِلَى تَدْوِيرِ
بِالْحُلِّ أَوْ بِالْحَضَرِ الْمَعْصُورِ
مَعَ أَصْفَرِ الزَّرْنِجِ وَالْكَافُورِ
وَرَقِ النَّقِيِّ النَّاعِمِ الْخَبُورِ
يَنَائِي عَنِ التَّشْعِيثِ وَالتَّغْيِيرِ
مَا أَدْرَكَ الْمَأْمُولَ مِثْلُ صَبُورِ
عَزَمًا تُجَرِّدُهُ عَنِ التَّشْمِيرِ
فِي أَوَّلِ التَّمْيِيلِ وَالتَّسْطِيرِ

الَّسَّانُ وَنَهْسَتُهُ اللَّهُوَاتُ وَقَطَعَتُهُ الْأَسْنَانُ وَلَفْظَتُهُ الشَّفَاهُ وَوَعَتُهُ
 الْأَسْمَاعُ عَنْ أُنْحَاءِ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتٍ وَأَسْمَاءٍ . قَالَ الْبُخْتَرِيُّ :
 طِعَانُ بِأَطْرَافِ الْقَوَافِي كَأَنَّهُ طِعَانُ بِأَطْرَافِ الْقِنَا الْمُتَكَسِّرِ
 ١٤٩ قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ يَصِفُ مَحَبَّرَةً :

وَلَقَدْ مَضَيْتُ إِلَى الْوَحْدَةِ أَيْفًا وَإِذَا بِمَحَبَّرَتِهِ طِبَاءُ رُتِعَ
 وَإِذَا طِبَاءُ الْإِنْسِ تَكْتَبُ كُلُّ مَا يُمْلِي وَتَحْفَظُ مَا يَقُولُ وَتَسْمَعُ
 يَتَجَادِبُونَ الْحَبْرَ مِنْ مَلُومَةٍ بَيَضَاءٍ تَحْمِلُهَا عَلائِقُ أَرْبَعٍ
 مِنْ خَالِصِ الْيَلَوْرِ غَيْرَ لَوْنِهَا فَكَأَنَّمَا سَجَّ يُلُوحُ وَيَلْمَعُ
 إِنْ نَكَّسُوهَا لَمْ تَسِلْ وَمَلِكُهَا فِيهَا حَوْتُهُ عَاجِلًا لَا يَطْمَعُ
 وَمَتَى أَمَلُوهَا لِرَشْفِ رُضَائِهَا أَدَاهُ فُوهَا وَهِيَ لَا تَتَمَنَّعُ
 وَكَأَنَّمَا قَلْبِي يَضُنُّ بِسِرِّهِ أَبَدًا وَيَكْتُمُ كُلَّ مَا يُسْتَوْدَعُ

وصف الخط

١٥٠ سَأَلَ بَعْضُ الْكُتَّابِ عَنِ الْخَطِّ مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجُودَةِ .
 قَالَ : إِذَا اُعْتَدَلَتْ أَقْسَامُهُ . وَطَالَتِ الْفُهُ وَلَامُهُ . وَاسْتَقَامَتِ سَطُورُهُ .
 وَضَاهَى صَعُودُهُ حُدُودُهُ . وَتَفَتَّحَتْ عِيُونُهُ . وَلَمْ تَشْتَبِهْ رَأُوهُ وَنُونُهُ .
 وَأَشْرَقَ قِرْطَاسُهُ . وَأَظْلَمَتْ أَنْفَاسُهُ . وَلَمْ تَخْتَلَفْ أَجْنَاسُهُ . وَأَسْرَعَ إِلَى
 الْعِيُونِ تَصَوُّرُهُ . وَإِلَى الْعُقُولِ تَشْمُرُهُ . وَقَدَّرَتْ فُصُولُهُ . وَأَنْدَجَّتْ
 أَصُولُهُ . وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ . وَخَرَجَ مِنْ نَمَطِ الْوَرَّاقِينَ . وَبَعْدَ عَنْ
 تَصْنَعِ الْمُخْبِرِينَ . وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامُ اللَّسْبَةِ وَالْحَلِيَةِ . (لِلْقِيَرَوَانِي)

الْأَلَامَ • وَجَعَلَتْ عَرْضَهُ إِشَارَةً لِسِهَامِ الْأَقْوَامِ • وَلِسَائِلِ هُنَا أَنْ يَسْأَلَ
وَيَقُولَ : لَمْ عَدَلْتُ إِلَى شِعْرِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ • فَأَقُولُ : إِنِّي
لَمْ أَعْدِلْ إِلَيْهِمْ اتِّفَاقًا وَإِنَّمَا عَدَلْتُ نَظْرًا وَاجْتِهَادًا • وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ
عَلَى أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ دِيْوَانُ شَاعِرٍ مُفَاقٍ يَثْبُتُ
شِعْرُهُ عَلَى الْحَكِّ إِلَّا وَعَرَضْتُهِ عَلَى نَظْرِي • فَلَمْ أَجِدْ أَجْمَعَ مِنْ دِيْوَانِ
أَبِي تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ لِلْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ وَلَا أَكْثَرَ اسْتِخْرَاجًا مِنْهُمَا لِلطَّيِّفِ
الْأَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ • وَلَمْ أَجِدْ أَحْسَنَ تَهْذِيبًا لِلْأَلْفَافِ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ
وَلَا أَنْفَسَ دِيْبَاجَةً وَلَا أَبْهَجَ سَبْكًا • فَأَخَّرْتُ دَوَائِنَهُمْ لِاسْتِمَالِهَا
عَلَى مَحَاسِنِ الطَّرَفَيْنِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَافِ • وَلَمَّا حَفِظْتُهَا أَلْقَيْتُ مَا
سِوَاهَا مَعَ مَا بَقِيَ عَلَى خَاطِرِي مِنْ غَيْرِهَا (المثل السائر لابن الاثير)

وصف القلم

١٤٨ قَالُوا : الْقَلَمُ أَحَدُ الْأَسَانِينِ وَهُوَ الْمُخَاطَبُ لِلْغُيُوبِ • بِسَرَائِرِ
الْقُلُوبِ • عَلَى لُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ مَعَانٍ مَعْقُولَةٍ • بِحُرُوفٍ مَعْلُولَةٍ • مُتَبَايِنَاتِ
الْصُّوَرِ مُخْتَلِفَاتِ الْجِهَاتِ • لِقَاحُهَا التَّفَكُّرُ وَنَتَاجُهَا التَّدْبِيرُ • تَحْرُسُ
مُنْقَرِدَاتٍ • وَتَنْطِقُ مُزْدَوِجَاتٍ • بِأَلْأَصْوَاتِ مَسْمُوعَةٍ • وَلَا أَلْسُنَ حَخْرُودَةٍ
وَلَا حَرَكَاتٍ ظَاهِرَةٍ • خَلَا قَلَمٌ حَرْفَ بَارِيهِ قَطَّتَهُ لِيَتَعَلَّقَ الْمِدَادُ بِهِ
وَأَرْهَفَ جَانِبِيهِ لِيَرُدَّ مَا أُنتَشَرَ عَنْهُ إِلَيْهِ وَشَقَّ رَأْسَهُ لِيَتَبَسَّ الْمِدَادُ
عَلَيْهِ • فَهَذَا الَّذِي اسْتَمَدَّ الْقَلَمُ بِشِقِّهِ وَنَثَرَ فِي الْقُرْطَاسِ بِخَطِّهِ حُرُوفًا
أَحْكَمَهَا التَّفَكُّرُ وَأَوَّلَى الْأَنْعَامِ بِهَا الْكَلَامُ الَّذِي سَدَّاهُ الْعَقْلُ وَالْحَمَةُ

بِالْبَدَاعِ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْقِتَالِ • وَأَنَا أَقُولُ قَوْلًا وَلَسْتُ فِيهِ
مُتَأَمِّمًا • وَلَا مِنْهُ مُتَأَمِّمًا • وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَاضَ فِي وَصْفِ مَعْرَكَةٍ كَانَ
لِسَانُهُ أَمْضَى مِنْ نِصَالِهَا • وَأَشْجَعُ مِنْ أَبْطَالِهَا • وَقَاسَمْتُ أَقْوَالُهُ لِلْسَّامِعِ
مَقَامَ أَفْعَالِهَا • حَتَّى يَظُنَّ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ تَقَابَلَا • وَالسَّالِحِينَ قَدْ تَوَاصَلَا •
وَطَرِيقُهُ فِي ذَلِكَ يَضِلُّ بِسَالِكِهِ • وَيَقُومُ بِعُذْرِ تَارِكِهِ • وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
كَانَ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَيَصِفُ لِسَانُهُ مَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ
عِيَانُهُ • وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ عَادِلِينَ فِيهِ عَنِ السَّنَنِ الْمُتَوَسِّطِ •
فَإِمَّا مُفْرِطٌ فِي وَصْفِهِ وَإِمَّا مُفْرِطٌ • وَهُوَ وَإِنْ أَنْفَرَدَ بِطَرِيقِ صَارِ أَبَا
عُذْرِهِ • فَإِنَّ سَعَادَةَ الرَّجُلِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ شَعْرِهِ • وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ
خَاتِمُ الشُّعْرَاءِ • وَمَهُمَا وَصَفَ بِهِ فَهُوَ فَوْقَ الْوَصْفِ وَفَوْقَ الْإِطْرَاءِ • وَلَقَدْ
صَدَقَ فِي قَوْلِهِ مِنْ أَيْبَاتِ يَمْدَحِهَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَا خُتِمُوا
وَلَا تُبَالِ بِشَعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الْعَتَمُ
وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ شَعْرَهُ بَعَيْنِ الْمَعْدَلَةِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْهَوَى • وَعَيْنِ
الْمَعْرِفَةِ الَّتِي مَا ضَلَّ صَاحِبُهَا وَمَا غَوَى • وَجَدْتُهُ أَقْسَامًا خَمْسَةً • خُمْسُ
مِنْهَا فِي أَلْفَايَةِ الَّتِي أَنْفَرَدَ بِهَا • وَخُمْسٌ مِنْ جَيْدِ الشَّعْرِ الَّذِي يُشَارِكُهُ
فِيهِ غَيْرُهُ • وَخُمْسٌ مِنْهُ مِنْ مُتَوَسِّطِ الشَّعْرِ • وَخُمْسٌ دُونَ ذَلِكَ •
وَخُمْسٌ فِي أَلْفَايَةِ الْمُتَهَمِّرَةِ الَّتِي لَا يُعْبَأُ بِهَا • وَعَدَمُهَا خَيْرٌ مِنْ وُجُودِهَا •
وَلَوْ لَمْ يَطْلُهَا أَبُو الطَّيِّبِ لَوْ فَادَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا • فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي أَلْبَسَتْهُ لِبَاسَ

غَرَابَةُ الْمُحَدِّثِينَ وَفَصَاحَةُ الْقَدَمَاءِ • وَجَمَعَتْ بَيْنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ
 وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ • أَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ رَبُّ مَعَانٍ • وَصَيْقُلُ الْبَابِ وَأَذْهَانٍ •
 قَدْ شَهِدَتْ لَهُ بِكُلِّ مَعْنَى مُبْتَكِرٍ • لَمْ يَمْسُ فِيهِ عَلَى أَثَرٍ • فَهُوَ غَيْرُ مُدَافِعٍ
 عَنْ مَقَامِ الْإِعْرَابِ • الَّذِي بَرَزَ فِيهِ عَلَى الْأَضْرَابِ • وَلَقَدْ مَارَسَتْ مِنْ
 الشَّعْرِ كُلِّ أَوَّلٍ وَآخِرٍ • وَلَمْ أَقُلْ مَا أَقُولُهُ إِلَّا بِتَقْيِيرٍ • فَمَنْ حَفِظَ شِعْرَ
 الرَّجُلِ وَكَشَفَ عَنْ غَامِضِهِ • وَرَاضَ فِي كُرْهِ بَرَايِضِهِ • أَطَاعَتْهُ أَعْنَتُهُ
 الْكَلَامِ • وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ مَا قَالَتْهُ حَذَامٌ • فَخُذْ مِنِّي فِي ذَلِكَ
 قَوْلَ حَكِيمٍ • وَتَعَلَّمَ فَفُوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ • وَأَمَّا أَبُو عِبَادَةَ الْبُحْتَرِيُّ
 فَإِنَّهُ أَحْسَنَ فِي سَبْكِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى • وَارَادَ أَنْ يَشْعُرَ فَعَنَى • وَلَقَدْ
 حَازَ طَرَفِي الرِّقَّةَ وَالْجَزْأَةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ • فَيَنِينًا يَكُونُ فِي شَطَفِ نَجْدٍ
 حَتَّى يَتَشَبَّثَ بِرَيْفِ أَعْرَاقٍ • وَسُئِلَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي تَمَّامٍ
 وَعَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ: أَنَا وَأَبُو تَمَّامٍ حَكِيمَانِ • وَالشَّاعِرُ الْبُحْتَرِيُّ • وَلَعَمْرِي إِنَّهُ
 أَنْصَفَ فِي حُكْمِهِ • وَأَعْرَبَ فِي قَوْلِهِ هَذَا عَنْ مَتَانَةِ عِلْمِهِ • فَإِنَّ أَبَا
 عِبَادَةَ أَتَى فِي شِعْرِهِ بِالْمَعْنَى الْمُقْدُودِ مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ • فِي اللَّفْظِ
 الْمَصُوغِ مِنْ سَلَاسَةِ الْمَاءِ • فَأَدْرَكَ بِذَلِكَ بَعْدَ الْمَرَامِ • مَعَ قُرْبِهِ إِلَى
 الْأَفْهَامِ • وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ أَتَى فِي مَعَانِيهِ بِأَخْلَاطِ الْعَالِيَةِ • وَرَقِيَ فِي
 دِيبَاجَةِ لَفْظِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ • وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ فَإِنَّهُ أَرَادَ
 أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ أَبِي تَمَّامٍ فَقَصُرَتْ عَنْهُ خُطَاهُ • وَلَمْ يُعْطِهِ الشَّعْرُ مِنْ
 قِيَادِهِ مَا أَعْطَاهُ • وَلَكِنَّهُ حَظِيَ فِي شِعْرِهِ بِالْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ • وَاخْتَصَّ

سَالِمٌ مِنَ الْمُنَاقَضَةِ خَالٍ مِنَ الْمُعَارَضَةِ • حَاكِمٌ يَقْطَعُ الْخِلَافَ • مُؤَدٍّ إِلَى
 الْإِنْصَافِ وَالْإِتِّصَافِ • وَبِهِ حِفْظُ الْأَعْمَالِ • وَنِظَامُ الْأَمْوَالِ • وَقِيَامُ
 أُمُورِ الْمُلُوكِ وَالْتِجَارِ • وَثَبَاتُ قَوَانِينِ الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ • قِيلَ :
 فَأَلْعَرُوضُ • قَالَ : مِيزَانُ الشَّعْرِ وَعِيَارُ النَّظْمِ • وَرَائِضُ الطَّبَعِ وَسَائِسُ
 الْقُتُبِ • وَبِهِ يُعْرَفُ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَرِيضِ • وَفَلَكَ عَلَيْهِ مَدَارُ الْقَرِيضِ •
 قِيلَ : فَأَلْخَطُ • قَالَ : لِسَانُ الْيَدِ وَلَهْجَةُ الصِّمِيرِ • وَوَحْيُ الْفِكْرِ وَنَاقِلُ
 الْحَبْرِ • وَحَافِظُ الْأَثَرِ • وَعُمْدَةُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا • وَلِقَاحُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى

(طرائف اللطائف)

ابو تمام والمتنبي وابو عبادة البجتي

١٤٧ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : لَقَدْ وَقَفْتُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى كُلِّ دِيْوَانٍ وَجَمُوعٍ •
 وَأَنْفَدْتُ شَطْرًا مِنَ الْعُمَرِ فِي الْمَحْفُوظِ مِنْهُ وَالْمُسْمُوعِ • فَأَلْفَيْتُهُ بَحْرًا لَا يُوقَفُ
 عَلَى سَاحِلِهِ • وَكَيْفَ يَنْتَهِي إِحْصَاءُ قَوْلٍ لَمْ تُحْصَ أَسْمَاءُ قَائِلِهِ • فَعِنْدَ
 ذَلِكَ أَقْتَصَرْتُ مِنْهُ عَلَى مَا تَكَثَّرَ فَوَائِدُهُ • وَتَشَعَّبَ مَقَاصِدُهُ • وَلَمْ أَكُنْ يَمِينُ
 أَخَذَ بِالتَّقْلِيدِ وَالتَّسْلِيمِ • فِي اتِّبَاعِ مَنْ قَصَرَ نَظْرُهُ عَلَى الشَّعْرِ الْقَدِيمِ • إِذَا
 الْمُرَادُ مِنَ الشَّعْرِ إِنَّمَا هُوَ إِبْدَاءُ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ • فِي اللَّفْظِ الْجَزَلِ
 اللَّطِيفِ • فَهَتَّى وَجَدْتُ ذَلِكَ فَكُلُّ مَكَانٍ خِيَتْ فَهُوَ بَابِلُ • وَقَدْ
 اكْتَفَيْتُ مِنْ هَذَا بِشَعْرِ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ وَأَبِي عَبَادَةَ الْوَلِيدِ
 وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ • وَهُؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ لَاتُ الشَّعْرِ وَعِزَّاهُ وَمَنَاةُ •
 الَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتُهُ وَتُسَمَّيْنَ حَسَنَاتُهُ • وَقَدْ حَوَتْ أَشْعَارُهُمْ

لِإِظْهَارِ الْغَامِضِ الْمُسْتَبْهِ. وَأَدَاةُ الْكَشْفِ الْحَقِيقِي الْمُلْتَبَسِ. وَبِهِ تُعْرَفُ
رُبُوبِيَّةُ الرَّبِّ وَحُجَّةُ الرُّسُلِ. وَيُخْتَرَزُ بِهِ مِنْ شِبْهَاتِ الْمَقَالَاتِ. وَفَسَادِ
التَّأْوِيلَاتِ. وَبِهِ تُدْفَعُ مُضِلَّاتُ الْأَهْوَاءِ وَالْخَلَلِ. وَتُبْطَلُ تَأْوِيلَاتُ
الْأَدْيَانِ وَالْمِلَلِ. وَيُنْزَهُ عَنْ غَبَاوَةِ التَّقْلِيدِ وَغَمَّةِ التَّرْدِيدِ. قِيلَ :
فَالْفَلَسَفَةُ. قَالَ : أَدَاةُ الضَّمَاوِرِ وَآلَةُ الْخَوَاطِرِ. وَتَنْتَاجُ الْعَقْلِ وَآدِلَةُ
لِمَعْرِفَةِ الْأَجْنَاسِ وَالْعَنَاصِرِ. وَعِلْمُ الْأَعْرَاضِ وَالْجَوَاهِرِ. وَعِلَلُ
الْأَشْخَاصِ وَالْأَشْوَافِ. وَاخْتِلَافُ الْأَخْلَاقِ وَالطَّبَائِعِ وَالسَّجَايَا وَالْفَرَائِزِ.
قِيلَ : فَالنُّجُومُ. قَالَ : مَعْرِفَةُ الْأَهْلَةِ وَمَقَادِيرُ الْأَظْلَةِ. وَسُمُوتُ الْبُلْدَانِ.
وَإِقْدَامُ الزُّوَالِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ. وَعِلْمُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي
الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ. وَأَمَارَاتُ الْغُيُوثِ وَالْأَمْطَارِ. وَأَوْقَاتُ سَلَامَةِ
الزَّرْعِ وَالثَّمَارِ. قِيلَ : فَالطَّبُّ. قَالَ : سَائِسُ الْأَبْدَانِ. وَالْمُنَبِّهُ عَلَى
غِلَابِغِ الْحَيَوَانِ. وَبِهِ يَكُونُ حِفْظُ الْعِيَّةِ. وَمَرَمَةُ الْعِلَّةِ. وَالْوُقُوفُ عَلَى
الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ. وَالْإِبَانَةُ عَنْ خَبَايَا الْأَسْرَارِ. وَعِلْمُ يَضْطَرُّ إِلَيْهِ الْخَاصُّ
وَالْعَامُّ. وَيَفْتَقِرُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ. وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ.
وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَقِيرُ وَالْخَطِيرُ. قِيلَ : فَالْفَحْوَ. قَالَ : يَبْسُطُ مِنَ الْعَبِي
اللسانَ. وَيُجْرِي مِنَ الْحَصِرِ الْبَيَانَ. وَبِهِ يَسَامُ مِنْ هُجْنَةِ الْخَنِّ وَتَحْرِيفِ
الْقَوْلِ. وَهُوَ آلَةُ إِصْوَابِ الْمُنْطِقِ وَتَسْدِيدِ كَلَامِ الْعَرَبِ. قِيلَ :
فَالْحِسَابُ. قَالَ : عِلْمٌ طَبِيعِيٌّ لَا خِلَافَ عَلَيْهِ. وَأَضْطَرَّارِيٌّ لَا مَطْعَنَ
فِيهِ. ثَابِتُ الدَّلَالَةِ صَابِ الْمَقَالَةِ. وَاضِحُ الْبُرْهَانِ شَدِيدُ الْبَيَانِ.

الْبَابُ السَّابِعُ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

مدح مختلف العلوم

١٤٦ قَدْ مَدَحَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَلِيظِيُّ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَذَمَّ بِأَعْيَانِهَا مُعَرِّبًا
عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْكَلَامِ وَبَعْدَ شَأْوِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَحِينَ سُئِلَ عَنِ الْأَثَرِ
فَقَالَ: هُوَ أَخْبَارُ الْمَاضِينَ وَأَنْبَاءُ الْغَائِبِينَ وَفَقِصُّ الْمُرْسَلِينَ وَآدَابُ
الدُّنْيَا وَالْدِّينِ وَمَعْرِفَةُ الْفَرَضِ وَالنَّافِلَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُصَلِّحَةِ
وَالْمُفْسِدَةِ وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ إِلَى صَاحِبِهِ تُشَدُّ الرِّجَالُ وَحَوْلُهُ يَعْتَكِفُ
الرِّجَالُ وَيَسِيرُ بِهِ ذِكْرُهُ فِي الْمُلْدَانِ وَيَبْقَى أَشْمُهُ عَلَى مَمَرِ الزَّمَانِ
قِيلَ: فَأَنْفَقَهُ قَالَ: فِيهِ عِلْمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَبِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ
وَيُقَامُ الْحُدُودُ وَالْأَحْكَامُ وَهُوَ عِصْمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَزِينَةٌ فِي الْآخِرَةِ
يَخْطُبُ إِصْحَابِهِ فَضْلَ الْأَعْمَالِ وَيَجْمَعُ عَلَيْهِ ثَوْبَ الْجَمَالِ وَيُلَاسِيهِ
الْغَنَى وَيُبْلِغُهُ مَرْتَبَةَ الْقَضَا قِيلَ: فَأَلْكَ كَلَامُ قَالَ: عِيَارُ كُلِّ صِنَاعَةٍ
وَزِمَامُ كُلِّ عِبَارَةٍ وَقِسْطُاسُ يُعْرَفُ بِهِ الْفَضْلُ وَالرُّجْحَانُ وَمِيزَانُ
يُعْلَمُ بِهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ وَكَيْرُ يُمَيِّزُ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ وَالْخَالِصُ
وَالْمَشُوبُ وَيُعْرَفُ بِهِ الْأَبْرِيزُ وَالسُّتُوقُ وَيُنْظَرُ بِهِ الصَّفْوُ وَالْكُدْرُ
وَسَلَّمَ يَرْتَقِي بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَيُوصَلُ بِهِ إِلَى الْحَقِيرِ
وَالْخَطِيرِ وَآدِلَةٌ لِلتَّفْصِيلِ وَالْتَّخْصِيلِ وَإِدْرَاكُ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَآلَةٌ

وَتَضَاعَفَ نَحْوُهُ . وَتَزَايَدَ ذُبُولُهُ . فَوَصَلُوا إِلَيْهِ خَمَاصًا . بَعْدَ مَا كُنَّ بَطَانًا .
وَجِئَتْهُ فُرَادَى بَعْدَ أَنْ فَارَقْنَ أَوْطَانًا . فَلَمَّا أَنْ وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ
وَجَدُوا فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ . ثُمَّ قَالُوا : نَحْنُ لَا نُزِيدُ إِلَّا
الْمَلِكَ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْ أَجْلِهِ عَلَى الْحَاجِرِ . وَقَطَعْنَا إِلَيْهِ كُلَّ حَاجِرٍ .
وَصَبَرْنَا عَلَى ظَمَاءِ الْهَوَاجِرِ . ثُمَّ لَا نَسْتَعْلُ بِالْمَلَأْسِ وَالْمَفَاحِرِ . فَوَالَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ . لَا نُزِيدُ إِلَّا هُوَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : وَيَحْكُمُ لَأَيِّ شَيْءٍ
جِئْتُمْ . وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَتَيْتُمْ . قَالُوا : أَتَيْنَاكَ بِذِلَّةِ الْعَبِيدِ . وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَا نُزِيدُ . فَقَالَ لَهُمُ : أَرْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ . فَإِنَّا الْمَلِكُ شِئْتُمْ أَوْ أَبَيْتُمْ .
وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْكُمْ . قَالُوا : سَيِّدِي أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ .
وَأَنْتَ الْعَزِيزُ وَنَحْنُ الْأَذِلَّةُ . وَأَنْتَ الْقَوِيُّ وَنَحْنُ الضَّعْفَاءُ . فَبِأَيِّ قُوَّةٍ
رَجِعُ وَقَدْ ذَهَبَ قُوَانَا . وَنَحِلَ عَرَانَا . وَأَصْحَلُ وُجُودُنَا مِمَّا اعْتَرَانَا .
فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِذَا صَحَّ افْتِقَادُكُمْ . وَبَتَّ انْكَسَارُكُمْ .
فَعَلِيَ انْجِبَارُكُمْ . انْطَلِقُوا فِدَاؤُوا الْعَلِيلَ . فِي ظِلِّ الظَّلِيلِ . وَقِيلُوا فِي خَيْرِ
مَقِيلٍ . فَخَصَلُوا حِينَ وَصَلُوا . فَلَمَّا حَضَرُوا نَظَرُوا . فَإِذَا الْحُجُبُ قَدْ رُفِعَتْ .
وَالْأَحْبَابُ قَدْ جُمِعَتْ . وَشَاهَدُوا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ :

يَا قَلْبُ بُشْرَاكَ أَيَّامُ الرِّضَا رَجَعَتْ وَهَذِهِ الدَّارُ لِلْأَحْبَابِ قَدْ جُمِعَتْ
أَمَا تَرَى نَفَحَاتِ الْحَيِّ قَدْ عَبَّتْ أَنْفَاسُهَا وَبُرُوقُ الْقُرْبِ قَدْ لَمَعَتْ
فَعَشَّ هَنِيئًا بَوَصلٍ غَيْرِ مُنْفَصِلٍ مَعَ مَنْ تُحِبُّ وَحُجُبُ الْعَجْرِ قَدْ رُفِعَتْ
وَأَنْظُرْ جَمَالَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ رُؤْيَيْهِ قُلُوبُ عِبَادِهِ فِي حِيهِ أَنْصَدَعَتْ

أَيْدِيهِنَّ . فَتَقْسِمُهُ بِالسَّوِيَّةِ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ . وَلَا حَظٍّ مَنَقُوصٍ

إشارة العنقا.

١٤٥ (قَالَ السَّيِّحُ) : لَكُمْ الْبِشَارَةُ . يَا أَهْلَ الْإِشَارَةِ . إِنْ فِيهِمْ رَمَزٌ
هَذِهِ الْعِبَارَةُ . فَأَنْصِتُوا بِضَرْبِ هَذِهِ الْأَمْثَالِ الْمُسْتَعَارَةِ . (قِيلَ) أَجْتَمَعَ
الطُّيُورُ وَقَالُوا : لَا بُدَّ لَنَا مِنْ مَلِكٍ نَعْتَرِفُ لَهُ وَنُعْرِفُ بِهِ . فَهَلُمُّوا نَنْطَلِقْ فِي
طَلَبِهِ . وَتَسْتَمْسِكْ بِسَبَبِهِ . وَنَعِشْ فِي ظِلِّهِ . وَنَعْتَصِمَ بِحَبْلِهِ . وَقَدْ بَاغَنَا
أَنَّ بَجَزَائِرِ الْبَحْرِ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ عُنْقَاءُ مَغْرِبٍ . قَدْ نَفَذَ حُكْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ : فَهَلُمُّوا بِنَا إِلَيْهِ . مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ . فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ الْبَحْرَ عَمِيقٌ
وَالطَّرِيقَ مَضِيقٌ . وَالسَّبِيلَ سَحِيقٌ . وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ جِبَالٌ شَاهِقَةٌ .
وَبَحَارٌ مُغْرَقَةٌ . وَنِيرَانٌ مُحْرِقَةٌ . وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْإِتِّصَالِ . وَلَوْ
تَقَطَّعَ الْأَوْصَالُ . فَدُونَ وَصَالِهِ حَدُّ النَّصَالِ . فَأَقْنِ فِي أَوْكَارِكُنَّ .
فَإِنَّ الْأَنْجَزَ مِنْ شَأْنِكُنَّ . وَالْمَلِكُ غَنِيٌّ عَنْكُمْ . وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ
الْعَالَمِينَ . قَالُوا : صَدَقْتَ وَلَكِنْ مُنَادِي الطَّلَبِ يُنَادِي . فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ .
فَطَارُوا بِأَجْنَحَةٍ : وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . صَابِرِينَ عَلَى
ظُلْمِ الْأَوَاجِرِ . بِإِشَارَةٍ : وَمَنْ يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِهِ مَاهِجًا . فَسَلَكَنَ سَبِيلًا عَدَلًا .
إِنْ أَخَذَنَ ذَاتَ الْيَمِينِ أَرْمَتَهُنَّ بَرُودَةُ الرَّجَاءِ . وَإِنْ عَدَلَنَ ذَاتَ
الشِّمَالِ أَحْرَقَتْهُنَّ حَرَارَةُ الْخَوْفِ . فَهُمْ بَيْنَ سَبَاقٍ . وَخَلَاقٍ وَفُحَاقٍ .
وَتَلَاشٍ وَأَحْتِرَاقٍ . وَتَغَاشٍ وَأُسْتِغْرَاقٍ . وَبُعْدٍ وَأَفْتِرَاقٍ . حَتَّى وَصَلَ
كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ وَقَدْ سَقَطَ رِيشُهُ . وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ .

ثُمَّ قُلْ يَا نَفْسُ هَذَا بَيْنْتُ مَثْوَاكِ فَمُوتِي

إشارة النملة

١٤٤ فَقَالَتِ النَّمْلَةُ . إِذَا مَا رَمَاكَ الدَّهْرُ بِمَرَمِي فَقَمْ لَهُ . وَتَعْلَمُ مِنِّي قُوَّةَ الْإِسْتِعْدَادِ . وَتَحْصِيلَ الزَّادِ . لِيَوْمِ الْمَعَادِ . وَأَنْظُرِي إِلَى عِزَّةِ عَزَمِي . وَصِحَّةِ حَزَمِي . وَتَأَمَّلِي كَيْفَ شَدَّتْ يَدُ الْقُدْرَةِ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي . فَأَوَّلَ مَا فَتَحْتُ عَيْنِي مِنَ الْعَدَمِ . رَأَيْتُنِي وَاقِفَةً عَلَى الْقَدَمِ . لِأَكُونَ مِنْ جَمَلَةِ الْحَدَمِ . ثُمَّ كَلَّمْتُ بِجَمْعِ الْمُؤْنَةِ . بِتَسْيِيرِ الْمُعُونَةِ . ثُمَّ أُعْطِيتُ قُوَّةَ الشَّمِّ مِنْ بَعْدِ الْفَرَاخِ . مَا لَا يُدْرِكُهُ الْعَالَمُ الرَّاسِخُ . فَادْبِرْ مَا أَذْخَرَهُ مِنَ الْحَبِّ لِهُوِي . فِي بُيُوتِي . فَيُلْهِمَنِي فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى . أَنْ أَقْسِمَ الْحَبَّةَ نِصْفَيْنِ بِالسَّوَى . فَإِنْ كَانَتْ الْحَبَّةُ كَرْبُرَةً . فَالَهَا حِكْمَةٌ مُدْبِرَةٌ . وَهُوَ أَنْ أَفْلَقَهَا أَرْبَعَ فَلَقٍ فَإِنَّهَا إِذَا انْفَلَقَتْ نِصْفَيْنِ نَبَتَتْ . وَإِنْ قُطِعَتْ أَرْبَعًا أَتَتْ طَعْمَتْ . وَإِنْ خِفْتُ عَلَيْهَا فِي السَّيِّئِ عُنُونَةَ الْأَرْضِ أَنْ تَضُرَّهَا . أَخْرَجْتُهَا فِي يَوْمِ شَامِسٍ فَتَجَفَّفَهُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا . فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ دَائِي . وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ أَرْدَى بِي . وَتَعْتَقِدُهُ فِي نَهْصًا . وَأَنْتُمَا كَا عَلَى الدُّنْيَا وَحِرْصًا . كَلَّا كَلَّا لَوْ عَلِمْتَ حَقِيقَةَ أَمْرِي . لَأَقَمْتَ فِي ذَلِكَ عُذْرِي . وَلَا زَرَفَعْتُ عِنْدَكَ قَدْرِي . فَكُلْ نَمْلَةً تَجْتَبِدُ فِي سَيْرِهَا . وَتَحْصِلُ خَيْرِهَا . لِنَفْعٍ غَيْرِهَا . مُتَعَرِّضَةً لِلْهَلَاكِ . وَمَصَائِدِ الْأَشْرَاطِ . فَإِمَّا أَنْ تَهْلِكَ عَطَشًا أَوْ جُوعًا . أَوْ تَقَعَ فِي مَفَازَةٍ فَلَا تَجِدُ رُجُوعًا . تَحْتَطِفُهَا ذُبَابَةٌ . أَوْ تَطَاها دَابَّةٌ . فَتَلْقِي مَا فِي أَيْدِيهَا بَيْنَ

لِلتُّرَابِ . وَأَنَا نَسْجِي زِينَةَ الْكَوَاعِبِ الْأَتْرَابِ . أَمَا قَدْ ضُرِبَ بَضْعُفِكَ
الْمَثَلُ . وَأَيْنَ الْكُحْلُ مِنَ الْكُحْلِ . وَأَيْنَ الْبَدْرُ مِنَ النُّجْمِ إِذَا أَفَلَ

إشارة العنكبوت

١٤٣ فَقَالَتِ الْعَنْكَبُوتُ . إِنْ كَانَ بَيْتِي أَوْهَنَ الْبُيُوتِ . وَحَبْلِي
مَبْتُوتٌ . فَإِنَّ فَضْلِي عَلَيْكَ فِي سِجْلِ الذِّكْرِ مَشْبُوتٌ . أَمَا أَنَا قَدْ لَاحِدٌ عَلَى
مِنْتِهِ . وَلَا لَأَمَّ عَلَى حَنَّةٍ . مِنْ حِينَ أَوْلَدْتُ أَنْسَجُ لِنَفْسِي أَبْيَاتٍ . فِي
جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ . فَأَوَّلُ مَا أَقْصِدُ زَوَايَا أَلْيَتِ . وَإِنْ كَانَ خَرَابًا فَهُوَ
أَحْسَنُ مَا أَوَيْتُ . فَأَقْصِدُ الزَّوَايَا . لِمَا فِيهَا مِنَ الْحَبَايَا . وَلِمَا فِي سِرِّهَا مِنْ
النُّكْتِ الْحَفَايَا . فَأَلْبِقِ لِعَامِي عَلَى حَافَتِهَا . حَذَرًا مِنَ الْخُطْطَةِ وَآفَاتِهَا . ثُمَّ
أَفْرِدُ مِنْ طَاقَاتِ غَزْلِي خَيْطًا دَقِيقًا . مُنْكَسًا فِي الْهَوَاءِ رَقِيقًا . فَأَتَعَلَّقُ
بِهِ مُسَبِّلًا يَدَيَّ . مُسَكَّةً بِرَجْلِي . فَيَظُنُّ الْغَرُّ بِلَاكَ الْحَالَةِ . أَنَّنِي
مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ . فَتَمُرُّ الذُّبَابَةُ فَأَخْطِفُهَا بِحَبَائِلِ كَيْدِي . وَأَوْدِعُهَا فِي
شَبَكَةِ صَيْدِي . وَأَنْتِ أَيُّهَا الْغَدَارَةُ . الَّتِي بَزَخَتْهَا غَرَارَةٌ . إِنَّمَا جُعِلَتْ
زِينَةً لِنَاقِصَاتِ الْعُقُولِ . وَلَهُوََا لِلصَّبِيَانِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْقُولٌ . وَقَدْ
حُرِّمَتْ عَلَى الرِّجَالِ الْفُحُولِ . لِأَنَّ حُسْنَكَ عَنْ قَرِيبٍ يَحُولُ . وَمَا لَكَ
فِي الْحَقِيقَةِ مُحْصُولٌ . وَلَا إِلَى الطَّرِيقَةِ وَصُولٌ . فَيَا وَجْهِ مَحْرُومٍ حَرَّمَ السُّؤْلُ :

أَيُّهَا الْمُعْجِبُ فَخْرًا بِمَقَاصِيرِ الْبُيُوتِ
فَارْضَ فِي الدُّنْيَا بِشَوْبِ وَمِنَ الْعَيْشِ بِقُوتِ
وَاتَّخِذْ بَيْتًا ضَعِيفًا مِثْلَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ

نَسِي . وَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلَ وَصَلِي . فَأَنْظُرْ فِي يَوْمِ مِيلَادِي .
 فَلَا أَرَى لِي أَبَا وَلَا أُمًّا . وَلَا خَالًا وَلَا عَمًّا . فَتَكْتَفِنِي أَيْدِي الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ . بِالتَّرْبِيَةِ فِي الصَّاحِ وَالْمَسَاءِ . وَأُحْمَى عَنْ تَخْلِيطِ الْأَغْذِيَةِ
 حَائِدًا . وَلَا أُطْعَمُ إِلَّا غِذَاءً وَاحِدًا . فَإِذَا تَمَّ حَوْلِي . وَبَدَتْ قُوَّتِي
 وَحَوْلِي . بَادَرْتُ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيَّ . وَمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ .
 فَأُشْرِعُ فِي عَمَلٍ مَا يَصْلُحُ لِلْإِنْسَانِ . قِيَامًا بِمَا مَوْرٍ : هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
 إِلَّا الْإِحْسَانُ . فَأَبْتَدِرُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَى . وَلَا إِظْهَارِ شَكْوَى . فَأَنْسِجُ
 بِالْهَامِ التَّقْدِيرِ . مَا يَخْجُزُ عَنْهُ أَهْلُ التَّدْبِيرِ . فَأُسَبِّلُ مِنْ لُعَابِي . مَا
 أَشْكُرُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَهَابِي . وَأَسْتَخْرِجُ مِنْ صُنْعَةِ صَانِعِي مَلَابِسَ . تُزِينُ
 اللَّابِسَ . فَأَلْمَلُوكُ تَفَخُّرُ بَخْرِي . وَالسَّالَاطِينُ تَتَنَافَسُ فِي أُرْدِيَةِ
 قَرِّي . فَأَنَا أَجْمَلُ الْمَطَارِفِ . وَأَرْهَجُ الزَّخَارِفِ . فَإِذَا كَافَيْتُ مَنْ
 أَحْسَنَ إِلَيَّ . وَادَّيْتُ شُكْرَ مَا وَجَبَ لَهُ عَلَيَّ . جَعَلْتُ بَيْتِي الْمُنْسُوجَ
 قَبْرِي . وَفِي طَيْهِ نَشْرِي . فَأَضِيقُ عَلَيَّ حَبْسِي . وَأَهْلَاكُ نَفْسِي بِنَفْسِي .
 وَأَمْضِي إِلَى رَمْسِي . كَمْضِي أَمْسِي . فَأَنَا الَّذِي أَجُودُ بِخَيْرِي . وَأَبَالِغُ
 فِي نَفْعِ غَيْرِي . وَأَنَا الْمُعَذِّبَةُ بِضَيْرِي . ثُمَّ مِنْ نَكْدِ هَذِهِ الدَّارِ .
 الْحَبُولَةُ عَلَى الْأَكْدَارِ . أَنِّي أُبْلِيتُ بِحَرِيقِ النَّارِ . وَحَسَدِ الْجَارِ .
 وَقَدْ أَعْتَدَى عَلَيَّ ظُلْمًا وَجَارَ . وَهُوَ هَذِهِ الْعَنْكَبُوتُ . الْخُصُوصَةُ بِأَوْهِنِ
 الْبُيُوتِ . تُجَاوِرُنِي وَتُجَاوِرُنِي . وَتَقُولُ : لِي نَسِجٌ وَلَكَ نَسِجٌ . وَأَمْرِي
 وَأَمْرُكَ مَرِيجٌ . فَقُلْتُ لَهَا : وَيَحْكُ أَنْتِ لِنَسِجِكَ شَبَكَةُ الذُّبَابِ . وَمَجْمَعُ

وَكَمْ لِي عَلَى مُسَابِقِي مِنْ أَيْدِي . أُوثِقْتُ بِشَكَا لِي . كَيْلًا أَصُولَ عَلَى
 أَشْكَالِي . وَأَخَذْتُ بِعَنَانِي . كَيْلًا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِ مَا عَنَانِي . وَأَلْجَمْتُ
 بِالْجَامِي . لَيْلًا يَفْسُدَ عَلَيَّ نِظَامِي . وَأَلْزَمْتُ بِخِزَامِي . خَشِيَّةً مِنْ
 غَفْلَتِي عَنْ قِيَامِي . وَنَعَلْتُ بِالْحَدِيدِ أَقْدَامِي . كَيْلًا أَكِلَ عِنْدَ أَقْدَامِي .
 فَأَنَا الْمَوْعُودُ بِالنَّجَاةِ . الْمَعْدُودُ لِلْجَاهِ . الْمَشْدُودُ لِلْسَّالِمَةِ . الْمَقْصُودُ
 بِالْكَرَامَةِ . وَالْخَيْرُ مَعْقُودُ بِنَوَاصِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . خُلِقْتُ مِنْ
 الرِّيحِ . وَأُلْهِمْتُ التَّقْدِيسَ وَالتَّسْبِيحَ . وَمَا بَرَحَ ظَهْرِي عِزًّا . وَبَطْنِي
 كَنْزًا . وَصُحْبَتِي حِرْزًا . فَكَمْ رَكُضْتُ فِي مَيْدَانٍ وَمَا أَبَدَيْتُ عَجْزًا .
 فَكَمْ كُسَيْتُ فِي السَّبَاقِ خِزًّا . وَكَمْ حَزَزْتُ أَهْلَ النِّفَاقِ حِزًّا . فَكَمْ
 أَخْلَيْتُ مِنْهُمْ إِلَّا فَاقَ فَهَلْ تُحَسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا .
 (فَجَاوَبَتْهُ) تَالَلَّهِ لَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْخِلَالِ أَجْمَلَهَا . وَمِنَ الْفِعَالِ أَكْمَلَهَا

إشارة دود القر

١٤٢ فَقَالَتْ دُودَةُ الْقَرْ: تَالَلَّهِ لَيْسَتْ الْفُحُولِيَّةُ بِالصُّورِ وَالْهِيَائِ كُلِّ .
 وَلَا الرُّجُولِيَّةُ بِتَرْكِ الْمَشَارِبِ وَالْمَآكِلِ . وَلَا الْإِيثَارُ . بِبَذْلِ
 الْبَثَارِ . إِنَّمَا الْجُودُ لِمَنْ جَادَ بِمَوْجُودِهِ . وَآثَرَ بِحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ . فَإِنْ
 كَانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ مَعْدُودَةً . فَأَجْلُهَا مَعَ دُودَةٍ . أَنَا فِي الدُّودِ
 كَدُودَةٌ . وَلَا أَهْلُ الْوَدِّ وَدُودَةٌ . أَنَا الْمُتَوَالِدَةُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ وَلَا
 مَوْلُودَةٌ . أَوْخَذُ فِي الْبِدَايَةِ بِزْرًا . كَمَا يَأْخُذُ الزَّرَّاعُ بِذَرًّا . فَإِذَا نَمَتْ
 أَيَّامُ حَمْلِي . وَآذَنْتِ الْقُدْرَةُ بِمَجْمَعِ شَمْلِي . إِنْ فَصَلَ عَنْ ذَلِكَ الْحَمْلِ

١٤١ فَقَالَ الْفَرَسُ أَيُّهَا الْفَقِيرُ الصَّابِرُ . الطَّابُ سُبُلُ الْمَأْثَرِ . تَعْلَمُ
 مِنِّي حُسْنَ الْأَدَبِ . وَصَدَقَ الطَّابُ . لِبُلُوغِ الْأَرْبِ . هَا أَنَا أَجْمَلُ
 مُبَاهِلِي . عَلَى كَاهِلِي . فَاجْتَهِدْ فِي السَّيْرِ . وَأَنْطَاقِي بِهِ كَالطَّيْرِ . أَهْجُمُ
 هُجُومَ اللَّيْلِ . وَأَفْتَحُمُ افْتِحَامَ السَّيْلِ . فَإِنْ كَانَ طَالِبًا أَدْرَكَ بِي طَلَبَهُ .
 وَبَلَغَ بِي أَرْبَهُ . وَإِنْ كَانَ مَطْلُوبًا قَطَعْتُ عَنْ طَالِبِي سَبَبَهُ . وَجَعَلْتُ
 أَسْبَابَ الرَّدَى عَنْهُ تَحْجَبُهُ . فَلَا يَدْرِكُنِي إِلَّا الْغَبَارُ . وَلَا يَسْمَعُنِي
 إِلَّا الْأَخْبَارُ . فَإِنْ كَانَ أَجْمَلُ هُوَ الصَّابِرُ الْعَجْرَبُ . فَأَنَا الشَّاكِرُ
 الْمُقَرَّبُ . وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُقْتَصِدُ الْإِلَاحِقُ . فَأَنَا الْعُجْتَبُ الدَّاسِقُ .
 فَإِذَا كَانَ يَوْمُ اللَّقَاءِ . وَأَوَانَ الْمُلتَقَى . أَقَدَمْتُ إِقْدَامَ الْوَالِهِ . وَسَبَبْتُ
 ضَرْبَ نِبَالِهِ . وَذَلِكَ مُتَخَلِّفٌ لِثِقَلِ أَحْمَالِهِ . مُعَاقٌ لِتَفْتِيشِ مَا فِي رِحَالِهِ .
 وَرَأَيْتُ شَمَّ حَقُوقًا لَا يَسْتَوْفِيهَا إِلَّا كُلُّ مُؤَفٍّ . وَطَرِيقًا لَا يَهْطَعُهَا إِلَّا
 كُلُّ مُخَفٍّ . فَلِذَاكَ شَمَرْتُ عَنْ سَاقٍ . وَتَضَمَّرْتُ لِيَوْمِ السِّبَاقِ .
 وَقُلْتُ لِمَنْ أَسْكَرَهُ الطَّيْشُ فَمَا أَفَاقَ . وَغَرَّهُ الْعَيْشُ الَّذِي قَدْ رَاقَ . مَا
 عِنْدَكُمْ يَنْهَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ . فَيَا مَنْ هُوَ عَنِ الْمُرَادِ مَرْدُودٌ . وَفِي الطَّرَادِ
 مَطْرُودٌ . هَلَا نَظَرْتُ إِلَى الْوُجُودِ . وَفَهِمْتُ الْمُتَصُودَ . وَأَقَمْتُ عَلَى
 نَفْسِكَ الْخُدُودَ . وَأَوَثَقْتُ جَوَارِحَكَ بِالْأَيُّودِ . وَذَكَرْتَ الْأَجَلَ
 الْخُدُودَ . وَالنَّفْسَ الْمَعْدُودَ . وَخَشِيتَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ . هَا أَنَا لَمَّا أَوْثَقَ
 سَائِسِي قَيْدِي . أَمِنْ قَائِدِي كَيْدِي . فَكَمْ أَكَلُ سَائِسِي مِنْ صَيْدِي .

فَحِلَالِي عَلَى خَسَاسَةِ قَدْرِي فِي الْمَعَالِي يَفْقَنُ كُلَّ خِلَالٍ

اشارة للجمال

١٤٠ فَقَالَ الْجَمَلُ أَيُّهَا الرَّاعِبُ فِي السُّلُوكِ . إِلَى مَنَازِلِ الْمُلُوكِ . إِنْ
 كُنْتَ تَعَلَّمْتَ مِنَ الْكَلْبِ زُهْدًا وَقَفْرًا . فَتَعَلَّمَ مِنِّي جَدًّا وَصَبْرًا .
 فَإِنْ مَنْ تَوَسَّدَ الْفَقْرَ . وَجَبَ عَلَيْهِ مُعَانِقَةُ الصَّبْرِ . فَإِنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ .
 مَعْدُودٌ فِي الْأَكْبَرِ . هَا أَنَا أَجْمَلُ الْأَجْمَالِ الثَّقَالِ . وَأَقْطَعُ الْمَرَاحِلِ
 الطُّوَالِ . وَأَكْبَادُ الْأَهْوَالِ . وَأَصْبِرُ عَلَى صِرِّ النِّكَالِ . وَلَا يَغْتَرِّبُنِي
 فِي ذَلِكَ مَلَالٌ . وَلَا أَصُولُ صَوْلَةِ الْأَرْدَالِ . بَلْ أَنْقَادُ الْطِفْلِ الصَّغِيرِ .
 وَلَوْ شِئْتُ لَسْتَصَعَبْتُ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ . فَأَنَا الذَّلُولُ . الَّذِي
 لِلْأَثْقَالِ حُمُولٌ . وَفِي الْأَجْمَالِ ذُمُولٌ . وَأَسْتُ بِالْخَائِنِ وَلَا بِالْمُلُولِ . وَلَا
 بِالصَّائِلِ عِنْدَ الْوُصُولِ . وَلَا بِالْمَائِلِ عَنِ الْقُيُولِ . أَقْطَعُ فِي الْوُحُولِ .
 مَا تَعَجَّرُ عَنْهُ الصَّنَادِيدُ الْفُحُولِ . وَأَصَابِرُ فِي ظُهُمِ الْهَوَاجِرِ وَفِي الْحَاجِرِ لَا
 أَحُولُ . فَإِذَا قَضَيْتُ حَقَّ صَاحِبِي . وَبَلَغْتُ مَآرِبِي . أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى
 غَارِبِي . وَذَهَبْتُ الْبَوَادِي . وَأَكْتَسَبْتُ مِنَ الْمُبَاحِ زَادِي . وَإِنْ
 سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَادِي . سَلَّمْتُ إِلَيْهِ قِيَادِي . وَأَوْصَلْتُ فِيهِ سَهَادِي .
 وَمَدَدْتُ عُنْقِي لِبُلُوغِ مُرَادِي . فَإِنْ ضَلَّاتُ فَالدَّلِيلُ هَادِي . وَإِنْ
 زَلَّاتُ أَخَذَ بِيَدِي مَنْ إِلَيْهِ أَنْقِيَادِي . فَأَنَا الْمُسَخَّرُ لَكُمْ بِإِشَارَةِ
 وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ . فَلَا أَرَاكَ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَمَقَامٍ . حَتَّى أَصِلَ إِلَى
 ذَلِكَ الْمَقَامِ

أَتَغَيِّرَ عَنْ عَادَتِي . وَلَا أَقْطَعُ عَنْهُمْ مَادَّتِي . أَطْرُدُ فَأَعُودُ . وَأُضْرَبُ
وَلَسْتُ بِالْحَقُودِ . وَأَنَا حَافِظُ الْوَدِّ بَاقٍ عَلَى الْعُهُودِ . أَفُومُ إِذَا كَانَ
الْأَنَامُ رُقُودَ . وَأَصُومُ وَالْخَوَانُ مَمْدُودَ . وَلَيْسَ لِي مَالٌ مَعْدُودَ . وَلَا
سِمَاطٌ مَمْدُودَ . وَلَا رِبَاطٌ مَعَهُودَ . وَلَا مَقَامٌ مَحْمُودَ . إِنْ أُعْطِيتُ شُكْرَتُ .
وَإِنْ مُنِعْتُ صَبْرَتُ . لَا أَرَى فِي الْأَفَاقِ شَاكِيًا . وَلَا عَلَى مَفَاتِ
بَاكِيًا . إِنْ مَرَضْتُ فَلَا أَعَادُ . وَإِنْ مِتُّ فَلَا أَهْمَلُ عَلَى أَعْوَادِ . وَإِنْ غِبْتُ
فَلَا يُقَالُ لَيْتَهُ عَادَ . وَإِنْ فُقِدْتُ فَلَا تَبْكُنِي الْأَوْلَادُ . وَإِنْ سَافَرْتُ
فَلَا أَسْتَصْحِبُ الزَّادَ . لَا مَالٌ لِي يُورَثُ . وَلَا عَقَارٌ فَيُحْرَثُ . إِنْ فُقِدْتُ
فَلَا يُبْكِي عَلَيَّ . وَإِنْ وُجِدْتُ فَلَا يُنْظَرُ إِلَيَّ . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَحُومُ حَوْلَ
حِمَاهُمْ . وَأُدُومُ عَلَى وَفَائِهِمْ . عَاكِفٌ عَلَى مَزَابِلِهِمْ . قَانِعٌ بِطَلَبِهِمْ دُونَ وَابِلِهِمْ .
فَإِنْ أَعْجَبَكَ خِلَافِي فَتَمَسَّكْ بِأَذْيَالِي . وَتَعَلَّقْ بِحَبَالِي . وَإِنْ أَرَدْتَ
وَفَاقِي . فَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي :

وَتَعَلَّمَ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي	وَتَمَسَّكَ إِلَى الْأُمَلَا بِحَبَالِي
أَنَا كَلْبٌ حَقِيرٌ قَدَرٌ وَلَكِنْ	لِي قَلْبٌ خَالٍ مِنَ الْإِدْغَالِ
أَحْفَظُ الْجَارِ فِي الْجَوَارِدِ أَبِي	أَنْ أَحَامِي عَلَيْهِمْ فِي اللَّيَالِي
وَتَرَانِي فِي كُلِّ عُسْرٍ وَلَيْسَ	صَابِرًا شَاكِرًا عَلَى كُلِّ حَالِ
لَا يُبَالِي عَلَيَّ إِنْ مِتُّ جُوعًا	أَوْ سَقَمْتُ الْأَيَّامُ مَرَّ النِّكَالِ
لَا يَرَانِي إِلَّا إِيَّاهُ أَشْكُو لِحَلْقِي	إِذْ عَلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ اتِّكَالِي
أَهْلُ الضَّمِيمِ فِيهِ صَوْنًا إِيْرَضِي	وَفِرَارِي مِنْ مِرْدَلِ السُّؤَالِ

الْحَيَرَةُ. قَدْ أُنْعَسَ ذَوْقُ فَهْمِكَ. فَرَأَيْتَ الْحَسَنَ قَبِيحًا. وَأَلْقَيْتَ حَسَنًا.
 أَلَا تَرَى إِلَى الْهُدُودِ حِينَ حَسَنْتَ سِيرَتَهُ. وَصَفْتَ سَرِيرَتَهُ. كَيْفَ
 نَفَذْتَ بَصِيرَتَهُ. فَتَرَاهُ يَشَاهِدُ بِالنَّظَرِ. مَا تُحِبُّهُ الْأَرْضُ عَنْ سَائِرِ
 الْبَشَرِ. فَيَرَى فِي بَطْنِهَا الْمَاءَ الْتَجَاجَ. كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ فِي الزُّجَاجِ. وَيَقُولُ
 بِصِحَّةِ ذَوْقِهِ. وَصِدْقِهِ. هَذَا عَذْبُ فَرَاتٍ وَهَذَا مِلْحُ أُجَاجٍ وَيَقُولُ: أَنَا
 الَّذِي أُوتِيتُ مَعَ صَغَرِ الْجُمَانِ. مَا لَمْ يُؤْتَهُ سُلَيْمَانُ. فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ
 يَقْبَلُ نَضْحِي. فَحَسِّنْ سِيرَتَكَ. وَأَصْفِ سَرِيرَتَكَ. وَطَيِّبْ أَخْلَاقَكَ.
 وَرَاقِبْ خَلَاقَكَ. وَتَادَّبْ بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ. وَلَوْ أَنَّهَا مِنَ الدَّوَابِّ.
 فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ إِشَارَتَهُ مِنْ صَرِيرِ الْبَابِ وَطَنِينِ الدَّبَابِ. وَبَيْحِ
 الْكَلَابِ. وَحَشَرَاتِ التُّرَابِ. وَيَفْهَمُ مَا يُشِيرُ بِهِ مَسِيرُ السَّحَابِ.
 وَاعِ السَّرَابِ. وَضِيَاءُ الضُّبَابِ. فَلَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ

إشارة الكتاب

١٣٩ (قَالَ): فَيَدِينَا أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ الْخُطَابِ. مُنْصِتٌ لِلْجَوَابِ.
 إِذْ نَادَانِي كَلْبٌ عَلَى الْبَابِ. يَلْقُطُ مِنَ الْمَزَابِلِ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْأَلْبَابِ.
 فَقَالَ: يَا مَنْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَابِ. يَا مُعْجُوبًا عَنِ الْمُسَبِّبِ بِالْأَسْبَابِ.
 يَا مُسَبِّلًا ثِيَابَ الْأَعْجَابِ. تَادَّبْ بِأَدَائِي. فَإِنَّ فِعْلَ الْجَمِيلِ دَائِي.
 وَسُسْ نَفْسَكَ بِسِيَاسَتِي. وَاسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ مِنْ فِرَاسَتِي. وَمَا عَلَيْكَ
 مِنْ خَسَاسَتِي. فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ فِي الصُّورَةِ حَقِيرًا. تَجِدُنِي فِي الْمَعْنَى
 قَعِيرًا. لَا أَزَالُ وَقِفًا عَلَى أَبْوَابِ سَادَتِي. غَيْرَ رَاجِبٍ فِي سِيَادَتِي. فَلَا

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ أَنَادِي

إشارة المدهد

١٣٨ - (قَالَ) : فَلَمَّا كَدَّرَ عَلَى الْغُرَابِ وَقْتِي . وَحَذَّرَنِي مَقْتِي .
 إِنصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِي . إِلَى خَلْوَةٍ فِكْرَتِي . فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ مِنْ
 سَمَاءِ فِطْرَتِي . أَيُّهَا السَّامِعُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ . الْمُتَأَسِّفُ عَلَى فَوَاتِ الْخَيْرِ .
 تَاللَّهِ لَوْ صَغَتِ الضَّمَامُ . لَفَدَّتِ الْبَصَارُ . وَاهْتَدَى السَّارُ . وَمَا ضَلَّ
 الْحَارُ . وَلَوْ طَابَتِ الْخَوَاطِرُ . لَبَانَتْ الْأَمَارُ . وَلَوْ شَرِحَتْ السَّرَائِرُ .
 لَظَهَرَتْ الْبَشَائِرُ . وَلَوْ أُنْشِرَتْ الصُّدُورُ . أَظْهَرَ لَكَ النُّورُ . وَلَوْ
 أُرْتَفَعَتِ السُّتُورُ . لَأُنْكَشَفَ الْمُسْتُورُ . وَلَوْ طُهِرَتِ الْقُلُوبُ . أَظْهَرَتْ
 سَرَائِرَ الْغُيُوبِ . وَلَوْ خَلَعَتْ ثِيَابَ الْإِعْجَابِ . لَرُفِعَ لَكَ الْحُجَابُ . وَلَوْ
 غُبِتَ عَنْ عَالَمِ الْغَيْبِ . لَشَاهَدْتَ عَالَمَ الْغَيْبِ . وَلَوْ قَطَعْتَ الْعَلَائِقَ .
 لَأُنْكَشَفَتْ لَكَ الْحَقَائِقُ . وَلَوْ خَالَفْتَ الْعَادَةَ . لَمَا أُنْقَطَعَتْ عَنْكَ الْمَادَّةُ .
 وَلَوْ تَجَرَّدْتَ عَنِ الْإِرَادَةِ . لَوَصَلْتَ إِلَى رُتَبَةِ السِّيَادَةِ . وَلَوْ مِلْتَ عَنْ
 هَوَاكَ لَمَالَ بِكَ إِلَيْهِ . وَلَوْ فَارَقْتَ أَبَاكَ لَجَمَعَكَ عَلَيْهِ . وَلَوْ بَعُدَ عَنْكَ
 لَوَجَدْتَ أَرْزُلَهُ لَدَيْهِ . وَلَكِنَّكَ مَسْجُونٌ فِي سِجْنِ طَبْعِكَ . مُقَيَّدٌ بِقَيْدِ
 مَالُوفِكَ . مُتَشَاغِلٌ بِشَوَاغِلِ نَفْسِكَ . مُتَعَلِّقٌ بِجِبَالِ خِيَالِ حِسِّكَ . قَدْ
 أَرْمَمْتَكَ بِرُودَةِ عَزْمِكَ وَأَحْرَقْتَكَ حَرَارَةِ حَرِصِكَ . وَأَثَمْتَكَ تُخْمَةَ
 بَطْرِكَ . وَأَسْتَعْمَمْتَكَ عُفُونَةَ رُغُونَتِكَ . وَبَرَسَمْتَكَ وَسَاوِسُ شَهْوَتِكَ .
 فَأَنْتَ بَارِدُ الْهِمَّةِ . مُقَعَّدُ الْعَزْمَةِ . جَامِدُ الْفِكْرَةِ . فَاسِدُ الْفِطْنَةِ . كَثِيرُ

اللَّاحِي . بِمَا فِيهِ صَلَاحُكَ وَصَلَاحِي لَا تَسْتَحْتِ بِيْوَشَاحِي . وَوَأَفْتَنِيْ فِي
 سَوَادِ جَنَاحِي . وَأَجَبْتَنِيْ بِالنُّوَاحِ . مِنْ سَائِرِ النُّوَاحِي . لَكِنْ أَلْهَاكَ لَهْوُكَ .
 وَحَجَبَكَ عَجَبُكَ وَرَهْوُكَ . وَهَذَا أَنَا أَعْرِفُ النَّازِلَ . بِخَرَابِ الْمَنَازِلِ .
 وَأَحْذَرُ الْأَكِلَ . غُصَّةَ الْمَأْكُلِ . وَأُبَشِّرُ الرَّاحِلَ . بِقُرْبِ الْمَرَاحِلِ .
 وَصَدِيقُكَ مِنْ صَدَقِكَ . لَا مَنْ صَدَقَكَ . وَمَنْ عَذَاكَ . لَا مَنْ
 عَذَرَكَ . وَمَنْ بَصَرَكَ . لَا مَنْ نَصَرَكَ . وَمَنْ وَعَظَكَ . فَقَدْ أَتَيْتَكَ .
 وَمَنْ أَنْذَرَكَ . فَقَدْ حَذَرَكَ . وَلَقَدْ أَنْذَرْتُكَ بِسَوَادِي . وَحَذَرْتُكَ
 بِتَرْدَادِي . وَأَسْمَعُكَ نِدَائِي فِي الْوَادِي . وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي :
 أَنْوَحُ عَلَى ذَهَابِ الْعُمْرِ مِنِّي وَحَيَّ أَنْ أَنْوَحَ وَأَنْ أَنْادِي
 وَأَنْدُبُ كُلَّمَا عَايَنْتُ رَكْبًا حَدَا بِهِمْ لَوْشَكَ الْبَيْنِ حَادِي
 يَعْنِيَنِي الْجَهْلُ إِذَا رَأَيْتُ وَقَدْ أَلَيْتُ أَثَوَابَ الْحَدَادِ
 قُلْتُ لَهُ أَتَيْتُ بِلِسَانِ حَالِي فَإِنِّي قَدْ نَصَحْتُكَ بِاجْتِهَادِي
 وَهَذَا أَنَا كَالْخَطِيبِ وَلَيْسَ بِدَعَا عَلَى الْخُطْبَاءِ أَثَوَابُ السَّوَادِ
 أَلَمْ تَرَنِي إِذَا عَايَنْتُ رَبْعًا أَنْادِي بِالْأَنْوَى فِي كُلِّ وَادِي
 أَنْوَحُ عَلَى الطُّلُولِ فَلَمْ يُجِبْنِي بِسَاحَتِهَا سِوَى خُرْسِ الْجَمَادِ
 وَأَكْثَرُ فِي نَوَاحِيهَا نَوَاحِي مِنَ الْبَيْنِ أَلْقَيْتُ لِلْأَوَادِ
 تَقِظُ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ وَأَفْهَمُ إِشَارَةَ مَا تُشِيرُ بِهِ الْفَوَادِي
 فَمَا مِنْ شَهِيدٍ فِي الْكُونِ إِلَّا عَلَيْهِ مِنْ شُهُودِ الْغَيْبِ بَادِي
 فَكَمْ مِنْ رَائِحٍ فِيهَا وَغَادٍ يُنَادِي مِنْ دُنُوٍّ أَوْ بَعَادِ

مُجْتَمِعًا أَنْذَرْتَ بِشَتَاتِهِ . وَإِنْ شَاهَدْتَ قَصْرًا عَالِيًا بَشَّرْتَ بِدُرُوسِ
 عَرَصَاتِهِ . فَأَنْتَ لَدَى الْحَلِيطِ الْمَعَاشِرِ أَشَامُ مِنْ قَاشِرٍ . وَعِنْدَ الْأَيْبِ
 الْحَاذِرِ . الْأَمُّ مِنْ جَاذِرٍ . فَنَادَانِي بِلِسَانِ زَجْرِهِ الْقَصِيحِ . وَأَشَارَ بِعُنْوَانِ
 حَالِهِ الصَّرِيحِ . وَيَحَاكَ أَنْتَ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ . وَقَدْ
 تَسَاوَى لَدَيْكَ الْعَدُوُّ وَالنَّصِيحُ . لَا بِالْكِنَايَةِ تَفْهَمُ وَلَا بِالضَّرِيحِ .
 كَانَ الْمَوَاعِظُ فِي أَذُنِكَ رِيحٌ . وَكَالَامُ الْمَوَاعِظِ فِي سَمْعِ هَوَاكَ كَالنَّسِيجِ .
 أَمَا تَذْكُرُ رَحِيكَ مِنْ هَذَا الْقَفِيحِ الْقَفِيحِ . إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَضِيقِ
 الضَّرِيحِ . أَمَا بَلَغَكَ مَا جَرَى عَلَى أَيْكَ آدَمَ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى نَفْسِهِ
 وَيَصِيحُ . أَمَا تَعْتَبِرُ نُوحٌ نُوحٌ . وَهُوَ يَبْكِي وَيَنُوحُ . عَلَى دَارٍ لَيْسَ بِهَا
 أَحَدٌ مُسْتَرِيحٌ . أَمَا تَقْتَدِي بِصَبْرِ الدَّيْحِ . أَمَا يَكْفِيكَ مَا تَمَّ عَلَى دَاوُدَ حَتَّى
 بَكَى بِقَلْبِهِ الْقَرِيحُ . أَمَا تَهْتَدِي بِزُهْدِ الْمَسِيحِ . أَيُّ جَمْعٍ لَمْ يَتَفَرَّقْ . أَيُّ
 شَمْلٍ لَمْ يَتَمَزَّقْ . أَيُّ صَفْوٍ لَمْ يَتَكَدَّرْ . أَيُّ حُلُوٍ لَمْ يَتَمَرَّرْ . أَيُّ أَمَلٍ لَمْ
 يَقْطَعْهُ الْأَجَلُ . أَيُّ تَدْبِيرٍ لَمْ يُبْطَلْهُ التَّقْدِيرُ . أَيُّ بَشِيرٍ لَمْ يُعَقِّبْهُ
 نَذِيرٌ . أَيُّ يَسِيرٍ . مَا عَادَ عَسِيرٌ . أَيُّ حَالٍ . مَا حَالَ . أَيُّ مُقِيمٍ مَا
 زَالَ . أَيُّ مَالٍ . عَنْ صَاحِبِهِ مَا مَالَ . أَيْنَ ذُووُ الْعُمُرِ الطَّوِيلِ . أَيْنَ
 ذُووُ الْمَالِ الْخَزِيلِ . أَيْنَ ذُووُ الْوُجْهِ الْجَمِيلِ . أَمَا قَرَضَهُمُ الْمَوْتُ جِيلًا
 بَعْدَ جِيلٍ . أَمَا سَوَى فِي الثَّرَى بَيْنَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ . وَالْمَوْلَى الْجَلِيلِ .
 أَمَا هَتَفَ بِالْمَتَمَتِّعِ بِدُنْيَاهُ قُلُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ . فَكَيْفَ تَلْوُمُنِي عَلَى
 نَوَاحِي . وَتَسْتَشْمُ بِصِيَاحِي . فِي مَسَاءٍ وَصَبَاحِي . وَلَوْ عَلِمْتَ أَيَّهَا

وَدَمَعُ مَهْرَاقٍ . قَامْتُ فِي الْحِدْمَةِ عَلَى سَاقٍ . أَجِلُ ضَرَرِي وَضَرِي .
 وَأَحْرِقُ نَفْسِي لِأُشْرِقَ عَلَى غَيْرِي . فَأَنَا مَعَذَّبٌ بِشَرِّي . وَغَيْرِي مُتَمَتِّعٌ
 بِخَيْرِي . فَكَيْفَ أَلَامُ عَلَى أَصْفَرَارِي . وَدُمُوعِي الْجَوَارِي . ثُمَّ تَقْصِدَنِي
 الْأَوْبَاشُ . مِنَ الْقَرَّاشِ . يُرِيدُونَ إِطْفَاءِي . وَإِذْ هَابَ أَضْوَاءِي . فَالْحَرْقَةُ
 مُكَافَأَةٌ لِفِعْلِهِ . وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . فَلَوْ مُلِئَتِ الْأَرْضُ
 فَرَاشًا لَكُنْتُ مِنْهُمْ بِأَمَانٍ . وَلَوْ مُلِئَتْ أَوْبَاشًا لَمَا أَطْفَؤُوا نُورَ الْإِيمَانِ .
 يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى الرَّحْمَنُ . وَهَذَا رَمَزٌ لِمَنْ
 تَعَنَاهُ بَيَانٌ :

قَدْ أَتَى يَا نُورَ عَيْنِي مِنْكَ نُورٌ أَيْ نُورِ
 فَهْدَايَ وَضَلَايَ بِكَ يَا كُلَّ سُرُورِي
 لَمْ يُطَقْ كُلُّ عَذُولٍ فِيكَ يَرْمِينِي بِزُورِي
 وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ لَمْ يُطَقْ إِطْفَاءُ نُورِي

إشارة الغراب

١٣٧ (قَالَ) : فَيَنِمَّا أَنَا فِي نَشْوَةِ هَذَا الْعِتَابِ . وَلَذَّةِ هَذَا الشَّرَابِ .
 إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ غُرَابٍ . يَنْعَقُ بِتَفْرِيقِ الْأَتْرَابِ . وَيَنُوحُ نُوحَ الْمُصَابِ .
 وَيَبُوحُ مَا يَجِدُهُ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ . وَقَدْ لَيْسَ مِنَ الْحِدَادِ جَلْبَابُ .
 وَرَضِي مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ بِتَسْوِيدِ الثِّيَابِ . فَكُلْتُ : أَيُّهَا النَّادِبُ لَقَدْ
 كَدَرْتَ مَا كَانَ صَافِيًا . وَمَرَرْتَ مَا كَانَ حُلَا شَافِيًا . فَمَا لَكَ لَمْ تَزَلْ فِي
 الْبُكُورِ سَاعِيًا . وَعَلَى الرُّبُوعِ نَاعِيًا . وَإِلَى الْبَيْنِ دَاعِيًا . إِنْ رَأَيْتَ سَمَلًا

مِنِّي قَهْرًا . أَحَايَ عَنْهُ جَهْرًا . وَأَدَافِعُ عَنْهُ بِرُوحِي . وَأَقُولُ يَا رُوحُ رُوحِي .
ثُمَّ أَقُولُ لِمَنْ جَنَانِي . وَأَسْتَخْرِجُنِي مِنْ جِنَانِي . أَنْتَ يَا جَانِي . عَلَيَّ
جَانِي . فَإِنْ كُنْتَ لِلرُّمُوزِ تَعَانِي . فَقَدْ رُمِزْتَ لَكَ فِي مَعَانِي . إِنَّكَ لَا
تَصِلُ إِلَى وَصَالِي . حَتَّى تَصْبِرَ عَلَى حَدِّ نِصَالِي :

إَصْبِرْ عَلَى صِرِّ هَجْرِي إِنْ رُمْتَ مِنِّي وَصَالَا
وَأَتْرُكْ لِأَجْلِ هَوَايَ مَنْ صَدَّ جَهْلًا وَصَالَا
وَمُتْ إِذَا شِئْتَ تَحْسِبَا وَأَسْتَعِجِلِ الْآجَالَا
إِنْ كُنْتَ مَعْنَى تَعْنَى فَقَدْ ضَرَبْتُ مِثَالَا
فَإِنْ فَهَمْتَ رُمُوزِي إِقْدَمْ وَإِلَّا فَالَا لَا

إشارة الشمع

١٣٦ (قَالَ) : فَسَمِعَ النَّحْلُ اسْتِغَاثَةَ شَمْعِهِ . فَأَصْنَعِي إِلَيْهِ بِسْمْعِهِ . فَإِذَا هُوَ
يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ . وَيَبْكِي بِأَدْمُعِ غَزَارٍ . وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّحْلُ أَمَا يَكْفِينِي . أَنْ
رُمِيتُ مِنْكَ بِبَيْنِي . وَفَرَّقَ الدَّهْرُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَأَنْتَ فِي الْوُجُودِ
أَبِي . وَفِي الْإِيجَادِ سَبَبِي . فَأَفْرَدْتُ عَنْكَ بَحْرِي قِي . أَنَا وَالْعَسَلُ
شَقِيْقِي . وَهُوَ أَخِي وَرَفِيقِي . فَبَيْنَمَا نَحْنُ مُجْتَمِعُونَ . وَفِي قَرَارِنَا مُتَمَرِّضُونَ .
إِذَا فَرَّقَتْ بَيْنَنَا يَدُ النَّارِ وَرَمَتْهَا بَعْدَ الدَّارِ . وَشَطَطُ مَا بَيْنَنَا الْمَزَارُ .
فَأَفْرَدَتْ عَنْهُ وَأَفْرَدَتْ عَنِّي . وَبَنَتْ مِنْهُ وَبَنَتْ مِنِّي . ثُمَّ سَلَطَتْ عَلَى النَّارِ .
وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَوْزَارِ . فَكَيْدِي تَحْتَرِقُ . وَجَسَدِي تَحْتَ رِقِّ .
وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِ إِشْرَاقِي . فَأَنَا فِي إِشْرَاقٍ وَإِحْرَاقٍ .

إشارة النحل

١٣٥ (قَالَ): فَتَنَادَتْ النُّحْلَةُ: يَا لَهَا مِنْ نِحْلَةٍ. مَا صَحَّ فِي رِوَايَتِهَا رَحْلَةٌ. فَالْعَارِفُ مَنْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ. قَبْلَ دَعْوَاهُ. وَعِلْمَ صَفَاءِ سِرِّهِ مِنْ نَحْوَاهُ. وَمَنْ مُحَاقِقَةً دَعْوَاهُ. ثَبَّتَ حَقِيقَةَ مَعْنَاهُ. فَلَا تُقَلِّ قَوْلًا يُبْطِلُهُ فِعْلًا. وَلَا تُرَبِّ فِرْعَا يُنْقِضُهُ أَصْلًا. أَلَا تَرَانِي لِمَا طَابَ مَطْعَمِي وَصَفَا مَشْرَبِي. كَيْفَ رَفَعْتَ رُتَبِي. وَعَلَا مَنْصِبِي. وَكَمَلْتَ أَدَبِي. لَوْلَا أَنِّي أَكَلْتُ الْحَلَالَ. وَلَزِمْتُ أَشْرَفَ الْحِلَالِ. حَتَّى صِرْتُ كَالْحِلَالِ. أَسْلَاكَ سَبِيلَ رَبِّي ذُلًّا. وَأَشْكُرُ مِنْ نِعْمِهِ فُضُولًا وَجَمَلًا. أَبْتَنِي الْمُبَاحَ. الَّذِي لَيْسَ عَلَى أَكْلِهِ مِنْ جُنَاحٍ. فَأَجْعَلَ فِي الْجِبَالِ بُيُوتِي. وَمِنْ مُبَاحِ الْأَشْجَارِ قُوتِي. أَبْتَنِي بُيُوتًا يُعْجِزُ كُلَّ صَانِعٍ عَنْ تَأْسِيسِهَا. وَيُخَيِّرُ أَقْلِيدُسُ فِي حَلِّ شَكْلِ تَسْدِيسِهَا. ثُمَّ اسْقُطْ عَلَى الزَّهْرِ وَالْثَمَرِ. فَلَا أَكُلْ ثَمَرَةً. وَلَا أَهْشَمُ زَهْرَةً. بَلْ أَتَنَاولُ مِنْهَا شَيْئًا عَلَى هَيْئَةِ الطَّلِّ. فَأَتَعَدَّى بِهِ قَانِعَةً وَإِنْ قَلَّ. ثُمَّ أَعُودُ إِلَى عُشِّي. وَقَدْ صَفَا كَدْرُ عَيْشِي. فَأَسْتَغْلُ فِي وَكْرِي بِفِكْرِي وَذِكْرِي. وَأَخْلَصُ لِمَوْلَايَ شُكْرِي. وَلَا أَفْتُرُ عَنْ الذِّكْرِ. وَلَا أَغْفُلُ عَنِ الشُّكْرِ. قَدْ أَتَيْتُ عَالَمِي وَعَمَلِي. شَيْعِي وَعَسَلِي. فَالْتَمِعْ ثَمَرَةَ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ. وَالْعَسَلِ ثَمَرَةَ الْعِلْمِ الْمَقْبُولِ. فَالْتَمِعْ لِلضِّيَاءِ. وَالْعَسَلِ لِلشِّفَاءِ. فَإِذَا أَتَانِي قَاصِدٌ يَسْتَضِي بِضِيَاءِي. وَإِنْ أَتَانِي عَالِلٌ يَسْتَشْفِي بِشِفَائِي. فَلَا أَذِيهِ حِلَاوَةَ نَفْعِي. حَتَّى أُجِرَّعَهُ مَرَارَةً لَسْعِي. وَلَا أَنِيلَهُ شَهْدِي. إِلَّا بَعْدَ مُكَابَدَةِ جُهْدِي. فَإِنْ أَقْتَصَصَهُ

عَالِي الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ . فَأَنَا فِي الْبَرِّ سَائِحٌ . وَفِي الْبَحْرِ سَائِحٌ . وَفِي الْهَوَاءِ
 سَائِحٌ . وَقَدْ جَعَلْتُ الْبَحْرَ مَرْكَزَ عِزِّي . وَمَعْدِنَ كَنْزِي . فَأَعُوصُ فِي
 صَفَاءِ تَالِيهِ . فَأَجْتَلِي جَوَاهِرَهُ وَلَا لِيَهُ . وَأَطْلُعُ فِيهِ عَلَى حِكْمِهِ
 وَمَعَانِيهِ . وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهِ . فَمَنْ وَقَفَ عَلَى سَاحِلِهِ . لَمْ
 يَنْظُرْ إِلَّا بِزِيدِهِ وَأَجَاغِهِ . وَمَنْ لَمْ يُحْذَرْ مِنْ دَوَاحِلِهِ وَجَلَاغِهِ . غَرِقَ
 فِي مُتَلَاظِمِ لَحْجِهِ وَأَمْوَاجِهِ . فَالْسَّعِيدُ مَنْ رَكِبَ قَارِبَ قُرْبَاتِهِ . وَرَفَعَ
 قُلُوعَ تَضَرُّعَاتِهِ . مُتَعَرِّضًا لِنَسَمَاتِ نَفْحَاتِهِ . مَاذَا لَبَانَ رَجَائِهِ بِجَذْبَاتِهِ .
 ثُمَّ قَطَعَ كَثَائِفَ ظُلُمَاتِهِ . فَوَصَلَ إِلَى مَجْمَعِ بَحْرِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ .
 فَهَذَا لِكَ يَمُتُّ عَلَى عَيْنِ حَيَاتِهِ . فَيَرِدُ مِنْ عَذْبِهِ وَفِرَاتِهِ :

يَا طَالِبَا الْمَعَالِي مَهْرُ الْمَعَالِي غَالِي
 قَدَّمَ فَأَوَّلُ نَقْدٍ مُعْجَلُ الْآجَالِ
 مَا أَسْتَعَذَّبَ الْمَوْتَ إِلَّا مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ الرَّجَالِ
 حَمَاهُ دُونَ الْوَصَالِ حُمَاهُ حَدَّ النَّصَالِ
 كَذَا الْقُصُورُ الْعَوَالِي حَفَّتْ بِسُمرِ الْعَوَالِي
 وَالشَّهْدُ دُونَ جَنَاهُ لَدَعُ كَحْدِ النَّبَالِ
 قَدْ طَافَ حَوْلَ حَمَاهُ ذَوُو الْجُدُودِ الْعَوَالِي
 وَصَابَرُوا فِي هَوَاهُ عَلَيْهِ مَرُّ النَّكَالِ
 صَامُوا وَبِالذِّكْرِ قَامُوا فِي مُظْلِمَاتِ اللَّيَالِي
 إِنْ كُنْتَ بَطَالًا فَأَتْرَكَ مَنَازِلَ الْأَبْطَالِ

وَرَدِّي سِرًّا وَلَا إِجْهَارًا . قَسَمْتُ وَظَائِفَ الطَّاعَاتِ . عَلَى جَمِيعِ السَّاعَاتِ .
 فَمَا تَرُ سَاعَةً . إِلَّا وَلِيَّ فِيهَا وَظِيفَةً طَاعَةٍ . فِي تَعْرِفِ الْمَوَاقِيتِ . وَلَا
 تَغْلُو قِيَمَتِي وَلَوْ أَشْتَرَيْتُ بِالْيَوَاقِيتِ . فَهَذَا حَالِي . مَعَ قِيَامِي عَلَى عِيَالِي .
 وَإِشْفَاقِي عَلَى أَطْفَالِي . فَأَنَا بَيْنَ الدَّجَاجِ . أَقْتَعُ بِالْأَجَاجِ . وَلَا أَخْتَصُّ
 دُونَهُمْ بِحَبَّةٍ . وَلَا أَتَجَرَّعُ دُونَهُمْ بِشَرْبَةٍ . وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْحُبَّةِ . إِنْ
 رَأَيْتُ حَبَّةً دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهَا . وَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهَا . فَمِنْ شَأْنِي الْإِثَارُ . إِذَا
 حَصَلَ الْفِتَارُ . ثُمَّ إِنِّي طَوَّعْتُ لِأَهْلِ الدَّارِ . أَصْبِرْ لَهُمْ عَلَى سُوءِ الْجَوَارِ .
 يَذْجُبُونَ أَفْرَاحِي . وَأَنَا لَهُمْ كَالْحِلِّ الْمَوَاحِي . وَيَتَّبِعُونَ أَتْبَاعِي . وَأَنَا فِي
 نَفْعِهِمْ سَاعِي . فَهَذِهِ شِمَّةُ أَوْصَافِي . وَسَجِيَّةُ إِنْصَافِي . وَاللَّهُ لِي كَافِي :
 بِذِكْرِ اللَّهِ يُدْفَعُ كُلُّ خَوْفٍ وَيَذْهَبُ الْحَزَنُ مِمَّنْ يَرْتَجِيهِ
 وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يُصْنِي وَيَذَرِي مَعَانِي مَا أَقُولُ وَمَنْ يَعِيهِ

إشارة البط

١٣٤ (قَالَ) : فَنَادَى الْبَطُّ . وَهُوَ فِي الْمَاءِ يَنْعَطُّ . وَقَالَ يَا مَنْ بَدَنِي
 هَمَّتْهُ أَنْحَطَّ . لَا أَنْتَ مَعَ الطَّيْرِ فَتَرَقَى . وَلَا تَسْلَمُ مِنَ الضَّرِّ فَتَبْقَى .
 فَأَنْتَ كَأَمَلْتِ لَا أَرْضًا قَطَعَ . وَلَا لُزُومَكَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يَنْفَعُ .
 سُقُوطُ نَفْسِكَ أَلْقَاكَ عَلَى الْمَزَابِلِ . وَوُقُوفُكَ عِنْدَ الطَّلِّ حَجَبُكَ عَنِ
 الْأَوَابِلِ . وَمَارِجٌ فِي الْمَتَاجِرِ مَنْ لَمْ يَقْطَعْ الْمَرَاحِلَ . وَلَا يَنْظُرُ بِالْجَوَاهِرِ
 مَنْ هُوَ وَاقِفٌ بِالسَّاحِلِ . فَلَوْ ثَبَتَ تَمَكُّنُكَ . وَقَوِيَ يَقِينُكَ . لَطَرْتَ فِي
 الْهَوَاءِ . وَمَشَيْتَ عَلَى الْمَاءِ . أَلَمْ تَرَنِ كَيْفَ مَلَكَتْ هَوَاءِي . فَمَلَكَتْ

فَلَيْسَ زَاوِيَتُهُمْ فِي كَلَامِهِمْ . وَشَارَكْتُهُمْ فِي طَعَامِهِمْ . فَالْتَّشَبَهُ بِهِمْ .
وَأِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ . وَأَخْلَقُوا بِهِمْ وَأَخَاطَبُهُمْ وَلَا أَرْغَبُ عَنْهُمْ . فَعَلَّتْ
قِيَمَتِي . إِذْ عَلَتْ هِمَّتِي . فَأَحْلَوْنِي مَحَلَّ الْأَدِيمِ . وَأَلَّفَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَأَذْكُرُ كَمَا يَذْكُرُونَ . وَأَشْكُرُ كَمَا يَشْكُرُونَ :

اخْتَبِرْ حَالِي تَجِدْنِي مِنْ أَصْحَابِ النَّاسِ مُخْبِرٌ
أَنَا قَدْ أَحْيَيْتُ قَوْمًا شَرَفُوا مَعْنَى وَمَنْظَرَ
كَبَرُوا قَدْرًا وَذَكَّرَا فَهُمْ أَزْكَى وَأَطْهَرُ

(قَالَ) : فَلَمَّا سَامَ نَفْسَهُ بِهَذَا السَّوْمِ . وَجَلَسَ يَجَالِسُ صَدْرَ الْقَوْمِ .
قُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ . الْبَهَائِمُ فِي الْيَقْظَةِ وَأَنَا فِي النَّوْمِ . فَهَالِي لَا
أَزَاحِمُ عَلَى أَبْوَابِ ذِي الْمَرَا حِمٍ . لَعَلَّ يُوْهَبُ مَرْحُومُ لِرَاحِمٍ . وَيُقَالُ :
مَرْحَبًا بِالْقَادِمِ . هَاهَا قَدْ وَهَبْنَا الْجَنَابَةَ لِلنَّادِمِ .

إشارة الديك

١٣٣ (قَالَ) فَعَلْتُ : تَأَلَّلْتُ لَدَى فَازِ أَهْلِ الْخَلَوَاتِ . وَأَمْتَارَ أَهْلُ
الصَّلَوَاتِ . وَمَنْعَ مِنَ الْجَوَارِ أَهْلُ الْغَفَلَاتِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَى الدِّيكُ .
كَمْ أَنْادَيْكَ . وَأَنْتَ فِي تَعَامِيكَ وَتَعَاشِيكَ . جَعَلْتُ الْأَذَانَ لِي
وِظِيفَةً . أَوْقَطُ بِهِ مَنْ كَانَ نَائِمًا كَالْحَيْفَةِ . وَأَبَشِّرُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً . وَفِي إِشَارَةِ لَطِيفَةٍ . أَصَفَّقُ بِجَنَاحِي بَشْرًا لِلْقِيَامِ .
وَأُعْلِنُ بِالصِّيَاحِ تَنْبِيْهًا لِلنِّيَامِ . فَتَصَفِّقُ الْجَنَاحِ . بِشَرِّ النَّجَاحِ . وَتَرِيدُ
الصِّيَاحِ . دُعَاءَ الْفَلَاحِ . لَا أُخِلُّ بِوِظِيفَتِي لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَلَا أَغْفُلُ عَنْ

وَمِنَ الْقُرْنَاءِ فَرِيدًا . وَعَنِ الْأَثْرَابِ بَعِيدًا شَرِيدًا . فَمَنْ كَانَ مَسْكِنُهُ
 الْأَثْرَابَ . كَيْفَ يُسَاكِنُ الْأَثْرَابَ . مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْعُمَرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ .
 وَأَنَّ كُلًّا إِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ . بَاتَ عَلَى خَشْنِ الْحَصِيرِ . وَأَفْطَرَ عَلَى قُرْصِ
 الشَّعِيرِ . وَرَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيُسْرِ . وَعَلِمَ أَنَّ فَرِيقًا فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقًا فِي
 السَّعِيرِ . أَنَا نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَخَرَابِهَا . وَإِلَى الْآخِرَةِ وَأَقْتَرَابِهَا .
 وَإِلَى الْقِيَامَةِ وَحِسَابِهَا . وَإِلَى النَّفْسِ وَكِتَابِهَا . فَشَغَانِي التَّفَكُّرُ فِي
 حَالِي . عَنْ مَنَزِلِي الْخَالِي . وَأَذْهَلَنِي مَاعِلِي وَمَالِي . وَأَذْهَبَنِي عَنْ أَهْلِي
 وَمَالِي . وَأَهْمَنِي صَحَّتِي وَاعْتِلَالِي . عَنِ الْقُصُورِ الْعَوَالِي . فَجَلَا الْيَقِينُ
 عَنْ نَظَرِ بَصَرِي كُلِّ شُبْهَةٍ . فَعَلِمْتُ أَنَّ لَا فُرْصَةَ تَدْوَمُ وَلَا زُهْدَةٍ .
 وَأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . فَعَرَفْتُ مَنْ هُوَ . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ .
 وَحَيْثُ كُنْتُ فَلَا أَرَى إِلَّا هُوَ . فَإِذَا نَطَقْتُ فَلَا أَقُولُ إِلَّا هُوَ . (قَالَ) :
 فَأَخَذَتْ نَوَاعِظُهُ بِجَمَاعِ قَلْبِي . وَخَلَعْتُ عَنِّي مَلَائِسَ عُجْبِي

إشارة الدرّة

١٣٣ (قَالَ) وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ إِذْ صَاحَتِ الدَّرَّةُ مِنْ عَمَلِ عَمَلِي
 فَهُوَ مَسْعُودٌ . وَمَنْ حَذَا حَذْوِي فَهُوَ مَوْعُودٌ بِدَارِ الْخُلُودِ . أَلَا تَرَانِي لِمَا عَلَتْ
 هِمَّتِي وَتَمَّتْ عَزَمَتِي . كَيْفَ غَلَتْ قِيَّتِي . فَلَمْ أَرْضَ لِنَفْسِي . مَا يَرْتَضِيهِ
 أَبْنَاءُ جَنَسِي . لِكِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْوُجُودِ . وَمَا فِيهِ مَوْجُودٌ فَرَأَيْتُ آدَمَ
 وَبَنِيهِ مِنْ دُونِ الْكُلِّ هُوَ الْمَصُودُ . خَلَقَ اللَّهُ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَجْلِهِمْ
 وَخَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ . فَوَصَلَ حَبْلُهُمْ بِحَبْلِهِ . وَفَعَلَ مَعَهُمْ مَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ .

أَوْقَاتِهِمْ . لَا فِي أَقْوَاتِهِمْ . مُكْتَسَبٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ . لَا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ .
 مُتَرَبُّبٌ مِنْ حَالِهِمْ . لَا مِنْ مَالِهِمْ . مُقْتَنِسٌ مِنْ بَرِّهِمْ . لَا مِنْ بُرِّهِمْ .
 رَاغِبٌ فِي حَبِّهِمْ . لَا فِي حَبِّهِمْ . مُقْتَدِيًا بِقَوْلِهِ : إِرْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ
 اللَّهُ . وَارْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ . قَالَ فَقُلْتُ : لِلَّهِ دَرَكٌ
 لَقَدْ عَشْتَ سَعِيدًا . وَسِرْتَ سَيْرًا حَمِيدًا . وَوَفَّقْتَ أَمْرًا رَشِيدًا .
 وَقُلْتُ قَوْلًا سَدِيدًا . فَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ مَزِيدًا

إشارة اليوم

١٣١ (قَالَ) : فَنَادَانِي الْيَوْمُ . وَهُوَ مُنْقَرِذٌ فِي الْخَرَابِ مَهْمُومٌ . أَيُّهَا
 الصَّدِيقُ الصَّادِقُ . وَالْحِلُّ الْمُرَافِقُ . لَا تَكُنْ بِمَقَالَةِ الْخُطَّافِ وَاثِقًا . وَلَا
 لِفَعْلِهِ مُوَافِقًا . فَإِنَّهُ إِنْ سَلِمَ مِنْ شِبْهِ زَادِهِمْ . فَمَا سَلِمَ مِنْ زُرِّ فَرَجِهِمْ
 وَأَعْيَادِهِمْ . وَتَكْثِيرِ سَوَادِهِمْ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ كَثَرِ سَوَادِ قَوْمٍ فَهُوَ
 مِنْهُمْ . وَلَوْ صَحِبَهُمْ سَاعَةً كَانَ مَسْئُولًا عَنْهُمْ . وَقَدْ فَهِمْتَ أَنَّ مُبْتَدَأَ
 التَّفْرِيطِ مِنْ آفَاتِ التَّخْلِيطِ . وَالْخُلْطَةُ غُلْطَةٌ . وَأَوَّلُ السَّيْلِ نُقْطَةٌ .
 وَأَعْلَمُ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعَزَلَةِ . فَمَنْ وَلِيَهَا فَلَا يَخَافُ عَزْلَةً . فَهَلَّا أَسْتَسَنَّ
 بِسِنِّي . وَتَأَسَّى بِوَحْدَتِي . وَأَعْتَزَلَ الْمَنَازِلَ وَالنَّازِلَ . وَزَهَدَ فِي الْمَالِ كُلِّ
 وَالْأَكْلِ . أَلَا تَرَانِي لَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ . وَلَا أَجَالِسُهُمْ فِي
 مَجَالِسِهِمْ . وَلَا أَسَاكِنُهُمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ . وَلَا أَزَاجُهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ . بَلِ
 اخْتَرْتُ الدَّائِرَ مِنَ الْجُدْرَانِ . وَرَضِيتُ بِالْخَرَابِ عَنِ الْعُمَرَانِ . فَسَلِمْتُ
 مِنَ الْأَنْكَادِ . وَأَمِنْتُ مِنَ الْخُسَادِ . وَلَمْ أَزَلْ عَنِ الْأَحْبَابِ وَحِيدًا .

وَحَفِظُ الْعَهْدِ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَطَوَّقَهُ فَتًى إِلَّا وَرَآنَهُ

إشارة الخُطاف

١٣٠ (قَالَ): فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَتَذَكَّرُ أَوْصَافَ الْأَشْرَافِ. وَأَشْرَافِ
 الْأَوْصَافِ. إِذْ نَظَرْتُ إِلَى خُطَّافٍ. وَهُوَ بِالْبَيْتِ قَدْ طَافَ. فَقُلْتُ:
 مَا لِي أَرَاكَ لَلْبَيْتِ لَازِمًا. وَعَلَى مُوَالَسَةِ الْإِنْسِ عَازِمًا. فَلَوْ كُنْتُ فِي
 أَمْرِكَ حَازِمًا. لَمَا فَارَقْتَ أَبْنَاءَ جَنَسِكَ. وَرَضِيتَ فِي الْبُيُوتِ بِجَبَسِكَ.
 ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ إِلَّا فِي الْمَنَازِلِ الْعَامِرَةِ. وَالْمَسَاكِينِ الَّتِي هِيَ بِأَهْلِهَا
 عَامِرَةٌ. فَقَالَ: يَا كَثِيفَ الطَّعْمِ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ. اِسْمَعْ تَرْجَمَةَ حَالِي.
 وَكَيْفَ عَنِ الطَّيْرِ ارْتِحَالِي. أَمَا فَارَقْتُ أَمْثَالِي. وَعَاشَرْتُ غَيْرَ أَشْكَالِي.
 وَأَسْتَوَطَنْتُ السَّقُوفَ. دُونَ الشَّعَابِ وَالْكُھُوفِ. إِلَّا لِفَضِيلَةِ الْغُرَبَاءِ.
 وَلَزُومًا لِأَدَابِ الصُّحْبَةِ. صَحِبْتُ مَنْ لَيْسَ مِنِّي لِأَكُونَ غَرِيبًا.
 وَجَاوَرْتُ خَيْرًا مِنِّي لِأَحْرَزَ بَيْنَهُمْ نَصِيبًا. فَأَعِيشْ عَيْشَ الْغُرَبَاءِ. وَأَفُوزْ
 بِصُحْبَةِ الْأَدْبَاءِ. وَالْغَرِيبُ مَرْحُومٌ فِي غُرَبَتِهِ. مَلْطُوفٌ بِهِ فِي صُحْبَتِهِ.
 فَقَصَدْتُ الْمَنَازِلَ. غَيْرَ مُضِرٍّ بِالنَّازِلِ. أَبْتَنِي بَيْتِي مِنْ حَافَاتِ الْأَنْهَارِ.
 وَاکْتَسَبْتُ قُوَّتِي مِنْ سَاحَاتِ الْقِفَارِ. فَلَسْتُ لِلْجَارِ كَمَنْ جَارَ. وَلَا لِأَهْلِ
 الدَّارِ كَالْغَدَّارِ. بَلْ أَحْسِنُ جَوَارِي مَعَ جَارِي. وَلَيْسَ مِنْهُمْ رَسْمُ
 جَارِي. أَكْثَرُ سَوَادَهُمْ. وَلَا أَسْتَطِيعُ زَادَهُمْ. فَزُهْدِي فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ.
 هُوَ الَّذِي حَبَّبَنِي إِلَيْهِمْ. فَلَوْ شَارَكْتُهُمْ فِي قُوَّتِهِمْ. لَمَا بَقِيتُ مَعَهُمْ فِي
 بُيُوتِهِمْ. فَأَنَا شَرٌّ يَكُفُّهُمْ فِي أَنْدِيَّتِهِمْ. لَا فِي أَغْذِيَّتِهِمْ. مُزَاحِمُهُمْ فِي

وَأَحْكَامِهِ . إِذْ رَأَيْتُ أَمَامَهُ حَمَامَةً . قَدْ جَعَلَتْ طَوْقَ الْعُودِيَّةِ فِي عُنُقِهَا
 عَلَامَةً . فَقُلْتُ لَهَا : حَدِّثِي عَن ذَوْقِكَ وَشَوْقِكَ . وَأَوْضِحِي لِي مَا
 الْحِكْمَةُ فِي تَطْوِيسِ طَوْقِكَ . فَقَالَتْ : أَنَا الْمَطْوُوقَةُ بِطَوْقِ الْأَمَانَةِ .
 الْمَقْلَدَةُ بِتَقْلِيدِ الصَّيَانَةِ . نُدِبْتُ لِحِمْلِ الرِّسَائِلِ . وَتَبْلِيغِ الرِّسَائِلِ
 لِلسَّائِلِ . وَلَكِنِّي أَخْبِرُكَ عَنِ الْقِصَّةِ الصَّحِيحَةِ . فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةَ .
 مَا كُلُّ طَائِرٍ أَمِينٌ . وَلَا كُلُّ حَافٍ يَصْدُقُ فِي الْيَمِينِ . وَلَا كُلُّ
 سَالِكٍ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَإِنَّمَا الْخُصُوصُ بِحِمْلِ الْأَمَانَةِ جُنْسِي .
 فَيُشْتَرَى بِالْخُرْجِ . وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ بِالتَّدْرِيجِ . فَأَقُولُ : حَمَلُونِي
 فَأَجْمِلْ كُتُبَ الْأَسْرَارِ . وَلَطَائِفَ الرِّسَائِلِ وَالْأَخْبَارِ . فَأُطِيرُ وَعَنِّي
 مُسْتَطِيرٌ . خَائِفًا مِنْ جَارِحٍ جَارِحٍ . حَازِرًا مِنْ سَائِحٍ سَائِحٍ . جَارِعًا
 مِنْ صَائِدٍ ذَائِحٍ . فَأَهَاجِرُ . وَأُكَابِدُ الظَّمَأَ فِي الْهَوَاجِرِ . وَأَطْوِي
 عَلَى الطَّوَى فِي الْحَاجِرِ . فَلَوْ رَأَيْتُ حَبَّةَ قَمْحٍ مَعَ شِدَّةِ جُوعِي رَجَعْتُ
 عَنْهَا . فَأَرْتَفِعُ خَشْيَةً . مِنْ كَيْفِ مَدْفُونٍ . أَوْ شَرِكٍ يُعَيِّنِي عَنْ
 تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ . فَأَنْقَلِبُ بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ . فَإِذَا وَصَلْتُ . وَفِي مَأْمَنِي
 حَصَلْتُ . أَدَيْتُ مَا حَمَلْتُ . وَعَمِلْتُ مَا عَلِمْتُ . فَهَذَا لَكَ طَوْقُ .
 وَبِالْبَشَارَةِ خُلِقْتُ . وَأَنْقَلِبُ إِلَى شُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا وَفَّقْتُ :

أَيَا رَبِّي وَصَلْتُمْ أَوْ هَجَرْتُمْ فَعَبْدُكُمْ عَلَى حِفْظِ الْأَمَانَةِ
 مُقِيمٌ لَا يُخْزِجُهُ عَذُولٌ وَلَا يَتْنِي مُعْنَفُهُ عِنَانُهُ
 حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى إِلَّا جِبَالُ الشُّمِّ تَحْمِلُهُ رِزَانُهُ

السُّكُوتَ . فَكَانَ الْعَمْتُ جَمَالِي . وَلَزُومُ الْأَدَبِ كَمَالِي . أَقْسَمْتُ
 مِنَ الْبَرِّيَّةِ جَبْرًا . وَجُلَيْتُ إِلَى بِلَادِ الْغُرْبَةِ قَهْرًا . فَلَا بِالسَّرِيرَةِ نَجْتُ .
 وَلَا عَلَى الْأَظْلَالِ نُحْتُ . بَلْ أَدَبْتُ حِينَ غُرَبْتُ . وَقَرَبْتُ حِينَ
 جُرَبْتُ . وَأَمْسَحْتُ حِينَ أَمْسَحْتُ . وَعِنْدَ الْإِمْتِحَانِ . يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ
 يُهَانُ . فَلَمَّا رَأَى مُودِّي تَحْلِيظَ الْوَقْتِ . خَافَ عَلَيَّ مِنَ الْمَتِّ . فَكَمَّمْ
 بَصْرِي بِكُمَّةٍ : لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ . وَعَقَدَ لِسَانِي بِعُقْدَةٍ : لَا تُحَرِّكْ بِهِ
 لِسَانَكَ . وَقَيَّدَنِي بِقَيْدٍ : لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . فَأَنَا مِنْ وَثَاقِي
 مُتَأَلِّمٌ . وَمِمَّا أَلَاقِي لَا أَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا كُمِمْتُ وَأَدَبْتُ . وَجُرَبْتُ
 وَهَذَبْتُ . اسْتَصْلَحَنِي مُودِّي لِإِرْسَالِي إِلَى الصَّيْدِ . وَزَالَ عَنِّي ذَلِكَ
 الْقَيْدُ . فَأُطْلِقْتُ وَأُرْسِلْتُ . فَمَارَفَعَتِ الْكُمَّةُ عَنْ عَيْنِي . حَتَّى أَصْلَحْتُ
 مَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي . فَوَجَدْتُ الْمُلُوكَ خُدَّامِي . وَاكْفَهُمْ تَحْتَ أَقْدَامِي :

أَمْسَكَتُ عَنْ فَضْلِ الْكَلَامِ إِسَانِي وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ الدُّنَا إِنْسَانِي
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ قَرُبَ مَنِيَّتِي لِزُخَارِفِ اللَّذَاتِ قَدْ أَنْسَانِي
 أَدَبْتُ آدَابَ الْمُلُوكِ وَعَلِمْتُ رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعَ الْإِحْسَانِ
 أُرْسِلْتُ مِنْ كَفِّ الْمُلُوكِ مُجَرَّدًا وَجَعَلْتُ مَا أَبْغِيهِ نَصَبَ عِيَانِي
 حَتَّى ظَفَرْتُ وَنَلْتُ مَا أَمَلْتُ ثُمَّ اسْتَجَبْتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي
 هَذَا لَعَمْرِي رَسْمُ كُلِّ مُكَلَّفٍ بِوُظَائِفِ التَّسَامِيحِ لِلْإِيمَانِ

إشارة للحام

١٢٩ (قَالَ) : فَيَنِمَّا أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ كَلَامِهِ . مُعْتَبِرٌ بِحِكْمِهِ

إِلَّا تَبَلَّلْتُ عَلَى بَلَاهَا . وَلَا نَهَةً إِلَّا نُحْتُ عَلَى أَصْحَىٰ آلِهَا . وَلَا
خُضْرَةً إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى زَوَالِهَا . فَإِنِّي مَا رَأَيْتُ صَفْوَةً إِلَّا تَكَدَّرْتُ .
وَلَا عَيْشَةً حُلْوَةً إِلَّا تَمَرَّرْتُ . فَقَرَأْتُ فِي مِثَالِ الْعِرْفَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
فَان . فَكَيْفَ لَا أَنْوَحُ . عَلَى حَالٍ يَجُولُ . وَوَقْتُ يَدُولُ . وَعَيْشٌ
يَزُولُ . وَوَصْلٌ عَنْ قَرِيبٍ مَفْصُولٌ . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ شَرْحِ حَالِي
تُغْنِي عَنِ الْفُصُولِ :

حَدِيثُ ذَلِكَ الْحَمِيِّ رُوحِي وَرَيْحَانِي فَلَا تَلْمَنِي إِذَا كَرَّرْتُ الْحَانِي
رَوْضُ بِهِ الرِّاحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جَمَعَا وَخُضْرَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
مِنْ أَبْيَضٍ يَبْقَى أَوْ أَصْفَرٍ يَقْعَمُ أَوْ أَخْضَرَ رَقِيَ أَوْ أَحْمَرَ قَانِي
وَالْأَنْسُ دَانٍ وَشَمْلُ الْوَصْلِ مُجْتَمِعٌ هَذَا هُوَ الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ فَإِنِّي

إشارة الباز

١٢٨ فَنَادَى الْبَازُ . وَهُوَ فِي مَيْدَانِ الْبَرَارِ . وَيَحْكُ لَقَدْ صَغُرَ جُرْمُكَ .
وَكَبُرَ جُرْمُكَ . وَقَدْ أَقْلَقْتَ بِتَغْرِيدِكَ الطَّيْرَ . وَإِطْلَاقُ لِسَانِكَ
يَجْلِبُ إِلَيْكَ الضَّيْرَ . وَمَا يُفْضِي بِكَ إِلَى خَيْرٍ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا
يُهْلِكُ الْإِنْسَانَ إِلَّا اعْتَرَاتُ اللِّسَانِ . فَلَوْلَا لَقْلَقَةُ لِسَانِكَ . مَا أَخَذْتَ
مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِكَ . وَحُبِسْتَ فِي ضَيْقِ الْأَقْفَاصِ . وَسُدَّ عَلَيْكَ بَابُ
الْخُلَاصِ . وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مَا جَنَاهُ عَلَيْكَ لِسَانُكَ . فَأَقْتَضَحَ بِهِ بَيَانُكَ .
فَلَوْ أَهْتَدَيْتَ بِسِمْتِي . وَأَقْتَدَيْتَ بِصِمْتِي . لَبَرَّتَ مِنَ الْمَلَامَةِ . وَعَلِمْتَ
أَنَّ الصَّمْتَ رَفِيقِي السَّلَامَةِ . أَلَمْ تَرِنِي لَزِمْتُ الصُّمُوتَ . وَالْفَتْ

فَأَنْبَسَ وَسَاحَ فِي فَسِيحِ الرَّحَابِ . وَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَتُنْكِرُ فَضْلِي
عَلَيْكُمْ . وَأَنَا الْبَاعِثُ طَلِي وَوَبِلِي إِلَيْكُمْ . وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَطْفَالُ
جُودِي . وَتَسْلُ وَجُودِي . كَمْ مَلَأْتُ الْبَرَّ بَرًّا بِبِرِّي . وَالْبَجَرَ دُرًّا
بِدَرِّي . فَلَمْ يَزَلْ تَدِي دَرِّي عَلَيْهِ دَرَارًا . وَزَيْدُ بَرِّي إِلَيْهِ مِدْرَارًا .
فَإِذَا أَنْقَضَتْ أَيَّامُ الرِّضَاعِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْفُطَامُ . فَأَقْطَعَ تَدِي عَنْهُ
فِيضُجُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حُطَامُ . فَكَأَنَّ بَعْثَهُ فِي أَنْسَابِ عِبْرَاتِي .
وَأَشُورَهُ فِي بَعْثِ قَطَرَاتِي . فَأَلْكُلُ فِي الْحَقِيقَةِ أَطْفَالِي . وَلَوْ اعْتَرَفُوا
بِحَقِّي لَكَانُوا مِنْ الْجَوِّ أَطْفَالِي

إشارة المزار

١٢٧ (قَالَ) : فَيَنَّا أَنَا مُصْنِعٌ لِمُنَادِمَةِ أَزْهَارِهَا . عَلَى حَافَاتِ أَنْهَارِهَا .
إِذْ صَاحَتْ فَصَاحَةُ أَطْيَارِهَا مِنْ أَوْكَارِهَا . فَأَوَّلَ مَا صَوَّتَ الْهَزَارُ .
وَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِخَلْعِ الْعَذَارِ . وَبَاحَ بِمَا يُكَاتِمُهُ مِنَ الْأَسْرَارِ . وَقَالَ
بِلِسَانِ حَالِهِ : أَنَا اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ . الصَّادِي الظَّمَانُ . إِذْ رَأَيْتُ فَصَلَ
الرَّيِّعِ قَدْ حَانَ . وَمَنْظَرَهُ الْبَدِيعِ قَدْ آنَ . تَجِدُنِي فِي الرِّيَاضِ فَرَحَانَ .
وَفِي الْغِيَاضِ أُرْدِدُ الْأَلْحَانَ . أَغْنِي وَأَطْرِبُ فَأَنَا بِنِعْمَتِي طَرْبَانُ .
وَمَنْ تَشَوَّيْتُ سَكْرَانُ . فَإِذَا زَمَزَمَ النَّسِيمُ وَصَفَّتْ أَوْرَاقُ الْأَغْصَانِ .
أَرْقُصُ عَلَى الْعِيدَانِ . فَكَأَنَّمَا الزَّهْرُ وَالنَّهْرُ لِي عِيدَانُ . وَأَنْتَ
تَحْسَبُنِي فِي ذَلِكَ عَابِدًا . لَا وَاللَّهِ وَلَسْتُ بِالْأَمِينِ حَانِدًا . وَإِنَّمَا
أَنْوَحُ حَرْبًا لَا طَرْبًا . وَأَبُوحُ تَرَحُّالًا فَرَحًا . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ رَوْضَةً

إِلَيَّ شَاهِي . فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَسْقَطَ جَاهِي . أَرْفُلُ فِي تَوْبِي
 الْقَانِي . وَأَنَا مَذْخُوضٌ عِنْدَ مَنْ يَلْقَانِي . فَلَا أَنَا فِي الْحَضْرَةِ حَاضِرٌ .
 وَلَا يُشَارُ إِلَيَّ بِالتَّوَاطُرِ . وَلَا أَصَاحُ بِالْمُنَآخِرِ . وَمَا بَرَحْتُ فِي عَدَدِ
 الرِّيَاحِينَ آخِرَ . فَأَنَا طَرِيدٌ عَنْ صَنْحِي . بَعِيدٌ عَنْ قُرْبِي . وَمَا أَظُنُّ
 ذَلِكَ إِلَّا مِنْ سَوَادِ قَلْبِي . فَلَمَّا رَأَيْتُ بَاطِنِي مَخْشُوعًا بِالذُّنُوبِ . وَقَلْبِي
 مُسَوَّدًا بِالْعُيُوبِ . عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ وَلَكِنْ
 يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ . فَكَانَ إِعْجَابِي بِأَثْوَابِي سَبَبًا لِحِجَابِي عَنْ تَوَابِي .
 فَكُنْتُ كَالرَّجُلِ الْمُنَافِقِ الَّذِي حَسَنَتْ سِيرَتُهُ . وَقَبِضَتْ سِرِّيَّتُهُ .
 وَرَاقَ فِي الْمُنْظَرِ سِمَتُهُ . وَقَلَّ فِي الْخَبَرِ قِيمَتُهُ . وَلَوْ صَلَحَ قَلْبِي لَصَلَحَ
 أَمْرِي . وَلَوْ شَاءَ رَبِّي أَطَابَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ذِكْرِي . وَفَاحَ بَيْنَ
 الْأَزْهِيرِ نَشْرِي . لَكِنَّ الطَّيِّبُ لَا يَنْفُوحُ إِلَّا مِنْ يَطِيبُ . وَعَلَامَاتُ
 الْقَبُولِ لَا تَلُوحُ إِلَّا عَلَى مَنْ رَضِيَ عَنْهُ الْحَبِيبُ :

أَنَا قَلْبِي قَدْ سَوَّدَتْهُ ذُنُوبِي وَقَضَى لِي مُعَذِّبِي بِشَقَائِي
 مَنْ رَأَى يَظُنُّ خَيْرًا وَلَكِنْ خَالِقِي عَالِمٌ بِأَنِّي مُرَائِي
 قَدْ تَحَسَّنَتْ مَنَظَرًا وَلِبَاسًا وَرَزَايَا مَخْشُوعَةٌ بِمَحْشَائِي
 وَأَحْيَائِي إِذَا سُئِلْتُ وَمَا لِي مِنْ جَوَابٍ وَاخْتَلَجْتِي وَأَحْيَائِي
 لَوْ كَشَفْتَ السُّتُورَ عَنْ سُوءِ حَالِي لَرَأَيْتَ السُّرُورَ لِلْأَعْدَاءِ

إشارة السحاب

١٢٦ فَمَا حَسَنَ الْعِتَابُ . وَطَابَ فَضْلُ الْخُطَابِ . دَمَعَ السَّحَابُ .

لِي وَالزَّحَامَ . لَا أَعَاشِرُ اللَّسَامَ . وَلَا أَسْمَعُ قَوْلَ اللُّوَامِ . وَأَلْزِمْتُ مِنْ
 بَيْنِ الْأَزْهَارِ . أَنْ لَا أَجَاوِرَ الْأَنْهَارَ . وَلَا أَقِفَ عَلَى شَفَا جُرْفِ هَارٍ .
 أَرَأَيْكَ الْوَحْشَ فِي الْفَنَارِ . وَأَسْكُنُ الْبَرَارِيَّ وَالْقِفَارَ . أُجِبُ الْحُلُوتِ .
 وَأَسْتَوِطُنُ الْفُلُوتِ . فَلَا أَزَاحِمُ فِي الْحَافِلِ . وَلَا تَقْطِفُنِي أَيْدِي
 الْأَسَافِلِ . وَلَا أَهْمِلُ إِلَى الْأَلَايِبِ وَالْهَازِلِ . لَكِنِّي بَعِيدٌ عَنِ الْمَنَازِلِ .
 تَجِدُنِي فِي أَرْضِ نَجْدٍ نَازِلُ . رَضِيتُ بِالْبَرِّ الْفَسِيحِ . وَقَفْتُ مُجَاوِرَةً
 الْفَنَارِ وَالشَّيْخِ . تَعَبْتُ بِبَشَرِي الرِّيحُ . فَتَحْمَلُنِي إِلَى ذَوِي الْقُدْسِ
 وَالسَّبِيحِ . لَا يَنْشَقُّنِي إِلَّا مَنْ لَهُ ذَوْقُ صَحِيحٍ . وَشَوْقُ صَرِيحٍ . وَهُوَ
 عَلَى زَهْدِ الْمَسِيحِ . وَصَبْرِ الذَّبِيحِ . فَأَنَا رَفِيقُ السَّيَّاحِ فِي الْغُدُوِّ
 وَالرَّوَّاحِ . فَلَا أَحْضَرُ عَلَى مُنْكَرٍ . وَلَا أَجْلِسُ عِنْدَ مَنْ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ .
 فَأَنَا الْحُرُّ الَّذِي لَا يُبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ . وَلَا يُنَادَى عَلَيَّ بِالنَّفَاقِ فِي
 سُوقِ النِّفَاقِ . وَلَا يَنْظُرُنِي إِلَّا مَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقٍ . وَرَكِبَ جَوَادَ
 الْعَزِيمَةِ وَسَاقٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي الْبَوَادِي . وَاللَّيْمِ يَهْمِي فِي كُلِّ
 وَادِي . أَعْطَرُ الْبَادِي . بِعِطْرِي الْبَادِي . وَأُرْوِحُ النَّادِي . بِبَشَرِي
 النَّادِي . إِنْ عَرَّضَ بِذِكْرِي الْحَادِي . حَنَّ إِلَيَّ كُلُّ رَائِحٍ وَغَادِي

اشارة الشقيق

١٢٥ فَنَفَسَ الشَّقِيقُ بَيْنَ نُدْمَائِهِ . وَهُوَ مُضَرَّجٌ بِدِمَائِهِ . وَأَسْتَوَى
 عَلَى سَاقِهِ وَوَثَبَ . وَقَالَ : يَا لِلَّهِ الْعَجَبُ . مَا بَالُ لَوْنِي بَاهِي . وَحُسْنِي
 زَاهِي . وَقَدْرِي بَيْنَ الرِّيَّاحِينَ وَاهِي . فَلَا أَحَدٌ يَبْهِي . وَلَا نَظِيرُ

الْأَيَّامُ فَمَا أَطَالَتْ لِي أَمَدًا . وَغَيَّرَتْ لِي الْأَحْكَامُ فَمَا أَبَقَتْ لِي جِدًا
وَلَا جَلَدًا . فَمَا أَقْصَرَ مَا قَضَيْتُ عَيْشًا رَغَدًا . وَمَا أَطْوَلَ مَا بَقِيتُ يَابِسًا
مُجَرَّدًا . وَجُمْلَةُ خُصُولِي . أَنَّنِي أُؤْخَذُ أَيَّامَ خُصُولِي . فَأَقْطَعُ مِنْ أُصُولِي .
وَأُمنَعُ مِنْ وَصُولِي . وَكَمْ مِمَّنْ يَتَقَوَّى عَلَى ضَعْفِي . وَيَعْسِفُ بِي مَعَ تَرْفِي
وَأُطْفِي وَظْرِي . فَيَتَسَنَّمُ بِي مَنْ حَضَرَ نِي . وَيَسْتَحْلِي بِي مَنْ نَظَرَ نِي .
ثُمَّ لَا أَلْبَثُ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . حَتَّى أَسَامَ بِالنَّجَسِ سَوْمٍ . وَيَعَادُ
عَلَيَّ بَعْدَ الشَّاءِ بِاللَّوْمِ . فَأَمْسِي مِمَّا لَقِيتُ مَمْعُوكًا . وَبِأَيْدِي الْحَوَادِثِ
مَعْرُوكًا . فَإِذَا أَصْبَحْتُ يَابِسًا . وَمِنْ النَّصَارَةِ آئِسًا . أَخَذَنِي أَهْلُ الْمَعَانِي .
مَنْ هُوَ لِلْحَكَمِ يُعَانِي . فَتَفَشَّشُ بِي الْأَوْرَامُ الْفَاشِيَةُ . وَتُلَيِّنُ الْأَلَامُ
الْقَاسِيَةَ . وَتُلَطِّفُ بِي الطَّبَائِعُ الْعَاتِيَةَ . وَتُدْفَعُ بِدَوَائِي الْأَدْوَاءُ
الْعَادِيَةَ . فَالِنَّاسُ مُتَعَوِّذُونَ بِبِلَاسِي وَرَطِّي . جَاهِلُونَ بِعِظَمِ خَطِيئِي .
غَافِلُونَ عَمَّا أُوْدِعَ بِي مِنْ حِكْمِ رَبِّي . وَإِنِّي لَمَنْ يَتَذَكَّرُنِي عِبْرَةٌ لِمَنْ
أَعْتَبَرَ . وَتَذَكُّرَةٌ لِمَنْ أَدَّكَرَ . وَفِي مُزْدَجَرٍ لِمَنْ أَرْدَجَرَ :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ أَلْبَسْتَجِ إِذْ غَدَا يَحْكِي بِأَوْرَاقٍ عَلَى أَنْصَانِهِ
جَيْشًا طَوَارِفُهُ الزَّبْرَجْدُ رُصِعَتْ أَحْجَارُ يَأْقُوتٍ عَلَى خُرْصَانِهِ
فَكَاثِمًا أَعْدَاؤُهُ بِجَلَادَةٍ شِلَتْ رُؤُوسَهُمْ عَلَى عِيدَانِهِ

إشارة الحزام

١٢٤ فَلَمَّا رَأَى الْحِزَامُ . مَا يُكَابِدُهُ الزَّهْرُ مِنَ الْقَيْدِ وَالْإِلْتِزَامِ .
فَمِنْهَا مَا يُضَامُ . وَيُثْرَبُ بَعْدَ النَّظَامِ . وَبِالْثَّمَنِ النَّجَسِ يُسَامُ . قَالَ : مَا

وَالِى الْبَرْدِ وَقَدْ شَرَدَ . وَالِى الزَّهْرِ وَقَدْ اُتَقَدَ . وَالِى الْحَبِّ وَقَدْ اُنْعَقَدَ .
وَالِى الْغُضَنِ الْيَاسِ وَقَدْ كُسِيَ بَعْدَ مَا اُنْجَرَدَ . وَالِى اخْتِلَافِ
الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَقَدْ اُنْحَدَ . فَاَعْلَمُ اَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ اَحَدٌ .
وَصَاحِبُهَا صَمَدٌ . وَمُوجِدُهَا بِالْقُدْرَةِ قَدْ اُنْفَرَدَ . فَلَا يَفْتَقِرُ اِلَى اَحَدٍ . وَلَا
يَسْتَعْنِي عَنْهُ اَحَدٌ . وَلَا يُشَارِكُهُ فِي مُلْكِهِ اَحَدٌ . فَهَذَا لَكَ تَمَآلَيْتَ قُدُودِي .
طَرَبًا بِطِيبِ شُهُودِي . وَتَبَلَّلْتَ بِالْأَبْلِ سَعُودِي . عَلَى تَحْرِيكِ عُودِي .
ثُمَّ تَذَرِكُنِي عِنَايَةً مَعْبُودِي . فَأَفَكِّرُ فِي عَدَمِ وُجُودِي . وَفَوَاتِ
مَقْصُودِي . فَاَنْعَظْ عَلَى الْوَرْدِ فَأُخْبِرْهُ بِوُرُودِي . وَأَخْلَعْ عَلَيْهِ مِنْ
بُرُودِي . وَأَسْتَخْبِرْهُ أَيْنَ مَقْصَدِي وَوُرُودِي . فَقَالَ لِي : وَجُودُكَ
كُوجُودِي . وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِي . أَنْتَ بِخُضْرَةٍ قُدُودِكَ . وَأَنَا بِحُمْرَةِ
خُدُودِي . فَهَلُمَّ نَجْعَلْ فِي النَّارِ وَقُودَكَ وَوُقُودِي . قَبْلَ نَارِ خُلُودِكَ
وَوُجُودِي . فَقُلْتُ لَهُ : إِذَا صَحَّ الْإِتِّلَافُ . وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِالْإِتِّلَافِ .
فَلَيْسَ لِلْخِلَافِ خِلَافٌ . فَنُتَخَطَفُ عَلَى حُكْمِ الْوِفَاقِ . وَنُخَطَفُ مِنْ بَيْنِ
الرِّفَاقِ . فَتُصْعَدُ أَنْفُسُنَا بِالْإِحْتِرَاقِ . وَتُقَطَّرُ دُمُوعُنَا بِالْإِشْفَاقِ . فَإِذَا
فَنِينَا عَلَى صُورِ أَشْبَاحِنَا . بَقِينَا بِمَعَانِي أَرْوَاحِنَا . فَشَتَّانَ بَيْنَ غُدُونَا وَوَرَوَانَا

إشارة بنفسج

١٢٣ فَتَنَفَسَ الْبَنَفَسَجُ تَنَفُّسَ السُّعْدَاءِ . وَتَأَوَّهَ تَأَوُّهُ الْبُعْدَاءِ .
وَقَالَ : طُوبَى لِمَنْ عَاشَ عَيْشَ السُّعْدَاءِ . وَمَاتَ مَوْتَ الشُّهْدَاءِ . إِلَى
كَمْ أَذُوبُ بِالذُّبُولِ كَمَدًا . وَأَكْتَسِي بِالْخَوْلِ أَثَوَابًا جَدًّا . أَفَتَنِي

وَأَوْتِقْ بِالْعَزِيمَةِ شُرْطِي . وَلَا أَرَاكَ وَإِقْعَا عَلَى قَدَمٍ . وَكَذَلِكَ وَظِيفَةُ
 مِنْ خَدَمٍ . لَا أَجْلِسُ بَيْنَ جُلَاسِي . وَلَا أَرْفَعُ إِلَى النَّدِيمِ رَاسِي . وَلَا
 أَمْنَعُ الطَّالِبَ طِيبَ أَنْفَاسِي . وَلَسْتُ لِعَهْدٍ مَنْ وَصَلَنِي نَاسِي . وَلَا
 عَلَى مَنْ قَطَعَنِي قَاسِي . وَكَاسِي بَصْفُوهُ لِي كَاسِي . بُنِيَ عَلَى قَضْبِ
 الزُّرْدِ أَسَاسِي . وَجُعِلَ مِنَ اللَّحْيَيْنِ وَالْعُسْجِدِ لِبَاسِي . أَتَأْمَحُ تَقْصِيرِي
 فَأُطْرِقُ إِطْرَاقَ الْحَجَلِ . وَأُفَكِّرُ فِي مَصِيرِي فَأُحْدِقُ لِهَجُومِ الْأَجَلِ .
 فَأُطْرَاقِي أَعْتَرَفُ بِتَقْصِيرِي . وَإِطْلَاقِي نَظَرُ إِلَى مَا فِيهِ مَصِيرِي :

قَمْتُ مِنْ ذُلٍّ عَلَى قَدَمِي مُطَرِّقًا بِالرَّاسِ مِنْ زَلِّي
 لَمْ يَكُنْ فِي الْأَقْدَامِينَ غَدًا نَافِعِي عِلْمِي وَلَا عَمَلِي
 مُقْلَتِي إِنْسَانَهَا أَبَدًا قَطُّ لَا يَرْتَدُّ مِنْ وَجَلِي
 عَجَلًا فِي خِيفَةٍ وَكَذَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ

إشارة البان

١٢٢ فَلَمَّا نَظَرَ الْأَشْجَارُ إِلَى طَرَبِ الْبَانِ بَيْنَهُمْ . وَتَمَائِلِهِ دُونَهُمْ . لَا مُوَهُ
 عَلَى كَثْرَةِ تَمَائِلِهِ . وَعَنْفُوهُ عَلَى إِعْجَابِهِ بِشَمَائِلِهِ . فَتَمَائِلُ هُنَالِكَ الْبَانُ .
 وَقَالَ : قَدْ ظَهَرَ عُذْرِي وَبَانَ . فَمَنْ ذَا يُلُومُنِي عَلَى تَمَائِلِ أَغْصَانِي .
 وَاهْتِرَازِ أَرْكَانِي . وَأَنَا الَّذِي بَسَطْتُ لِي الْأَرْضَ مَطَارِفَهَا . وَأَظْهَرْتُ
 لِي الرِّيَاضَ زَخَارِفَهَا . وَأَهْدَيْتُ لِي كَسَمَاتِ الْأَسْحَارِ لَطَائِفَهَا وَظَرَائِفَهَا .
 فَإِذَا رَأَيْتُ سَاعَةَ نُشُورِ أَمْوَاتِ النَّبَاتِ قَدْ اقْتَرَبَتْ . وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ
 قَدْ اهْتَرَتْ وَرَبَتْ . وَحَانَ وَرُودُ وَرْدِي . فَأَنْظُرُ إِلَى الْوَرْدِ وَقَدْ وَرَدَ .

بَقَّ الْأَيْدِ فَخْرِهِ . وَخَلَعَ الْوَرْدُ عِذَارَهُ . وَسَحَبَ عَنِ الرُّوضِ الْأَيْقِ
 أَرْهَارَهُ . فَمَهْمُ بِنَا نَتَفَرَّجُ . وَنَتِيهِ بُحْسِنَا وَنَتَبَهَّرُ . فَأَيَّامُ السُّرُورِ تَحْتَلِسُ .
 وَأَوْقَاتُهُ بِأَسْرِهَا تَحْتَسِسُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْوَرْدُ كَلَامَ الْمُرْسِينَ . قَالَ لَهُ :
 يَا أَمِيرَ الرِّيَّاحِينَ . بئْسَ مَا قُلْتَ . وَلَوْ جَمَعَ بِكَ الْغَضَبُ مَا صُلْتَ . فَقَدْ
 زَلْتَ عَنْ شَيْمِ الْأَمْراءِ . بَعْدَ مَا تَأَمَّلْتَ الصَّوَابَ مِنَ الْأَرَاءِ . فَمَنْ
 الْمُصِيبُ إِذَا زَلَّتْ . وَمَنْ الْهَادِي إِذَا ضَلَّتْ . تَأْمُرُ بِاللَّهِوِ عِنْدَكَ .
 وَتُحَرِّضُ عَلَى التُّزِهِ جُنْدَكَ . وَأَمِيرُ الرِّعْيَةِ . صَاحِبُ الْفِكْرَةِ الرَّدِيَّةِ .
 فَلَا يُعْجِبُكَ حُسْنُكَ . إِذَا تَمَّيَلُ غَضَبُكَ . وَأَخْضَرَ أَوْرَاقَكَ . وَأَكْرَمَ
 أَعْرَاقَكَ . فَأَيَّامُ الشَّبَابِ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ . دَارِسَةُ الطَّلَالِ . كَالطَّيْفِ
 الطَّارِقِ . وَالْحَيَالِ الْمَارِقِ . وَكَذَلِكَ الشَّبَابُ . أَخْضَرَ الْجِلْبَابِ وَالنِّيَابِ .
 مُخْتَلِفُ الْأَجْنَاسِ . كَاخْتِلَافِ الْحَيَوَانِ بَيْنَ النَّاسِ . فَمِنْهَا مَا يُشَمُّ
 وَيَذُبُّ . وَيُحَوَّلُ خُطَابُهُ وَيُنْقَلُ . وَتَطْرُقُهُ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ . وَيَعُودُ
 مَطْرُوحًا عَلَى الْأَكْوَامِ . وَمِنْهَا مَا يُؤْكَلُ ثِمَارُهُ . وَتُجَدُّ فِي النَّاسِ
 آثَارُهُ . وَالسَّالِمُ مِنَ النَّارِ أَقْلُهُ . وَإِيَّاكَ وَالْإِغْتِرَارَ . فِي هَذِهِ الدَّارِ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ فَرِيْسَةٌ لِأَسَدِ الْحِمَامِ . وَبَعْدُ فَقَدْ نَصَحْتُكَ وَالسَّلَامُ

إشارة النرجس

١٢١ فَأَجَابَهُ النَّرَجِسُ مِنْ خَاطِرِهِ . وَهُوَ نَاطِرٌ لِمُنَاطِرِهِ فَقَالَ : أَنَا
 رَقِيبُ الْقَوْمِ وَشَاهِدُهُمْ . وَسَمِيرُهُمْ وَمُنَادِيُهُمْ . وَسَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ .
 أَعْلَمُ مِنْ لَهُ هِمَّةٌ . كَيْفَ تَكُونُ شُرُوطُ الْحِدْمَةِ . أَشَدُّ لِلْخِدْمَةِ وَسْطِي .

وَتَسْلَسِلُ بِي الْأَنْهَارُ . وَتُلْقِحُ الْأَشْجَارُ

إشارة الورد

١١٩ ثُمَّ سَمِعْتُ إِشَارَةَ الشَّحَارِيرِ بِأَفْئِنِّهَا . وَالْأَزَاهِيرِ فِي تَلَوْنِ أَلْوَانِهَا .
إِذَا قَامَ الْوَرْدُ يُخْبِرُ عَنْ طِيبِ وَرُودِهِ . وَيَعْرِفُ بِعَرَفِهِ عَنْ شُهُودِهِ .
وَيَقُولُ أَنَا الضَّيْفُ الْوَارِدُ بَيْنَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . أَزُورُ زِيَارَةَ الطَّيْفِ .
فَاغْتَمُوا وَقْتِي فَأَلَوْقْتُ سَيْفٌ . . . فَأَنَا الزَّائِرُ وَأَنْتَ الْمَزُورُ . وَالطَّمَعُ
فِي بَقَاءِي زُورٌ . ثُمَّ مِنْ عِلَامَةِ الدَّهْرِ الْمَكْدُورِ . وَالْعَيْشِ الْمَمْرُورِ .
أَنْتَنِي حَيْثُ مَا نَبَتْ دَائِرُ الْأَشْوَالِ تَزَاهِيَنِي . وَتُجَاوِرُنِي . فَأَنَا بَيْنَ
الْأَدْعَالِ مَطْرُوحٌ . وَبَيْنَ بَالِ شَوْكِي مَجْرُوحٌ . وَهَذَا دَمِي عَلَى مَا عِنْدِي
يُلُوحٌ . فَهَذَا حَالِي وَأَنَا أَشْرَفُ الْوَرَادِ . وَالْأَطْفُ الْأُورَادِ . فَمَنْ ذَا الَّذِي
سَلِمَ مِنَ الْأَنْكَادِ . وَمَنْ صَبَرَ عَلَى مَرَارَةِ الدُّنْيَا فَقَدْ بَلَغَ الْمُرَادَ . فَبَيْنَمَا
أَنَا أَرْفُلُ فِي حُلِّ النَّصَارَةِ . إِذَا اقْتَطَعْتَنِي أَيْدِي النَّظَارَةِ . فَأَسَأَمْتَنِي
مَنْ بَيْنَ الْأَزَاهِيرِ . إِلَى ضَيْقِ الْقَوَارِيرِ . فَيَذَابُ جَسَدِي . وَتُحْرَقُ
كَبْدِي . وَيُمَرَّقُ جِلْدِي . وَيَقْطُرُ دَمْعِي الْبَدَى فَلَا يُقَامُ بِأَوْدِي :
فَإِنْ غَبْتُ جِسْمًا كُنْتُ بِالزُّوْحِ حَاضِرًا . فَقُرْبِي سِوَاهُ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالْبَعْدُ
وَبِاللَّهِ مَنْ أَصْحَى مِنَ النَّاسِ قَائِلًا . كَأَنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِذَا ذَهَبَ الْوَرْدُ

إشارة المرسين

١٢٠ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَرْسِينَ كَيْلَامَ الْوَرْدِ . قَالَ قَدْ بَاحَ التَّيْمُ لِسِرِّهِ .
وَتَشَرَّ السَّحَابُ عُثُودَ دُرِّهِ . وَتَضَوَّعَ الْبَهَارُ بِذَخْرِهِ . وَتَبَهَّرَجَ الرَّبِيعُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا لَهُ نَفْسٌ تَشْرُهُ صَاعِدُ
 فَطُورًا يَنُوحُ وَطُورًا يَفُوحُ كَمَا يَفْعَلُ الْفَاعِدُ الْوَاجِدُ
 وَسَكْبُ الْغَمَامِ وَنَدْبُ الْحَمَامِ إِذَا مَا شَكَا غُصْنُهُ الْمَائِدُ
 وَنُورُ الصَّبَاحِ وَنُورُ الْأَقَاحِ وَقَدْ هَزَّهُ الْبَارِقُ الرَّاعِدُ
 وَوَأَفَى الرَّيِّعُ بِمَعْنَى بَدِيعٍ يَتَرَجَّمُهُ وَرَدَّهُ الْوَارِدُ
 وَكُلُّ لِأَجْلِكَ مُسْتَنْبِطُ لِمَا فِيهِ نَفْعُكَ يَا جَاوِدُ
 وَكُلُّ لِأَلَانِهِ ذَاكِرٌ مُقَرُّ لَهُ شَاكِرٌ حَامِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

إشارة النسيم

١١٨ قَاوُلُ مَا سَمِعْتُ هَمَمَةَ النَّسِيمِ . يَتَرَجَّمُ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ . يَقُولُ
 بِلِسَانِ حَالِهِ . مُفَصِّحًا عَنْ سَقَمِهِ وَاتِّحَالِهِ : أَنَا لَيْنُ الْأَعْطَافِ . هَيْنُ
 الْأَنْعَاطِ . سَرِيعُ الْإِتِّلَافِ . يَعْتَرِفُ بِأُطْفِي ذُووِ الْأَلْطَافِ . وَلَوْلَا
 وَجُودِي فِي الْجَوِّ لَجَافَ . وَلَا تَظُنَّ أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْوَاءِي . سَبَبُ
 إِنْغَوَاءِي . بَلْ اخْتَلَفَ فِي النُّصُولِ الْأَرْبَعُ . لِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَكَ وَأَنْفَعُ .
 فَأَهْبُ فِي الرَّيِّعِ شِمَالًا فَاتَّقِحِ الْأَشْجَارَ . وَأَعْدِلِ فَصَلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
 وَأَهْبُ فِي الصَّيْفِ صَبَا فَأَنْبِي الثَّمَارَ . وَأَصْفِي الْأَشْجَارَ . وَأَهْبُ فِي
 الْحَرِيفِ جَنُوبًا فَتَأْخُذْ كُلَّ ثَمَرَةٍ حَدَّ طَيْبِهَا . وَتَسْتَوِي حَقَّ تَرْكِيبِهَا .
 وَأَهْبُ فِي الشِّتَاءِ دُبُورًا لِيَخْفَ عَنْ كُلِّ شَجَرَةٍ حَمَلُهَا . وَيَجْفَ وَرَقُهَا
 وَيَبْقَى أَصْلُهَا . فَأَنَا الَّذِي تَنْمُو بِي الثَّمَارُ . وَتَرْهُو بِي الْأَزْهَارُ .

وَسَلَبُوهُ مَمْلَكَتَهُ الْعَظِيمَةَ . وَزَالَتِ الْحُشْمَةُ وَالْكَلِمَةُ وَالْحُرْمَةُ . وَشَدُّوا
وَنَائَتُهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْحَرَّاقَةِ وَوَضَعُوهُ . وَقَدْ رَبَطُوهُ فِي الْمَرْكَبِ
الَّذِي هَيَّأُوهُ . وَأَوْصَلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ مِنَ الْبَحْرِ . فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا
وَقَدْ أَقْبَلَتْ خَدَمُهُ عَلَيْهِ . وَتَمَثَّلَتْ طَوَائِفُ الْحُشَمِ وَالنَّاسِ لَدَيْهِ . وَذُقَّتِ
الْبَشَائِرُ لِمَقْدَمِهِ . وَحَلَّ فِي سُرُورِهِ الْمَقِيمِ وَنِعَمِهِ . وَأَسْتَمَرَ فِي أَيْتَمِ سُرُورِهِ
وَأَسْتَقَرَّ فِي أَوْفَرِ حُبُورِهِ (ملخص عن فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

نخبة

من كشف الامرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي

المقدمة

١١٧ لَقَدْ أَخَّرَ جَنِي الْفِكْرِ يَوْمًا لِأَنْظُرَ مَا أَحْدَثَتْهُ أَيْدِي الْقَدَمِ فِي
الْحَدَثِ . وَأَوْجَدْتُهُ الْحِكْمَةَ الْبَالِغَةَ لَا لِلْعَبَثِ . فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ
رَقَّ أَدِيمُهَا . وَرَاقَ نَسِيمُهَا . وَنَمَّ طَيْبُهَا . وَغَنَى عِنْدَ لَيْبِهَا . وَتَحَرَّكَتْ عِيدَانُهَا .
وَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُهَا . وَتَبَلَبَلَتْ بِلَابِهَا . وَتَسَلَّسَلَتْ جَدَاوِلُهَا . وَتَسَرَّحَتْ
أَنْهَارُهَا . وَتَضَوَّعَتْ أَقْطَارُهَا . وَتَمَثَّلَتْ أَرْهَارُهَا . وَصَوَّتَ هَزَارُهَا .
فَقُلْتُ : يَا لَهَا مِنْ رَوْضَةٍ مَا أَهْنَاهَا . وَخَلْوَةٍ مَا أَصْفَاهَا . فَيَا لَيْتَنِي
اسْتَضَجَبْتُ صَدِيقًا حَمِيمًا . يَكُونُ لِطَيْبِ حَضْرَتِي نَدِيمًا . فَنَادَانِي لِسَانُ
الْحَالِ . فِي الْحَالِ . أَتُرِيدُ نَدِيمًا أَحْسَنَ مِنِّي . أَوْ مُجِيبًا أَفْصَحَ مِنِّي .
وَلَيْسَ فِي حَضْرَتِكَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ نَاطِقٌ بِلِسَانِ حَالِهِ . مُنَادٍ عَلَى نَفْسِهِ
بِدُنُو أَرْحَالِهِ . فَاسْمَعْ لَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ رِجَالِهِ

أَوْقَاتُنَا مَحْدُودَةٌ. وَأَنْفَاسُنَا مَعْدُودَةٌ. وَسَاعَةٌ تَمْضِي مِنْهَا غَيْرُ مَرْدُودَةٍ.
بَحِثْ إِذَا نُقِلْنَا مِنْ هَذِهِ الدِّيَارِ. وَطَرَحْنَا فِي تِلْكَ الْمَهَامِهِ وَالْقَفَارِ. وَجَفَانَا
أَلْأَصْحَابُ. وَتَخَلَّى الْأَخْلَاءُ عَنَّا وَالْأَحْبَابُ. وَأَنْكَرْنَا الْمَعَارِفُ وَالْأَوْدَاءُ.
وَأَحْتَوَشْتَنَا فِي تِلْكَ الْبِدَاءِ. فَنُورُ الدَّاءِ. نَجِدُ مَا نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ
الْأَوْدِ. مُدَّةَ إِقَامَتِنَا فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ. فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. وَاخْتَارَ
مِنَ الْبَنَائِينَ جَمَاعَةً. وَأَحْضَرَ الْمَرَآكِبَ. وَقَطَعَ الْبَحْرَ إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ.
وَجَعَلَ الْمَلِكُ يُمِدُّهُمْ بِالْآلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ. عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ وَمَدَى
السَّاعَاتِ. إِلَى أَنْ أَنْهَى الْبَنَّاؤُونَ الْعِمَارَةَ. وَاكْتَمَلُوا حَوَاصِلَ الْمَلِكِ
وَدَارَهُ. وَأَجْرُوا فِيهَا الْأَنْهَارَ. وَغَرَسُوا فِيهَا الْأَشْجَارَ. فَصَارَتْ تَأْوِي
إِلَيْهَا الْأَطْيَارُ. وَيَتَرَنَّمُ فِيهَا الْبُلْبُلُ وَالْهَزَارُ. وَعَدَتْ مِنْ أَحْسَنِ
الْأَمْصَارِ. وَبَنَوْا حَوَالِيهَا الضِّيَاعَ وَالْقَرَى. وَزَرَعُوا مِنْهَا الْوَهَادَ
وَالثَّرَى. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَزَائِنِ. وَنَفَائِسِ الْجَوَاهِرِ
وَالْمَعَادِنِ. وَجَهَّزَ الْخُدَمَ وَالْحَشَمَ. وَصُنُوفَ الْأَسْتِعْدَادَاتِ مِنَ النِّعَمِ.
فَمَا أَنْقَضَتْ مُدَّةَ مُلْكِهِ. وَدَنَتْ أَوْقَاتُ هُلُوكِهِ. إِلَّا وَنَفْسُهُ إِلَى مَدِينَتِهِ
تَأْتَتْ. وَرُوحُهُ إِلَى مُشَاهَدَتِهَا أَشْتَاقَتْ. وَهُوَ مُسْتَوْفٍ لِلرَّحِيلِ. وَرَآبِضُ
لِلنَّهْوضِ وَالنَّحْوِيلِ. فَلَمَّا تَكَامَلَ لَهُ فِي الْمَلِكِ الْعَامُ. لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ
أَحَاطَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ. مِمَّنْ كَانَ يَفْدِيهِ بِرُوحِهِ. مِنْ خَادِمِهِ وَنَصُوحِهِ.
وَمِمَّنْ كَانَ سَامِعًا لِكَلِمَتِهِ. مِنْ أَعْيَانِ خَدَمِهِ وَحَشِيَّتِهِ. وَقَدْ تَجَرَّدُوا لِحُذْبِهِ
مِنَ السَّرِيرِ. وَنَزَعَ مَا عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ. وَمَشَوْا عَلَى عَادَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ.

الْوَزِيرُ الْمُصْلِحُ : فَهَلْ أَطْلَعَ أَحَدٌ مِمَّنْ تَقَدَّمَ عَلَى عَاقِبَةِ هَذَا الْمَأْمُومِ .
 قَالَ : قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ . وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ هَالِكٌ . وَلَكِنْ غُرُورُ
 السَّلْطَنَةِ بِلَهِيهِ . وَسُرُورُ اتِّحَاكُمُ وَالْتِسَاطِ بَطْغِيهِ . وَحُضُورُ اللَّذَّةِ الْخَالِصَةِ
 لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ يُنْسِيهِ . وَلَا يُفِيقُ مِنْ غَفْلَتِهِ . وَيَسْتَقِظُ مِنْ رَقَدَتِهِ . إِلَّا
 وَعَامُهُ قَدْ مَضَى . وَالْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ قَدْ أُنْقَضَى . وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ
 نَوَازِلُ الْأَبْلَاءِ . وَهَجَمَ عَلَيْهِ بَوَازِلُ الْقَضَاءِ . فَيَسْتَعِثُّ . وَلَا مُعِثُّ .
 وَيُنَادِي الْخُلَاصَ وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْغَلَامُ هَذَا الْكَلَامَ .
 أَطْرَقَ مُفَكِّرًا . وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا . وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكَ أَمْرَهُ وَيَتَلَفَ
 خَيْرَهُ وَشَرَّهُ وَتَتَدَبَّرَ حَالَهُ وَمَصِيرَهُ وَمَالَهُ . هَلَاكَ هَالِكٌ أَلَا بَدَ . وَلَمْ يَشْعُرْ
 بِهِ أَحَدٌ . فَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي وَجْهِ الْخُلَاصِ . وَالتَّفَصِّيِّ مِنْ شَرِّكَ الْاِقْتِنَاصِ .
 ثُمَّ قَالَ لِلْوَزِيرِ النَّاصِحِ الْخَبِيرِ : أَيُّهَا الرَّفِيقُ الشَّفِيقُ . وَالنَّصُوحُ الصَّدِيقُ .
 جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَكَفَاكَ ضِمًّا وَضِيرًا . إِنِّي قَدْ فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ يَنْفَعُ
 نَفْسِي وَيُحْيِيهَا . وَيُدْفَعُ شَرَّ هَذِهِ أَلْبَابَةِ الَّتِي وَقَعْتُ فِيهَا . وَلَمْ يَمُقْ جِهَةٌ
 تَخْلُصُ . مِنْ هَذَا الْمُقْنَصِ . إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ . وَسَبِيلٌ غَيْرُ مُتَعَاهَدٍ . وَهُوَ
 أَنْ تَأْخُذَ طَائِفَةً مِنَ الْبَنَائِينَ . وَجَمَاعَةً مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ وَالْتَّجَارِينَ .
 فَتَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَنَا هُنَاكَ مَدِينَةً . وَيُسَيِّدُوا لَنَا فِيهَا أَمَا كِنِ مَكِينَةً .
 وَتُخَازِنَ وَحَوَاصِلَ . وَمَقَالَاهَا مِنَ الزَّادِ الْمُتَوَاصِلِ . مِنَ الْمَأْكَلِ الطَّيِّبَةِ .
 وَالْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ اللَّذِيذَةِ الْمُسْتَعْدَبَةِ . وَلَا تَغْفُلْ عَنِ الْإِرْسَالِ . وَلَا
 تُجْزِ الْأِمْهَالَ وَالْإِهْمَالَ . فِي الظَّاهِرَةِ وَالْأَسْكَارِ وَالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ . إِذَا

رَجُلًا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَيْهِمْ . فَيَسْتَقْبِلُونَهُ كَمَا اسْتَقْبَلُوكَ . وَيَسْلُكُونَ مَعَهُ
طَرِيقَةَ الْمُلُوكِ . مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ . وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ لَهُمْ عَادَةً .
فَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهِمْ سَنَةٌ . فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْحَسَنَةِ . فَإِذَا انْقَضَى الْأَجَلُ
الْمُعَدُّودُ . وَجَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ . عَمَدُوا إِلَى ذَلِكَ السُّلْطَانِ وَقَدْ
صَارَ فِيهِمْ ذَا إِمْسَاجٍ وَمَسْكَانٍ وَعُلُقَةٍ وَنَشَبٍ . وَإِخَاءٍ وَنَسَبٍ . وَثَبَّتْ
لَهُ أَوْتَادُ . وَصَارَ لَهُ أَهْلٌ وَأَوْلَادُ . جَرُّهُ بِرَجْلِهِ مِنْ أَلْتَحْتِ . وَسَلَبُوهُ
ثَوْبَ الْعِزَّةِ وَالرَّخْتِ . وَأَلْبَسُوهُ ثَوْبَ الذَّلِيلِ وَالنَّكَالِ . وَأَوْثَقُوهُ
بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ . وَحَمَلَهُ الْأَهْلُ وَالْأَقَارِبُ . وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بَحْرِ
قَرِيبٍ فَوَضَعُوهُ فِي قَارِبٍ . وَسَأَمُوهُ إِلَى مُوَكَّلِينَ لِيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ
الْجَانِبِ . فَيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ . وَهُوَ قَفَرٌ أَغْبَرُ . لَيْسَ بِهِ أُنَيْسٌ وَلَا
رَفِيقٌ . وَلَا جَلِيسٌ وَلَا صَدِيقٌ . وَلَا زَادٌ وَلَا مَاءٌ . وَلَا نَشْوَةٌ وَلَا نَمَاءٌ .
وَلَا مُغِيثٌ وَلَا مُعِينٌ . وَلَا قَرِيبٌ وَلَا قَرِينٌ . وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا إِمْسَاجٌ .
عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْعُمَرَانِ . وَلَا ظِلٌّ وَلَا ظَلِيلٌ . وَلَا إِلَى الْخِلَاصِ
سَبِيلٌ . وَلَا إِلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ دَلِيلٌ . فَيَسْتَمِرُّ هُنَاكَ فَرِيدًا طَرِيدًا إِلَى
أَنْ يَهْلِكَ عَطَشًا وَجُوعًا . لَا يَمْلِكُ إِقَامَةً وَلَا يَسْتَطِيعُ رُجُوعًا . ثُمَّ
يَسْتَأْنِفُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ . مَا لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مُعْتَادٍ . فَيَخْرُجُونَ بِالْأَهْمَةِ
الْكَامِلَةِ . إِلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ السَّابِلَةِ . فَيَقِصُّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ رَجُلًا .
فَيَفْعَلُونَ مَعَهُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا مَعَ غَيْرِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا . وَهَذَا دَابُّهُمْ وَدِينُهُمْ .
وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ . فَقَالَ ذَلِكَ الْعَلَامُ الْمُلْفَحُ . لِذَلِكَ

وَالسَّوِيَّةِ . مُتَّعَهُ أُمُورَ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ . بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَأَصْنَافِ
 الْمُبَارَّ . مُؤَسَّسُ قَوَاعِدِ الْمَمْلَكَةِ وَالسَّلَاطِنَةِ عَلَى أَرْكَانِ الْعَقْلِ وَالْعَدْلِ
 مَهْمَا أَمَكْنَهُ . مُتَّحِصٌ عَنْ مَصَالِحِ الْمَمْلَكَةِ . سَالِكٌ مَعَ كُلِّ مَنْ أَرَبَابِ
 الْوُظَائِفِ مَا يَقْتَضِي مَسْلَكَهُ . ثُمَّ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ مِنْ بَيْنِ أَوْلِيكَ الْجَمَاعَةِ
 عَلَى شَابٍّ جَلِيلٍ الْبَرَاةِ . لَهُ فِي سُوقِ الْقَضَلِ وَالْوَفَاءِ أَوْفَرُ بَضَاعَةٍ .
 مُتَّصِفٌ بِأَنْوَاعِ الْكَمَالِ مُتَّحِلٌ بِزِينَةِ الْأَدَبِ وَالْجَمَالِ . فَأَتَّخَذَهُ وَزِيرًا .
 وَفِي أُمُورِهِ نَاصِحًا وَمُشِيرًا . فَجَعَلَ يُلَاطِفُهُ وَيَرْضِيهِ . وَيُكْرِمُهُ وَيُدْنِيهِ .
 وَيُفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ مَلَائِسِ الْإِنْعَامِ . وَخَلَعَ الْإِفْضَالَ وَالْإِكْرَامَ . مَا مَلَكَ
 بِهِ حَبَّةٌ قَلْبِهِ . وَاسْتَصْنَفَى خَالِصَ وَدِّهِ وَلِيَّهُ . وَسَكَنَ فِي سُوَيْدَائِهِ .
 وَتَمَكَّنَ بِهِ مِنْ ضَمِيرِ أَحْشَائِهِ . إِلَى أَنْ أُخْتَلِيَ بِهِ وَتَلَطَّفَ فِي خِطَابِهِ .
 وَاسْتَنْصَحَهُ فِي جَوَابِهِ . وَسَأَلَهُ عَنْ أَصْرِ أَمْرَتِهِ وَمُوجِبِ رِفْعَتِهِ وَسَلْطَنَتِهِ
 مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ الرِّفَاقِ . وَلَا أَهْلِيَّةٍ وَلَا اسْتَحْقَاقٍ . وَلَا هُوَ مِنْ بَيْتِ
 الْمُلْكِ . وَلَا فِي بَحْرِ السَّلْطَنَةِ لَهُ فُلُكٌ . وَلَا مَعَهُ مَالٌ وَلَا خَيْلٌ يَهْدِيهَا . وَلَا
 رِجَالٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ يُدْنِي بِهَا . وَلَا شَجَاعَةٌ وَفَضِيلَةٌ يَهْتَدِي بِتَهْدِيهَا . فَقَالَ
 ذَلِكَ الشَّابُّ فِي الْجَوَابِ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ أَنَّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ
 وَعَسَاكِرَ إِفْرِيهَا وَجُنْدَهُ قَدْ اخْتَرَعُوا أَمْرًا . وَأَصْطَلَحُوا عَلَى عَادَةٍ تُجْرَى .
 سَأَلُوا الرَّحْمَانَ أَنْ يُقَيِّضَ لَهُمْ فِي أَوَانٍ . شَخْصًا مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ .
 يَكُونُ عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فَسَلَكُوا فِي أَمْرِهِ هَذِهِ
 الْمَسَالِكَ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ . يُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى

لَهُ التَّلَاجُ عَلَى الْمَفْرِقِ . وَمَشَوْا فِي الْخِدْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْجَنَابُ فِي
 الْمَوَاكِبِ تَجَرُّ لَدَيْهِ . يُنَادُونَ : حَاشَاكَ وَإِلَيْكَ . سُلْطَانُ النَّاسِ قَادِمٌ
 عَلَيْكَ . حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . وَدَخَلُوا قَاعَهَا الْحَصِينَةَ . فَفَرَشُوا
 شُتْقَ الْحَرِيرِ . وَنَثَرُوا النِّثَارَ الْكَثِيرَ . وَأَجَسُوهُ عَلَى السَّرِيرِ . وَأَطْلَقُوا
 مَجَاصِرَ النَّدِّ وَالْعَبِيرِ . وَوَقَفَ فِي خِدْمَتِهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ . وَالْمَأْمُورُ
 وَالْأَمِيرُ وَالِدُسْتُورُ وَالْوَزِيرُ . وَأَنشَدُوهُ :

قَدِمْتَ قَدُومَ الْبَدْرِ بَيْتَ سَعُودِهِ وَأَمْرُكَ فِينَا صَاعِدٌ كَهَوُودِهِ
 (قَالُوا) : إِعْلَمْ يَا مَوْلَانَا أَنَّكَ صِرْتَ لَنَا سُلْطَانًا وَنَحْنُ كُلُّنَا
 عِبِيدُكَ . وَتَابِعْ مُرَادِكَ وَمُرِيدِكَ . فَافْعَلْ مَا تَحْتَارُ . وَتَحْكَمْ فِي الْكِبَارِ
 مِنَّا وَالصَّغَارِ . وَأَصْرُ فَا مَثَالُ أَمْرِكَ عَلَيْنَا مَحْتَمُومٌ . وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ فِي خِدْمَتِكَ
 مَقَامٌ مَعْلُومٌ . فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَمَبْدَاهُ . وَتَيَأَمَّلُ مَا صَارَ إِلَيْهِ
 وَتَتَدَبَّرُ فِي مُنْتَهَاهُ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ . وَلَا بُدَّ
 لَهُ مِنْ آخِرٍ وَمُنْقَبٍ . فَإِنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ فِي عَالَمِ الْكَوْنِ سُدًى . وَإِنَّ
 لِهَذَا الْيَوْمِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ غَدًا . وَإِنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيمَ الْقَادِرَ الْحَكِيمَ .
 السَّمِيعَ الْعَلِيمَ الْبَصِيرَ الْحَيَّ الْمُدِيرَ الْكَرِيمَ . لَمْ يُقَدِّرْ هَذِهِ الْأَفْعَالَ . عَلَى
 سَبِيلِ الْإِهْمَالِ . وَلَمْ يُحْدِثْ حَدَثًا لَعِبًا وَلَا عِبًّا . وَجَعَلَ يُلَازِمُ هَذِهِ
 الْأَفْكَارَ . آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَائِمٌ بِشُكْرِ
 النِّعْمَةِ . مُلَازِمٌ بِأَبْ مَوْلَاهُ بِالطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ : وَاضِعٌ الْأَشْيَاءَ فِي نَحْوِهَا .
 وَالْمُنَاصِبِ فِي يَدِ أَهْلِهَا . مُتَنَبِّتٌ إِلَى أَحْوَالِ الرِّعْيَةِ عَامِلٌ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ

وَرُبَّمَا مَرُّوا مِنْهُ مِنْ تَحْتِ الزُّورِ . فَلَمْ يَزَالُوا عَاجِزِينَ حَيَارَى سُكَارَى
وَمَا هُمْ بِسُكَارَى يَتَنَاشِدُونَ :

وَفَلَاكِ رَكْبَنَاهُ وَالْبَحْرُ ذُو هَوَاءٍ فَشَارَ وَحَارَ وَمَارَا
فَطَوْرًا عَلَوْنَا السَّمَاءَ وَطَوْرًا رُبِينَا إِلَى الْأَرْضِ مِنْهَا نُحْدَارَا
وَأَخِرَ الْأَمْرِ نَسَفَتِ السَّفِينَةُ الرِّيحُ وَأَوْعَرَ اللَّهُ سَهْلَهَا . وَخَرَقَهَا
فَاغْرَقَهَا وَأَهْلَهَا . وَذَهَبَ الْبَحْرُ بِأَمْوَالِهَا وَأَرْوَاحِهَا . وَتَعَلَّقَ الْعَالَمُ
بِلُوحٍ مِنَ الْوُاحِهَا . وَاسْتَمَرَ تَقْدِيفُهُ الْأَمْوَاجَ . وَتَضَدِمُ بِهِ أَشْبَاحُ
الْبَحْرِ الْمَيَاجِ . إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى سَاحِلٍ . فَخَرَجَ وَهُوَ كَيْبُ نَاجِلٍ .
وَصَعِدَ إِلَى جَزِيرَةٍ . فَوَافِكُهَا غَزِيرَةٌ . وَوَضَعُهَا عَجِيبٌ . لَيْسَ بِهَا دَاعٍ
وَلَا مُجِيبٌ . فَجَعَلَ يَمْشِي فِي جَنَاتِهَا إِلَى أَنْ آدَاهُ التَّوْفِيقُ . إِلَى فَمِ
طَرِيقٍ . فَسَارَ فِي تِلْكَ الْجَادَّةِ . وَهَدَايَةُ اللَّهِ لَهُ مَادَّةٌ . فَأَتَتْهُ بِهِ
الْمُسِيرُ . إِلَى أَنْ تَرَأَى لَهُ سَوَادٌ كَبِيرٌ . وَبَلَغَ مَمْلَكَةً عَظِيمَةً . وَوِلَايَةً
جَسِيمَةً . وَرَأَى عَلَى بُعْدٍ مَدِينَةً . مُسَوَّرَةً حَصِينَةً . فَعَمَدَ إِلَى ذَلِكَ
الْبَلَدِ . وَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَقَصَدَ . فَاسْتَقْبَلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الرِّعَالِ . نِسَاءً
وَرِجَالًا . يَتَّبِعُهُمْ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . وَطَوَائِفُ مُحَشَّدَةٌ . مِنْ طُيُولٍ تُضْرَبُ .
وَقَوَارِسَ تَلْعَبُ . وَزُرْمُورٍ تَرَعُقُ . وَاللَّسَنَةُ بِالْثَنَاءِ تَنْطِقُ . حَتَّى إِذَا
وَصَلُوا إِلَيْهِ . تَرَامَوْا عَلَيْهِ . وَاكْبَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ . يَقْبَلُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .
مُسْتَبْشِرِينَ بِرُؤْيَيْهِ . مُتَبَرِّكِينَ بِطَاعَتِهِ . ثُمَّ الْبَسُوهُ الْخُلَعَ السَّيِّيَّةَ .
وَقَدَّمُوا لَهُ فَرَسًا عَالِيَةً . يَكْنُشُوشُ ذَهَبًا . وَسَرَجًا مُفَرَّقًا . وَوَضَعُوا

الْبَابُ السَّادِسُ فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِشَارَاتِ

الملك المتروى

١١٦ ذَكَرَ الْحُكَمَاءُ . وَذَوُوا الْفَضْلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . أَنَّهُ كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَمْصَارِ . تَاجِرٌ مِنْ أَعْيَانِ التُّجَّارِ . وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ مُخَايِلُ السَّعَادَةِ
مِنْ جَبِينِهِ لَا نِجْهَ . وَرَوَائِحُ النَّجَابَةِ مِنْ أَذْيَالِ شِمَالِهِ فَائِجَةٌ . فَأَوْسَقَ
لَهُ أَبُوهُ مَرْكَبًا مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَنَافِعِ . وَأَخَذَ فِي تَعْيِيَةِ الْبَضَائِعِ . وَسَلَّمَهُ
إِلَى الْهَوَاءِ وَالْمَاءِ . بَعْدَ أَنْ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ . فَسَادَ بَعْضُ أَيَّامٍ .
وَهُوَ فِي أَهْنَاءِ مَرَامٍ . وَأَطْيَبِ عَيْشٍ وَمَقَامٍ . الْمَاءُ رَائِقٌ . وَالْهَوَاءُ
مُؤَافِقٌ . وَالنَّكَدُ مُفَارِقٌ . وَالسُّرُورُ مُرَافِقٌ . وَبَيْنَمَا السَّفِينَةُ مِنْ
نَسَفِ الْعَوَاصِفِ أَمِينَةٌ . تُجَارِي السَّهْمَ وَالطَّيْرَ . وَتُبَارِي الدَّهْمَ فِي
السَّيْرِ . وَإِذَا بِالرِّيَّاحِ هَاجَتْ . وَالْأَمْوَاجِ مَاجَتْ . وَأَشْبَاحُ الْبَحْرِ
تَصَادَمَتْ . وَأَطْوَادُ الْأَمْوَاجِ عَلَى الْعُرْفَاءِ تَلَاظَمَتْ . فَعَجَزَ ذَلِكَ الْمَلَّاحُ
وَتَرَكَ شَيْمَةَ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةَ . وَرَقِمَ نَشْأَ الْحُرُوفِ فِي الْوَلَّاحِ
السَّفِينَةِ . فَشَاهَدُوا مِنْ الْهَوَاءِ الْأَهْوَالَ . وَغَدَاقَاعُ الْبَحْرِ كَالْجِبَالِ .
وَصَارَ طَائِرُ ذَلِكَ الْغُرَابِ يَمْنُ فِيهِ مِنَ الْأَصْحَابِ . كَأَحْوَالِ
الدُّنْيَا بَيْنَ صُعُودٍ وَهَبُوطٍ . وَقِيَامٍ وَسُقُوطٍ . طَوْرًا يَسْتَأْمِنُونَ الْأَفْلَاقَ
وَيُنَاجُونَ الْأَمْلَاقَ . وَطَوْرًا يَهْبِطُونَ الْغُورَ . وَيَنْظُرُونَ قَرْنَ الثَّوْرِ .

كَمْ حَسَنَ ظَاهِرُهُ قَبِيحُ وَسَمِجٍ عَنْوَانُهُ مَلِيحُ
فَالْعَاقِلُ الْكَامِلُ فِي الرَّجَالِ لَا يَنْشِي لِرُخْفِ الْمَقَالِ
مَا طَابَ قَرَعُ أَصْلِهِ خَيْثُ وَلَا زَكَا مِنْ مَجْدِهِ حَدِيثُ
وَالْبَغْيُ فَأَحْذَرُهُ وَخِيمُ الْمَرْتَعِ وَالْعُجْبُ فَأَتْرُكُهُ شَدِيدُ الْمَضْرَعِ
وَالْعَدْرُ بِالْعَهْدِ قَبِيحٌ جِدًّا شَرُّ الْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَرْعَى الْعَهْدَا

من قصيدة الي العتاهية المثلية

١١٥

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاعَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيْ مَفْسَدَةٌ
يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ زَكَاةُ يَرْتَمِنُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
مَا عَيْشُ مَنْ آفَتُهُ بَقَاؤُهُ نَقَصَ عَيْشًا كُلَّهُ فَنَاؤُهُ
يَارِبَّ مَنْ أَسْخَطْنَا بِجَهْدِهِ قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيبُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِيبُ
لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
مَنْ لَكَ بِالْخَضِرِ وَكُلُّ مُتَرَجٍّ وَسَاوِسُ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَحْتَلِجُ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَا حِقٌّ بِجَوْهَرِهِ أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
الْخَيْرُ وَالشَّرُّ هُمَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ
مَنْ لَكَ بِالْخَضِرِ وَلَيْسَ مُحْضُ يَجِبُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدًّا
عَجِبْتُ حَتَّى غَمَمَنِي السُّكُوتُ صَرْتُ كَأَنِّي حَارٍ مَبْهُوتُ
كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ أَلْصَقْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

يُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسَرَ يَبُوحُ
يَا جُلَّ مَا بَعْدَتْ عَلَيْكَ بِلَادُنَا وَطَلَابُنَا فَأَرَعُدْ بِأَرْضِكَ وَأَبْرِقْ
يَمْرُوعُ وَعِيدُ الظَّالِمِينَ بِسَمْعِهِ كَمَا طَنَّ فِي لَحْجِ الْجَيْنِ ذُبَابُ
يَلْقَاكَ وَالْعَسَلُ الْمُصَفَّى يُجْتَنَى مِنْ قَوْلِهِ وَمِنْ أَلْفَعَالِ الْعَلَقَمِ

١١٤ نخبة من الصادح والباغم لابن حجة الحموي

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَزَالَ أَثْمَهُ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحَكْمَةِ
وَمَنْ أَغَاثَ الْبَاسَ الْمُهَوِّفَا غَاثُهُ اللَّهُ إِذَا أَخِيفَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ الْكَرَامِ رَحْمَةُ ذِي الْبَلَاءِ وَالْأَسْقَامِ
وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعُلُوِّ الْعُطْفَ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُوِّ
لَا تَعْتَرِزُ بِالْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ كَالْمُدَامَةِ
وَالْعُمُرُ مِثْلُ الْكَاسِ وَالْدَّهْرُ الْقَدَرُ وَالصَّفْوَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْكَدَرِ
فَإِنَّمَا الرِّجَالُ بِالإِخْوَانِ وَالْيَدُ بِالسَّاعِدِ وَالْبَنَانُ
وَمُوجِبُ الصَّدَاقَةِ الْمُسَاعَدَةُ وَمُقْتَضَى الْمَوَدَّةِ الْمُعَاوَدَةُ
وَإِنْ رَأَيْتَ النَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَبَا فَلَا تُقْصِرْ وَاحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَ
وَأَضْعَفُ الْمُلُوكِ طَرًّا عَقْدَا مَنْ غَرَّهُ السَّلَامُ فَاقْصِ الْجُدَا
لَا تَيَاسَنْ مِنْ فَرْجٍ وَلُطْفٍ وَقُوَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفٍ
تَسَالُ بِالرَّفْقِ وَبِالْتَّانِي مَا لَمْ تَنْلِ بِالْجُرْصِ وَالتَّعْنِي
لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ الْأَجْسَامِ بَلْ هُوَ فِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ
لَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا صَغِيرًا مُحْتَقِرَ قُرْبًا أَسَاتِ الدَّمِ الْإِبْرَ

وَفِي تَعَبٍ مِّنْ يَّجِدُ الشَّمْسُ ضَوْءَهَا
 وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
 وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ
 وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعْيِيهِ
 وَقَدْ نَجَّ السَّكْبُ السَّحَابَ وَدُونَهَا
 وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ
 وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى
 وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ
 وَهَلْ يَدْعِي اللَّيْلُ الدَّجُوجِيَّ أَنَّهُ
 وَلَا تَسْمُ كُلَّ خَالٍ لَّاحَ بَارِقُهُ
 وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ
 وَالْهَمُّ يَحْتَرِمُ الْجَسِيمَ مَخَافَةً
 وَمَنْ يَنْشُدِ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَائِبٍ
 وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْثُ شِبْلًا
 وَالنَّجْمُ تَسْتَصْفِرُ الْأَبْصَارَ صُورَتَهُ
 وَكَمْ مُضِيرٌ بَغْضًا يُرِيكَ مَحَبَّةً
 وَمَا كُلُّ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ أَرْيَجَةٌ
 وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْحُسَامَ بِضَارِبٍ
 وَمَا كُلُّ وَحْشٍ تَرَى ضَيْغَمًا

وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ
 مَعَا الذَّنْبُ كُلُّ الْحَوْرِ مِنْ جَاءٍ تَائِبًا
 إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرَقٍ
 إِذَا حَصَّاتٍ عِنْدَ الْإِلَهِ الْخَصَائِلُ
 مَهَامُهُ تَغْشَى نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ
 عَلَى الْمَاءِ خَاتَمُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
 مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
 إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
 تَضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ شَهْبُ ظَلَامِهِ
 وَلَوْ تَرَأَى هَيْثُونَ السَّكْبُ مُجَاجَا
 لَا تَلْتَظِي إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَزْنُدُ
 وَيَشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيَهْرِمُ
 فَلَا بَدَّ أَنْ يُفِي بِشِيرًا وَنَاعِيًا
 وَمَبْدَأُ طَالِعَةِ الْقَمَرِ الْهَلَالُ
 وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ
 وَفِي الزَّنْدِ نَارٌ وَهُوَ فِي اللَّهْسِ بَارِدٌ
 وَلَا كُلُّ أَطْيَارِ الْفَلَاحِ تَتَرْتَمُ
 وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى الْيَرَاعِ بِكَاتِبٍ
 وَلَا كُلُّ عُودٍ يُسَمَّى عَفَارًا

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ أَلْمَعَالِي نَافِذًا
 مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ أَلْمَنَآيَا
 مَا أَنْتَ أَوَّلَ سَارِ غَرِّهِ قَمَرُ
 مَا إِنْ يَضُرُّ أَلْعَضْبُ كَوْنُ قِرَابِهِ
 وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانُ
 وَمَا أَلْحُسْنُ فِي وَجْهِهِ أَلْفَتْ شَرَفُهُ
 وَمَا فِي سَطْوَةِ أَلْأَرْبَابِ عَيْبُ
 وَمَا أَلْحِدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانَعَةٍ
 وَمَا مَنَزَلُ أَللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزِلِ
 وَمَا كُلُّ نَاوٍ أَللْجَمِيلِ بِفَاعِلِ
 وَمَا أَلْحَلِيلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلُهُ
 وَكُلُّ أَمْرِي يُؤَلِّي أَلْجَمِيلَ مُحِبُّ
 وَمَنْ يَجِدُ أَلطَّرِيقَ إِلَى أَلْمَعَالِي
 وَأَسْتَكْبِرُ أَلْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
 وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى أَلْحُرِّ أَنْ يَرَى
 وَمِنْ أَلْبَلَاءِ عَذْلٍ مَنْ لَا يَرْعَوِي
 وَمِنْ أَلْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ
 وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ أَلشَّجَاعَةِ وَأَلنَدَى
 وَرَبَّ كَيْبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ
 فِيهَا وَلَا كُلُّ أَلرَّجَالِ فُحُولًا
 كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ أَلشَّمُولُ
 وَرَأَيْدِ أَعْجَبَتُهُ خُضْرَةُ أَلدِّمَنِ
 خَلَقًا وَلَا أَلْبَازِي حَقَارَةُ عُشِّهِ
 فَرَشْتَ لِحْنِهِ شَوْكُ أَلتَّادِ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَأَلْخَلَّائِقِ
 وَلَا فِي زَلَّةِ أَلْعَبْدَانِ عَارُ
 قَدْ يُوجَدُ أَلْحِلْمُ فِي أَلشُّبَّانِ وَأَلشَّيْبِ
 إِذَا لَمْ أَجِبْ لَهُ عِنْدَهُ وَأَكْرَمِ
 وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ
 وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يَجْرِبُ
 وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ أَلْعِزَّ طَيْبِ
 فَلَا يَذُرُّ أَلْمُطَيَّ بِلَا سَنَامِ
 فَلَمَّا أَلتَّقَيْنَا صَغَرَ أَلْخُبْرُ أَلْخُبْرِ
 عَدُّوا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَةٍ بَدُ
 عَنْ جَهْلِهِ وَخَطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ
 وَمِنْ أَلصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
 وَلَكِنْ طَبَعَ أَلنَفْسُ لَلنَفْسِ قَائِدُ
 وَرَبَّ كَثِيرِ أَلدَّمَعِ غَيْرُ كَيْبِ

إِنَّ الزَّرَارِيرَ لَمَّا قَامَ قَائِمُهَا
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَادْرِعْ تَعْبًا
 أَيَا حَجَرَ الشَّخِذِ حَتَّى مَتَى
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلُ النَّصِيحِ قَبُولُ
 إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَّ عَلَى فُسَادِ
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَحْرُسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ
 إِذَا نُدِبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا
 إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُقْلَتَهَا
 بَذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
 تُرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
 صَدِيقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عِدَاوَتِي
 فَلَا حَدِيثَهُمْ يُجْنِي لَهَا ثَمْرُ
 قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءُ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
 كَرِيشَةٍ بِمَهَبِ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ
 كَبِيرٌ بِالْأَنْسَابِ تِيَهُ بِالْأَحْسَبِ
 لَمْ أَرِدْ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ
 لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا
 لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا
 لَهُ خَلَائِقُ بَيْضُ لَا يُغَيِّرُهَا

تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
 أَوْفَارُضَ بِالذَّلِّ وَاخْتَرَارَاحَةَ الْبَدَنِ
 تَسْنُ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ
 فَكُلُّ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ فُضُولُ
 تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّبِيبِ
 فَلَا السَّيْفُ قَطَّاعٌ وَلَا الدَّرْعُ مَانِعٌ
 وَلَكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ
 لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
 مَصَابُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
 وَلَا بَدْدُونَ الشَّهِيدَ مِنْ إِبْرِ النَّخْلِ
 وَإِنِّي لِمَنْ وَدَّ الصَّدِيقَ وَدَّودُ
 وَلَا سَمَاءُهُمْ تَنْهَلُ بِالْدِّيمِ
 وَيُنَكِّرُ الْفَهْمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
 لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ
 فَخَرُّ بِالْأَدَبِ هَذَا مِنْ الْعَجَبِ
 قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ
 إِنْ لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُمُولُ
 إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَأَتِيعْ رَأْسَهَا الدَّنْبَا
 صَرَفَ الزَّمَانَ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

مَا بِهِ نَبْضٌ وَلَا حَبْضٌ ١ * مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا أَبْدٌ ٢ * (إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي
 الدَّارِ أَحَدٌ) * مَا بِالْدارِ دُعْوِيٌّ وَلَا بِهَا دُعِيٌّ ٣ * وَمَا بِهَا مِنْ غَرِيبٍ •
 وَلَا بِهَا دُورِيٌّ وَلَا طُورِيٌّ • وَمَا بِهَا وَاتِرٌ وَمَا بِهَا صَافِرٌ • وَمَا بِهَا دَيَّارٌ وَمَا
 بِهَا نَافِخٌ ضُرْمَةٌ • وَمَا بِهَا إِرْمٌ ٤ * (إِسْتَحْجَالُ الرَّجُلِ وَنَفْيُ الْعَالَمِ) *
 مَا يَعْرِفُ الْحَوَمَنَ اللَّوَّى • وَمَا يَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ اللَّيِّ • وَلَا هَرِيرًا مِنْ غَرِيرٍ •
 وَلَا قَبِيلًا مِنْ دَبِيرِهِ * وَمَا يَعْرِفُ أَيُّ طَرْفِيهِ أَطْوَلَ وَأَكْبَرُ * وَمَا يَعْرِفُ
 مَنْ يَبْرَهُ مِنْ يَبْرِهِ * وَأَيُّ طَرْفِيهِ أَطْوَلَ أَنْسَبُ أَبِيهِ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ

١١٣ هذه آيات ذهب مذهب الامثال وأكثرها للمتنبى وللحريري

إِنْعَمَ وَلَدٌ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرُ أَبَدًا كَمَا كَانَتْ لَهْنٍ أَوَائِلُ
 إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفٍ مَرُومٍ فَلَا تَفْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
 إِذَا أَعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمُنَايَا فَاهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ
 إِنَّ السِّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْخُطْبِ السَّبْعُ
 أَلْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرِّ صَالِحٍ بَأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ
 إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِنْ تَبَاكِي
 إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي الْمَنْزِلِ الْحَشِينُ

١ قال الأصمعي: النبض والحبض في الوتر. والنبض تحرك الوتر والحبض صوته وقال:

والنبل يهوي نبضاً وحبضاً ٢ الشعر والصوف ٣ معناه ما جاء من يدعو ومن

يدب ٤ معنى هذا كله ما جاء أحد. ولا يقال منها شيء في الإثبات

والإيجاب وإنما يقولونها في النفي والمجد ٥ والقبيل ما أثبتت به من

قبل الجبل والدبير ما أدبرت به منه

بِهِمْ عُقَابُ مَلَاعٍ ١ * وَالْمَنَايَا عَلَى الْحَوَايَا ٢ * أَتَتْهُمْ الدُّهْمُ تَرِي
 بِالرَّضْفِ ٣ * وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَلَيْدُهُ ٤ * اِلْتَقَتْ حَاقَتَا الْبِطَانِ .
 وَبَلَغَ السَّيْلُ الرُّبِّيَّ وَجَاوَزَ الْحِزَامُ الطَّبِيئِينَ . وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : بَلَغَ السَّكِينُ
 الْعَظَمَ * (الْيَأْسُ وَالْحَيْبَةُ) * مَنْ لِي بِالسَّانِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ ٥ * جَاءَ
 بِحَقِّي حُنَيْنٌ ٦ * أَطَالَ الْغَيْبَةَ وَجَاءَ بِالْحَيْبَةِ * وَنَظِيرُهُ : سَكَتَ أَلْفًا وَنَطَقَ
 خَلْفًا ٧ * (الْظُّلْمُ تَرَجُّعُ عَاقِبَتِهِ عَلَى صَاحِبِهِ) * مَنْ حَفَرَ مَغْوَةً وَقَعَ
 فِيهَا ٨ * يَعْدُو عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَا يَأْتُرُ * عَادَ الرَّمْيُ عَلَى النَّزَعَةِ ٩ *
 وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : كَأَلْبَاحِثٍ عَنْ مُدْيَةٍ * رُمِيَ بِحَجَرِهِ وَقُتِلَ بِسِلَاحِهِ *
 (نَفَى الْمَالِ عَنِ الرَّجُلِ) * مَا لَهُ سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ ١٠ * مَا لَهُ هِلَعٌ وَلَا
 هِلْمَةٌ ١١ * مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ١٢ * مَا لَهُ عَافِظَةٌ وَلَا نَافِظَةٌ ١٣ *

١ يُقال ذلك في الواحد والجمع . وأحسبها معدولة عن ملع ٢ قال أبو عبيد : الحوايا في
 هذا الموضع مركب من مراكب النساء واحدها حويبة . وأحسب أصلها إن قوماً قتلوا فحماوا
 على الحوايا فصارت مثلاً ٣ معناه الداهية العظيمة ٤ معناه أن الأمر اشتد حتى
 ذهبت المرأة أن تدعو وليدها ٥ أي من لي باليمن بعد الشؤم
 ٦ ال الشاعر :

وما زلتُ أقطعُ عرض البلاد
 وأدّرعُ الخوفَ تحت الدُّجَى
 وأطوي وأشرُّ ثوبَ الصَّوم
 إلى أن رجعتُ بحَقِّي حُنَيْنِ

٧ أي اطلال السكوت وتكلم بالقيبح . وهذا المثل يقع في باب العي وله هنا وجه أيضاً

٨ والمغارة البئر تحفر للذئب ويعمل فيها جدي ليسقط الذئب فيها ليصيده فيصطاد

٩ وهم الزمارة يرجع عليهم رميم

١٠ معناه لا شيء له ١١ معناه ليس له أحد يهرب منه ولا أحد يقرب إليه فليس له

١٢ وهما الضائقة والمغارة

شيء

الرَّيْحَ * كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ * رَبُّمَا أَسْمَعُ فَأَذَرُ * حَلَمِي أَصَمُّ وَأَذْنِي
 غَيْرُ صَمَاءَ * (مُدَارَاةُ النَّاسِ) * إِذَا لَمْ تَغْلِبْ فَأَخْلُبْ ١ * وَقَوْلُهُمْ :
 إِلَّا حَظِيَّةٌ فَلَا أَلِيَّةَ ٢ * سَوْءُ الْأَسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصَّرْعَةِ *
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ : إِنَّا لَنَبَشُّ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَتَفَرَّ عَنْهُمْ *
 وَمِنْهُ قَوْلُهُ : شَرَّ أَرُ النَّاسِ مَنْ دَارَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ * وَمِنْهُ قَوْلُ شَيْبِ بْنِ
 شَيْبَةَ فِي خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ وَلَا عَدُوٌّ فِي
 الْعَلَانِيَةِ * يَرِيدُ أَنَّ النَّاسَ يُدَارُونَهُ لِشَرِّهِ وَقُلُوبُ النَّاسِ تُغِيضُهُ *
 (الْأَسْتِعْدَادُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ نُزُولِهِ) * قَبْلَ الرَّمْيِ يَرَأِشُ السَّهْمُ * قَبْلَ
 الرَّمَايَةِ تَمْلَأُ الْكِنَانُ * خُذِ الْأَمْرَ بِقَوَائِلِهِ ٣ * شَرُّ الرَّأْيِ الدَّيْرِي *
 الْحَاجِزَةُ قَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ * التَّقَدُّمُ قَبْلَ النُّزُولِ * يَا عَاقِدُ أَذْكَرُ حَلًّا *
 خَيْرُ الْأُمُورِ أَحْمَدُهَا مَغَبَّةٌ * لَيْسَ الدَّهْرُ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
 الْعَوَاقِبِ * (حُسْنُ التَّدْبِيرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْخُرْقِ) * الرِّفْقُ يَمُنُّ
 وَالْخُرْقُ سُوءٌ * رَبُّ أَكَلَةٍ تَحْرُمُ أَكَلَاتِ * قَلْبُ الْأَمْرِ ظَهْرًا
 لِبَطْنِ * وَجْهُ الْحَجَرِ وَجْهَةٌ مَا * وَلِ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا * (الْأَمْرُ
 الشَّدِيدُ الْمُعْضِلُ) * أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ * وَأَيْنَ يَضَعُ الْخُنُوقُ يَدَهُ * لَوْ
 كَانَ ذَا حِيلَةٍ تَحَوَّلَ * رَأَى الْكُوكَبُ ظَهْرًا * قَالَ طَرَفَةُ : وَتَرِيهِ
 النُّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ * (هَلَاكُ الْقَوْمِ) * طَارَتْ بِهِ الْعُنُقَاءُ * وَطَارَتْ

١ معناه : إن لم يكن حظوة فلا

٢ يقول : إذا لم تغلب فدار والطف

٣ أي باستقباله قبل أن يُدير

تقصير

بِأَنْفَعِ ١ * إِنَّهُ لَحَزَّاجٌ وَلَاجٌ * حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَشَرِبَ أَفْوَيقَهُ ٢ *
 رَجُلٌ مُنَجَّدٌ ٣ * أَوَّلُ لُغْزٍ وَأَخْرَقَ * لَا تَقْزُ إِلَّا بِغُلَامٍ قَدْ غَزَا *
 زَا حِمٌّ بَعُودٍ أَوْ دَعٍ * أَلْعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْحُمْرَةَ . وَقَالَتِ الْعَامَّةُ : الشَّارِبُ
 لَا يُصْفَرُ لَهُ * (أَلَا يُنْقَالُ مِنْ ذُلٍّ إِلَى عِزٍّ) * كُنْتُ كُرَاعًا فَصِرْتُ
 ذِرَاعًا * كُنْتُ عِزًّا فَاسْتَيْسَتْ * كُنْتُ بَغَانًا فَاسْتَمْسَرَتْ * (إِعْجَابُ
 الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ) * كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبْنِهَا مُعْجِبَةٌ * الْقَرْنَبِيُّ فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةٌ *
 زَيْنٌ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُهُ * حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ * (تَشْبِيهُ الرَّجُلِ
 بِأَبِيهِ) * مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ * أَلْعَصِيَّةُ مِنَ الْعَصَا * مَا أَشْبَهَ حَجَلِ
 الْجِبَالِ بِالْوَانِ صَخْرَهَا * مَا أَشْبَهَ الْحَوْلَ بِالْقَبْلِ . وَمَا أَشْبَهَ الْآيَةَ
 بِالْبَارِحَةِ * شَيْئَانِةٌ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ ٤ * قَالَ زُهَيْرٌ :

وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشِيحُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا الْتَلْخُلُ
 وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَامَّةِ : لَا تَلِدُ الذَّبَّابَةُ إِلَّا ذَبَّابًا * حَدِّثُوا النَّعْلَ بِالنَّعْلِ
 وَحَدِّثُوا الْقَدَّ بِالْقَدِّ ٥ * (الْحَلْمُ) * إِذَا نَزَا الشَّرُّ فَأَقْعُدْ ٦ (وَمِنْهُ)
 الْحَلِيمُ مُطَيَّةُ الْجُبُولِ * لَا يَنْتَصِفُ حَاكِمٌ مِنْ جَاهِلٍ * آخِرُ الشَّرِّ فَإِنْ
 شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : إِنَّهُ كَوَاقِعِ الطَّيْرِ وَكَسَاكِنِ

١ أي معاود اللغير والشر ٢ أي اختبر من الدهر خيره وشره . فالشطر هو شطر الحلبة
 والفيقة اسم اللبن حين يمتنع في الضرع ما بين الحلبتين ٣ وهو الجرب . وأصله من
 النواجد يقال : قد عض على ناجذ إذا استحك ٤ يقال هذا في الولد إذا كانت
 فيه طبيعة من أبيه ٥ والقدة الريشة من ريش السهم تحدى على صاحبها
 ٦ أي فاحلم ولا تسارع إليه

يَخْفَى عَلَى النَّاسِ النَّهَارُ (وَمِثْلُهُ :) وَهَلْ يَخْفَى عَلَى النَّازِرِ الصُّبْحُ *
 وَهَلْ يَجْهَلُ فُلَانًا إِلَّا مَنْ يَجْهَلُ الْقَمَرَ * (الرَّجُلُ الْغَزِيْرُ يَعْرِضُ بِهِ
 الدَّلِيلُ) * إِنَّ الْبَغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ١ * لَا حُرَّ بِوَادِي عَوْفٍ ٢ *
 تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ ٣ * مَنْ عَزَّ بَرٌّ * مَنْ قَلَّ ذَلٌّ * مَنْ أَمِرَ قَلَّ الْأَمْرُ
 أَي كَثُرَ) * (الرَّجُلُ الصَّعْبُ) * فُلَانٌ أَلْوَى بَعِيدُ الْمُسْتَمَرِّ * مَا
 بَلَغَتْ مِنْهُ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٌ ٤ * مَا يَقَعُّعُ لِي بِالسِّنَانِ * مَا يُصْطَلِي بِنَارِدٍ *
 مَا تُقَرَّنُ بِهِ الصَّعْبَةُ * (الرَّجُلُ الْعَالِمُ الْخَرِيرُ) * إِنَّهُ لِنِقَابٌ وَإِنَّهُ
 لِعِصٌّ ٥ * أَنَا جَذِيلُهُمَا الْمُحَكَّكُ وَعَذِيْقُهُمَا الْمَرْجَبُ ٦ * (وَمِثْلُهُ :) إِنَّهُ
 لَجَذَلٌ حِكَاكٌ * عَنِيتُهُ تَشْفِي الْجَرْبَ ٧ * لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقَرِّعُ
 الْعَصَا ٨ * إِنَّهُ لَا أَمْعَى ٩ * مَا حَكَّكَتُ قَرْحَةً إِلَّا أَدْمَيْتُهَا * الْأُمُورُ
 تَشَابَهُ مُقْبِلَةً وَتَظْهَرُ مُذْبِرَةً . وَلَا يَعْرِفُهَا مُقْبِلَةً إِلَّا الْعَالِمُ الْخَرِيرُ .
 فَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ * (الرَّجُلُ الْمَجْرَبُ) * إِنَّهُ لَشَرَابٌ

١ الْبَغَاثُ صِغَارُ الطَّيْرِ تَسْتَنْسِرُ تَصِيرُ نَسُورًا ٢ يُرِيدُونَ عَوْفَ بَنِ مُعَلِّمِ الشَّيْبَانِي وَكَانَ
 مَنِعًا ٣ مَارِدٌ حَصْنٌ بِدُومَةٍ وَالْأَبْلَقُ حَصْنُ السَّمُوعِ ٤ وَأَصْلُهُ السَّهْمُ الْمَكْسُورُ الْفَوْقَ
 السَّاقِطُ النَّصْلُ . يَقُولُ : فِيهِذَا لَيْسَ كَذَلِكَ ٥ النِّقَابُ الذِّكْيُ وَالْعِصُّ الْعَالِمُ الْخَرِيرُ
 ٦ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْجَذِيلُ تَصْغِيرُ الْجَذَلِ . وَهُوَ عَوْدٌ يُنْصَبُ لِلْإِبِلِ الْجَرَاءِ لِيَتَحَكَّ بِهِ مِنْ
 الْجَرْبِ فَأَرَادَ أَنْ رَأَيْتُهُ يَشْفِي بِهِ . وَالْعَذِيْقُ تَصْغِيرُ عَذَقٍ . وَالْعَذَقُ بِالْفَتْحِ الْخَلَّةُ نَفْسُهَا . فَإِذَا مَالَتْ
 الْخَلَّةُ الْكَرِيمَةَ بَنُوا مِنْ جَانِبِهَا الْمَائِلَ بِنَاءً مَرْفَعًا يَدْعُوهُ لِكَيْ لَا تَسْقُطَ فَذَلِكَ التَّرْجِيْبُ . وَصَغَرُهَا لِلدَّحِ
 ٧ وَالْعَبِيَّةُ شَيْءٌ يُعَالَجُ بِهِ الْإِبِلُ إِذَا جَرِبَتْ ٨ وَأَوَّلُ مَا قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا
 سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الْكِنَانِيُّ . ثُمَّ قُرِعَتْ لِعَامِرِ بْنِ الظَّرِبِ الْعَدَوَانِي . وَكَانَ حَكَمٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَبُرَ
 حَتَّى أَنْكَرَ عَقْلُهُ . فَقَالَ لِبْنِيهِ : إِذَا أَنَا زَغْتُ فَقَوِّمُونِي . وَكَانَ إِذَا زَاغَ قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا فَيُزْعَرُ
 عَنْ ذَلِكَ ٩ وَهُوَ الَّذِي يُصِيبُ بِالظَّنِّ

أُمُّهُ ١ * (الدُّعَاءُ بِالشَّرِّ) * خَوَى نَجْمُهُ وَرَكَدَتْ رِيحُهُ * بَاخَ مَيْسَتُهُ
وَكَبَا جَوَادُهُ * نَحَدَ ضَرَامُهُ وَنَضَبَ مَأْوُهُ * إِنْتَلَمَ رُكْنَهُ وَأَنْهَارَ جَرْفِهِ *
نَقَبَ خِفَّهُ وَدَمِنَ ظِلْفُهُ * رَغِمَ أَنْفُهُ وَخَرَّ سَقَمُهُ * عَارَ مَأْوُهُ وَسَقَطَ
بِهَآؤُهُ * قَرَعَ فِنَاؤُهُ وَصَفَرَ إِنَاؤُهُ * (رَفِيَ الرَّجُلُ غَيْرَهُ بِالْمَعْضَلَاتِ) *
رَمَاهُ بِالْفُحَافِ رَأْسِهِ * وَرَمَاهُ بِثَلَاثَةِ أَلَا تَأْفِي ٢ * أَلْعَصِيَّةُ وَالْأَفِيكَةُ ٣ *
كَأَنَّمَا أَفْرَغَ عَلَيْهِ ذُنُوبًا ٤ * (الْمَكْرُ وَالْحَلَابَةُ) * قَتَلَ فِي ذِرْوَتِهِ ٥ *
ضَرَبَ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ ٦ * وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : الدَّبُّ يَأْدُو لِلْغَزَالِ ٧ *
(فِي الرَّجُلِ الْمُبَرِّزِ فِي الْقُضْلِ) * مَا يُشَقُّ عُجَارُهُ ٨ * إِذَا جَرَى الْمَذْكِي
حَسَرَتْ عَنْهُ الْحُمُرُ ٩ * جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَافٌ أَوْ غِلَابٌ * لَيْسَتْ لَهُ هِمَّةٌ
دُونَ الْغَايَةِ الْقُصْوَى * (الرَّجُلُ النَّبِيَهُ الذِّكْرُ) * مَا يُنْجَرُ فَلَانٌ فِي
الْعِيْكُمْ ١٠ * مَا يَوْمٌ حَلِيَّةٌ بِسِرٍّ ١١ * أَشْهَرُ مِنَ الْإِبَاقِ * وَهَلْ

١ يدعون عليه وهم يريدون الحمد له . ونحوه إذا أحسن : فأنله الله وأخراه الله . ومنه
قول امرئ القيس : ماله عد من نفره
٢ يريد قطعة من الجبل يجعل
الثنتان وتكون هي الثالثة ٣ إذا رماه بالبهتان
٤ أي خادعه حتى أزاله عن رأيه . ويروى عن الزبير حين سأل عائشة عن الخروج إلى
البصرة فأبت عليه . فما زال يقتل في الذروة والغارب حتى أجابت
٦ يريدون المنكرة . وقال آخر :

إذا أراد امرئ مكرًا جنى غللاً وظلَّ يضرب أخماساً لأسداس
٧ أي يختله ليوقعه ٨ أصله السابق من الخيل ٩ أي كما يسبق الفرس
القارح الحمر ١٠ ألعكم الجوالق يريد أنه لا يخفى مكانه
١١ يضرب لكل أمر مشهور وكانت فيه وقعة مشهورة قُتِلَ فيها المنذر بن ماء السماء
فضربت مثلاً

الْبَابُ الْخَامِسُ فِي الْأَمْثَالِ

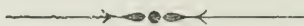
امثال في معانٍ مختلفة جمعها ابن عبد ربّه في العقد الفريد (*)

١١٢ (فِي الصَّمْتِ) * الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ * عِيٌّ صَامِتٌ
خَيْرٌ مِنْ عِيٍّ نَاطِقٍ * الصَّمْتُ يَكْسِبُ أَهْلَهُ الْمَحَبَّةَ * اسْتَكْثَرَ مِنْ
الْهَيْبَةِ الصَّمُوتُ * النَّدَمُ عَلَى السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ عَلَى الْكَلَامِ *
(مَنْ أَصَابَ مَرَّةً وَأَخْطَأَ مَرَّةً) * شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي
الْأَرْضِ ١ * يَشْجُ مَرَّةً وَيَأْسُو أُخْرَى * سَهْمٌ لَكَ وَسَهْمٌ عَلَيْكَ *
أَطْرُقِي وَمِيشِي ٢ * (إِنْ كُشِفَ الْأَمْرُ بَعْدَ اكْتِسَامِهِ) * حَصْحَصَ الْحَقُّ *
أَبْدَى الصَّرِيحُ عَنِ الرُّغْوَةِ * صَرَّحَ الْحُضُّ عَنِ الرُّبْدَةِ * أَفْرَخَ الْقَوْمُ
بَيْضَتَهُمْ ٣ * بَرَحَ الْخَفَاءُ وَكُشِفَ الْغَطَاءُ * (الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ لِلْقَادِمِ
مِنْ سَفَرِهِ) * خَيْرٌ جَاءَ وَرَدَّ فِي أَهْلِ وَمَالٍ ٤ * بَلَغَ اللَّهُ بِكَ أَكْثَلَ
الْعُمْرِ ٥ * نَعِمَ عَوْفُكَ ٦ * (فِي الزَّوْجِ) * عَلَى يَدِ الْخَيْرِ وَالْإِيمَنِ *
بِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ ٧ * هُنَّتْ وَلَا تَتَكَدَّرُ ٨ * هَوَتْ أُمُّهُ وَهَبَلَتْ

(*) اعلم ان ما في الحاشية من الشروح كان متصلاً بالأمثال ففصلناه عنها لالتحام السياق

- ١ شَبَّ بِالْحَالِبِ الْجَاهِلِ الَّذِي يَحْلُبُ شُخْبًا فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبًا فِي الْأَرْضِ
 - ٢ أَصْلُهُ أَنْ يُخْلَطَ الْوَبَرُ بِالصَّوْفِ . وَالْمِطْرَاقُ الْعُودُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ بَيْنَ مَا خُلِطَ
 - ٣ أَيِ أَخْرَجُوا فَرْخَتَهَا . يُرِيدُونَ أَظْهَرُوا سَرَّهُمْ
 - ٤ أَيِ جَعَلَكَ اللَّهُ كَذَلِكَ
 - ٥ أَيِ أَقْصَاهُ
 - ٦ أَيِ نَعِمَ بِكَ
 - ٧ يُرِيدُ بِالرِّفَاءِ الْكَثْرَةَ (كَذَا
 - ٨ أَيِ أَصَابَكَ خَيْرٌ وَلَا أَصَابَكَ ضُرٌّ
- فِي الْأَصْلِ) . يُقَالُ رَفَأْتُهُ إِذَا دَعَوْتَ لَهُ بِالْكَثْرَةِ

كَفَى مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدَسَ مِنْ عَوَزٍ فِيهِ الْخَيْرُ قَتَانٌ وَغُنْيَانُ
وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ وَصَاحِبُ الْحِرْصِ إِنْ أَثَرَى فَعُضْبَانُ
حَسْبُ الْفَقْرِ عَمَلُهُ خَلًّا يُعَاشِرُهُ إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخُلَّانُ
عَمَّا رَضِيَ عَالِيَانِ حِكْمَةً وَتَقَى وَسَاكِنَا وَطَنَ مَالٍ وَطُغْيَانُ
إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنُ فَلَهُ وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
يَا ظَالِمًا فَرِحًا بِالْعِزِّ سَاعَدَهُ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالْدَهْرِ يَقْظَانُ
مَا اسْتَمَرَ الظَّالِمُ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ وَهَلْ يَلِدُ مَذَاقَ الْمَرْءِ خُطْبَانُ
يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْمُرْضِيُّ سِيرَتُهُ أَبْشِرْ فَأَنْتَ بَغِيرِ الْمَاءِ رِيَانُ
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي الْحُجِّ فَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ظُهْيَانُ
لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَامَانُ
يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الْوَحْفِ مُنْتَشِيًا مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوَانُ
لَا تَعْتَرِزْ بِشَبَابٍ رَاقٍ خَضِلُ فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانُ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ إِنْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ
هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْلِي عُذْرَ صَاحِبِهَا مَا عُذِرَ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ
وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يُجْبِرُهُ وَمَا اكْسَرَ قَنَاةَ الدِّينِ جَبْرَانُ
خُذْهَا سَوَائِرَ أَمْثَالٍ مُهَذَّبَةٍ فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التَّبَيَّانَ تَبْيَانُ
مَا ضَرَّ حَسَانَهَا وَالطَّعْجَ صَائِغَهَا أَنْ لَمْ يَصْغُهَا قَرِيعُ الدَّهْرِ حَسَانُ



قَمِيصِهِ مِنْهُمْ صَلِّ وَتَعْبَانُ
 صَحِيفَةً وَعَلَيْهَا الْبَشْرُ غُنَّوَانُ
 يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُهُ إِنْسَانُ
 فَالْحَرْقُ هَدَمَ وَرَفِيقُ الْمَرْءِ بَنِيَانُ
 فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْسَانُ
 وَالْحَرْقُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ
 فَكُلُّ حَرٍّ لِحَرِّ الْوَجْهِ صَوَّانُ
 فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسْلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَمَتْهُ أَوْرَاقُ وَأَفْنَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
 وَبَاقِلٌ فِي ثَرَاءِ الْمَالِ سَحْبَانُ
 فَمَارَعَى غَنَمًا فِي الدَّوِّ سِرْحَانُ
 غَرَارُ لَسْتَ تُحْصِيهِنَّ أَلْوَانُ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ
 قَالِرٌ يَجْدِشُهُ مَطْلٌ وَلَيَّانُ
 قَدْ اسْتَوَى فِيهِ إِسْرَارُ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ النَّصْحِ بُحْرَانُ

مَنْ اسْتَتَمَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
 كُنْ رَيْقُ الْبَشْرِ إِنَّ الْحَرْهَمَةَ
 وَرَافِقُ الرِّفْقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
 وَلَا يَغْرَنَكَ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقُ
 أَحْسَنُ إِذَا كَانَ إِمْسَانٌ وَمَقْدَرَةٌ
 فَالْرَوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَاغْمَةٌ
 صَنْ حَرِّ وَجْهِكَ لَا تَهْتِكْ غِلَالَتَهُ
 دَعِ التَّكَاثُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا
 لَا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَعْرِى مِنْ نُهْيٍ وَتَقَى
 وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَالتَّهْ دَوْلَتُهُ
 سَحْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بَاقِلٌ حَصْرُ
 لَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَذَلًا
 لَا تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لِيَوَارِدِهِ
 لَا تَتَخَدِشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَقْظِ
 فَلَتَدَا بِيرُ فُرْسَانٍ إِذَا رَكَضُوا
 وَالْأُمُورُ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
 فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ

وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ
يَا عَامِرًا لِحِرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا
وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا
دَعِ الْفُؤَادَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
وَارْعَ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أَفْصَلَهَا
أَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدُ قُلُوبَهُمْ
يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِحُدُومَتِهِ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فِضَالِهَا
وَكَنْ عَلَى الدَّهْرِ مَعُونًا لَذِي أَمَلٍ
وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُحْمَدْ فِي عَوَاقِبِهِ
مَنْ أَسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبٍ
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعًا فَلَيْسَ لَهُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً
مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ
مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا
مَنْ مَدَّ طَرَفًا بِفَرْطِ الْجَهْلِ نَحْوَهُوَى
مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ
مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدْ فِي عَوَاقِبِهِ
فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فِشْدَانُ
بِاللَّهِ هَلْ لِحِرَابِ الْعُمْرِ عُمَرَانُ
أَلَسَيْتَ أَنْ سُرُورَ أَمْوَالٍ أَخْرَانُ
فَصَفْوَهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ
كَمَا يُفْصَلُ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ
فَطَالَمَا اسْتَعِيدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ فِي مَا فِيهِ خُسْرَانُ
فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْحُرَّ مِعْوَانُ
فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مِنْ عَزَا وَمَنْ هَانُوا
فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلَانُ
عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
إِلَيْهِ وَالْمَالُ الْإِنْسَانُ فِتْنَانُ
وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ
وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحَرْصِ سُلْطَانُ
أَغْضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خَزْيَانُ
عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ
نَدَامَةٌ وَلِحْصِدِ الزَّرْعِ إِبَّانُ

فَاتْرَكَ الْحِيلَةَ فِيهَا وَاتَّكَلَ لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَضْلِي أَبَدًا
 قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِ أَبِي إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَمَا
 قِيمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ بَيْنَ تَبْدِيرٍ وَبُخْلِ رُبَّةٍ
 لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّ وَلَوْ دَارِ جَارِ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ
 جَانِبِ السُّلْطَانِ وَأَحْذَرِ بَطْشَهُ لَا تَلِ الْأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا
 إِنْ نِصَفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ قَصِرَ الْأَمَالُ فِي الدُّنْيَا تَفَرُّ
 غِبْ وَزُرْ غِبًّا تَرُدُّ حُبًّا فَمَنْ لَا يَضُرُّ الْفَضْلُ إِقْلَالُ كَمَا
 خُذْ بَصْلَ السِّيفِ وَاتْرِكْ غِمْدَهُ حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزُ ظَاهِرٍ
 فَمِنْكَثِ الْمَاءِ يَبْقَى آسِنًا وَسَرَى الْبَدْرُ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلَ

نونية ابي الفتح البستي

١١١

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ وَرَبُّهُ غَيْرُ مُحْضٍ الْخَيْرِ خُسْرَانُ

كُتِبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ
أَيُّ نَمْرُودٍ وَكَنْعَانَ وَمَنْ
أَيُّ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا
أَيُّ أَرْبَابُ الْحِجَى أَهْلُ النُّهَى
سَيِّدُ اللَّهِ كُلًّا مِنْهُمْ
يَا بَنِي أَتَمَعَ وَصَايَا جَمَعَتْ
أُطْلِبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
وَاحْتَفِلْ لِنَفْسِهِ فِي الدِّينِ وَلَا
وَأَهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ
لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ
فِي أَزْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعَدَى
جَمَلِ الْمُنْطِقِ بِالْخَوْفِ فَمَنْ
إِنْظِمِ الشَّعْرَ وَلَا زِمِ مَذْهَبِي
فَهُوَ عُتْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةُ
إِطْرَحِ الدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا
عَيْشَةُ الرَّائِبِ فِي تَحْصِيلِهَا
كَمْ جَهُولٌ بَاتَ فِيهَا مُكْثِرًا
كَمْ شَجَاعٌ لَمْ يَنْلِ فِيهَا الْمُنَى

قُلْ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دُولٍ
مَلَأَ الْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلَ
هَلَاكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ الْقُلُلُ
أَيُّ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْقَوْمِ الْأَوَّلِ
وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ
حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَالِ
أَبْعَدُ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوْلٍ
يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ يُحَقِّقُ مَا بَدَلُ
كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلَ
وَجَمَالَ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
يُحْرِمُ الْإِعْرَابَ بِالنُّطْقِ اخْتِبَلِ
فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ النَّجَلَ
أَحْسَنَ الشَّعْرِ إِذَا لَمْ يُبْتَدَلْ
وَعَنِ الْبَحْرِ اجْتَرَأْ بِالْوَشَلِ
تُخَفِّضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلَ
عَيْشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقْلُ
وَعَالِمٌ مَاتَ مِنْهَا بِعِلَالِ
وَجَبَانٌ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

وَأَحْذَرُ عَدُوِّكَ إِذَا تَرَاهُ بِاسْمًا
وَإِذَا الصَّدِيقَ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا
لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
يَلْقَاكَ يَخْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَاثِقٌ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ ضَاقَ بِبَلَدَةٍ
فَارْحَلْ فَارْضُ اللَّهُ وَاسِعَةُ الْفَضَا
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً
حِكْمٌ وَآدَابٌ وَجُلُّ مَوَاعِظٍ
فَاصْغِرْ لَوْعَظٍ قَصِيدَةٍ أَوْ لَا كَهَا

لامية ابن الوردي

١١٠

إِعْتَرَلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْفَرَازِ
وَدَعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
وَأَثْرُكَ الْعَادَةِ لَا تُخْفِلْ بِهَا
وَأَفْتَكِرْ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي
وَأَهْجُرِ الْحُمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى
وَأَتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهِ مَا
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا
وَقُلِ الْفَضْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلْ
فَلَا يَأْمُ الصَّبَا نَجْمٌ أَفْلٌ
تَمَسَّ فِي عِزٍّ رَفِيعٍ وَتَجَلَّ
أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلَّ
كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ
جَاوَرَتْ قَلْبَ أَمْرِي إِلَّا وَصَلَ
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ الْبَطْلُ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالْزَمْهَا تَفُزْ
وَأَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَمَلْ مِنْهُ الرِّضَا
أَدَّ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَاةَ فَاجْتَنِبْ
وَأَحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ
وَإِذَا بُلِيتَ بِبَكِيَّةٍ فَاصْبِرْ لَهَا
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ
فَادْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ
وَأَحْذَرْ مُوَاخَاةَ الدِّينِيِّ لِأَنَّهُ
وَأَخْتَرُ صَدِيقِكَ وَأَعْظَمُ فِيهِ تَفَاخُرًا
وَدَعْ الْكُذُوبَ وَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
وَذَرِ الْحُقُودَ وَلَوْ صَفَا لَكَ مَرَّةً
إِنَّ الْحُقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَأَحْفَظُ لِسَانِكَ وَأَحْتَرَزْ مِنْ لَفْظِهِ
وَزِنْ أَلْكَالَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ
وَالسِّرَّ فَأَكْثَمُهُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ
وَأَحْرِصْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْآذَى
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدَّهَا

رَغَدًا وَيُحْرَمُ كَيْسٌ وَيُخَيَّبُ
إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ
إِنَّ الْمُطِيعَ لِرَبِّهِ لِمُقَرَّبُ
وَأَعْدِلْ وَلَا تَظْلِمْ يَطِيبُ الْمَكْسَبُ
وَأَعْلَمْ بَانَ دُعَاؤُهُ لَا يُجَبُّ
بِتَذَلُّ وَأَسْمَحَ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكَبُ
وَأَصَابَكَ الْخُطْبُ الْكَرِيهُ الْأَصْعَبُ
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
يُعْذِي كَمَا يُعْذِي الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ
إِنَّ الْقَرَيْنَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
إِنَّ الْكُذُوبَ لَيْسَ خِلًّا يُصْحَبُ
وَأَبْعَدُهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجَابُ
فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصُّدُورِ مُغِيبُ
فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
ثُرَاتُهُ فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
فَهُوَ الْأَسِيرُ لَدَيْكَ إِذْ لَا يَنْشَبُ
فَرُجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَصْعَبُ
شِبْهُ الرُّجَا جَعَةٍ كَسَرُهَا لَا يُشْعَبُ

وَكَذَلِكَ وَصَلَ الْغَانِيَاتِ فَإِنَّهُ
فَدَعَ الصَّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
دَعَا عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَأَخْشَ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
وَاللَّيْلُ فَأَعْلَمَ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلِكُ إِنْ حِينَ نَسِيَتْهُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعةٌ أودعَتْهَا
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
تَبَا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
فَاتَمَعْ هَدَيْتَ نَصَائِحًا أَوْلَا كَهَا
أَهْدَى النَّصِيحَةِ فَاتَّعَظْ بِمَا لَهُ
لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَوْنُ لَا نَهْ
وَكَيْفَ ذَلِكَ الْأَيَّامُ فِي غُصَاتِهَا
وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْحَقِيرِ مَكَانَهُ
وَيُسَرُّ بِالترَّجِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
فَاقْنَعْ فِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةً
لَا تَحْرِصَنَّ فَالْحَرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ

وَأَلْ بِبَلَقَةٍ وَبَرَقُ حُلْبُ
وَأَجْهَدُ فَعُمُرُكَ مَرٌّ مِنْهُ الْأَطْيَبُ
وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمُهْرَبُ
وَأَذْكُرُ ذُنُوبَكَ وَأَبْكِيهَا يَا مُذْنِبُ
لَا بَدَّ يُحْصَى مَا جَنَيْتَ وَيَكْتَسَبُ
أَنْفَاسُنَا فِيهِ تُعَدُّ وَتُحْسَبُ
بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَا إِلَهَ تَلْعَبُ
سَتَرْدُهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلِّبُ
دَارَ حَقِيقَتِهَا مَتَاعُ يَذْهَبُ
حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يَنْهَبُ
وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ
بَرُّ نَصُوحٍ لِلْأَنَامِ مُجَرَّبُ
فَهُوَ التَّقِيُّ اللُّوْذِيُّ الْأَدْرَبُ
مَا زَالَ قِدَمًا لِلرِّجَالِ يَهْذَبُ
مَضْضٌ يَذِلُّ لَهُ الْأَعَزُّ الْأَعْجَبُ
فَقَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
وَلَقَدْ كَسَى ثَوْبَ الْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ
فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الْحَرِيسَ وَيُنِيبُ

وَالْكَذِبُ فَأَعْلَمُ أَفْطَحُ الْمَسَاوِي صَاحِبُهُ مُشْفٍ عَلَى الْمَهَاوِي
 مَنْ يَشْتَهَرُ يَوْمًا بِكَذِبِ الْمُنْطِقِ ثُمَّ أَتَى بِالْصِّدْقِ لَمْ يُصَدَّقْ
 مَنْ عَذَّبَ الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِ فَالْصِّدْقُ لَيْسَ كَانًا مِنْ شَانِهِ
 وَأَكْنَعَةُ الْمُنْطِقِ بِالصَّوَابِ خَيْرٌ مِنَ الْإِفْصَاحِ بِالْكَذَابِ
 لَا تَعْصِينَ قَوْلَ ذَوِي التَّجَارِبِ لَا تَسْتَعِنْ فِي عَمَلٍ بِكَاذِبٍ

المكالم

١٠٨

وَأَنْزِعْ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهَا مِنْ أَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
 تَحْمِيكَ مِنْ قَوَارِعِ الْمَلَامَةِ تَمْنُوكَ الْأَعْزَازَ وَالْأَكْرَامَةَ
 أَزِينُ حِلْيَةٍ عَلَى الْإِنْسَانِ وَأَتَجْمَعُ الْأَنْصَارَ وَالْأَعْوَانَ
 فَأَرْحَلُ إِلَيْهَا طَالِبًا لِفَضْلِهَا وَأَسْمُ إِلَيْهَا رَاغِبًا فِي نَيْلِهَا
 فَإِنَّهَا تَحْلُكُ الْفَضَائِلَ حَمْدًا مِنَ النَّاسِ وَذُخْرًا أَجَلًا
 عَلَيْكَ مَا يُحْمَدُ مِنْ مَقَالٍ فَرَضَ عَلَيْهِ النَّفْسَ فِي الْفِعَالِ
 فَمَكْلُ مَا أُسْتَحْيَتْ أَنْ يُقَالَ فِيكَ فَلَا تَجْتَنِهِ فَعَالًا
 عَلَيْكَ حُسْنُ الْبَشْرِ فِي الْإِلْقَاءِ فَإِنَّهُ مِنْ سَبَبِ الْإِخَاءِ
 يُرِي عَلَى صَاحِبِهِ قَبُولًا مِنْ الْوَرَى وَمَنْظَرًا جَمِيلًا
 يَهْدِي لَكَ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامَا يَذُودُ عَنْكَ الْهَمَّ وَالْمَلَامَا

القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس

١٠٩

صَرَمْتُ جِبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ (*) وَالْدَّهْرُ فِيهِ تَصَرُّمٌ وَتَقَلُّبٌ

(*) انما اراد الشاعر بزینب هنا الدنيا وبالغائيات في البيت بعده ماذا تھا

فَأَقُولُ مَا أَرْسَلْتَهُ عَلَى عَجَلٍ مُّوَكَّلٍ بِهِ الْعَارُ وَالزَّلَلُ
يَا رَبِّ مُحْقُورٍ مِنَ الْمَقَالِ يَهْيِجُ شَرًّا غَيْرَ مُسْتَقَالٍ
وَأَفْظَةٌ زَائِغَةٌ سَبِيلَهَا قَدْ سَلَبَتْ نِعْمَةً مَنْ يَقُولُهَا
لَا تُطْلَقَنَّ فِي مَجْلِسٍ مَقَالُهُ إِذَا مَضَتْ لَيْسَ لَهَا إِقَالُهُ

الصبر

١٠٦

وَالصَّبْرُ فَأَعْلَمُ مِنْ أَعْدٍ الْأَعْدِدِ عَلَى صُرُوفِ النَّائِبَاتِ الْعُودِ
فَأَجْعَلُهُ إِنْ هُمْ أَلَمْ مَعْقِلًا وَأَجْعَلُهُ عِنْدَ النَّائِبَاتِ مَوَالًا
فَالْدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى مِضْمَارٍ مُخْتَلِفُ الْأُقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْبَلَايَا صَابِرًا سَلَا كَمَا يَسْلُو الْبَهِيمُ صَاغِرًا
فَأَصْبِرْ إِذَا مَا عَضَّكَ الزَّمَانُ فَكُلُّ يَوْمٍ لِلْمَلِكِ شَانُ
مَنْ يَعْصِمُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْحَادِثِ فَالْحَبْلُ فِي يَدَيْهِ غَيْرُ نَاكِثِ
إِذَا أَتَى مَا لَا تُطِيقُ دَفْعَهُ فَالصَّبْرُ أَوْلَى مَا أَقْتَنَيْتَ نَفْعَهُ
حُلُولُ مَا حَلَّ مِنَ الْبَلَاءِ كَالضَّيْفِ يَوْمًا حَلَّ فِي الْفَنَاءِ
فَأَصْبِرْ لِضِيقِ بَيْتِكَ يَوْمًا نَزَلَا لَا يَلْبَثُ النَّازِلُ أَنْ يَرْتَحِلَا

صدق النطق

١٠٧

وَأَكْرَمُ الْأَدَابِ صِدْقُ الْمُنْطِقِ أَكْرَمُ بِهِ أَكْرَمُ بِهِ مِنْ خُحٍ
أَعْدَلُ شَاهِدٍ عَلَى الصَّلَاحِ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى الْفَلَاحِ
شَرِّفَ بِهِ أَخْلَاقَكَ الْكَرِيمَةَ أُسْتَرْ بِهِ حَالَاتِكَ الدَّيْمِيَّةِ
مَنْ صَدَقَ الْحَدِيثَ فِي الْمَقَالِ شَارَكَهُ الْمُتْرُونَ فِي الْأَمْوَالِ

مَنْ جَاسَ الْأَعْدَاءَ وَالْحُسَادَا لَمْ يَعْدَمْ الْخُبَالَ وَالْفُسَادَا
وَوَحْدَةُ الْمَرْءِ بِلَا أُنَيْسٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سَيِّئِ الْجَلِيسِ
نَاصِحٌ أَخَاكَ فِي الْمَلَمَّاتِ الْخَيْرُ وَكُنْ إِذَا نَاصَحْتَهُ عَلَى حَذَرٍ
إِذَا لَقِيتَ النَّاسَ بِالنَّصِيحَةِ فَوَظِنِ النَّفْسَ عَلَى الْفَضِيحَةِ
مَنْ صَدَقَ الصَّاحِبَ وَالرَّفِيقَا لَمْ يَدَعْ الصِّدْقُ لَهُ صَدِيقًا
مَنْ سَلَكَ الْقَصْدَ إِذَا مَا سَارَا فِي كُلِّ وَجْهِ أَمِنَ الْعَارَا

الحيث وحفظ اللسان

١٠٥

أَلَصَمْتُ لِلْمَرْءِ حَلِيفُ السَّلَامِ وَشَهِدْتُ لَهُ بِفَضْلِ الْخُبَرِ
وَحَارِسٌ مِنْ زَلَلِ اللِّسَانِ فِي الْقَوْلِ إِنْ عَيَّ عَنْ الْبَيَانِ
فَعُذِّبْهُ مُعْتَصِمًا مِنْ أَلْطَا أَوْسَقَطِ يُفْرِطُ فِي مَا قَرَطَا
إِنَّ السُّكُوتَ يُعَقِّبُ السَّلَامَةَ قُرْبَ قَوْلٍ يُورِثُ النَّدَامَةَ
إِسْتَبْدَلِ الْخُفْيَةَ مِنْ أَمَانِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
يَظَلُّ مَكْرُوبًا طَوِيلًا سَقَمُهُ مَنْ لَا يَزُمُ قَوْلُهُ وَيُخْطِئُهُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لِسَانُهُ مِنْ هَمِّهِ يَفْرَحُ بِهِ وَيَسْتَرَحُّ مِنْ غَمِّهِ
مِنْ أَحْمَدِ الْأَشْيَاءِ فِي الْإِنْسَانِ زِيَادَةُ الْعَقْلِ عَلَى اللِّسَانِ
إِسْرَافُ ذِي الْإِطْنَابِ فِي الْمَقَالِ أَضَرُّ مِنْ إِسْرَافِهِ فِي الْمَالِ
لَا شَيْءَ مِنْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ أَحَقُّ بِالسَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ
إِنَّ اللِّسَانَ سَبْعُ عَشْرَ عَشْرُ إِنْ لَمْ يَسْسُهُ الرَّأْيُ وَالتَّذْوِيرُ
لَا تُطْلَقَنَّ الْقَوْلُ فِي غَيْرِ بَصَرٍ إِنْ اللِّسَانَ غَيْرُ مَأْمُونٍ الْضَرَرُ

وَكُلَّ قَوْلٍ حَسَنٍ مُتَّخَبٍ يُؤْثَرُ عَنْ أَهْلِ الْحُجَى وَالْأَدَبِ
وَمَا أَتَى مِنْ مَثَلٍ مَضْرُوبٍ مُسْتَمَلَحٍ مُسْتَطَرَفٍ غَرِيبٍ
يَزْدَادُ ذُو الْعِلْمِ إِذَا رَوَاهُ عِلْمًا إِلَى مُحَمَّدٍ مَا أَنْشَاهُ
وَيُحْكِمُ الْمُغْفَلَ الْمُغْمُورَا حَتَّى تَرَاهُ أَرَبًا نَحْرِيَا
وَالْمَرْءُ لَنْ يَسْتَكْمَلَ الْأَدَابَا وَلَوْ يَعِيشُ سَالِمًا أَحْقَابَا
لِنَّهُ يَزْدَادُ فِي الْأَيَّامِ عِلْمًا بِنَقْضِ الْأَمْرِ وَالْإِبْرَامِ
وَإِنَّهُ يَزْدَادُ يَوْمًا يَوْمًا فِي دَهْرِهِ تَجْرِبَةً وَعِلْمًا

التجارب

١٠٤

وَأُفْطِنُ لَصَرْفِ الدَّهْرِ وَالْعَجَائِبِ فَإِنَّهُ لَا عِلْمَ كَالْتَّجَارِبِ
كَفَالِكَ مَنْ عَاشَرْتَ مِنْ إِخْوَانٍ مَعْرِفَةً بِصُورَةِ الزَّمَانِ
لَا تَحْمَدُنْ قَبْلَ اخْتِبَارِ أَحَدَا يُخْلَبُ مِنْ بَرَقَةٍ إِذَا بَدَا
فَرُبَّمَا أَخْلَفَكَ الطَّرِيقُ أَنْتَ بِلَامِعٍ أَنْتَ بِهِ غَرِيبُ
إِنْ خِفْتَ مِنْ عَاقِبَةِ النَّدَامَةِ فَارْضَ مِنَ النَّوَالِ بِالسَّلَامَةِ
نَدَامَةُ الْمَرْءِ عَلَى التَّصْيِيرِ أَيْسَرُ مِنْ نَدَامَةِ التَّعْزِيرِ
وَطَالِبُ الْفَضْلِ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَذِي غَلِيلٍ شَرِقِ بَمَاءِ
وَأَنْتَهَزِ الْفُرْصَةَ إِمَّا مَرَّتْ فَرُبَّمَا طَلَبَتْهَا فَاعْتِ
وَالْأَمْرُ إِنْ أَعْيَا عَلَيْكَ مِنْ عَلٍ فَاطْلُبْهُ قَبْلَ فَوْتِهِ مِنْ أَسْفَلِ
مَنْ لَمْ يَعْظُهُ الدَّهْرُ بِالتَّجَارِبِ لَمْ يَتَّعِظْ يَوْمًا بِقَوْلِ صَاحِبِ
رُبَّ رَحَا دَارَتْ بِمَنْ يَلِيهَا تَطْحَنُ فِي الْحُرُوبِ مُرَكَّبِيهَا

تَكَثَّرَتْ بِالْأَمْوَالِ جَهْلًا وَإِنَّمَا
فَأَنْتَ عَلَيْهَا خَائِفٌ غَضَبٍ غَاصِبٍ
إِذَا نَأَمْتَ الْأَجْفَانُ بِتِّ مُكَابِدًا
فَهَلَّا أَقْتَنَيْتِ الْبَاقِيَاتِ الَّتِي لَهَا
فَضَائِلُ نَفْسَانِيَّةٌ لَيْسَ يَهْتَدِي
هِيَ الْعِلْمُ وَالْتَقْوَى هِيَ الْبَأْسُ وَالْحُجَى

وَلِلْمَرْءِ أَضْدَادٌ يَرُومُونَ قَسْرَهُ
فَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ جَفَاهُ شِرَارُهُمْ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَى حَالَةٍ بُدٌّ
وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْحَيَارُ لَهُ ضِدٌّ

مَنْ صَادَمَ الدَّهْرَ مُغْتَرًّا بِقُوَّتِهِ
وَمَنْ يُبِيعُ قُرْنَاءَ السُّوءِ عِشْرَتَهُ
كَمْ مِنْ وَجُودٍ إِذَا اسْتَوْضَحَتْ صُورَتُهُ
وَكُلُّ ذِي شَرَفٍ لَوْلَا خَصَائِصُهُ
فَأَحْكُمْ عَلَيْهِ بِأَنَّ الدَّهْرَ قَدْ صَدَمَهُ
يَكُنْ قُصَارَاهُ مِنْ إِنْيَاسِهِمْ نَدَمَهُ
رَأَيْتَ أَشْرَفَ مِنْ مُحْصُولِهِ عَدَمَهُ
مِنْ الْفَضَائِلِ سَاوَى رَأْسِهِ قَدَمَهُ

نخبة من اراجيز الشيخ السابوري

١٠٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَاهِرِ
مُدِيرِ الْخَلْقِ وَمُنْشِي الرِّزْقِ
هَذَا كِتَابُ جَامِعِ الْأَدَابِ
حَبْرَتُهُ بِمَنْطِقِي تَحْبِيرًا
أَوْدَعَتْهُ مَحَاسِنُ الْمَذَاهِبِ
الْوَحِيدِ الْقَرْدِ الْمَلِكِ الْقَادِرِ
ذِي الْمَنِّ وَالطُّولِ إِلَهِ الْخَلْقِ
مُفَصَّلٌ مُنْتَظَمٌ الْأَبْوَابِ
لَمْ آلْ فِيهِ أَنْصَحَ وَالتَّيْسِيرَا
فِي الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ وَفِي الْأَشْجَارِ

تَثَبَّتْ بِالْأُمُورِ وَلَا تُبَادِرْ لِشَيْءٍ دُونَ مَا نَظَرِ وَفَكَّرِ
قَبِيحٌ أَنْ تُبَادِرَ ثُمَّ تُخْطِي وَتَرْجِعَ لِتَثَبَّتِ دُونَ عَذْرِ

نخبة من حكم اردوها البستي في ديوانه

١٠٢

يَا مَنْ يُسَامِي الْعُلَى عَفْوًا بِلا تَعَبٍ هَيِّهَاتِ نَيْلُ الْعُلَى عَفْوًا بِلا تَعَبٍ
عَلَيْكَ بِالْجِدِّ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا حَوَى نَصِيبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ مَا نَصَبِ

الْحُرِّ فِي التَّحْقِيقِ مُعْتَقُ ذَاتِهِ مِنْ رِقِّ شَهْوَتِهِ وَمِنْ غَفَلَاتِهِ
وَمَنْ أَقْتَنَى مَا لَيْسَ يُمَكِّنُ غَضَبُهُ مِنْهُ وَوَقَّرَ جَاهِدًا حَسَنَاتِهِ
فَأَصْحَ لَوْعَظِي وَأَنْتَفَعَ بِنَصَائِحِي وَأَجْلَلَ بِبَاقِي الْعُمُرِ قَبْلَ فَوَاتِهِ
وَأَمِتْ بِجُهْدِكَ قُوَّةَ الْغَضَبِ الَّذِي تَحْيَا الْبَصِيرَةُ وَالشُّقَى بِمَمَاتِهِ
وَعَايِكَ بِالْعَدْلِ الَّذِي هُوَ لَفَتِي إِنْ عُدَّتِ الْأَوْصَافُ خَيْرُ صِفَاتِهِ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ مَرَارَةَ الْعَيْشِ الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى فِي الْخَوْفِ مِنْ بَغَاتِهِ
وَالْمَرَّةُ لَيْسَ يَخَافُ مِنْ رَكَضَاتِهِ إِلَّا لَوْهَنُ دَبِّ فِي عَزَمَاتِهِ
أَنِّي يَخَافُ الْمَوْتَ حَيْثُ عَالِمٌ يَعْتَدُهُ فَضْلًا مُقَوِّمَ ذَاتِهِ
لَاسِيًّا وَوَرَاءَ ذَلِكَ لِفَتَى عَيْشُ رَحَاءِ الْعَيْشِ فِي لَذَاتِهِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ فَنَاءَهُ مِنْ مَوْتِهِ فَأَعْلَمُ بِأَنَّ فَنَاءَهُ بِحَيَاتِهِ

قُلْ لِلْفَقِيهِ مَقَالًا لَيْسَ يَئِدُّ مِنْ حُلُولِ الْعَتَابِ وَصِرَّ الْعُتْبِ تَمْزِيجًا
إِذَا فُطِمَتْ أَمْرًا عَنْ عَادَةٍ قَدِمَتْ فَأَجْبَلْ لَهُ يَا عَقِيدَ الْفَضْلِ تَدْرِيجًا
وَلَا تُعَفِّفْ إِذَا قَوِّمْتَ ذَا عَوَجٍ فَرُبَّمَا أَعْقَبَ التَّقْوِيمُ تَعْوِيجًا

مَنْ تَنَاسَى ذُنُوبَهُ قَتَلَتْهُ وَأَبَانَ عَنْهُ الْوَلِيُّ الْحَمِيمَا
ذِكْرُكَ الذَّنْبَ نَفَرَةٌ عَنْهُ تُبْقِي لَكَ إِنكَارَ فِعْلِهِ مُسْتَدِيمَا

لَيْسَ التَّفَضُّلُ يَا أَخِي أَنْ تُحْسِنَا لِأَخٍ يُجَازِي بِالْجَمِيلِ مِنَ الثَّنَا
إِنَّ التَّفَضُّلَ أَنْ تُجَازِيَ مَنْ أَسَا لَكَ بِالْجَمِيلِ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غِنَى

مَنْ عَيْنِي الْمَرْءُ يَبْدُو مَا يَكْتُمُهُ حَتَّى يَكُونَ الَّذِي يَرَعَاهُ يَفْهَمُهُ
مَا يُضْمِرُ الْمَرْءُ يَبْدُو مِنْ شَمَائِلِهِ لِنَاطِرٍ فِيهِ يَهْدِيهِ تَوَشُّمُهُ

تَعْظِيمُكَ النَّاسَ تَعْظِيمٌ لِنَفْسِكَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ طُرًّا وَالْأَوْدَاءِ
مَنْ عَظَّمَ النَّاسَ يَعْظُمُ فِي النُّفُوسِ بِلَا مَوْوَنَةٍ وَيَنْلُ عِزَّ الْأَعْزَاءِ

وَمُسْتَقْبَحٌ مِنْ أَخٍ خُلَّةٌ وَفِيهِ مَعَايِبُ تُسْتَرْدَلُ
كَأَعْمَى يُخَافُ عَلَى أَعْوَرٍ عِنَارًا وَعَنْ نَفْسِهِ يَفْعَلُ

خُذِ الْأُمُورَ بِرَفْقٍ وَاتَّبِعْ أَبَدًا إِيَّاكَ مِنْ عَجَلٍ يَدْعُو إِلَى وَصَبِ
الرِّفْقُ أَحْسَنُ مَا تُؤْتِي الْأُمُورُ بِهِ يُصِيبُ دُونَ الرِّفْقِ أَوْ يُجْهِمُ مِنَ الْعَطَبِ

إِنَّ الْمُسِيءَ إِذَا جَارَتْ يَتَهُ أَبَدًا بِفِعْلِهِ زِدَّتْهُ فِي غَيْهِ شَطَطًا
الْعَفْوُ أَحْسَنُ مَا يُجْزَى الْمُسِيءَ بِهِ يَهِينُهُ أَوْ يُرِيهِ أَنَّهُ سَقَطًا

سَرِيرَةُ الْمَرْءِ تُبْدِيهَا شَمَائِلُهُ حَتَّى يَرَى النَّاسُ مَا يُخْفِيهِ إِعْلَانًا
فَاجْعَلْ سَرِيرَتَكَ التَّقْوَى تَرَى أَمَلًا فِي كُلِّ مَا أَنْتَ تَبْغِيهِ وَبَرْهَانًا

وَأَمْرٌ يَجْعَلُ فِي الْحَقِّ قَوْلًا لِكَلِّهِ مَا يُعِمْ
 مَا يُجْلُ مَنْ هُوَ لِلْمَوْتِ وَرَيْبُهَا عَرْضُ رَجِيمٍ
 وَيَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْمَشِيمُ
 وَتَحَرَّبَ الدُّنْيَا فَلَا بُؤْسَ يَدُومُ وَلَا نَعِيمُ

١٠١

نخبة من حكم أبي عثمان بن ليثون التيجي

زَاحِمٌ أُولَى الْعِلْمِ حَتَّى تُعَدَّ مِنْهُمْ حَقِيقَةٌ
 وَلَا يَرُدُّكَ عَجْزٌ عَنْ أَخْذِ أَعْلَى طَرِيقَةٍ
 فَإِنَّ مَنْ جَدَّ يُعْطَى فِيمَا يُحِبُّ لِحُوقِهِ

الدَّرْسُ رَأْسُ الْعِلْمِ فَأَحْرِصْ عَلَيْهِ
 مَنْ ضَيَّعَ الدَّرْسَ يَرَى هَازِيًا
 فَعِزَّةُ الْعَالَمِ مِنْ حِفْظِهِ
 كَعِزَّةُ الْمُنْفِقِ فِي مَا عَلَيْهِ

ثَلَاثُ مُهَابِكَاتٍ لَا مَحَالَةَ
 هَوَى نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى الْبَطَالَةِ
 وَشُحٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَابًّا
 وَعُجْبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ

أَخْوَكُ الَّذِي يَحْمِيكَ فِي الْغَيْبِ جَاهِدًا
 وَيَنْشُرُ مَا يُرْضِيكَ فِي النَّاسِ مُعَلَّنًا
 وَيَسْتَرْ مَا تَأْتِي مِنَ السُّوءِ وَالتُّفْجِ
 وَيُغْضِي وَلَا يَأْلُو مِنَ الْبِرِّ وَالنُّصْحِ

حَبِيبُكَ مَنْ يَغَارُ إِذَا زَلَلْتَ
 يُسِرُّ إِذَا اتَّصَفْتَ بِكُلِّ فَضْلٍ
 وَيُخْزِنُ إِنْ نَقَصْتَ أَوْ اتَّقَصَصْتَ
 وَمَنْ لَا يَكْتَرِثُ بِكَ لَا يُبَالِي
 وَيُعَظِّظُ فِي الْكَلَامِ مَتَى أَسَاتَا
 أَحَدَتْ عَنِ الصَّوَابِ أَمْ أَعْتَدَلْنَا

حَسَنُ قَوْلُ نَعَمٍ مِنْ بَعْدِ لَا وَقَبِيحُ قَوْلُ لَا بَعْدَ نَعَمٍ
 إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمٍ فَاحْشَاشَةٌ فَيَلَا فَا بَدَأُ إِذَا خِفْتُ أَلَدَمَ
 وَإِذَا قُلْتُ نَعَمٍ فَاصْبِرْ لَهَا بِنَجَازِ الْوَعْدِ إِنَّ الْخُلْفَ ذَمٌّ
 أَكْرَمُ الْجَارِ وَرَاعِي حَقِّهِ إِنَّ عِرْقَانِ أَلْقَى الْحَقَّ كَرَمٌ
 إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدَحُنِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِبْتُ شَتَمَ
 ١٠٠ قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ يُعْظِ أُنْبَاهُ بَدْرًا :

يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا الَّذِي أَلْبَّ الْحَكِيمُ
 دُمُ الْخَلِيلِ بُوْدِهِ مَا خَيْرُ وَدٍّ لَا يَدُومُ
 وَاعْرِفْ لَجَارِكَ حَقَّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
 وَاعْلَمْ أَنَّ الضَّيْفَ يَوْمٌ مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَأْوُمُ
 وَالنَّاسُ مُبْتَلِيَانِ مُحَمَّدُ الْبِنَايَةِ أَوْ ذَمِيمُ
 وَاعْلَمْ بَنِي فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
 أَنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهْجِي لَهُ الْعَظِيمُ
 وَالتَّبَلُّ مِثْلُ الدِّينِ تُقَضَّاهُ وَقَدْ يَلُوي الْغَرِيمُ
 وَالْبَنِي يَضْرَعُ أَهْلُهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
 وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِيدُ أَخًا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
 وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغِنَى وَيَهَانَ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمُ
 قَدْ يُقْتَرُ الْحَوْلُ أَلْتَقَى وَيُكْثَرُ الْحَقُّ الْأَثِيمُ
 يَمَلَا لِذَلِكَ وَيُبْتَلَى هَذَا فَأَيُّهُمَا الْمُضِيمُ

أُمُورَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ . وَتَفَهَّمْ كِتَابِي
إِلَيْكَ وَأَكْثِرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالْعَمَلَ بِهِ . وَلَيْكُنْ أَعْظَمَ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلَ
عَيْشِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ رِضَى وَلِدِينِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمْكِينًا وَلِلذِمَّةِ
وَالْإِمْلَةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ
وَرُشْدَكَ وَكَوَلَاءَتَكَ . وَالسَّلَامُ

(لابن الاثير)

وصية محمد الدكدجي لابنه

٩٨

زُرْ وَالِدَيْكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا
لَوْ كُنْتَ حَيْثُ هُمَا وَكَانَا بِالْبَقَا
مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ فَطَالَمَا
كَأَنَا إِذَا مَا أَبْصَرَا بِكَ عِلَّةً
كَأَنَا إِذَا سَمِعَا أُنَيْنَكَ أَسْبَلَا
وَتَمَنِّيَا لَوْ صَادَقَا بِكَ رَاحَةً
فَنَسِيتَ حَقَّهُمَا عَشِيَّةً أَسْكِنَا
فَلْتَلَحِّقْهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ
وَلْتَنْدَمَنَّ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا
بُشِّرَاكَ لَوْ قَدَّمْتَ فِعْعَلًا صَالِحًا
فَأَخَفَ ظُحُفَظْتَ وَصِيَّتِي وَأَعْمَلْ بِهَا
٩٩ مِنْ شِعْرِ الْمُشْتَبِ الْعَبْدِيِّ :

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ
أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ

وَمَنْ لَا يَمْدُرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَةٍ إِلَيْكَ وَالْمُخْتَصِرِ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ . فَسَلْ عَنْهُ أَحْفَى مَسْأَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمثَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ مِنْ رَعِيَّتِكَ . وَمَرُّهُمْ بِرَفْعِ حَوَائِجِهِمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِيَسْتَنْظِرَ فِيهَا بِمَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَهُمْ . وَتَعَاهِدْ ذَوِي الْبِأْسَاءِ وَأَيَّتَامَهُمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَأَجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ اقْتِدَاءً بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي الْعُطْفِ عَلَيْهِمْ وَالصَّلَةِ لَهُمْ . لِيُصْلِحَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَاتٍ وَزِيَادَةً وَأَجْرًا لِلْأَضْرَابِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَاعْرِفْ مَا تَجْمَعُ عَمَّا لَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَيُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعْ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقْ إِسْرَافًا . وَكَثِّرْ مُجَالَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُشَاوَرَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ . وَلِيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعُ السُّنَنِ وَإِقَامَتُهَا وَإِيثَارُ مَسَاكِمِ الْأُمُورِ وَمَعَالِيهَا . وَلِيَكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ تَمْنَعْهُ هَيْبَتِكَ عَنْ إِنِّهَا ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ وَإِعْلَانِكَ مَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ . فَإِنَّ أَوْلِيكَ أَنْصَحُ أَوْلِيَائِكَ وَمُظَاهِرُونَ لَكَ . وَأَنْظُرْ عَمَّا لَكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكُتَّابَكَ فَوْقَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقَفًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكِتَابِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ عَمَّا لَكَ وَأُمُورِ كُورِكَ وَرَعِيَّتِكَ . ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ . وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدَبُّرَ لَهُ . فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَهْضِهِ . وَمَا كَانَ مُخَالَفًا لَكَ فَأَصْرِفْهُ إِلَى التَّسَبُّتِ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . وَلَا تَمْتَزَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفٍ تَأْتِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالِاسْتِقَامَةَ وَالْعَوْنَ فِي

فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ
 بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ
 كُلِّهَا . فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَأَنْظِرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ
 ذَلِكَ . فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدَّفَاعِ
 وَالنُّصْحِ فَأَمُضْ بِهِ . وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ .
 ثُمَّ خُذْ فِيهِ عِدَّتَهُ . فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ قَدَرَهُ
 وَاتَّاهَ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَغْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ . فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ
 أَهْلَكَهُ وَنَقِضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ . فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرْهُ
 بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَكَثِّرْ مِنْ اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ
 أُمُورِكَ . وَأَفْرِغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِعَدِكَ وَكَثِّرْ مُبَاشَرَتَهُ
 بِنَفْسِكَ . فَإِنَّ لِلْعَدَا أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُهْلِكُكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي
 أَخَّرْتَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَخَّرْتَ عَمَلَهُ
 أَجْتَمَعَ عَلَيْكَ أُمُورُ يَوْمَيْنِ فَيَشْغَلُكَ ذَلِكَ حَتَّى تُعْرِضَ عَنْهُ . وَإِذَا
 أَمُضِيَتْ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلُهُ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَنَكَ وَأَحْكَمْتَ أُمُورَ
 سُلْطَانِكَ . وَأَنْظِرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِي السِّنِّ مِنْهُمْ مِمَّنْ يُسْتَيْقِنُ
 صَفَاءَ طَوِيلَتِهِمْ وَشَهِدَتْ مَوَدَّتِهِمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتِهِمْ بِالنُّصْحِ وَالْمُخَالَطَةِ
 عَلَى أَمْرِكَ . فَاسْتَخْلِصْهُمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ . وَتَعَاهَدِ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ مِمَّنْ
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ فَاحْتَمِلْ مَوُؤَنَتَهُمْ وَأَصْلِحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا
 يَجِدُوا حِلَّتَهُمْ مَسَاءً . وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ

فَتَهَاوَنَ بِمَا يُحِقُّ عَلَيْكَ . فَإِنَّ التَّهَاوُنَ يُورِثُ التَّفْرِيطَ وَالتَّفْرِيطُ يُورِثُ
 الْبَوَارَ . وَلَا تَحْقِرَنَّ دِينًا وَلَا تَمْلِكَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا . وَلَا تُدَاهِنَنَّ
 عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ نَمَامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا . وَلَا تَأْسِسَنَّ مَدْحًا وَلَا تَتَشَيَّنَّ
 مَرَحًا . وَلَا تُغْمِضَنَّ عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ
 الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوَلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا . وَإِنَّمَا تُبَيِّ
 أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيهِمْ وَقِيَمُهُمْ . تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ
 عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ وَتُنْفِذُهُ فِي إِقَامَةِ أَمْرِهِمْ وَصَالِحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ .
 فَاسْتَعْمِلْ عَلَيْهِمْ ذَا الرِّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرِبَةِ وَالْخُبْرَةَ بِالْعَمَلِ وَالْعِلْمَ
 بِالسِّيَاسَةِ وَالْعَفَافِ . وَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحُقُوقِ
 الْإِلَازِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَلَّدْتَ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ . وَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا
 يَصْرِفُكَ عَنْهُ صَارِفٌ . فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقُتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ
 اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ . وَحَسَنَ الْأُخْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ .
 وَأَحْرَزْتَ بِهِ الْحُبَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنَتَ عَلَى الصَّلَاحِ . وَفَشَتِ الْعِمَارَةُ
 بِنَاحِيَّتِكَ وَظَهَرَ الْخُصْبُ فِي كُورِكَ . وَكَثُرَ خَرَاجُكَ وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ .
 وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى أَرْتِبَاطِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ أَلَمَائِهِ بِإِفَاضَةِ الْإِعْطَاءِ
 فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ . وَكُنْتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ مَرْضِيَّ الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ
 عِنْدَ عَدُوِّكَ . وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَآلَةٍ وَقُوَّةٍ وَعُدَّةٍ .
 فَتَنَافَسَ فِي ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّمُ عَلَيْهِ شَيْئًا تَحْمَدُ فِيهِ مَغَبَّةَ أَمْرِكَ . وَاجْعَلْ

الْأَهْوَاءَ وَالْجَوْرَ وَأَصْرَفَ عَنْهُمْ مَا رَأَيْتَ . وَأَمَّا أَنْفُسُكَ عِنْدَ الْغَضَبِ
 وَآثَرُ الْوَقَارِ وَالْحِلْمِ . وَإِيَّاكَ وَالْحِدَّةَ وَالطَّيْرَةَ وَالْعُرُورَ فِي مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ .
 وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ أَنَا مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ
 الرَّأْيِ وَقِلَّةِ الْيَقِينِ بِاللَّهِ وَأَخْلَاصِ لِلَّهِ وَحَدِّهِ النَّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ . وَأَعْلَمُ
 أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ . وَلَنْ تَجِدَ
 تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ وَحُلُولَ النِّعْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى حَمَلَةِ النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ
 السُّلْطَانِ وَالْمُبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ .
 وَاسْتَطَالُوا بِمَا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ . وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّهَ نَفْسِكَ . وَلَتَكُنْ
 ذَخِيرُكَ وَكُنُوزُكَ الَّتِي تَذْخِرُ وَتُكْثِرُ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالْمُعْدِلَةَ وَاسْتِصْلَاحَ
 الرِّعْيَةِ وَعِمَارَ بِلَادِهِمْ وَالتَّفَقُّدَ لَأُمُورِهِمْ وَالْإِغَاثَةَ لِلْمُهِوِّفِهِمْ . وَأَعْلَمُ أَنَّ
 الْأَمْوَالَ إِذَا كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ مَوْتِنَةٍ
 عَنْهُمْ سَمَتْ وَزَكَتْ وَنَمَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَّةُ وَتَرَيَتْ بِهَا الْوِلَايَةَ .
 وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ وَاعْتَمَدَ فِيهَا الْعِزُّ وَالْمَنْعَةُ . فَأَوْفِ رِعْيَتَكَ مِنْ ذَلِكَ
 حِصَصَهُمْ وَتَعَهَّدْ مَا يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ . فَتَقِرَّ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَتَسْتَوْجِبَ
 الزَّيْدَ مِنَ اللَّهِ وَكُنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خَرَاكِ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رِعْيَتِكَ
 وَعَمَلِكَ أَقْدَرَ . وَكَانَ الْجَمِيعُ لِمَا شَمَلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ
 لِبَطَاعَتِكَ وَأَطِيبَ أَنْفُسًا بِكُلِّ مَا أَرَدْتَ . وَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَتْ
 لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ وَلَتَعْظُمَ حَسَنَتُكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَنْفَقَ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا أَهْلَ الْآخِرَةِ

إِنَّمَا يَكْفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ وَهْنِكَ وَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْغَمِّ فِي سُوءِ
 الظَّنِّ مَا يُنْغِصُكَ لَذَاذَةً عَيْشِكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ مُحْسِنَ الظَّنِّ قُوَّةَ
 وَرَاحَةٍ وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى
 مَحَبَّتِكَ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا لَكَ . وَتَفَرَّدَ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ تَفَرَّدَ
 مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَمُجْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ وَمَا خُوذَ بِمَا أَسَاءَ . فَإِنَّ
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَغِزًا وَرَفَعَ مَنْ أَتْبَعَهُ وَعَزَّزَهُ . فَاسْلُكْ
 بِمَنْ تَسُوْسُهُ وَتَرْعَاهُ نَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى . وَأَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ
 فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوهُ . وَلَا تَعْطِلْ ذَلِكَ
 وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ . وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي
 ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ . وَأَعْتَرَمْ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ
 بِالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمْ
 لَكَ مُرُوءَتُكَ . وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا
 فَأَنْجِزْهُ وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ وَادْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ
 رَعِيَّتِكَ وَأَشْدُدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغِضْ أَهْلَهُ
 وَأَقْصِ النِّمَمَةَ . فَإِنَّ أَوَّلَ فُسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَأَحَايَاهَا تَقَرُّبُ
 الْكَذُوبِ لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ . وَالزُّورَ وَالنِّمَمَةَ خَاتِمَتُهَا . وَلَا
 يَسْتَمِمْ لِمُطِيعِهَا أَمْرٌ . وَأَحِبِّ أَهْلَ الصَّلَاحِ وَالصِّدْقِ وَأَعِنِ الْأَشْرَافَ
 بِالْحَقِّ . وَوَاسِ الضُّعَفَاءَ وَصِلِ الرَّحِمَ وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى
 وَإِعْزَازَ أَمْرِهِ . وَالتَّمَسَّ فِيهِ ثَوَابَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ وَاجْتَنِبْ سُوءَ

اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ
 اللَّهِ وَتَقْوَاهُ . وَآثِرِ الْفَقْهَ وَأَهْلَهُ وَالِدِينَ وَتَبِعْتَهُ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَزِنُ بِهِ
 الْمَرْءُ الْفَقْهَ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبُ لَهُ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ . وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا يُتَقَرَّبُ بِهِ
 إِلَى اللَّهِ . فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ لَهُ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي
 عَنِ الْمَعَاصِي الْمُوَبِّقَاتِ كُلِّهَا . مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ يَزِدَادُ الْعَبْدُ ذِكْرًا لِلدَّرَجَاتِ
 الْعُلَى فِي الْمَعَادِ . مَعَ مَا فِي ظَهْرِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْفِيقِ لِأَمْرِكَ وَالْهَيْبَةِ
 لِسُلْطَانِكَ وَالْأَلَسَةِ بِكَ وَالثِّقَةِ بِعَدْلِكَ . وَعَلَيْكَ بِالْإِقْتِسَادِ فِي
 الْأُمُورِ كُلِّهَا . فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبَيْنُ نَفْعًا وَلَا أَخْصُ أَمْنًا وَلَا أَجْمَعُ فُضْلًا
 مِنْهُ . وَالْقَصْدُ دَاعِيهِ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ
 قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ . وَقَوَامُ الدِّينِ وَالسُّنَنِ الْمَادِيَةِ بِالْإِقْتِسَادِ . وَآثَرُهُ
 فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تَقْصِرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْأَجْرِ وَالْأَعْمَالِ
 الصَّالِحَةِ وَالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ وَلَا غَايَةَ لِلِاسْتِكْثَارِ فِي الْبِرِّ
 وَالسَّعْيِ لَهُ . إِذَا كَانَ يُطَلَبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمُرَافَقَةُ
 أَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْعِزَّ
 وَيُخَصِّنُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّهُ لَنْ تَحُوطَ لِنَفْسِكَ وَمَنْ يَأْمُرْكَ وَلَا تَسْتَصْلِحْ
 أُمُورَكَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ . فَاتِهِ وَاهْتَدِ بِهِ تَتِمُّ أُمُورُكَ وَتَرِيدُ مَقْدَرَتَكَ
 وَتَصْلِحُ خَاصَّتِكَ وَعَامَّتِكَ . وَلَا تَتَّهَمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُوَلِّيهِ مِنْ
 عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التَّهَمِ بِالْبَدَأِ وَالظُّنُونِ
 السَّيِّئَةِ بِهِمْ مَأْتُمْ . وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِكَ مَعْمَرًا فَإِنَّهُ

إِنَّ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَاقْخُوا الْعِزَّ يَابِينَ
 فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ
 وَالْأَمْثَالُ تُضْرَبُ لِذِي الْأَبِّ الْحَكِيمِ . وَذُو الْبَصَرِ يَمْشِي عَلَى
 الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَالْفُطْنُ يَقْنَعُ بِالْقَدِيلِ وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ . وَاللَّهُ
 سُبْحَانَهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ لَا رَبَّ سِوَاهُ . (ملخص عن المقرئ)
 رِصَّةُ ابْنِ طَاهِرٍ لَابْنِهِ

٩٧ أَمَّا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَدِّهِ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ
 وَمُزَايَلَةِ سُخْطِهِ . وَحِفْظِ رِعْيَتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالزَّمَّ مَا أَلْبَسَكَ
 مِنَ الْعَافِيَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ
 وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَعْصِمُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنْجِيكَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَالْإِيمَ عَذَابِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ
 إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ الرَّأْفَةَ بِمَنْ أَسْتَرْعَاكَ أَمْرَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ .
 وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ عَلَيْهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ فِيهِمْ . وَالذَّبَّ عَنْهُمْ
 وَالدَّفْعَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَيُوتِيهِمْ . وَالْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ إِسْبِيلِهِمْ .
 وَإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ . وَمُواخِذَكَ بِمَا قَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْفِقَكَ عَلَيْهِ
 وَمَسَائِلَكَ عَنْهُ وَمُثِيبَكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ . فَفَرِّغْ لِدَاكَ
 فَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَنَظْرَكَ وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَأَنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ
 وَمَلَاكُ شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُؤَافِقُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ لِرُشْدِكَ . وَلَكِنْ
 أَوَّلُ مَا تُلْزِمُ نَفْسَكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ أَفْعَالُكَ الْمُواظَبَةُ عَلَى مَا أَفْتَرَضَ

الْعُومُ . وَمِنْ صِغَرِهِ إِلَى كِبَرِهِ لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرِهِ حَتَّى لُقِبَ
بِصَدْرِ الْهَمِّ . وَمِنْ أَعْجَبِ مَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَنَكَّدُ فِي الشَّدَةِ وَلَا
يَتَعَلَّلُ بِأَن يَكُونَ بَعْدَهَا فَرْجٌ وَيَتَنَكَّدُ فِي الرِّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَدُومَ
(وَيُنْشَدُ) : تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ . (وَيُنْشَدُ) : وَعِنْدَ التَّأْهِِّيِ يَقْصُرُ
الْمُتَطَاوِلُ . وَلَهُ مِنَ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الشَّانِ عَجَائِبُ . وَمِثْلُ هَذَا عَمْرُهُ
مُخْسَرٌ يَمُرُّ ضَيَاعًا . وَمَتَى رَفَعَكَ الزَّمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذْمُونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا
تُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ وَقَصْدًا لِتَضْعِيفِ قَدْرِكَ عِنْدَكَ وَتَرْهِيدًا لَكَ فِيهِ
فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَرْهَدَ فِي عِلْمِكَ وَتَرْكَنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي
مَدَّ حَوْهَ . فَتَكُونَ مِثْلَ الْغُرَابِ الَّذِي أَعْجَبَهُ مَشْيُ الْحُجَلَةِ فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ
فَصُوبَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَانْسَبَهُ فَبَقِيَ خَجَلُ الْمَشْيِ كَمَا قِيلَ :
إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مَشْيَهُ فِي مَاضِي مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ
حَسَدَ الْقَطَا وَأَرَادَ يَمْشِي مَشْيَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ
فَأُضِلَّ مَشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مَشْيَهَا فَلِذَاكَ سَمَّوْهُ أَبَا بَرَقَالِ
وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَعَلَ يَذْمُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ وَيَقُولُ : مَا بَقِيَ
فِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مَسْكَانٌ يُرْتَحَى فِيهِ . فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ
عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِنْ صِيبَةِ الْحِرْمَانِ . وَاسْتَحْفَتُ طَلْعَتَهُ
لِلْهَوَانِ . وَأَبْرَمُوا عَلَى النَّاسِ بِالسُّوَالِ فَمَقُوهُمْ وَعَجَزُوا عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ
مِنْ وُجُوهِهَا فَاسْتَرَاخُوا إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ . وَأَقَامُوا الْأَعْذَارَ
لِأَنْفُسِهِمْ بِقَطْعِ أَسْبَابِهِمْ . وَلَا تُزِلْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَّتْ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخَزِيَّةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا
وَأَحْرَصَ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ : ثَلَاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوَدَّ فِي
صَدْرِ أَخِيكَ . أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ وَتُوسِعَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ
الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ . وَاحْذَرِ كُلَّ مَا بَيْنَهُ لَكَ الْقَائِلُ : كُلُّ مَا تَغْرِسُهُ تَجْنِيهِ
إِلَّا ابْنُ آدَمَ . يَتَمَسَّكُنْ حَتَّى يَتِمَّ كُنْ . وَقَوْلُ الْآخِرِ : ابْنُ آدَمَ ذِئْبٌ مَعَ
الضَّعْفِ أَسَدٌ مَعَ الْهُوَّةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَشُبَّ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ
تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ . (وَيُحْكِي) أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ خَطَبَ مِنَ الْحَلِيلِ صُحْبَتَهُ .
فَجَاوَبَهُ أَنَّ الصُّحْبَةَ رِقٌّ وَلَا أَضْعُ رِقِّي فِي يَدَيْكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ
مَلَكَتُكَ . وَاسْتَمَلَ مِنْ عَيْنِ مَنْ تُعَاشِرُهُ وَتَتَفَقَّدُ فِي فَلَتَاتِ الْأُسْنِ
وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهِ . وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أَنْ لَا
تُبَيِّنَهُ . فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحُ السَّامِ . وَبِالْأَيْنِ يَعْرِفُ أَلَمَ الْجُرْحِ وَاجْعَلْ
لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ غَايَةً تَجْعَلُهَا نِهَايَةً لَكَ . وَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا
أَتَاكَ . مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَاشِيهِ نَفَعَهُ إِذِ الْأَفْكَارُ تَجَابُ الْهُمُومَ . وَتَضَاعَفُ
الْغُومَ . وَمُلَازِمَةُ الْقُطُوبِ . عُنوانُ الْمَصَائِبِ وَالْخُطُوبِ . يَسْتَرِيبُ بِهِ
الصَّاحِبُ . وَيَشْتُمُ الْعَدُوَّ وَالْمُجَابِبُ . وَلَا تَضُرُّ بِالْوَسَاوِسِ إِلَّا نَفْسَكَ
لَا نَكَ تَنْصُرُهَا الدَّهْرُ عَلَيْكَ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَخْزَانِ عَوْنًا عَلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ فَمَنْ تَلُومُ
مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَائِلُ الْحَزْنَ . وَلَا يَرْعَوِي بِطُولِ عَتَبِكَ
الزَّمَنُ . وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِغَرَاظَةِ شَخْصًا قَدْ أَلْفَتْهُ الْهُمُومُ . وَعَشِيَّتُهُ

وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : مَنْ سَبَقَكَ يَوْمَ فَقَدْ سَبَقَكَ بِعَقْلٍ . فَأَحْتَذِ
بِأَمْثَلَةٍ مِنْ جَرَّبَ . وَاسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَدَ الْمَاضُونَ بَعْدَ جَهْدِهِمْ وَتَعَبِهِمْ مِنْ
الْأَقْوَالِ . فَإِنَّهَا خُلَاصَةُ عُمْرِهِمْ وَزُبْدَةُ تَجَارِبِهِمْ . وَلَا تَكِلْ عَلَى
عَقْلِكَ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَا تَعَبَ فِيهِ النَّاسُ طُولُ أَعْمَارِهِمْ وَابْتِاعُوهُ غَالِيًا
بِتَجَارِبِهِمْ يُرْبِحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخِيصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمُرُوءَةٌ
وَتَجَرُّبَةٌ فَاسْتَفِدْ مِنْهُ وَلَا تَضِيعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ . وَإِنْ فِي مَا تَلْقَاهُ تَأْخِيضًا
لِعَقْلِكَ وَحَثًّا لَكَ وَاهْتِدَاءً . وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يُحْسِنُ
بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَذَرَّهُ . فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَقْلِكَ مُصْلِحًا لِحَالِكَ
فَرَاغِ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَإِلَّا فَانْبِذْهُ نَبْذَ النَّوَاةِ . فَإِنَّ لِكُلِّ أَحَدٍ يَتَّبِعُهُ
وَلَا كُلُّ شَخْصٍ يُكَلِّمُ . وَلَا الْجُودُ مِمَّا يُعْمُ بِهِ . وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ وَطِيبُ
النَّفْسِ مِمَّا يُعَامَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَمَا لِي لَا أُوفِي الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدَرِ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ
وَأَيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدَرٍ . فَلَا تُعَامِلِ الدُّونَ بِمُعَامَلَةِ
الْكُفْوِ وَلَا الْكُفْوَ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْلَى . وَلَا تَضِيعْ عُمْرَكَ فِي مَنْ يُعَامِلُكَ
بِالْمَطَامِعِ وَيُشِيبُكَ عَلَى مَصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِغَائِبَةٍ آجِلَةٍ . وَلَا تَجْفُ
النَّاسَ بِالْجُمْلَةِ وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يُلْحَقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا صَبْرٌ وَلَا
جَفَاءٌ . فَمَتَى فَارَقْتَ أَحَدًا فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي
هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ . فَلِذَاكَ قَالَ الْأَوَّلُ : وَلَمَّا مَضَى سِلْمٌ بَكَيْتُ
عَلَى سِلْمٍ . وَإِيَّاكَ وَالْبَيْتَ السَّائِرَ :

يَا بُنَيَّ الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ . قَدْ قَدَّمْتُ
لَكَ فِي هَذَا النَّظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرَتْهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ
حُسْنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْخَفِظِ وَأَعْلَقَ
بِالْفِكْرِ وَآخَقَ بِالْتَّمَدُّمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

يَزِينُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا اغْتَرَبَ ثَلَاثُ فَنَنْ حُسْنُ الْأَدَبِ
وَتَانِيَةُ حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَثَالِثَةُ اجْتِنَابُ الرِّيبِ
وَأَضْعُ يَا بُنَيَّ إِلَى أَلِيَّتِ الَّذِي هُوَ نَيْتَةُ الدَّهْرِ وَسَامُ الْكَرَمِ وَالصَّبْرِ :
لَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَا
إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ نُزِيلٍ . وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ . وَلَتَكُنْ
كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مُتَغَرِّبٍ : وَكَانَ كُلَّمَا طَرَأَ عَلَى مَلِكٍ
فَكَانَتْ مَعَهُ وَلَدٌ وَإِلَيْهِ قَصْدٌ . غَيْرُ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ . وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا
مِنْ أَمْرِهِ . وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ أَخَذَ بِجَمَاعٍ هَوَاهُ فَاجْعَلِ
التَّكَلُّفَ لَهُ سُلْمًا وَهَبَّ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ السَّيْمِ . وَحُلَّ بِطَرْفِهِ
حُلُولُ الْوَسَنِ وَأُزِلَ بِقَلْبِهِ زُلُولُ الْمَسَرَّةِ حَتَّى يَتِمَّكَنَ لَكَ وَدَادُهُ .
وَيُخْلَصَ فِيكَ أَعْتَادُهُ . وَطَهَرَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانُكَ . وَأَغْلَقَ سَمْعَكَ
وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحْسُودَ لَكَ مِنْهُ يُرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِيَنْفَعْتَهُ . أَوْ
حَسُودَ لَهُ يُغَارِ لِجَمَلِهِ بِصُحْبَتِكَ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَعْتَرَّ بِطُولِ صُحْبَتِهِ وَلَا
تَتَمَهَّدَ بِدَوَامِ رَفْدَتِهِ . فَقَدْ يَلْبِسُهُ الزَّمَانُ . وَيَغَيِّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ .
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مِيعَارًا وَكَانَ كَأَمْرِ آتٍ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ

فَلْتَجَارِبِ أُمُورَ إِذَا طَالَعَتَهَا تَشْخَذُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَلَا تَنْمَ عَنْ وَعِيهَا سَاعَةً فَإِنَّهَا عَوْنٌ إِلَى يَمُظَّتِكَ
وَكُلُّ مَا كَابَدْتَهُ فِي النَّوَى إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكَ
فَلَيْسَ يُدْرَى أَوَّلُ ذِي غُرْبَةٍ وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ شَيْتِكَ
وَأَمْسِ الْهُوَيْنَا مُظْهِرًا عَفَّةً وَأَنْبِغِ رِضَا الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْبَتِكَ
وَأَنْطِقْ بِحَيْثُ أَلْبِي مُسْتَقْبَحٌ وَأَصْبَحْتَ بِحَيْثُ الْخَيْرِ فِي سَكَنَتِكَ
وَلَجَّ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ وَأَقْصِدْ لَهُ مَا عِشْتَ فِي بُكَرَتِكَ
وَوَفَّ كَلًّا حَقَّهُ وَلْتَكُنْ تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حِدَتِكَ
وَحَيْثُمَا أَضْحَيْتَ فَأَقْصِدْ إِلَى ضَحِيَّةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
وَلِلرَّزَايَا وَثْبَةٌ مَا لَهَا إِلَّا الَّذِي تَذْخُرُ مِنْ عُدَّتِكَ
وَلَا تَقُلْ أَسْلَمَ لِي وَحْدَتِي فَقَدْ تُقَاسِي الْأَذْلَّ فِي وَحْدَتِكَ
وَأَلْتَزِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
وَلْتَجْعَلِ الْعَقْلَ مَحْكَمًا وَخُذْ وَتَجْعَلِ الْعَقْلَ مَحْكَمًا وَخُذْ
وَأَعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْفَاضِلِهِمْ كَلَّا بَمَا يَظْهَرُ فِي نَقْدَتِكَ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نُصْحِهِ وَأَصْحَبِ أَخَا يَرْغَبُ فِي صُحْبَتِكَ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْرَبَهُ إِنَّهُ وَفَكَرُهُ وَقَفَّ عَلَى عَثَرَتِكَ
وَأَنْمِ نَمُو أُلْبَبْتَ قَدْ زَارَهُ عَوْنٌ مِنَ الدَّهْرِ عَلَى كُرْبَتِكَ
وَلَا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكَّنًا غِبُّ النَّدَى وَأَسْمِ إِلَى قُدْرَتِكَ
وَالْأَشْرُّ مَهْمًا أَسْطَعَتْ لَا تَأْتِيهِ تَذْكَارُهُ يُذَكِّي لَطْفِي حَسْرَتِكَ
فَإِنَّهُ حَوِزٌ عَلَى مُهْجَتِكَ فَإِنَّهُ حَوِزٌ عَلَى مُهْجَتِكَ

الْيَاسَ . وَأَظْهَرَ الْجُمْلَ لِلنَّاسِ وَأَسْتَكْثَرَ قَلِيلَ النِّعَمِ . وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى الْقِسَمِ . قَالَ فَمَنْ أَحْكَمُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ صَمَتَ فَأَدَّكَرَ . وَنَظَرَ فَأَعْتَبَرَ . وَوَعُظَ فَأَزْدَجَرَ . قَالَ : مَنْ أَجْهَلَ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَأَى الْخُرْقَ مَغْنَمًا . وَالتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا . (لابن عبد ربه)

٩٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادُ مِنْ خِلَافِهَا . فَإِنْ سَخَّ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ . وَإِنْ هَاجَهُ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ . وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ . وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ . وَإِنْ أَسْعَدَ بِالرِّضَا نَفْسِي التَّخَفُّظَ . وَإِنْ أَتَادُ الْخَوْفُ شَعْلَهُ الْحَذَرُ . وَإِنْ أَسْعَى لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلْبَثَتْهُ الْغَرَّةُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَتْهُ الْجُرْعُ . وَإِنْ اسْتَفَادَ مَا لَا أَطْفَاهُ الْغَنَى . وَإِنْ عَصَتْهُ فَاقَةٌ بَلَغَ بِهِ الْبَلَاءُ . وَإِنْ جَهَدَ بِهِ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ . وَإِنْ أَفْرَطَ فِي الشَّيْءِ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ . فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ قَاتِلٌ

وصية ابن سعيد المغربي لابنه وقد أراد السفر

أُودِعَكَ الرَّحْمَانُ فِي غُرْبَتِكَ مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ فِي أَوْبَتِكَ
فَلَا تُطِلْ حَبْلَ النُّوَى إِنَّنِي وَاللَّهِ أَشْتَاقُ إِلَى طَاعَتِكَ
وَإِخْتَصِرِ التَّوْدِيْعَ أَخْذًا فَمَا لِي نَاطِرُ يَهْوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
وَأَجْعَلْ وَصَاتِي نُصْبَ عَيْنٍ وَلَا تَبْرَحْ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةَ الْعُمْرِ الَّتِي حَنَيْكَتْ فِي سَاعَةٍ زَفَّتْ إِلَى فِطْنَتِكَ

الْعَدِيمِ وَعِنْدَ ذِي الْحُلَّةِ الْكَرِيمِ . وَالْمُعْسِرِ الْغَرِيمِ . وَالْمُسْتَضَعْفِ الْحَلِيمِ .
 قَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَتِّ . قَالَ : الْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ . وَالضَّعِيفُ
 الصَّوَالُ . وَالْغَنِيُّ الْقَوَالُ . قَالَ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ . قَالَ : الْحَرِيصُ
 الْكَانِدُ وَالْمُسْتَمِيدُ الْحَاسِدُ . وَالْمُخْلَفُ الْوَاجِدُ . قَالَ : مَنْ أَجْدَرُ النَّاسِ
 بِالصَّنِيعَةِ . قَالَ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ . وَإِذَا مُنِعَ عَذَرَ . وَإِذَا مُطِلَّ
 صَبَرَ . وَإِذَا قَدِمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . قَالَ : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عِشْرَةً . قَالَ : مَنْ
 إِذَا قَرُبَ مَنَعَ . وَإِذَا ظَلِمَ صَفَحَ . وَإِنْ ضَوِيقَ سَمَحَ . قَالَ : مَنْ أَلَامَ
 النَّاسَ . قَالَ : مَنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ . وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ . وَإِذَا مَلَكَ كَنَعَ .
 ظَاهِرُهُ جَشَعٌ . وَبَاطِنُهُ طَبَعٌ . قَالَ : فَمَنْ أَجَلُّ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ عَفَا إِذَا
 قَدَرَ . وَأَجَلُّ إِذَا انْتَصَرَ . وَلَمْ تُطْغِهِ عِزَّةُ الظُّفْرِ . قَالَ : فَمَنْ أَحْزَمُ النَّاسِ .
 قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأَسْوَدِ بِيَدَيْهِ . وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ نُصَبَ عَيْنَيْهِ .
 وَنَبَذَ التَّهْيِبَ دُبُرَ أَذُنَيْهِ . قَالَ : فَمَنْ أَخْرَقَ النَّاسَ . قَالَ : مَنْ رَكِبَ
 الْخَطَارَ . وَاعْتَسَفَ الْعِثَارَ . وَأَسْرَعَ فِي الْبِدَارِ قَبْلَ الْإِقْتِدَارِ . قَالَ : مَنْ
 أَجْوَدُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ بَذَلَ الْجُهْدَ . وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَفْقُودِ . قَالَ : مَنْ
 أَبْلَغُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَلَّى الْمَعْنَى الْمَرْيُوزَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ . وَطَبَّقَ الْمُنْصِلَ
 قَبْلَ التَّخْزِيذِ . قَالَ : مَنْ أَنْعَمَ النَّاسُ عَيْشًا . قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ
 وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ . وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشَقَى
 النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَسَدَ عَلَى النِّعَمِ . وَسَخِطَ عَلَى الْقِسْمِ . وَأَسْتَشَرَ
 النَّدَمَ عَلَى مَا انْتَحَمَ . قَالَ : مَنْ أَغْنَى النَّاسَ . قَالَ : مَنْ أَسْتَشَرَ

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحِكْمِ

٩٣ قَالَ الْعَسْجَدِيُّ لِبَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ الْعَمِيدِ ذِي الْكُفَايَتَيْنِ :
كَيْفَ رَأَيْتَ الْوَزِيرَ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْسُ الْعُودِ ذَمِيمَ الْعُهُودِ سَيِّئِ
الظَّنِّ بِالْمُعْبُودِ . فَقَالَ الْعَسْجَدِيُّ : أَمَا رَأَيْتَ تِلْكَ الْأَبْهَةَ وَالصِّيتَ
وَالْمَوَاكِبَ وَالتَّجْمُلَ الظَّاهِرَ وَالِدَّارَ الْجَمِيلَةَ وَالْفَرْشَ السَّنِيَّ وَالْحَاشِيَةَ
الْجَمِيلَةَ . فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : الدَّوْلَةُ غَيْرُ السُّودِ . وَالسَّاطِنَةُ غَيْرُ
الْكَرَمِ . وَالْحَظُّ غَيْرُ الْمَجْدِ . أَيْنَ الزُّوَارُ وَامْتَجِعُونَ . وَأَيْنَ الْأَمَلُونَ
وَالشَّاكِرُونَ . وَأَيْنَ الْوَاصِفُونَ الصَّادِقُونَ . وَأَيْنَ الْمُنْصَرِفُونَ
الرَّاضُونَ . وَأَيْنَ الْهَبَاتُ وَأَيْنَ التَّفَضُّلَاتُ وَأَيْنَ الْحِلْعُ وَاللَّشْرِيفَاتُ .
وَأَيْنَ الْهُدَايَا وَأَيْنَ الضِّيَافَاتُ . هِيَئَاتِ هِيَئَاتِ لَا تَجِيءُ الرِّئَاسَةُ
بِالْتَرَهَاتِ . وَلَا يَحْصُلُ الشَّرَفُ بِالْخُرْعَمَلَاتِ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أَبَا جَعْفَرٍ لَيْسَ فَضْلُ الْقَتَى إِذَا رَاحَ فِي فَرْطٍ إِعْجَابِهِ
وَلَا فِي فَرَاهَةِ بَرْدُونِهِ وَلَا فِي مَلَاخَةِ أَثْوَابِهِ
وَلَكِنَّهُ فِي أَلْفَعَالِ الْجَمِيلِ وَالْكَرَمِ الْأَشْرَفِ النَّابِ

٩٤ اجْتَمَعَ عَمْرُو بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِي وَهَمَّةُ بْنُ رَافِعٍ الدَّوْسِيُّ عِنْدَ
مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ خَمِيرَ . فَقَالَ : لَا تَسْأَلَا حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُولَانِ . فَقَالَ
عَمْرُو لِهَمَّةَ : أَيْنَ نَحْبُ أَنْ تَكُونَ أَيْادِيكَ . قَالَ : عِنْدَ ذِي الرُّتْبَةِ

سَقِيَّالَهُ وَكَسَاهُ اللَّهُ نُورَ سَنَاءٍ مِنْ سُنْدُسٍ بِيَدِ الْغُرَّانِ مُنْسَجٍ
 ٩١ وَقَالَ أَيضًا يَرْثِي الْحُجَّازِيَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْخَزَرَجِيَّ :

لَهْفَ قَلْبِي عَلَى أَقْوَالِ الشَّهَابِ ثُخْفَةَ الْقَوْمِ زُهَّةِ الْأَصْحَابِ
 كَانَ فِي مَطْلَعِ الْبَلَاغَةِ يَسْرِي فَتَوَارَى مِنْ الثَّرَى بِحِجَابِ
 فَقَدَتْ بِهِ أَيَّامِي الْمَعَانِي وَتَيَّامَى جَوَاهِرِ الْأَدَابِ
 هَطَلَتْ أَدْمَعُ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَقَلِيلٌ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ
 وَذَوُّ الْجَمْعِ أَصْبَحُوا حِينَ وَلَّى كُلُّهُمْ جَامِعًا بِلَا مِخْرَابِ
 يَا شَهَابًا طُلُوعُهُ فِي سَمَا الْفَضْلِ وَلَكِنْ أَقْوَلُهُ فِي التُّرَابِ
 لَكَ فِيمَا أَلْفَتْ تَذَكُّرُهُ مِنْ مَا أُتَّقَى دَرُهُ أُولُوا الْأَلْبَابِ
 رَوْضَةٌ أُنِيعَتْ بِفَاكِهَةٍ مِنْ حُسْنِ لَفْظٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ
 فَسَقَى ثُرْبَهَا الرُّبَابُ لَتَهْتَزَّ وَتَرْبُو عَلَى سَمَاعِ الرُّبَابِ
 وَرَأَى كَسْرَهُ فَقَابَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَبْرِ يَوْمَ الْحِسَابِ
 ٩٢ قَالَ عِمَادُ الْكَاتِبِ يَرْثِي صَلَاحَ الدِّينِ :

شَمَلُ الْأُمْدَى وَالْمُلْكِ عَمَّ شَتَاتُهُ وَالْدَّهْرِ سَاءَ وَأَقْلَعَتْ حَسَنَاتُهُ
 بِاللَّهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي لِلَّهِ خَالِصَةٌ صَفَتْ نِيَّاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا يُرْجَى نَدَاهُ وَتُنَقَّى سَطَوَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي شَرَفَ الزَّمَانَ بِفَضْلِهِ وَسَمَتْ عَلَى الْفَضْلَاءِ تَشْرِيفَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْقَرْنُجُ لِبَاسِهِ ذُلًّا وَمِنْهَا أُدْرِكَتْ ثَارَاتُهُ
 أَغْلَالُ أَعْنَاقِ الْعِدَى أَسْيَافُهُ أَطَوَّقُ أَجْيَادِ الْوَرَى حَسَنَاتُهُ

٨٨ قَالَ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِي يَرْثِي أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ الْمَغْنِي :

أَقُولُ لَهُ لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ
وَيَا قَبْرَ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ حُفِرَ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ
لَقَدْ عَزَّنِي وَجَدِي عَلَيْكَ فَلَمْ يَدَعْ
وَلَا زِلْتُ تُسْقَى الْغَيْثَ مِنْ سُبُلِ الْقَطْرِ
لِقَلْبِي نَصِيبًا مِنْ عَزَاءٍ وَلَا صَبْرٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ لَيْلَةً

٨٩ وَلَمَّا مَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي رَثَاهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ الْمَوْسَوِيُّ بِقَوْلِهِ :

أَعْلَمْتُ مَنْ حُمِلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ
جَبَلُ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي الْبَحْرِ اغْتَدَى
أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي
مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعِ الْأَزْبَادِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي الثَّرَى
أَنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الْأَطْوَادِ

٩٠ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَرْثِي الْعَلَمَةَ مُحَمَّدِي الدِّينِ الْكَافِي :

بَكَتْ عَلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِي الدِّينِ كَافِي
كَانَتْ أَسَارِيرُ هَذَا الدَّهْرِ مِنْ دُرَرٍ
عُيُونُنَا بِدُمُوعٍ مِنْ دَمِ الْمُهْجِ
تُرْهِى فَبَدَّلَ ذَاكَ الدَّرُّ بِالسَّجِ

فَكَمْ نَفَى بِسَمَاحٍ مِنْ مَكَارِمِهِ
يَانُورَ عِلْمٍ أَرَاهُ الْيَوْمَ مُنْطَفِئًا
فَقَرًّا وَقَوْمَ بِالْإِعْطَاءِ مِنْ عَوَجِ
وَكَانَتْ النَّاسُ تَمُشِي مِنْهُ فِي سُرْجِ

فَلَوْ رَأَيْتَ الْفِتَاوَى وَهِيَ بَاكِئَةٌ
رَأَيْتَهَا مِنْ نَجِيعِ الدَّمْعِ فِي لُجِ
وَلَوْ سَرَتْ بِنَاءٌ عَنْهُ رِيحُ صَبَا
لَأَسْتَشْفَقُوا مِنْ شَذَاهَا أَطْيَبَ الْأَرْجِ

يَا وَحْشَةَ الْعِلْمِ مِنْ فِيهِ إِذَا اعْتَرَكَتْ
أَبْطَالُهُ فَتَوَارَتْ فِي دُجَى الرَّهْجِ
لَمْ يَلْخَفُوا شَاوِ عِلْمٍ مِنْ خَصَائِصِهِ
أَنَّى وَرِثْتَهُ فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ

قَدْ طَالَ مَا كَانَ يَقْرِينَا وَيُقَرِّبُنَا
فِي حَالَتِهِ بِوَجْهِ مِنْهُ مُبْتَهِجِ

لِلَّهِ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَارْتَهُ تِلْكَ الرِّمَالُ
بَكِي الرِّشَادُ عَلَيْهِ دَمًا وَسِرُّ الضَّلَالُ
قَدْ لَاحَ فِي الْخَيْرِ نَقْصٌ لَمَّا مَضَى وَاخْتِلَالُ
وَكَيْفَ لَمْ تَرَ نَقْصًا وَقَدْ تَوَلَّى الْكَمَالُ
عُلُومُهُ رَاسِخَاتُ تَرْوُلٍ مِنْهَا الْجِبَالُ
بِقَبْرِهِ الْعِلْمُ ثَاوٍ وَالْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ

٨٧ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ يَرْثِي يُحْيَى بْنَ مُعِينٍ:

لَقَدْ عَظُمَتْ فِي الْمُسْلِمِينَ رِزِيَّةٌ
فَمَا لَوْ إِنَّا قَدْ دَفَنَاهُ فِي الثَّرَى
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِعَيْنِي عِبْرَةً
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَظُمَ رِزْيَتِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُؤْتِي فَيْسَالُ بَعْدَهُ
لَقَدْ كَانَ يُحْيَى فِي الْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ
فَلَمَّا مَضَى مَاتَ الْحَدِيثُ بِمَوْتِهِ
وَصِرْنَا حَيَارَى بَعْدَ يُحْيَى كَأَنَّا
وَلَيْسَ بِمَنْ عَنَّا دَمْعُ سَفْحَتِهِ
لَعَمْرُكَ مَا لِلنَّاسِ فِي الْمَوْتِ حِيلَةٌ
وَلَكِنَّمَا أَبْكِي عَلَى الْعِلْمِ إِذْ مَضَى
فَمَا بَعْدَ يُحْيَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَفْزَعُ
إِلَى اللَّهِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مُمْتَعٌ

أَسَيْتُ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ مُحَمَّدٍ فَأَذْرَيْتُ دَمْعِي وَالْفُؤَادُ عَمِيدُ
وَقُلْتُ إِذَا مَا الْخَطْبُ أَشْكَلَ مِنَّا بِإِيضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ فَقِيدُ
وَأَقْلَقْنِي مَوْتُ الْكِسَاءِيِّ بَعْدَهُ وَكَادَتْ بِي الْأَرْضُ الْقَضَاءُ تَمِيدُ
وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ وَارَقَ عَيْنِي وَالْعُيُونُ هُجُودُ
هَا عَالِمَانِ أَوْدِيَا وَتَحَرَّمَا وَمَا لَهَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ
فَحَزَنِي إِنْ تَخَطَّرَ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةٌ بِذِكْرِهِمَا حَتَّى أَلْمَمْتَ جَدِيدُ
٨٤ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَرَى الْأَصْمَعِي :

أَسَيْتُ لِقَعْدِ الْأَصْمَعِيِّ لَقَدْ مَضَى حَمِيدًا لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمُ
تَقَضَّتْ بِشَاشَاتُ الْمَجَالِسِ بَعْدَهُ وَودَعْنَا إِذْ وَدَعَ الْإِنْسُ وَالْعِلْمُ
وَقَدْ كَانَ نَجْمَ الْعِلْمِ فِينَا حَيَاتُهُ فَلَمَّا أُنْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَفَلَ النُّجُومُ
٨٥ قَالَ الْمُعْتَمِدُ يَرَى أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَسَى عَرَانِي كَوَقْعِ الْأَسَلِ
عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعُ يَرَى مِنْهُ فَضْلُ الْوَجَلِ
شِهَابٌ خَبَأَ وَقَدْهُ وَعَارِضٌ غَيْثٌ أَفَلَ
شَكَتْ دَوْلَتِي فَقَدْهُ وَكَانَ يَزِينُ الدُّوَلِ

٨٦ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَرَى الْإِمَامَ كَمَالَ الدِّينِ السُّيُوطِيَّ :
مَاتَ الْكَمَالُ فَقَالُوا وَلَّى الْحُجَّى وَالْجَلَالُ
فَلْعُيُونِ بُكَاءٍ وَلِلدُّمُوعِ أَنْهَمَالُ
وَفِي فُؤَادِي حُزْنٌ وَلَوْعَةٌ لَا تَرَالُ

وَكَمْ هُمَامٍ وَكَمْ قَرَمٍ وَكَمْ مَلَكٍ
 وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْتَهِي دُولُ
 وَكَمْ عَزِيزٍ أَذَلَّتْهُ الْمُنُونُ وَمَا
 يَا عَارِفًا دَهْرُهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةً
 هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مِنْ قَبْلِهِ سَمِعْتَ
 وَهَلْ رَأَيْتَ أَنْسَاءً قَدْ عَلَوْا وَغَلَوْا
 أَوْ هَلْ نَسِيتَ لِدَوَائِلِ الْمَوْتِ أَوْ عَمِيتَ
 وَهَلْ رَعَى الْمَوْتَ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
 أَلَمَوْتُ بَابُ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ
 وَلَيْسَ فَقْدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عَالِمٍ
 وَلَيْسَ مَوْتُ الَّذِي مَاتَ لَهُ أُمَمٌ
 لِأَجْلِ ذَا طَالَ مِنَ النُّوحِ وَأُنْحَدَرَتْ
 عَلَى إِمَامٍ هُمَامٍ فَاضِلٍ فَطِنٍ
 لَهُ يَدٌ وَرَدَتْ بِحَرْهُ الْهُدَى وَرَوَتْ
 وَكَمْ لَهُ مِنْ تَأْلِيفٍ بِجَوْهَرِهَا
 ٨٣ قَالَ الْإِزِيدِيُّ بْنُ مُغِيرَةَ الْمَقْرِيُّ يَرِي الْأَكْسَاءِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ
 الْحَسَنِ وَكَانَا قَدْ خَرَجَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى خَرَّاسَانَ فَمَا تَأَنَّى الطَّرِيقُ :
 تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ خُلُودُ
 سَيْفِيكَ مَا أَفْنَى الْقُرُونُ الَّتِي خَلَتْ

تَحْتَ التُّرَابِ وَكَمْ سَهْمٍ وَكَمْ بَطْلٍ
 قَدْ صَارَ بِالْمَوْتِ مَغْرُولًا عَنِ الدُّوَلِ
 إِنْ صَدَّهَا عَنْهُ مِنْ مَالٍ وَلَا خَوْلٍ
 وَإِنْ جَهَلَتْ تَصَارِيفَ الزَّمَانِ سَلِ
 أَذْنَاكَ أَنَّ ابْنَ أَتَشَى غَيْرُ مُنْتَقِلٍ
 فِي الْفَضْلِ زَادُوا بِمَا نَالُوا عَنْ الْأَجَلِ
 عَيْنَاكَ عَنْ وَاضِعٍ نَعَشًا وَمُحْتَمِلٍ
 أَوْ هَلْ خَلَا أَحَدٌ دَهْرًا بِلَا خَلٍّ
 لَكِنَّ ذَا الْفَضْلِ مُحْمُولٌ عَلَى عَجَلٍ
 كَفَقْدٍ مَنْ لَيْسَ ذَا عِلْمٍ وَلَا عَمَلٍ
 كَمَوْتِ شَخْصٍ مِنَ الْأَوْغَادِ وَالسَّفَلِ
 مِنْهَا الدُّمُوعُ كَسِيلٍ وَأَبِلٍ هَاطِلٍ
 جَبْرِ لَيْبٍ مَلَاذٍ لِلْعُلُومِ وَبَلِي
 حَدِيثُهُ عَنْ فُنُونِ السَّادَةِ الْأَوَّلِ
 جَلَتْ وَمَا أُحْتَاجَ مَعْنَاهَا إِلَى حَالٍ
 ٨٣ قَالَ الْإِزِيدِيُّ بْنُ مُغِيرَةَ الْمَقْرِيُّ يَرِي الْأَكْسَاءِيَّ وَمُحَمَّدَ بْنَ
 الْحَسَنِ وَكَانَا قَدْ خَرَجَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى خَرَّاسَانَ فَمَا تَأَنَّى الطَّرِيقُ :
 تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ خُلُودُ
 سَيْفِيكَ مَا أَفْنَى الْقُرُونُ الَّتِي خَلَتْ

مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيَّ الْمُتَنَبِّي أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِبَكْرِ الزَّمَانِ
 كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبَرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
 كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي
 ٨٠ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيِّ مِنَ الْمُرْقُصِ فِي رِثَاءِ ابْنِ أَبِي دُوَادَ:
 وَلَيْسَ صَرِيرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصَفُ
 وَلَيْسَ فَتِيقُ الْمِسْكِ مَا تَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الشَّنَاءُ الْخُلْفُ
 وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

أَلْيَوْمَ مَاتَ نِظَامُ الْمَلِكِ وَالنَّسَنِ وَمَاتَ مَنْ كَانَ يُسْتَعْدَى عَلَى الزَّمَنِ
 وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ الْأَدَابِ وَأَحْتَجَبَتْ شَمْسُ الْمَكَارِمِ فِي غَيْمٍ مِنَ الْكُفَنِ
 ٨١ قَالَ جَرِيدُ يَرْثِي الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ هَاجَهُ الذِّكْرُ فَمَا لِدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرُ
 إِنَّ الْخُلِيفَةَ قَدْ وَارَى شِمَالَهُ غَبْرَاءُ مُلْحَوْدَةٍ فِي جَوْهَا زَوْرُ
 أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
 كَانُوا شُهُودًا فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عُمَرُ
 وَخَالِدٌ لَوْ أَرَادَ الدَّهْرُ فِدَيْتَهُ أَغْلَوْا مُخَاطَرَةً لَوْ يَنْفَعُ الْخَطَرُ
 قَدْ شَفَّنِي رَوْعَةُ الْعَبَّاسِ مِنْ فَرْعٍ لَمَّا آتَاهُ بِدِيرِ الْقَسْطَلِ الْخَبَرُ
 ٨٢ قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ يَرْثِي الْعَلَامَةَ الْعَبَّادِيَّ :

يَا طَالِبًا رَاحَةً مِنْ دَهْرِهِ عَبْشًا أَقْصَرَ فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا بِالْهَمُومِ مُلِي
 كَمْ مَنْظَرٍ رَاقٍ أَفْنَتْ جَمَالَتَهُ يَدُ الْمُنُونِ وَأَعْيَتْهُ عَنِ الْحِيلِ

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَأُنْجَابَتْ بِمَنْ فِيهَا
لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يُصَالِحُكُمْ مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى مَجَارِيهَا

رثاء مشاهير العرب

٧٧ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ الْأَسَدِيُّ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ :

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لِقَبْرِهِ سَقَّتْكَ الْغَوَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا
فِيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتِ لِلْسَّمَاحَةِ مُضْجَعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَجْرُ مُتْرَعًا
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيَّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضُفَّتْ حَتَّى تَصَدَّعًا
فَتَى عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٍ مَضَى الْجُودُ فَأَنْقَضَى وَأَصْبَحَ عَرْنَيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعًا

٧٨ قَالَ ثَابِتُ بْنُ هَارُونَ الرَّقِّيُّ النَّصْرَانِيُّ يَرِي أبا الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيَّ :

الدَّهْرُ أَخْبْتُ وَاللَّيَالِي أَنْكَدُ مِنَ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِيهَا يَا أَحْمَدُ
قَصَدْتُكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ نَفِيسَهَا بُخْلًا بِمِثْلِكَ وَالنَّفَاسُ يُقْصَدُ
ذُقْتَ الْكَرِيمَةَ بَغْتَةً وَفَقَدْتَهَا وَكَرِهَ فَقْدُكَ فِي الْوَرَى لَا يُفْقَدُ
قُلْ لِي إِنْ أَسْطَعْتَ الْخُطَابَ فَإِنِّي صَبَّ الْفُؤَادِ إِلَى خِطَابِكَ مَكْمَدُ
أَتَرَكْتَ بَعْدَكَ شَاعِرًا وَاللَّهُ لَا لَمْ يَبْقَ بَعْدُكَ فِي الْوَرَى مَنْ يُنْشَدُ
أَمَّا الْعُلُومُ فَإِنَّهَا يَا رَبِّهَا تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَدْمَعٍ لَا تَجْمَدُ

٧٩ وَرثاهُ أَيْضًا أَبُو الْقَاسِمِ الْمُظَفَّرُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَاتِبُ :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ

٧٤ كَانَ لِابْنِ عَمَّارِ ابْنُ يُقَالُ لَهُ مَعْنُ فَمَاتَ فَقَالَ يَرِثِيهِ :

يَا مَوْتُ مَا لَكَ مُوَلِّعًا بِضِرَارِي إِنِّي عَلَيْكَ وَإِنْ صَبَرْتُ لَزَارِي
تَعْدُو عَلَيَّ كَأَنِّي لَكَ وَارٍ وَأَوَّلُ مِنْكَ كَمَا يَوَّلُ فِرَارِي
نَفْسُ الْبَعِيدِ إِذَا أَرَادَ قَرِيبَهُ لَيْسَتْ بِنَاجِيَةٍ مَعَ الْأَقْدَارِ
وَالْمَرءُ سَوْفَ وَإِنْ تَطَاوَلَ عُمُرُهُ يَوْمًا يَصِيرُ لِحُفْرَةِ الْخَفَّارِ
لَمَّا عَلَا عَظْمِي بِهِ فَكَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِ بُلَيْتِهِ قَضِيبُ نُضَارِ
فَجَعَلَنِي بِأَعْزَى أَهْلِي كَالِهَمِ تَعْدُو عَلَيْهِ عِدْوَةٌ الْجَبَّارِ
هَلَّا بِنَفْسِي أَوْ بِبَعْضِ قَرَابَتِي أَوْقَعْتَ أَوْ مَا كُنْتَ بِالْخُتَّارِ
وَتَرَكْتَ رَبِّي إِلَّتِي مِنْ أَجْلِهِمَا عَفْتُ الْجِهَادَ وَصَرْتُ فِي الْأَمْصَارِ

٧٥ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ تَرَى أَبَاهَا وَأَخَوَيْهَا :

مَنْ حَسَنَ لِي الْأَخَوَيْنِ كَالْغُصْنَيْنِ أَوْ مَنْ رَاهُمَا رَاهُمَا
قَرِمَانٍ لَا يَتَّظَلَّمَانِ وَلَا يُرَامُ جَاهُمَا جَاهُمَا
وَيْلِي عَلَى أَبِيِّ وَالْقَبْرِ الَّذِي وَارَاهُمَا وَارَاهُمَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُهُولِ وَلَا فَتًى كَفَتَاهُمَا كَفَتَاهُمَا

٧٦ قَالَ أَعْرَابِي يَرِثِي أَبْنَهُ وَكَانَ وَقَعَ صَرِيحًا فِي الْحَرْبِ :

حُسَيْنٌ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِذْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُخَالِفُهَا
نَعَى النُّعَاةَ حُسَيْنًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ مَا لَتَ بِنَا الْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا
الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ كَانَا مِنْ صَنِيعَتِهِ مَا كُلُّ الْأَيَّةِ يَا قَوْمُ أَحْصِيهَا
رَوِي الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا فَنُورِدُهَا بِيضًا وَنُضْدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا

أَرَى الْبَاكِينَ فِيكَ مَعِيَ كَثِيرًا وَلَيْسَ كَمَنْ بَكَى مِنْ قَدْ تَبَاكَى
وَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَرًا بَعِيدًا مَتَى قُلْ لِي رُجُوعُكَ مِنْ نَوَاكَا
جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَنِّي جَزَاكَ
فِيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَيْنِي ثَرَاكَ
سَقَاكَ الْغَيْثُ تَهْتَانَا وَإِلَّا فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَقَاكَ
وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي يُزِفُ عَلَى النَّسِيمِ إِلَى ذَرَاكَ
٧٢ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ رِثَاءٍ فِي بَنِي أُمَيَّةَ:

بَكَيْتُ وَمَاذَا يَدُّ الْبُكَاءِ وَقَلَ الْبُكَاءُ لِقَتْلَى كَذَا
أَصِيبُوا مَعًا فَتَوَلَّوْا مَعًا كَذَلِكَ كَانُوا مَعًا فِي رَجَا
بَكَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَنَاحَتْ عَلَيْهِمْ نُجُومُ السَّمَاءِ
وَكَانُوا ضِيَاءً فَلَمَّا أَنْقَضَى زَمَانِي بِقَوْمِي تَوَلَّى الضِّيَاءُ
٧٣ وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا وَتُرْوَى هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لِلْعَبَّاسِيِّ:

أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتْلَى كَذَا وَقَتْلَى بِكُثُوفَةٍ لَمْ تَرْمَسِ
وَقَتْلَى بَوَجٍّ وَبِالْأَلَابَتَيْنِ يَثْرِبُ هُمْ خَيْرٌ مَا أَنْفُسِ
وَبِالزَّابِيَيْنِ نَفْسُ ثَوْتٍ وَآخَرَى بِنَهْرٍ أَبِي فُطْرُسِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ أَنَاخَتْ بِهِمْ نَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَعَسِ
إِذَا رَكِبُوا زَيْنُوا الرَّاكِبِينَ وَإِنْ جَلَسُوا زِينَةُ الْمَجْلِسِ
هُمْ أَضْرَعُونِي لِرَيْبِ الزَّمَانِ وَهُمْ أَصْفُوا الرِّغْمَ بِالْمُعْطَسِ
فَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ قَتْلَاهُمْ وَلَا عَاشَ بَعْدَهُمْ مَنْ نَسِي

وَعَشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا
فَتًى كَانَ أَحْيَا مِنْ فِتَاةٍ حَيَّةٍ
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ مَا لَكَ بَعْدَ مَا
فَقُلْتُ لَهَا طَوْلُ الْأِسَاءَةِ سَاءَ نِي
٧١ قَالَ زُهَيْرٌ يَرِي بَعْضَ مَنْ يَعْرِضُ عَلَيْهِ :

أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْرًا طَوِيلًا
عَهْدُكَ لَا تُطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي
فَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ تِلْكَ السَّجَايَا
فَلَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتَ غَدْرًا
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَابْتِغَاءً
فَيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي
وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضَعْفِ حَالِي
يَعْرِضُ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي
خَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي
لَقَدْ عَجَلْتُ عَلَيْكَ يَدُ الْمُنَايَا
فَوَا أَسْفِي لِحَسَمِكَ كَيْفَ يَبْلَى
وَمَا لِي أَدْعِي أَنِّي وَفِي
تَمُوتُ وَمَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنًا
وَيَا حَجَلِي إِذَا قَالُوا مُحِبُّ

وَمَا عَوَدْتَنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَ
وَتَعْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ
وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي ثَنَاكَ
فَكُلُّ النَّاسِ يَغْدُرُ مَا خَلَاكَ
دَهَاكَ مِنَ الْمُنِيَّةِ مَا دَهَاكَ
وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوحِي أَنْفِكَ آكَ
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِدَاكَ
أَفْتَشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
وَلَيْسَ يَزَالُ مَخْتُومًا هُنَاكَ
وَمَا أُسْتَوْفِيَتْ حَظُّكَ مِنْ صَبَاكَ
وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكَ
وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بِلَاكَ
وَحَقَّ هَوَاكَ خُنْتُكَ فِي هَوَاكَ
وَلَمْ أَنْفَعَكَ فِي خَطْبٍ أَتَاكَ

تَبْكِي خُنَاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا
لَا بَدَّ مِنْ مَيِّتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرُ
يَا صَخْرُ وَاِرِدَ مَاءٌ قَدْ تَوَارَدَهُ
وَإِنَّ صَخْرًا لِحَامِينَا وَسَيِّدُنَا
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهَدَاةُ بِهِ
لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَنْفُذْ شَيْئَتَهُ
طَلَقُ الْيَدَيْنِ بِفَعْلٍ اخْيَرِ مُعْتَمِدُ
٦٩ وَقَالَتْ أَيْضًا :

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ
٧٠ قَالَ الْمُتَمِّمُ يَرِثِي أَخَاهُ مَا لَكَ :

أَعْيَنِي جُودِي بِالْذُّمِّوعِ لِمَالِكٍ
فَتَى كَانَ مِقْدَامًا إِلَى الرُّوْعِ رَكْضُهُ
أَبَى الصَّبْرِ آيَاتُ أَرَاهَا وَإِنِّي
وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِأَسْمِكَ لَا تُجِبُ
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
إِذَا ذَرَبَ الرِّيحُ الْكَثِيفَ الْمُرْبَعَا
سَرِيعًا إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْرَعَا
أَرَى كُلَّ حَبَلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَتُسَمِعَا
ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا
فَقَدْ بَانَ مُحَمَّدًا أَخِي يَوْمَ وَدَعَا

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلَوْمَهَا
أَمَا تَعْلَمِينَ أَخْبَرَ أَنَّ لَسْتُ لَاقِيًا
فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ
فَتَى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِي الْحَرْبِ حَقَّهُ
وَسَخَى بِنَفْسِي أَنِّي سَوْفَ أَعْتَدِي
وَقَالَ أَيضًا فِيهِ : ٦٧

تَطَاوَلَ لِي لَمْ أَمْنُهُ تَقَلُّبًا
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا
فَتَى إِنْ هُوَ أَسْتَغْنَى يُخْرِقُ فِي الْغَنَى
فَلَيْتَكَ كُنْتَ الْحَيَّ فِي النَّاسِ بَاقِيًا
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّئِءِ بِمَالِهِ
كَأَنَّ لَمْ يُصَاحِبْنَا بَرِيدٌ بِغِبْطَةٍ
وَلَمَّا نَعَى النَّاعِي بَرِيدًا تَعَوَّلَتْ
عَسَاكِرُ تَفْشَى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنِّي
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي بَرِيدٍ مُصِيبَتِي
قَالَتْ الْخُنَسَاءُ تَرَى أَخَاهَا صَحْرًا : ٦٨

قَدَى بَعْنِكَ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ
أَمْ أَقْفَرْتُ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
فِيضُ يَسِيلُ عَلَى الْخُدَيْنِ مِدْرَارُ

أَيْنَ الْأَلَى بِالْأَمْسِ كَانُوا جِيرَةً أَمْسُوا دَفِينِ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
مَاتُوا وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ بِحِيلَةٍ لَأَحَدْتُ صَرْفَ أَلْمُوتِ عَنْ أَحِبَائِي
مَا حِيلَتِي إِلَّا الْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ إِنَّ الْبُكَاءَ سِلَاحُ كُلِّ مُصَابٍ
٦٤ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ يَرِثِي أَخَاهُ عَمْرًا :

أَلَا نَوَهَ الدَّاعِي بَلِيلٍ فَأَسْمَعَا بِمُخْرَقِ كَرِيمٍ كَانَ فِي النَّاسِ أَرْوَعَا
مَضَى صَاحِبِي وَأَسْتَقْبَلَ الدَّهْرُ صَرْعَتِي وَلَا بَدَّ أَنْ أَلْقَى حِمَامِي فَأَصْرَعَا
كَأَنَّ لَمْ نَكُنْ يَا عَمْرُو فِي دَارِ غِبْطَةٍ جَمِيعًا وَلَمْ نَشْرَعْ إِلَى مَوْعِدٍ مَعَا
دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تَرِيدُكَ لَمْ نَسْطِيعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعَا
فَلَمْ يَبَلْ ذِكْرُ مِنْكَ كُنْتَ تُجِدُهُ جَمِيلٌ وَلَكِنَّ الْبَلِيلَ فِيكَ أَسْرَعَا
وَمَا دَنَسَ الثُّوبُ الَّذِي زَوَّدُوكَهُ وَإِنْ خَانَهُ رَبُّ الْبَلِيلِ فَتَقَطَّعَا
وَطَابَ ثَرَى أَصْبَحَتْ فِيهِ وَإِنَّمَا يَطِيبُ إِذَا كَانَ الثَّرَى لَكَ مَضْجَعَا
٦٥ أُنْشِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عُلْقَمَةَ يَرِثِي أَخَاهُ شَرِيكًا :

لَقَدْ وَارَى الْقُبُورَ مِنْ شَرِيكِ كَثِيرٍ تَكْرُمٍ وَقَلِيلَ عَابِ
بِهِ كُنَّا نَصُولُ عَلَى الْأَعَادِي وَنَدْفَعُ مِرَّةَ الْقَوْمِ الْغَضَابِ
صُمُوتٌ فِي الْجُلَاسِ غَيْرُ عِيٍّ جَدِيرٌ حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوَابِ
كَرِيمُ الْخُلُقِ لَا طَبِيعُ غَبِينٍ وَلَا فَحَاشَةٌ زَرْقُ السَّبَابِ
كَرِيمُ مَوَاطِنِ الْأَحْسَابِ عَفُؤٌ إِذَا الضَّيَالُ مَالٌ بِهِ التَّصَايِي
دَلُوفٌ بِالْقَرَى وَاللَّيْلُ قَرُؤٌ إِلَى الْمُتَسَيِّمِينَ ذُرَى الرِّكَابِ
٦٦ وَقَالَ الْأَبَرْدُ الْيَرْبُوعِيُّ يَرِثِي أَخَاهُ بَرِيدًا :

عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا صَدَحَتْ عَلَى غُصُونِ أَرَاكِ الدَّوْحَ وَرَقَاهَا
٦٢ قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِي يُرِثِي جَابِرَ بْنَ نَاصِرٍ الدِّينِ :

الْفَكْرُ فِيكَ مُقَصَّرُ الْأَمَالِ وَالْحِرْصُ بَعْدَكَ غَايَةُ الْجُمَالِ
لَوْ كَانَ يَخُذُ بِالْقَضَائِلِ فَاضِلٌ وَصَلَتْ لَكَ الْأَجَالُ بِالْأَجَالِ
لَوْ كُنْتَ تُفْدِي لَأَفْتَدَيْتَكَ سِرَاتُنَا بِنَفَائِسِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ
أَوْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْكَ بَأْسُ أَقْبَلَتْ صَرَعًا تَكْدَسُ بِالْقَنَا الْعَسَالِ
أَعَزَّ عَلَى سَادَاتِ قَوْمِكَ أَنْ تَرَى فَوْقَ الْفِرَاشِ مُقَلَّبَ الْأَوْصَالِ
وَأَسْمَرُ عِنْدَكَ لَمْ تَرَقَّ صُدُورُهَا وَالْحَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى الْأَطْلَالِ
وَالسَّابِغَاتُ مَصُونَةٌ لَمْ تُبْتَذَلْ وَالْيَيْضُ سَالِمَةٌ مَعَ الْأَبْطَالِ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَمْ يَنْهَاهَا حِرْصُ الْحَرِيسِ وَحِيلَةُ الْمُحْتَالِ
مَا لِلْخُطُوبِ وَمَا لِأَحْدَاثِ النَّوَى أَعْجَلْنَ جَابِرَ غَايَةَ الْإِعْجَالِ
لَمَّا تَسَرَّبَلْ بِالْقَضَائِلِ وَأُرْتَدَى بُرْدَ الْعُلَى وَأَعْتَمَّ بِالْإِقْبَالِ
وَتَشَاهَدَتْ صَيْدُ الْمُلُوكِ لِفَضْلِهِ وَآرَى الْمَكَارِمَ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ
أَبَا الْمَرْجِي غَيْرُ حُزْنِي دَارِسُ أَبَدًا عَلَيْكَ وَغَيْرُ قَلْبِي سَالٍ
وَلَنْ هَمَاكَتَ فَمَا الْوَفَاءُ بِهَا لِكَ وَلَنْ بُلِيَتْ فَمَا الْوَدَادُ بِهَا لٍ
لَا زِلَتْ مَعْدُوقُ الثَّرَى مَطْرُوقُهُ بِسَحَابَةٍ فَجْرُورَةٍ الْأَذْيَالِ
وَحُجِبْنَ عَنْكَ السَّيَّاتُ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ
٦٣ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ مُعَبِّدٍ تَرِثِي خَالِدَ بْنَ نَضْلَةَ :

أُمِّمِ هِيَّاتِ الصِّبَا ذَهَبَ الصِّبَا وَأَطَارَ عَنِّي الْحِلْمَ جَهْلُ غُرَابِي

رُبُوعُ فَضْلٍ يُضَاهِي التَّيْرَ تُرْبَتَهَا
 عَدَا عَلَى جِيْرَةٍ حَلُّوا بِسَاحَتِهَا
 بِدُورٍ تَمَّ غَمَامُ الْمَوْتِ جَلَّلَهَا
 فَالْمَجْدُ يَبْكِي عَلَيْهَا جَارِعًا أَسِفًا
 يَا حَبْدَا أَرْمَنْ فِي ظِلِّهِمْ سَلَفَتْ
 أَوْقَاتُ أَنْسٍ قَضَيْنَاهَا فَمَا ذُكِرَتْ
 يَا سَادَةَ هَجَرُوا وَاسْتَوَطَنُوا هَجَرًا
 رَعِيًّا لِلَّيَالِ وَصَلِ بِالْحِمَى سَلَفَتْ
 لِفَقْدِكُمْ شُقَّ جِيبُ الْمَجْدِ وَأَنْصَدَعَتْ
 وَخَرَّ مِنْ شَاخَاتِ الْعِلْمِ أَرْفَعُهَا
 يَا ثَاوِيَا بِالْعُلَى مِنْ قَرَى هَجَرٍ
 أَقَمْتُ يَا تَجَرُّ بِالْبَجَرَيْنِ فَاجْتَمَعَتْ
 ثَلَاثُهُ أَنْتَ أَسَدَاهَا وَأَغْزَرُهَا
 حَوَيْتَ مِنْ دُرَرِ الْحُلَيَاءِ مَا حَوَا
 يَا أَخْصَا وَطِئْتَ هَامَ الشَّهَى شَرَفًا
 وَيَا ضَرِيحًا عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَا
 فِيكَ أَنْطَوَى مِنْ شُمُوسِ الْفَضْلِ آخِرُهَا
 وَمِنْ شَوَافِحِ أَطْوَادِ الْفُسُوقِ أَرُ
 فَاسْتَجِبْ عَلَى الْفَلَاحِ الْعُلَوِيِّ ذِيْلَ عَلَا

وَدَارُ أَنْسٍ يُحَاكِي الدَّرَّ حَضَبَاهَا
 صَرَفُ الزَّمَانِ فَأَبْلَاهُمْ وَأَبْلَاهَا
 شُمُوسُ فَضْلٍ سَحَابُ التُّرْبِ غَشَاهَا
 وَالْدِّينُ يَنْدُبُهَا وَالْفَضْلُ يَنْعَاهَا
 مَا كَانَ أَقْصَرَهَا عُمْرًا وَأَحْلَاهَا
 إِلَّا وَقَطَعَ وَلَبَّ الصَّبِّ ذِكْرَاهَا
 وَهِيَ لِقَلْبِ الْمَعْنَى بَعْدَكُمْ وَهِيَ
 سَقِيًّا لِأَيَّامِنَا بِالْخَيْفِ سَقِيَاهَا
 أَرْكَانُهُ وَبِكُمْ مَا كَانَ أَفْوَاهَا
 وَأَنْهَدَتْ مِنْ بَاذِخَاتِ الْحِلْمِ أَرْسَاهَا
 كُسَيْتَ مِنْ حُلْلِ الرُّضْوَانِ أَرْضَاهَا
 ثَلَاثُهُ كُنَّ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهَا
 جُودًا وَأَعْذَبُهَا طَعْمًا وَأَحْلَاهَا
 لَكِنَّ دَرَكَ أَعْلَاهَا وَأَغْلَاهَا
 سَقَاكِ مِنْ دِيْمِ الْوَسْمِيِّ أَسْمَاهَا
 عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ أَزْكَاهَا
 وَمِنْ مَعَالِمِ دِيْنِ اللَّهِ أَسْنَاهَا
 سَاهَا وَارْفَعُهَا قَدْرًا وَأَنْهَاهَا
 فَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْعُلَيَاءِ أَعْلَاهَا

٦٠ وَقَالَ أَيْضًا يَرِيْهِ :

يَا حُفْرَةَ ضَمَّتْ مُحَاسِنَ مَالِكٍ
لَهْفِي عَلَى الْبَطْلِ الْمُعْرِضِ خَدَهُ
خَرَقَ الْكُتَيْبَةَ مُعَلِّمًا مُتَّكِبًا
ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُ
هَدَمَ الشُّرَاةُ غَدَاةَ مَضْرَعِ مَالِكٍ
قَتَلُوا فَتَى الْعَرَبِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ
حَرْمُوا مَعَدًّا مَا لَدَيْهِ وَأَوْقَعُوا
تَرْكُوهُ فِي رَهْجِ الْعِجَاجِ كَأَنَّهُ
هَوَتْ الْجُدُودُ عَنِ السُّعُودِ لِفَقْدِهِ
لَا يُبْعِدَنَّ أَخُو خُرَاعَةَ إِذْ تَوَى
عَزَّ الْعَوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمَّةٌ
وَبَكَاهُ مُصْحَفُهُ وَصَدْرُ حُسَامِهِ
وَعَدَتْ تُعْقِرُ خَيْلُهُ وَتَقْسِمَتْ
أَفْتَحْمَدُ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ بَيْنَ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَرِيْهِ وَالِدَهُ :

٦١ وَرَوَّ مِنْ جُرْعِ الْأَجْفَانِ رِيَّاهَا
وَرَوَّحَ الرُّوحَ مِنْ أَرْوَاحِ أَرْجَاهَا
فَلَا يَفُوتُكَ مِنَ الْأَطْلَالِ مَخْبَرُهَا
وَرِيَّاهَا

سَقَى جَدًّا أَمْسَى الْكَرِيمُ ابْنَ صَالِحٍ
 إِذَا بَشَّرَ الرُّوَادَ بِالْغَيْثِ بَرَقَهُ
 فَعَادَرَ بَاقِيَ الدَّهْرِ تَأْثِيرُ صَوْبِهِ
 ٥٩ قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ يَرِثِي
 الشَّرَافَةَ لِقَاتِلِهِمْ فَأَصِيبَ بَسْمِهِ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِالْدمُوعِ السَّجَامِ
 عَلَى فِتَى الدُّنْيَا وَصَنَدِيدِهَا
 لَا تَذْخِرِي الدَّمْعَ عَلَى هَالِكٍ
 طَابَ ثَرَى حُلْوَانٍ إِذْ ضُمَّتْ
 أَغْلَقَتْ الْخَيْرَاتُ أَبْوَابَهَا
 وَأَصْبَحَتْ خَيْلُكَ بَعْدَ الْوَجَى
 إِرْحَلْ بِنَا نَقْرُبْ إِلَى مَالِكٍ
 كَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي كَفِّهِ
 وَكَانَ فِي الصُّبْحِ كَشْفِ الشَّمْسِ الضُّحَى
 وَسَائِلُ يَحْجُبُ مِنْ مَوْتِهِ
 قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُعْلَمًا
 وَالْحَرْبُ مَنْ طَارَ لَهَا لَمْ يَكْدُ
 لَمْ يَنْظُرِ الدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا
 أَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا فَقَدَهُ

عَلَى الْأَمِيرِ الْيَمِينِيِّ أَلْهَمَامُ
 وَفَارِسِ الدِّينِ وَسَيْفِ الْأَمَامِ
 أَيْتَمَ إِذْ أَوْدَى جَمِيعُ الْأَنَامِ
 عِظَامُهُ سَقِيًّا لَهَا مِنْ عِظَامِ
 وَأُمْتَنَعَتْ بَعْدَكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ
 وَالْقَرَّ تَشْكُو مِنْكَ طُولَ الْحِمَامِ
 كَيْمَا نُحْيِي قَبْرَهُ بِالسَّلَامِ
 غَنَى عَنِ الْبَحْرِ وَصَوْبِ الْغَمَامِ
 وَكَانَ فِي اللَّيْلِ كَبْدَرِ الظَّلَامِ
 وَقَدْ رَأَاهُ وَهُوَ صَعْبُ الْمَرَامِ
 يَضْرِبُهُمْ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الْقَتَامِ
 يُفَلِتُ مِنْ وَقَعِ صَقِيلِ الْحَسَامِ
 عَلَى رَيْعِ النَّاسِ فِي كُلِّ عَامِ
 مَا هَيَّجَ الشُّجُو دُعَاءُ الْحَمَامِ

وَمَا أَلْبِرُ إِلَّا مُضْمَرَاتُ مِنَ التُّقَى
 أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَأَيْتُ مَنِيَّتِي
 أَخْبَرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
 فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السِّيفِ أَخْلَقَ جَفَنَهُ
 فَلَا تُبْعِدُنْ إِنْ أَلْمَنِيَّةَ مَوْعِدُ
 أَعَاذِلْ مَا يُدْرِيكَ إِلَّا تَظَنِّيَا
 أَتَجَزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِالْفَتَى
 لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الصَّوَارِبُ بِالْحَصَى
 ٥٨ لَمَّا تُوَفِّي مُحَمَّدٌ بْنُ صَالِحٍ قَالَ

بِأَيِّ يَدٍ أَسْطُو عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ مَا
 وَهَاضَ جَنَاحِي حَدِثُ جَلَّ خَطْبُهُ
 وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ أَنْ صُرُوفَهَا
 لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَ التَّجَادُّ أَنَّنَا
 فَمَا أَعْرِفُ إِلَّا يَوْمَ إِلَّا ذَمِيمَةً
 وَلَا لِي مِنْ الْأَخْوَانِ إِلَّا مُكَاشِرُ
 فَقَدْتُ فُتًى قَدْ كَانَ لِلْأَرْضِ زِينَةً
 لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الرَّدَى بِكَ فَاتَنِي
 لَقَدْ أَخَذْتُ مِنِّي التَّوَائِبُ حُكْمَهَا
 وَلَا تَرَكَتَنِي أَرْهَبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
 وَمَا أُلْمَالُ إِلَّا عَارِيَاتُ وَدَائِعُ
 لَزُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
 ادْبُ كَأَنِّي كَلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ
 تَقَادُمُ عَهْدِ الْقَيْنِ وَالنَّصْلُ قَاطِعُ
 عَلَيْنَا قَدَانُ لِلطَّلُوعِ وَطَالِعُ
 إِذَا رَحَلَ الْفَتَيَانُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ
 وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ الْقَوَارِعُ
 وَلَا زَا جَرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ
 سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ يَرِثِيهِ :

أَبَانَ يَدَيَّ عَضْبُ الدُّبَابَيْنِ قَاضِبُ
 وَسَدَّتْ عَنْ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ الْمَذَاهِبُ
 إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبُ
 فَهَذَا نَاكَ فَقَدْ أَلْغَيْتُ وَالْعَامُ جَادِبُ
 وَلَا الدَّهْرَ إِلَّا وَهُوَ بِالنَّارِ طَالِبُ
 فَوَجَّهُ لَهُ رَاضٍ وَوَجَّهُ مُغَاضِبُ
 كَمَا زَيْنَتْ وَجْهَ السَّمَاءِ الْكَوَاكِبُ
 وَكُلُّ أُمْرٍ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ ذَاهِبُ
 فَمَا تَرَكَتُ حَقًّا عَلَى النَّوَابِ
 لَقَدْ كَلَّ عَنِّي نَابُهُ وَالْخَابُ

يَقُولُونَ أَحْتَسِبُ حَكَمًا وَرَأُوحًا
وَقَبْلَ فِرَاقِهِ أَتَيْتُ أَتِي
أَخِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي
فَقَدْ أَفْنَى الْبُكَاءِ عَلَيْهِ دَمْعِي
مَضَى سَبِيلِهِ لَمْ يُعْطِ ضَمِيمًا
فَتَلْنَا عَنْهُ قَاتِلَهُ وَكُنَّا
قَتِيلًا لَيْسَ مِثْلَ أَخِي إِذَا مَا
وَكُنْتَ سِنَانِ رُحْيٍ مِنْ قَتَائِي
وَكُنْتَ بَنَانِ كَفِّي مِنْ يَمِينِي
وَكَانَ يَهَابُكَ الْأَعْدَاءُ فِينَا
فَقَدْ أَبَدُوا ضَعَائِهِمْ وَشَدُّوا
فِدَاكَ أَخِي نَبَا عَنْهُ غِنَاهُ

٥٧ وَمِنْ رَقِيقٍ مَرَّاثِي لَيْدِي :

وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
فَمَارَقَنِي جَارُ بَارِبَةٍ نَافِعُ
فَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا لَهُ الدَّهْرُ فَاجِعُ
بِهَا يَوْمَ خَلَّوْهَا وَتَعْدُو بِلَاقِعُ
كَمَا ضَمَّ أَحَدَى الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ
يَجُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

بَابِي وَأَمِّي هَالِكًا أَفْرِدْتُهُ
سُودُ الْمَقَابِرِ أَصْبَحَتْ بِيضًا بِهِ
لَمْ تُرْزَهُ لَمَّا رُزِينَا وَحَدَهُ
لَكِنْ رُزِينَا الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ
وَأَبْنُ الْمُبَارَكِ فِي الرِّقَاقِ مَعْمَرًا
وَالْأَخْفَشِينَ فَصَاحَةً وَبَلَاغَةً
كَانَ الْوَصِيَّ إِذَا أَرَدْتَ وَصِيَّةً
وَلَى حَفِظًا فِي الْأَزْمَةِ حَافِظًا
مَا كَانَ مِثْلِي فِي الرِّزْيَةِ وَالِدًا
حَتَّى إِذَا بَدَأَ السَّوَابِقَ فِي الْعُلَى
يَا مَنْ يُفِيدُ مِنَ الْبُكَاءِ مُوَلِّيًا
تَأْتِي الْقُلُوبُ الْمُسْتَكْنَةَ لِلْأَسَى
إِنَّ الَّذِي بَادَ السُّرُورُ بِمَوْتِهِ
الآنَ لَمَّا أَنْ حَوِيَتْ مَأْثَرًا
وَرَأَيْتُ فَيْكَ مِنَ الصَّلَاحِ شَمَانًا
أَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ أَطْرَبَتْ
لَوْلَا الْحَيَا أَنِّي أَزْنُ بِبِدْعَةٍ
لَجَعْتُ يَوْمِي فِي الْمَلَاخَةِ مَأْتَمًا
٥٦ قَالَ الشَّمْرَدَلُ يَرَى أَخَاهُ :

قَدْ كَانَ فِي كُلِّ الْعُلُومِ فَرِيدًا
وَعَدَتْ لَهُ بَيْضُ الضَّمَاكِ سُودًا
وَإِنْ اسْتَقَلَّ بِهِ الْمُنُونُ وَحِيدًا
فِي فَضْلِهِ وَالْأَسُودَ بْنَ يَزِيدًا
وَأَبْنُ الْمُسَيْبِ فِي الْحَدِيثِ سَعِيدًا
وَالْأَعَشِينَ رَوَايَةً وَنَشِيدًا
وَالْمُسْتَفَادَ إِذَا طَلَبْتَ مُفِيدًا
وَمَضَى وَدُودًا فِي الْوَرَى مُودِدًا
ظَهَرَتْ يَدَاهُ بِمِثْلِهِ مَوْلُودًا
وَالْعَالَمَ ضَمِنَ شِلْوَهُ مَلْحُودًا
مَا كَانَ يَسْمَعُ فِي الْبُكَاءِ تَفْنِيدًا
مِنْ أَنْ تَكُونَ حِجَارَةً وَحَدِيدًا
مَا كَانَ خُزْنِي بَعْدَهُ لَيْبِيدًا
أَعَيْتَ عَدُوًّا فِي الْوَرَى وَحَسُودًا
وَمِنْ السَّمَاكِ دَلَالًا وَشُهُودًا
وَجَهَ الصَّبَاحِ وَغَرَّدَتْ تَغْرِيدًا
مِمَّا يُعَدِّدُهُ الْوَرَى تَعْدِيدًا
وَجَعَلْتُ يَوْمَكَ فِي الْمَوْلِدِ عِيدًا

أَمْرٌ عَلَى الْجَدَثِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ
 أَتَى حَلَّتْ وَكُنْتُ جِدَّ فَرْوَقَةٍ
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ
 فَلَقَدْ تَرَكْتُ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً
 فَقَدْتُ شَمَائِلَ مِنْ لَزَامِكَ حُلُوةً
 وَإِذَا سَمِعْتُ أُنِينَهَا فِي أَيْلِهَا
 ٥٤ وَقَالَ أَعْرَابِي يَرِثِي بَنِيهِ :

أَسْكَنْ بَطْنَ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفَدَا
 فَيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ
 وَقَاتَمَنِي دَهْرِي بَنِي مُشَاطِرًا
 فَصَارُوا دُيُونًا لِلْمَنِيَا وَلَمْ يَكُنْ
 كَانَهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرُهُمْ
 وَقَدْ كُنْتُ حَيَّ الْخَوْفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ
 فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا حَوَى
 رَأَى ذُو الْوِزَارَتَيْنِ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَجُلًا مَاتَ مُجْدُومًا :

مَاتَ مَنْ كُنَّا نَرَاهُ أَبَدًا
 سَأَلِمُ الْعَقْلَ سَقِيمَ الْجَسَدِ
 كَانَ مِثْلَ السِّيفِ إِلَّا أَنَّهُ
 حَسِدَ الدَّهْرِ عَلَيْهِ فَصَدِي

٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرِثِي وَلَدًا لَهُ :

قَصَدَ الْمُنُونُ لَهُ فَمَاتَ فَقِيدًا
 وَمَضَى عَلَى صَرْفِ الْخُطُوبِ حَمِيدًا

إِنْ كَانَ دَهْرُ فَيْكَ جَدًّا لَنَا حَدَّثْنَا بِهِ وَهَنْتُ قَوَى الصَّبْرِ
فَلَكُمْ يَدٍ أَسَدَتَهَا وَيَدٍ كَانَتْ تَرُدُّ جَرَارَ الدَّهْرِ
ثُمَّ انْصَرَفَتْ . فَقَالَ النَّاسُ : مَا سَمِعْنَا كَلَامَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَلْبَغَ وَلَا
أَصْدَقَ مِنْهُ . فَسُئِلَ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ امْرَأَتُهُ (زهر الآداب للقيرواني)
٥١ قَالَ أَبُو حَبَالٍ الْبَرَاءُ بْنُ رَبِيعٍ الْفُقَيْسِيُّ يَرِثِي إِخْوَتَهُ :

أَبَعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجَى حَيَاةً أَمْ مِنْ الْمَوْتِ أَجْزَعُ
ثَمَانِيَةَ كَانُوا ذُؤَابَةً قَوْمِهِمْ بِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ
أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزْنَتُهُمْ وَمَا الْكَفُّ إِلَّا إَصْبَعٌ ثُمَّ إَصْبَعُ
لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْحَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لَمُتَّعٌ
وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَارِي فَقَدَانُهُ لَمُتَّعٌ
٥٢ وَقَالَ أَشْجَعُ بْنُ عُمَرَ السَّامِيُّ فِي ابْنِ سَعِيدٍ :

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ
فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّخَاصِخُ
سَابِكِيكَ مَا قَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَقَضَّ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تَجُنُّ الْجَوَانِحُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعُ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَيُّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النُّوَائِحُ
لَنْ حَسُنْتَ فَيْكَ الْمَرَاثِي وَذِكْرُهَا لَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلِ فَيْكَ الْمَدَائِحُ
٥٣ وَقَالَ مُوَيْلِكُ الْمَرْمُومُ يَرِثِي امْرَأَتَهُ أُمَّ الْعَلَاءِ :

أَسَأَلَكَ لَهُ الرِّضَا بِرِضَائِي عَنْهُ. ثُمَّ قَالَتْ: أَسْتَوْدَعُكَ مِنْ أَسْتَوْدَعُنِيكَ
 فِي أَحْشَائِي جَنِينًا. وَأَكُلُ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةِ قُلُوبِهِنَّ وَأَقْلَقَ
 مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَى أَنْسِهِنَّ وَأَشَدَّ
 وَحْشَتِهِنَّ. وَأَبْعَدُهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ. فَلَمْ تَرَلْ
 تَقُولُ هَذَا وَتَحْوَهُ حَتَّى أَبْكْتَ كُلَّ مَنْ سَمِعَهَا. وَحَدَّثَ اللَّهُ وَصَلَتْ
 رَكَعَاتٍ عِنْدَ قَبْرِهِ وَأَنْطَلَقَتْ

الاحنف بن قيس والرائية

هـ. لَمَّا دُفِنَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْكُوفَةِ قَامَتِ أُمْرَأَةٌ عَلَى قَبْرِهِ
 فَقَالَتْ: لِلَّهِ دَرُكٌ مِنْ مُجَنٍّ فِي جَنٍّ وَمُدْرَجٍ فِي كَفَنٍ. نَسَأَلُ الَّذِي
 فَجَعَلَا بِمَوْتِكَ. وَأَبْتَلَانَا بِفَقْدِكَ. أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ. وَدَلِيلَ
 الرُّشْدِ دَلِيلَكَ. وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ. وَيَغْفِرَ لَكَ فِي حَشْرِكَ.
 فَلَقَدْ كُنْتُ فِي الْمَحَافِلِ شَرِيفًا. وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا. وَلَقَدْ كُنْتُ فِي
 الْحَيِّ مُسَوِّدًا. وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوقِّدًا. وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَمِعِينَ.
 وَلَرَأَيْكَ مُتَّبِعِينَ. وَأَنْتَ أَهْلُ الْحُسْنِ الشُّنَاءِ وَطِيبِ الْبَقَاءِ. أَمَا وَالَّذِي
 كُنْتُ مِنْ أَجَلِهِ فِي عِدَّةٍ. وَمِنْ أَحْيَاءٍ إِلَى مُدَّةٍ. وَمِنْ الْمِقْدَارِ إِلَى
 غَايَةٍ. وَمِنْ الْأَثَارِ إِلَى نِهَايَةٍ. الَّذِي رَفَعَ عَمَّاكَ لَمَّا قَضَى أَجَلَكَ. لَقَدْ
 عِشْتَ حَمِيدًا مَوْدُودًا. وَمِتَّ سَعِيدًا مَفْقُودًا. ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ:

لِلَّهِ دَرُكٌ يَا أَبَا بَجَرٍ مَاذَا تَعِيبَ مِنْكَ فِي الْقَبْرِ
 لِلَّهِ دَرُكٌ أَيَّ حَشْوٍ تَرَى أَصْبَحْتَ مِنْ عُرْفٍ وَمِنْ نُكْرٍ

الْبَابُ الثَّالِثُ فِي الْمَرَاثِي

رثاء اعرابية لابنها

٤٩ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : حَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأُصِيبَتْ بِهِ . فَلَمَّا
دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ مُوجَعَةٌ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ
رَضِيْعًا . وَفَقَدْتُكَ سَرِيْعًا . وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مُدَّةٌ أَلْتَدُ
بِعَيْشِكَ فِيهَا . فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالْغَضَارَةِ وَرَوْنَقِ الْحَيَاةِ
وَالْتَنَسَمِ فِي طِيبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرُفَاتًا
سَحِيْقًا وَصَعِيْدًا جُرْزًا . أَيُّ بُنَيَّ قَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ
وَأَسَكَّتَكَ دَارَ الْإِلَهِ . وَرَمَتْني بَعْدَكَ نَكْبَةٌ الرَّدَى . أَيُّ بُنَيَّ لَقَدْ
أَسْفَرَنِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظَالِمُهُ . (ثُمَّ قَالَتْ) : أَيُّ رَبِّ وَمَنْكَ
الْعَدْلُ وَمَنْ خَلَقَ الْجُورَ . وَهَبْتُهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ قَامَ مُتَمَعِّي بِهِ كَثِيرًا
بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكًا . ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَّقْتُ
وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ . فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَيَّ مَنْ أَسْتَوْدَعْتُهُ
الرَّدَمَ وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى . اللَّهُمَّ أَرْحَمْ غُرْبَتَهُ وَأَنْسُ وَحْشَتَهُ وَأَسْتُرْ
سَوَاءَهُ يَوْمَ تَنْكَشِفُ السُّوْءَاتُ . (فَلَمَّا أَرَادَتْ الرُّجُوعَ إِلَى
أَهْلِهَا وَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَتْ) : أَيُّ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَرَوَدْتُ لِإِسْفَرِي
فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمِ مَعَادِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي

٤٧ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقَرِّيُّ الْحَيَّاطُ عَلَى لِسَانِ مَيْتٍ :

أَيُّهَا الزَّائِرُونَ بَعْدَ وَفَاتِي جَدًّا ضَمْنِي وَلَحْدًا عَمِيْقًا
سَتَرُونَ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ عِيَانًا وَتَسْلُكُونَ طَرِيقًا
نَظَمَ أَسْعَدُ مُصْطَفَى اللَّقِيمِيِّ قَبْلَ مَوْتِهِ تَارِيخًا لِقَبْرِهِ :

قَبْرُهُ بِهِ مَنْ أَوْثَقَتْهُ ذُنُوبُهُ وَغَدَا لِسُوءِ فِعَالِهِ مُتَخَوِّفًا
قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عُمْرُهُ بِطَالَةِ وَالْعَيْشُ مِنْهُ بِالتَّكْدُرِ مَاصِفًا
مَاذَا ثَوَى قَبْرُ اللَّقِيمِيِّ أَرْخُوا مُسْتَمْتَحًا لِلْعَفْوِ أَسْعَدُ مُصْطَفَى

٤٨ لَمَّا قُتِلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ الْحَمِيرِيُّ دُفِنَ فِي صَنْعَاءَ بِمَقْبَرَةٍ
وَوُضِعَ فِي سَرِيرِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ أَوْحُ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

أَنَا ابْنُ ذِي يَزْنَ مِنْ فَرْعِ ذِي يَمَنٍ مَلَكَتْ مِنْ حَدِّ صَنْعَاءَ إِلَى عَدَنٍ
جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ فِي الْبَحْرِ أَجْلَهُمْ فِيهِ عَلَى السُّفُنِ
حَتَّى غَزَوْتُ بِهِمْ قَوْمًا مُهَاجِرَةً فِي الْبَرِّ جَاسُوا خِلَالَ الْحَيِّ مِنْ يَمَنٍ
بِالْحُسْفِ وَالذَّلِّ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ ذُوقُوا ثَمَارَ ذَوَاتِ الْحَقْدِ وَالْإِحْنِ
فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَالْدَّهْرُ ذُو دَوْلٍ حَتَّى كَانَ مَغَارَ الْقَوْمِ لَمْ يَكُنْ
حَتَّى إِذَا ظَفَرَتْ نَفْسِي بِمَا طَلَبْتُ وَزَالَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ
وَنِلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ آمِلُهُ مِنْ قَتْلِي الْحُبَشِ حَتَّى طَابَ لِي وَطَنِي
جَاءَ الْقَضَاءُ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ دَفْعُ وَلَا يُشْتَرَى بِأَقْوَمِ بِالْثَمَنِ
مِنْ بَعْدِ مَا جُبْتُ أَحْوَالًا مُصَرَّمَةً قَطَرَ الْبِلَادِ فَامُ الْعَجْزِ وَلَمْ أَهْنِ
قَدْ صِرْتُ مُرْتَهَنًا فِي قَاعِ مُظْلَمَةٍ لِلَّهِ دَرِّي مِنْ ثَاوٍ وَمُرْتَهَنٍ

إِنَّ الْحَيِّبَ مِنَ الْأَحْبَابِ يُخْتَلَسُ
فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا
لَا يَرْحَمُ الْمَوْتُ ذَا جَاهٍ لِعِزَّتِهِ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفٌ

قَالَ ابْنُ أَرْزَقٍ هَذِهِ الْآيَاتُ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:
وَلِلْمَوْتِ حُكْمٌ نَافِذٌ فِي الْخَلَائِقِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُلَّ لَا بُدَّ لَاحِقِي
أَلَمْ نَكُ فِي صَفْوٍ مِنَ الْعَالَمِ رَاقٍ
وَلَا يَكُ مَنَسِيًّا وَفَاءً الْأَصَادِقِ
٤٦ أَمَرَ أَبُو الصَّلْتِ الْإِسْبِيلِيُّ أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قَبْرِهِ:

سَكَّتُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَائِرٌ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا
فَإِنْ أَلْكَ مُجْزِيًا بِذَنْبِي فَإِنِّي
وَإِنْ يَكُ عَفْوَ ثَمَّ عَنِّي وَرَحْمَةٌ

حُفِرَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَهِيَ مِنْ تَصْنِيفِهِ:
تَرْحَمَ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحْيِهِ
وَقُلْ أَمَّنَ الرَّحْمَانُ رَوْعَةً خَائِفٍ
وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَاثِقٍ
فَمَنْ حَقَّ مِيتَ الْحَيِّ تَسْلِيمُ حَيِّهِ
لِتَفْرِيطِهِ فِي الْوَاجِبَاتِ وَعَيْهِ
وَحَسْبِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ حَسْبُ حَقِّهِ

وَتَرَقُّدُ يَامِسْكِينُ فَوْقَ نَمَارِقٍ وَفِي حَشَوِهَا نَارٌ عَلَيْكَ تَلَبُّ
فَحَتَّى مَتَى لَا تَسْتَفِيقُ جَهَالَةً وَأَنْتَ ابْنُ سَبْعِينَ بِذَلِكَ تَلَبُّ
٤٤ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

فَيَا مَنْ بَاتَ يَنْمُو بِالْخَطَايَا وَعَيْنُ اللَّهِ سَاهِرَةٌ تَرَاهُ
أَمَا تَخْشَى مِنَ الدَّيَّانِ طَرْدًا بِجُرْمٍ دَائِمًا أَبَدًا تَرَاهُ
أَتَعْصِي اللَّهَ وَهُوَ يَرَاكَ جَهْرًا وَتَتَسَوَّى فِي غَدٍ حَقًّا تَرَاهُ
وَتَحْلُو بِالْمَعَاصِي وَهُوَ دَانٍ إِلَيْكَ وَلَيْسَ تَخْشَى مِنْ لِقَاہُ
وَتُنْكِرُ فِعْلَهَا وَلَهَا شُہُودٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ
فَيَا حُزْنَ الْمُسِيءِ لِشُؤْمِ ذَنْبٍ وَبَعْدَ الْحُزْنِ يَكْفِيهِ جِمَاهُ
فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ وَيَمْكِي حَيْثُ لَا يُجْدِي بُكَاهُ
يَعِضُ أَلِيْدَ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنٍ وَيَنْدُبُ حَسْرَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
فَبَادِرْ بِالصَّلَاحِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَعَلَّكَ أَنْ تَنَالَ بِهِ رِضَاهُ

ما كُتِبَ عَلَى الْقُبُورِ

٤٥ ثَوْنِي رَجُلٍ مِنْ كِنْدَةٍ فَكُتِبَ عَلَى قَبْرِهِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :
يَا وَاقِفِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا أَنَّ الْحِمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمُ
لَوْ تَنَزَّلُونَ بِشُعْبِنَا لَعَرَفْتُمْ أَنَّ الْمُفْرِطَ فِي التَّرَوُّدِ نَادِمُ
لَا تَسْتَعِزُّوْا بِالْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ تَبْنُونَ وَالْمَوْتَ الْمَفْرُقُ هَادِمُ
سَاوَى الرَّدَى مَا بَيْنَنَا فِي حُفْرَةٍ حَيْثُ الْمُخْدِمُ وَاحِدٌ وَالْخَادِمُ
وَمِمَّا وُجِدَ عَلَى قَبْرِ :

يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَأَعْتَرَفَتْ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِبَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرٌ
مَهْمَا أَتَى لِيَمْدِّ الْكَفِّ أَحْجَلُهُ
يَا وَاسِعًا ضَاقَ خَطُّوهُ الْخَلْقِ عَنْ نِعَمٍ
وَنَاشِرًا بِيَدِ الْإِجْمَالِ رَحْمَتُهُ
إِرْحَمْ عِبَادًا بِضَنْكِ الْعَيْشِ مَا لَهُمْ
لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرَى عَلَيْكَ فِي نَمَطٍ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى
قَالَ آخِرُ :

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا
لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَأَهْلُهُ
فَدَعَ الصَّبَا يَا قَابُ وَاهُ عَنْ الْهَوَى
وَأَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ مُودَعٍ
وَالْحَادِثَاتُ مُوَكَّلَاتُ بِالْفَتَى
قَالَ يَشْرَبُنُ الْمُتَمَرِّ :

تَعَافُ الْقَذَى فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ
وَتَوَرُّ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ الَّذِي
وَتَكْرَعُ فِي حَوْضِ الذُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
وَلَا تَذْكُرُ الْمُسْكِينِ مِنْ أَيْنَ يَكْسِبُ

٤٢ قَالَ جَبَلَةُ بْنُ حُرَيْثٍ الْعُدْرِيُّ :

يَا قَلْبُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَغْرُورٌ فَأَذْكُرُ وَهَلْ يَنْفَعُنكَ الْيَوْمَ تَذْكِيرُ
تُرِيدُ أَمْرًا مِمَّا تَدْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرُ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
فَلَسْتُ قَدِيرُ اللَّهِ خَيْرًا وَأَرْضَيْنَ بِهِ فَيَدِينَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مِيَاسِيرُ
وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُقْبِطٌ إِذْ صَارَ فِي الرَّمْسِ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهْمُهُ وَالْدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِهِ دَهَارِيرُ
يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ
قَالَ آخَرُ :

وَيْلِي إِذَا كَانَ الْحَجِيمُ جَزَائِي مَاذَا يَحِلُّ بِمُحْجَتِي وَبِهَائِي
يُبْلِي الْعَذَابُ مُحَاسِنِي وَيَشِينُهَا وَيَطُولُ مِنِّي فِي الْحَجِيمِ بُكَائِي
وَيَقُولُ لِي الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا عَبْدَ سَوْءٍ أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِي
بَارَزْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي جَاهِلًا وَلَسَيْتَ وَعْدِي مَا تَخَافُ لِقَائِي
وَتَرَى وَجْهَ الطَّائِعِينَ كَأَنَّهُمْ كَافُّو بَدْرٌ بَدَأَ فِي لَيْلَةٍ ظُلُمَاءُ
كَشَفُوا الْحِجَابَ فَشَاهَدُوهُ وَأَدْهَشُوا وَكُفُّوا نَعِيمًا دَائِمًا بَضِيَاءُ

٤٣ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ خَاتِمَةَ مُسْتَعِثًا بِهِ تَعَالَى :

يَا مَنْ نَعِثَ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا إِزْحَمْ عِبَادًا أَكْفَ الْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا
عَوْدَتَهُمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِلا سَبَبٍ سِوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ أَنْبَسَطُوا
وَعَدْتُ بِالْأَفْضَلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرٍ بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
عَوَارِفِ أُرْتَبَطَتْ شُمُّ الْأَنْوَفِ بِهَا وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبِطُ

وَرَبُّكَ رَزَّاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ
فَكَيْفَ تُرْجَى الْعَفْوُ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ
وَهَا هُوَ بِالْأَرْزَاقِ كَقُلِّ نَفْسِهِ
وَمَا زِلْتَ تَسْعَى فِي الَّذِي قَدْ كُفِّتَهُ
تُسِيءُ بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً
عَلَى حَسَبِ مَا يَقْضِي الْهَوَى بِالْتَضْيِيعِ

للبرعي في الاغراء بالتوبة

٤١

يَا مُحْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا
لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا
وَأَحْجَلْتَنِي مِنْ عِتَابِ رَبِّي
إِلَى مَتَى أَنْتَ فِي الْمَعَاصِي
لَوْ خَوْفَتِكَ أُلْحِجِمُ بَطْشِي
أَنْتَ سُجَّاعٌ عَلَى الْمَعَاصِي
عِنْدِي لَكَ الصَّلْحُ وَهُوَ يَرِي
فَأَسْتَحْيِ مِنْ شَيْبَةٍ تَرَاهَا
أَيُّ أَوَانٍ تَتُوبُ فِيهِ
يَا سَيِّدِي هَذِهِ عِيُوبِي
يَا مَنْ لَهُ فِي الْعَصَاةِ شَأْنٌ
يَا مَنْ مَلَأَ بَرُّهُ النَّوَاحِي
عَفَوْا فَإِنِّي رَهِيْنُ ذَنْبٍ
لَمْ تَدْرِ مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
إِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى هَوَانٌ
إِنْ قَالَ أَسْرَفْتَ يَا فُلَانُ
تَسِيرُ مُرْخًى لَكَ الْعَنَانُ
لَسَوْتُ قَلْبَكَ الْجِنَانُ
وَأَنْتَ عَنْ طَاعَتِي جَبَانُ
وَعِنْدَكَ السَّيْفُ وَالسِّنَانُ
فِي النَّارِ مَسْجُونَةٌ تُهَانُ
هَلْ بَعْدَ قَطْعِ الرَّجَا أَوَانُ
وَأَنْتَ فِي الْخُطْبِ مُسْتَعَانُ
وَشَأْنُهُ الْعَطْفُ وَالْحَنَانُ
لَمْ يَخْلُ مِنْ بَرِّهِ مَكَانُ
حَاشَاكَ أَنْ يَفْلُقَ الرِّهَانُ

أَفَرَطْتَ فِي شَطَطِ الْأَمَانِي فَأَقْصِدْ وَأَعْلَمْ بَأَنَّ مِنَ الْمُنَى مَا يَفْتِنُ
لَيْسَ الْأَمَانُ مِنَ الزَّمَانِ بِمُمْكِنٍ وَمِنَ الْحَالِ وَجُودُ مَا لَا يُمْكِنُ
مَعْنَى الزَّمَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَأَسْمِهِ فَعَلَامَ زَجْوِ أَنَّهُ لَا يُزْمِنُ

قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة

٤٠

إِلَى كَمْ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَنْظَةِ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرُ سَاعَةٍ مِنْهُ تُشْتَرَى بِمِلٍّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَةً ضِيعَةٍ
أَتَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرِّغْدِ وَعَيْشَةِ مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بَعِيشِ الْبَهِيمَةِ
فِيادِرَةً بَيْنَ الْمَزَابِلِ أُلْقِيَتْ وَجَوْهَرَةٌ بِيَعْتَ بِالْأُجْسِ قِيمَةٍ
أَفَانِ بَبَاقٍ تُشْتَرِيهِ سَفَاهَةٌ وَسُخْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِحُجَّةٍ
أَأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ فَإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ، بَعْضَ مَا فَعَلْتَ لِمَسَّتْهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
لَقَدْ بَعَثَهَا هُونًا عَلَيْكَ رَخِيسَةً وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
كَلَفْتَ بِهَا دُنْيَا كَثِيرُ غُرُورِهَا ثَقَابُنَا فِي نُصْحِهَا بِالْحَدِيدَةِ
عَلَيْكَ بِمَا يُجْدِي عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى فَإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةٍ
تُصَلِّي بِلَا قَابِ صَلَاةٍ بِمِثْلِهَا يَصِيرُ أَلَّتِي مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
تُحَاطَبُهُ إِيَّاكَ تَعْبُدُ مُهْمِلًا عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا إَغْيَرُ ضَرُورَةٍ
وَلَوْ رَدَّ مِنْ نَاجَاكَ لِغَيْرِ طَرَفِهِ تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مُعْرِضًا وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تُخْنِي غَيْرَ مُحْبِتٍ
تَقُولُ مَعَ الْعَصِيَانِ رَبِّي غَافِرٌ صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمَشِيدَةِ

كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضٌ تَلُوحُ لِكُلِّ أَوَّابٍ مُنِيبٍ
 أَرَاكَ اللَّهُ يَا صَاحِي شَبَابِي فَعَوَّضْتُ الْبَغِيضَ مِنَ الْحَبِيبِ
 وَبَدَلْتُ التَّكَاثُلَ مِنْ نَشَاطِي وَمِنْ حُسْنِ النَّصَارَةِ بِالْشُّحُوبِ
 كَذَلِكَ الشَّمْسُ يَغْلُوهَا أَصْفَرَارُ إِذَا جَنَحَتْ وَمَالَتْ لِلْغُرُوبِ
 قَالَ الْإِلَهِي بِي:

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهِيَ فِي السُّكْرَاتِ تُعَالِجُ أَنْ تَرَقَى إِلَى اللَّهِوَاتِ
 وَقَدْ زِمَ رَحْلِي وَأَسْتَقَلْتُ رِكَابِي وَقَدْ آذَنْتَنِي بِالرَّحِيلِ حَدَاتِي
 إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجَرٍ لَنَا وَعِظَاتِ
 وَمِنْ أَعْيُنٍ سَالَتْ عَلَى وَجَنَاتِهَا وَمِنْ أَوْجِهٍ فِي التُّرْبِ مُنْعِفَاتِ
 وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسْرُهُ وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى الْحَسَرَاتِ

في الدهر ونوائبه

٣٩ أَنشَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَصِدُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوُفَاةُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ فَلَمْ يُبْقِ لِي خِيَلًا وَلَمْ يَرَعْ لِي حَقًّا
 قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ وَلَمْ أَدَعْ عَدُوًّا وَلَمْ أَهْلُ عَلَى طَغِيهِ خَلْقًا
 وَأَخْلَيْتُ دَارَ الْمُلْكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ فَشَرَدَتْهُمْ غَرْبًا وَمَزَقَتْهُمْ شَرْقًا
 فَلَمَّا بَلَغْتُ النُّجْمَ عِزًّا وَرَفْعَةً وَصَارَتْ رِقَابُ الْخُلُقِ أَجْمَعُ لِي رِقَا
 رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخَذَ جُرَّتِي فَهَا أَنَا ذَا فِي حُفْرَتِي عَاجِلًا أُلْقَى
 قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُظَفَّرٍ الْإِيَّورْدِي :

يَا مَنْ يُؤْمَلُ أَنْ يَعِيشَ مُسْلِمًا جَذَلَانِ لَا يُدْهَى بِخَطْبٍ يُخْزِنُ

سَابِقُ خُتُوفِ الرَّدَى وَأَعْمَلُ عَلَى مَهَلٍ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ مَسْئُولٌ وَمُفْتَحُصٌ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَزَخْرِفُهَا
لَا يَحْذَرُ النَّفْسَ إِلَّا ذُو مُرَاقَبَةٍ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ وَمَا
مَا أَحْسَنَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
٣٨ وَلَهُ أَيْضًا :

قَدْ سَمِعْنَا الْوَعْظَ لَوْ يَنْفَعُنَا
كُلُّ نَفْسٍ سَتَوَانِي سَعِيهَا
جَفَّتِ الْأَفْئَامُ مِنْ قَبْلِ بِنَا
يَهْرَبُ الْمَرْءُ مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتَقَائِي عَاجِلًا
أَيُّهَا ذَا النَّاسِ مَا حَلَّ بِكُمْ
وَسَقَامٌ ثُمَّ مَوْتٌ نَازِلٌ
وَحِسَابٌ وَكِتَابٌ حَافِظٌ
وَصِرَاطٌ مَنْ يَزُلْ عَنْ حِدِّهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

تَلَا حِطِّي الْمُنِيَّةَ مِنْ قَرِيبٍ
وَتَنَشَّرُ لِي كِتَابًا فِيهِ طَيِّ
وَتَلْحِظُنِي مُلَاحَظَةً الرَّقِيبِ
بِحِطِّ الدَّهْرِ أَسْطَرُهُ مَشِيدِي

حَسْبُ الْجَمَامِ لَوْ أَبْقَاهُمْ وَأَمَلَهُمْ
 ٣٦ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ عَلَى أَبِي حَفْصٍ الشَّطْرَنَجِيِّ يَعُودُهُ فِي
 عَلَيْهِ أَلَّتِي مَاتَ فِيهَا . فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ
 وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَالِكِ الْخُطُوبُ
 فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِذَائِعِي الْفَنَاءِ
 فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
 أَلَسْنَا نَرَى شَهَوَاتِ النُّفُوسِ
 سِ تَفْنَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
 وَقَبْلَكَ دَاوَى الْأَرِيضِ الطَّيِّبُ
 فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
 يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ
 فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ
 وَلَا أَبِي الْعَتَاهِيَّةَ :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ
 فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى الذَّهَابِ
 أَلَا يَأْمُوتُ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدًّا
 أَتَيْتَ وَمَا تُحْيِفُ وَمَا تُحَايِ
 كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيدِي
 كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي
 ٣٧ وَجَاءَ فِي قَلَائِدِ الْعُقَيَانِ :

أَيْنَ الْمُلُوكُ وَمَنْ بِالْأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا
 قَدْ فَارَقُوا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوا
 وَأَصْبَحُوا رَهْنَ قَبْرِ بِالَّذِي عَمِلُوا
 عَادُوا رَهْمًا بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا دَثَرُوا
 أَيْنَ الْعَسَاكِرُ مَا رِدَّتْ وَمَا نَفَعَتْ
 وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا فِيهَا وَمَا أَذْخَرُوا
 أَتَاهُمْ أَمْرُ رَبِّ الْعَرْشِ فِي عَجَلٍ
 لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْهُ لَا مَالٌ وَلَا وَزَرُ
 قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ وَلَهُ الْبِدُ الطُّوْلَى فِي مَعَانِي الزُّهْدِ :

إِعْمَدِ نَفْسِكَ وَادْكُرْ سَاعَةَ الْأَجَلِ
 وَلَا تُغَرَّنْ فِي دُنْيَاكَ بِالْأَمَلِ

لَجَنَةٍ أَمْ لِنَارٍ إِلَى مَمَالِكٍ مَالِكٍ
وَأَنْتَ لَا بُدَّ يَوْمًا بَعْدَ التَّكَاهُلِ هَالِكٍ

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلِيًّا وَقَدْ أُخْرِجَتْ مِمَّا فِي يَدَيَا
كَأَنِّي صَرْتُ مُنْفَرِّدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّا
كَأَنَّ الْبَاكِاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرْنَ مَنِّي فَغَعِنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيَّا

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ عِنْدَ مَوْتِهِ :

يَا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُشْبَاكَ خَانَتِكَ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْأَمْنِ دُنْيَاكَ
مَرَّتْ بِنَا سَحَرًا طَيْرٌ فَقُلْتُ لَهَا طُوبَاكَ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكَ طُوبَاكَ
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ شَرْقًا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ شَاطِي الْفَرَاتِ أُلْبِغِي إِنْ كَانَ مَثْوَاكَ
مِنْ مُوْتَقٍ بِالْمَنَاءِ لَا فُكَاكَ لَهُ يَبْكِي الدَّمَاءَ عَلَى الْفِلِّ لَهُ بَاكِ
أَظْنُهُ آخِرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمْرِي وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لَهُ بَاكِ

٣٥ وَمَا أَجُودَ قَوْلَ ابْنِ أَبِي زَمَنِينَ :

الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكُفْنَ وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الْحُسْنَا
أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنًا أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنًا
سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كَأْسًا غَيْرَ صَافِيَةٍ فَصَيَّرْتَهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنًا
تَبْكِي الْمَنَازِلُ مِنْهُمْ كُلَّ مُسَجِّمٍ بِالْمَكْرُمَاتِ وَتَرْتِي الْبِرَّ وَالْمِنَنَا

كُنَّا فِي غَفْلَةٍ وَأَلَّ مَوْتُ يَغْدُو وَيُرُوهُ
 لَبَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا يَا غُبُوقُ وَصَبُوحُ
 رَحْنٌ فِي الْوُشْيِ وَأَصْبَحَ نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
 كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْرِ لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ
 نَحْ عَلَى نَفْسِكَ يَامِسْ كَيْنُ إِنْ كُنْتَ تُسُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عَمِمْتَ رَتَ مَا عَمَرَ نُوحُ
 قَالَ بِهِاءِ الدِّينِ زُهَيْرٌ :

٣٢

لَيْتَ شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَرْضٍ هِيَ قَبْرِي
 ضَاعَ عُمْرِي فِي أَغْتِرَابٍ وَرَحِيلٍ مُسْتَمِرٍّ
 وَمَتَى يَوْمٌ وَفَاتِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ أَذْرِي
 لَيْسَ لِي فِي كُلِّ أَرْضٍ جِئْتُهَا مِنْ مُسْتَقَرٍّ
 بَعْدَ هَذَا لَيْتَنِي أَغْرِفُ مَا آخِرُ عُمْرِي
 وَمَتَى أَخْلَصُ مِمَّا أَنَا فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
 وَلَقَدْ أَنَا بَانَ أَصْحُو فَمَا لِي طَالَ سُكْرِي
 أَرَى يُسْتَدْرَكُ الْفَا رِطٌ مِنْ تَضْيِيعِ عُمْرِي

قَالَ آخَرُ : ٣٣

قَدِمَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا وَأَنْتَ مَا لَكَ مَا لَكَ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَفَانِي وَلَوْ نَحَالِكَ حَالِكَ
 لَمْ تَدْرَأَنَّكَ حَقًّا أَيُّ الْمَسَالِكِ سَالِكَ

تُروحُ وَتَعْدُو بَنَاتُ الثَّرَى وَتُخَيِّحُ حَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ
٣٠ قَالَ سَابِقُ الْبَرِّ بَرِيٌّ وَأَجَادَ:

تَلَهُوٌ وَتَأْمُلُ أَيَّامًا تُعَدُّ لَهَا
كَمْ مِنْ عَزِيزٍ سَلَقَ بَعْدَ عَزَّتِهِ
وَلِخُوفِ ثُرَيٍّ كُلِّ مُرْضِعَةٍ
لَا تَبْرَحُ النَّفْسُ تُنْعَى وَهِيَ سَالِمَةٌ
أَمْوَالُنَا لَذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا
وَلِأَيِّ الْعَتَاهِيَةِ : ٣١

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجُمُوحُ
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ مَذْنُوحُ وَزُوحُ
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ مِ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمُسْتُورُ مِنْهَا بَيْنَ تَوْبَتِهِ فُضُوحُ
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوِيتَ عَنْهُ الْكُشُوحُ
صَاحَ مِنْهُ بِرَحِيلٍ صَاحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْحِ عَلَى قَوْمٍ فُتُوحُ
سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ حَيٍّ عِلْمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

وَعَايَةُ هَذِي الدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ
وَهَاتِيكَ دَارُ الْأَمْنِ وَالْعِزِّ وَالْثَقَى
٢٨ قَالَ الْبُسْتِيُّ :

أَقُولُ لِمَنْ لَاحَ الْمَشِيبُ بِفَوْدِهِ
عَذْلَتُكَ أَنْ أَضَالَتْ رُشْدَكَ خَاطِئًا
فَهَلْ لَكَ فِي سِنِّ الْكُهُولَةِ عَازِرٌ
قَالَ ابْنُ حَاجِبٍ يَذْكُرُ إِيَّانَ كَسْرَى :

يَا مَنْ بَنَى بِشَاهِقِ الْبَنِيَانِ
هَذِي الْمَصَانِعُ وَالْدَسَاكِرُ وَالْبِنَا
كَتَبَ اللَّيَالِي فِي ذَرَاهَا أَسْطُرًا
إِنَّ الْحَوَادِثَ وَالْخَطَرِيبَ إِذَا سَطَتْ
أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَدَادَيْتُهَا
وَأَيْنَ الْمَذِلُّ بِسُلْطَانِهِ
فَنُودِيتُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى
تَفَانُوا جَمِيعًا فَلَا تُخْبِرُ
فَأَيْنَ الْمُعْظَمُ وَاهْتَقَرَ
وَأَيْنَ الْمَذْكَى إِذَا مَا افْتَخَرَ
شُخُوصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَثَرُ
وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبَرُ
أَمَّا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرٌ

ذكر المنية والعواقب

٢٩ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَدَادَيْتُهَا
وَأَيْنَ الْمَذِلُّ بِسُلْطَانِهِ
فَنُودِيتُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى
تَفَانُوا جَمِيعًا فَلَا تُخْبِرُ
فَأَيْنَ الْمُعْظَمُ وَاهْتَقَرَ
وَأَيْنَ الْمَذْكَى إِذَا مَا افْتَخَرَ
شُخُوصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَثَرُ
وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبَرُ
أَمَّا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرٌ

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو
 هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا
 نَعَى نَفْسِي إِلَى مَرِّ اللَّيَالِي
 فَمَا لِي لَسْتُ مُشْغُولًا بِنَفْسِي
 أَمَا فِي السَّالِفِينَ لِي أُعْتَبَارُ
 كَأَنِّي بِالْمُنِيَةِ أَرْجَحُنِي
 وَخَافِي نِسْوَةٍ يَبْكِينَ بَعْدِي
 وَحَقِّكَ كُلُّ ذَا يَفْنَى سَرِيعًا
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّمَا نِعْمَةٌ دُنْيَا مُتَعَةٌ
 وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارُ
 وَصُرُوفُ الدَّهْرِ فِي أَطْبَاقِهِ
 حَلَقَةٌ فِيهَا أُرْتِفَاعٌ وَأُنْحَادُ
 بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي عَلَيْهَا
 إِذْ هَوَى فِي هَوَةٍ مِنْهَا فَعَارُ

٢٧ قَدْ شَبَّهَ بَعْضُهُمُ الدُّنْيَا بِخَيَالِ الظِّلِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أَعْظَمَ عِبْرَةً
 لِمَنْ كَانَ فِي عِلْمِ الْحَقَائِقِ رَاقِي
 شُخُوصًا وَأَشْبَاحًا يُخَالِفُ بَعْضُهَا
 لِبَعْضٍ وَأَشْكَالًا بِغَيْرِ وَفَاقِ
 تَحِيٍّ وَتَمْضِي بَابَةً بَعْدَ بَابَةٍ
 وَتَفْنَى جَمِيعًا وَالْمَحْرُكُ بَاقِ
 وَقَالَ شَرَفُ بْنُ أَسَدٍ :

يَا مَنْ تَمَلَّكَ مُلْكًا لَا بَقَاءَ لَهُ
 حَمَلَتْ نَفْسَكَ آثَامًا وَأَوْزَارًا
 هَلِ الْحَيَاةُ بِذِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَذَبَتْ
 إِلَّا كَطِيفِ خَيَالٍ فِي الْكُرَى زَارًا

أَرَى الْمَرْءَ وَتَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمُلْكُ غَيْرُهُ
وَأَيُّ أَمْرٍ فِي غَايَةٍ لَيْسَ نَفْسُهُ
٢٤ قَالَ أَيْضًا:

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوءٌ
يَارَاعِي الشَّاءَ لَا تُغْفَلْ رِعَايَتُهَا
إِنِّي لَنِي مَنَزِلٌ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ
لَمْ يُشْغَلِ الْمَوْتُ عَنَّا مَذْأُودًا لَنَا
وَمَنْ يَمُتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَنَبٌ
كُلُّ مَا بَدَأَ لَكَ فَالْآكِلُ فَانِيَةٌ
٢٥ قَالَ الْأَسْوَدُ الدَّارِمِيُّ بَعْدَ نَكْبَةِ الْأَكْسِرَةِ لِأَلِ الْمُحَرِّقِ:

مَاذَا نُؤْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ
أَهْلُ الْخَوَرَنَقِ وَالسَّيْرِ وَبَارِقِ
تَزَلُّوا بِأَنْقَرَةِ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ
جَرَتِ الرِّيَّاحُ عَلَى رُسُومِ دِيَارِهِمْ
وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ
فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهِي بِهِ
وَمِنْ رَقِيقٍ مَا جَاءَ فِي الزَّهْدِ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا مُحَالَةَ مَصْرَعٍ
مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتٍ مِنْ لَيْسَ يَشْبَعُ
إِلَى غَايَةٍ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلَعُ

مَا لِابْنِ آدَمَ إِنْ فَتَشْتَ مَعْمُولُ
فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتُرِعْتَ مَسْئُولُ
عَلَى يَقِينِي بِأَنِّي عَنْهُ مَنُفُولُ
إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْئُولُ
وَكَلْنَا عَنْهُ بِالذَّلَاتِ مَشْغُولُ
وَأَلْحَى مَا عَاشَ مَغْشَى وَمَوْصُولُ
وَكُلُّ ذِي أَكُلٍ لَا بُدَّ مَا كُولُ

تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
مَاءِ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
فَكَانَهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَنَفَادِ

وَأَسْتَعِدُّوا لِمَوْتٍ فَقَدْ أَظْلَمَكُمْ . وَكُونُوا قَوْمًا صَاحِبِينَ فَاتَّبِعُوا . وَعَلِمُوا
 أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا . فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا
 وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى . وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ
 أَنْ يَنْزِلَ بِهِ . وَإِنْ غَايَةً تَقْصُصُهَا الْحُظَّةُ وَتَهْدِيهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٍ يَقْصُرُ
 الْمُدَّةُ . وَإِنْ غَايَةً يَحْدُوهُ الْجُدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَرِيٌّ بِسُرْعَةِ
 الْأَوْبَةِ . وَإِنْ قَادِمًا يَتَدَمُّ بِالْفُوزِ أَوِ الشَّقْوَةِ لَمْسْتَحِقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ .
 فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ نَفُوسَكُمْ غَدًا . فَأَتَقَى عَبْدٌ
 مِنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ . فَإِنْ أَجَلُهُ مُسْتَوْدَعُهُ وَأَمَلُهُ
 خَادِعُهُ . وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا . وَيَمْنِيهِ التَّوْبَةُ
 لِيَسَوْفَهَا . حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَيَاكُلُ حَسْرَةً
 عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ عُمرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً . وَأَنْ تُوَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى
 شَقْوَةٍ . نَسَأَ اللَّهُ سُجْنَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ . وَلَا
 تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً . وَلَا تُحْلِلُ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا
 كَابَةً

(إلهاء الدين)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهُ إِيَّيْ مُودِعُ
 فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا
 أَلَمْ تَرَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
 أَيَا بَانِي الدُّنْيَا لِعَفْرِكَ تَبْتَنِي
 وَعَيْنَايَ مِنْ مَضَى التَّفَرُّقِ تَدْمَعُ
 وَإِنْ نَحْنُ مُتَا فَالْقِيَامَةُ تَجْمَعُ
 لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمُنِيَّةُ تَلْمَعُ
 وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِعَفْرِكَ تَجْمَعُ

فَتَسْتَجِيبُ . وَتَرْجُرُهَا فَنَجِيبُ . نَاقِضَةٌ لِّلْغَزِيمَةِ مُرْتَجِعَةٌ لِّلْعَطِيَّةِ . كُلُّ مَنْ
فِيهَا يُجْرِي . إِلَى مَا لَا يَدْرِي . وَقَالَ أَبُو الْعَرَبِ الصَّقِيلِيُّ :

وَلَا يَغُرُّكَ مِنْهَا حُسْنُ بُرْدٍ لَهُ عِلْمَانِ مِنْ عِلْمِ الذَّهَابِ
فَأَوَّلُهُ رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ وَآخِرُهُ رَدَاءٌ مِنْ تُرَابٍ
قَالَ ابْنُ قَاضِي مِيلَةَ :

لَدُنِّيَاكَ نُورٌ وَلَكِنَّهُ ظِلَامٌ يَحَارُ بِهِ الْبَصِيرُ
فَإِنْ عِشْتَ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا كَمَا قِيلَ قَنْطَرَةٌ تَعْبُرُ
فَلَا تَعْمُرَنَّ بِهَا مَنْزِلًا فَإِنَّ الْحُرَابَ لِمَا تَعْمُرُ
وَلَا تَذْخُرَنَّ خِلَافَ التَّقَى فَتَقْنَى وَيَبْقَى الَّذِي تَذْخُرُ
وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ :

٢٢

وَأَعْجَبَا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا
وَعَبَرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرُ
الْخَيْرِ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْمَعْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ الْحَشَرُ فَذَاكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فَخْرَ إِلَّا فَخْرُ أَهْلِ التَّقَى غَدًا إِذَا ضَمَّهُمُ الْحَشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى وَالْبِرَّ كَأَنَا خَيْرٌ مَا يُذْخَرُ

زوال الدنيا

٢٣ (مِنْ التَّهَجُّجِ :) وَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا أَجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ .
وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ . وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ السَّيْرُ .

فَرَأَتْهَا مُتَّصِلَةً الْأَحْزَانِ بِالْأَشْجَانِ . وَعَصَفَتِ الرِّيحُ وَأَضْطَرَبَتْ
الْأَمْوَاجُ وَظَهَرَتْ الْحَيْتَانُ . فَصَرَخَتْ ثُمَّ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا
قَامَتْ نَجَّتْ ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي بِكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرِّبُونَ فِي الْخُلُوتِ .
وَلِعَظَمَتِكَ سَجَّتِ النَّيَّانُ فِي أَلْبَارِ الزَّائِرَاتِ . وَجَلَّالِ قُدْسِكَ
تَصَافَقَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاطِمَاتُ . أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ
وَضَوْ النَّهَارِ . وَالْفَلَكَ الدَّوَارُ وَالْبَحْرُ الزَّخَارُ . وَالْقَمَرُ النُّوَارُ وَالنَّجْمُ
الزَّهَّارُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمِقْدَارٍ لِأَنَّكَ أَلْعَلُّ الْقَهَّارُ . ثُمَّ أَنْشَدَتْ :
يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي خُلُوتِهِمْ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ الْنُّزَالُ
مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَزَالُ مُتِمِّمًا قَرَحَ الْفُؤَادِ مُتِمِّمًا بَلْبَالَ
فَقُلْتُ لَهَا : عَسَى أَنْ تَرِيدِينَ مِنْ هَذَا . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ثُمَّ
رَفَعَتْ طَرَفَهَا لِحَوِ السَّمَاءِ فَقَالَتْ :

أَحِبُّكَ حُبِّينِ حُبَّ الْوَدَادِ وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِدَاكَا
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوَدَادِ فَحُبُّ شُغْلَتْ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشَفَكَ الْحُجُبِ حَتَّى أَرَاكَ
فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
ثُمَّ شَبَّهَتْ شَهْقَةً فَإِذَا هِيَ قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا (اسواق الاشواق للبعاي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا

٢١ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : صِفْ لَنَا الدُّنْيَا فَقَالَ : أَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ .
وَأَجَلٌ مُطْلٌ عَلَيْكَ . وَشَيْطَانٌ فِتْنَانٌ . وَأَمَانِي جَرَارَةُ الْعِنَانِ . تَدْعُوكَ

لَيْسَ الْأَصَمُّ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ الْمَدَيَانِ الْعَيْنُ وَالْأُتْرُ
لَا الدَّهْرُ يَبْتِي وَلَا الدُّنْيَا وَلَا الْفَلَاحُ أَعْلَى وَلَا النَّيِّرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لِيَرْحَنَ عَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ كَرِهَا فِرَاقَهَا الثَّوَيَانِ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
١٩ قَالَ أَبُو جُبَيْرٍ الْكِنَانِيُّ أَحَدُ الرَّاحِلِينَ إِلَى الْمَشْرِقِ :

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْمَعُهُ فِي الْعَيْشِ وَالْأَجَلِ الْخَتْمُ يَقْطَعُهُ
يَمْسِي وَيُصْبِحُ فِي عَشَوَاءٍ يَجْبُطُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةِ وَالْأَمَالُ تَخْدَعُهُ
يَغْتَرُّ بِالدَّهْرِ مَسْرُورًا بِصُحْبَتِهِ وَقَدْ تَقَنَّ أَنْ الدَّهْرَ يَصْرَعُهُ
وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يُفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْمَعُهُ
تَرَاهُ يُشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دَيْنٍ يَضِيعُهُ
وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَدْبِيرًا لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي مَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَمِيرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فُوَادُ بَأْيَدِي النَّائِبَاتِ مُصَابُ وَجَفَنُ لَفِيزِ الدَّمْعِ فِيهِ مُصَابُ
تَنَاءَتْ دِيَارُ قَدْ أَلِفْتُ وَجِيرَةَ فَهَلْ لِي إِلَى عَهْدِ الْوَصَالِ إِيَابُ
وَفَارَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَبْلُغِ الْمُنَى وَدُونَ مُرَادِي أَبْجَرُ وَهَضَابُ
مَضَى زَمَنِي وَالشَّيْبُ حَلَّ بِمَفْرِقِي وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يُرَدَّ شَبَابُ
إِذَا مَرَّ عُمْرُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ وَإِنْ حَلَّ شَيْبٌ لَمْ يُفِدْهُ خِضَابُ

ذو النون والزائدة

٢٠ قَالَ ذُو النُّونِ بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ
عَلَيْهَا الظُّمَارُ شَعَرٍ . فَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ . فَدَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمَعَ مَا تَقُولُ .

زهد رجل من بني عباس

١٨ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَلِّمِ خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ رَفَضَ الدُّنْيَا
وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ . فَجَمَعْتَنِي وَإِيَّاهُ الطَّرِيقُ فَأَنْسَتْ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ :
هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي فَإِنَّ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحَتِي . فَجَزَانِي خَيْرًا .
ثُمَّ أُنْسَ إِلَيَّ فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ كُنْتُ
أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَنِعْمَةٍ طَائِلَةٍ وَمَالٍ كَثِيرٍ وَبَذَخَ
زَائِدٌ . فَأَمَرْتُ يَوْمًا خَادِمًا لِي أَنْ يَحْشُو لِي فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَمِخْدَةً بَوْرَدٍ
نَثِيرٍ . فَقَعَلَ . فَإِنِّي لَنَائِمٌ إِذَا يَقْمَعُ وَرَدَّةٌ قَدْ نَسِيَهُ الْخَادِمُ فَقُمْتُ إِلَيْهِ
فَأَوَجَعْتُهُ ضَرْبًا . ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقِمَعِ مِنَ الْخِدَّةِ
فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فِي صُورَةِ فَطِيعَةٍ فَهَزَّنِي وَقَالَ : أَفَقَ مِنْ عَشِيَّتِكَ
وَأَنْتَبَهَ مِنْ رَقَدَتِكَ ثُمَّ أُنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خِلُّ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْلًا وَسَدَّتْ بَعْدَ الْيَوْمِ صَمَّ الْجُنْدِلِ
فَأَمَهَدَ لِنَفْسِكَ صَاحِبًا تَسْعُدُ بِهِ فَلَتَنْدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ
فَأَنْتَبَهَتْ مُرْعُوبًا . وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي

(مستقطف المستظرف للابشيهي)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيُّ الشَّنَرِيُّ فِي الزُّهْدِ :

يَا مَنْ يُصَيِّحُ إِلَى دَاعِي السَّقَاةِ وَقَدْ نَادَى بِهِ النَّاعِمَانِ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ
إِنْ كُنْتَ لَا تَسْمَعُ الذِّكْرَى فَقِيمْ ثَوَى فِي رَاسِكَ الْوَاعِيَانِ السَّمْعُ وَالذِّكْرُ

مُنَعٌ لَمْ يَقْنَعْ . يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي . وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي . يُحِبُّ الصَّالِحِينَ
 وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ . وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ . وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ
 ذُنُوبِهِ وَيَقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ . إِنْ سَقَمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ آمِنَ
 لَا هَيْأًا . يُعْجِبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوْفِي وَيَقْنَطُ إِذَا أُبْتَلِيَ . إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا
 مُضْطَرًّا . وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا . تَعْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَظُنُّ وَلَا
 يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ . يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ
 بِأَكْثَرٍ مِنْ عَمَلِهِ . إِنْ اسْتَعْنَى بِطَرِّ وَفَيْنَ . وَإِنْ افْتَقَرَ قَنَطَ وَوَهَنَ .
 يَقْصُرُ إِذَا عَمِلَ . وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ . إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمُعْصِيَةَ
 وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ . وَإِنْ عَرَتْهُ مُخَنَّةٌ أَنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمَلَّةِ . يَصِفُ
 الْعَبْرَ وَلَا يَعْتَبِرُ . وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَّعِظُ . فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ .
 وَمِنْ الْعَمَلِ مُقِلٌّ . يُنَافِسُ فِيمَا يَنْفَى وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى . يَرَى الْغَنَمَ
 مَغْرَمًا . وَالْغُرْمَ مَغْنَمًا . يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يُبَادِرُ الْقَوْتَ . يَسْتَغْظِمُ مِنْ
 مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرُ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا
 يَحْتَقِرُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ . فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ . وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ . اللَّهُوْ مَعَ
 الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ . يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ
 وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ . يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُعْوِي نَفْسَهُ . فَهُوَ يَطَاعُ وَيَعْصِي .
 وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي . وَيَخْشَى الْخُلُقَ عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي
 خَلْقِهِ . قَالَ جَامِعُ التَّهْجِ : كَفَى بِهَذَا الْكَلَامِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً وَحِكْمَةً
 بَالِغَةً وَبَصِيرَةً لِمُبْصِرٍ وَعِبْرَةً لِنَازِلٍ مُفَكِّرٍ
 (لبهاء الدين)

وَالآنَ حَانَ الرَّحِيلُ مِنِّي وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَدُومُ
وَمَا تَزَوَّدْتُ غَيْرَ ذَنْبٍ عَذَابُهُ دَائِمٌ أَلِيمٌ
يَصْرَحُ الْوَعْظُ بِي وَقَالِي كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمٌ
أَبَارَزُ اللَّهَ بِالْخَطَايَا وَاللَّهُ سُجَّانُهُ حَلِيمٌ
فَكَمْ خَلَعْتُ الْعِذَارَ جَهْلًا وَلَمْتُ فِي الْغِيِّ مَنْ يَلُومُ
وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رِشَادِي وَمَنْهَجِ الْحَقِّ مُسْتَقِيمٌ
لَا أَتَّهِي عَنْ قَبِيحِ فِعْلٍ وَلَا أَصْلِي وَلَا أَصُومُ
عَصَيْتُ طِفْلًا وَصَرْتُ أَعْمَى وَالشَّيْبُ فِي مَفْرَقِي يَحُومُ
شَيْبٌ وَعَيْبٌ وَحِمْلُ ذَنْبٍ وَالذَّنْبُ بَعْدَ الْمَشِيبِ شُومُ
يَا جَامِعَ أَمْوَالٍ مِنْ حَرَامٍ سَيَقْتَضِي مَالَكَ الْغَرِيمُ
وَيَقْتَضِي وَزْرَهُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ يَغْلِي بِهَا الْحَمِيمُ
وَكَيْفَ يَهْنِيكَ صَفْوُ عَيْشٍ خَتَمَهُ عَلَقَمٌ عَقِيمٌ
يَا وَاسِعَ الْأُطْفِ جِدْ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ
إِنْ قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ ذَنْبِي فَقُلْ أَنَا الْمُسْتَفْقُ الرَّحِيمُ
وَأِنْ شَكَاهُ مِنْ خُصُومٍ سَوَاءٍ فَحُلْ مَا تَعْقِدُ الْخُصُومُ
وَسَامِحِ الْكُلَّ فِي ذُنُوبٍ أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمُ

١٧ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَجُلٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَعْظُمَهُ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو
الْآخِرَةَ بِالْعَمَلِ . وَيَرْجِي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ . يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ
الرَّاهِدِينَ . وَيَعْمَلُ فِيهَا بِقَوْلِ الرَّاغِبِينَ . إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ . وَإِنْ

رَأَاهُ قَرِيبًا أَمَلَهُ . قَلِيلًا زَالَهُ . خَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مُتَزَوِّدًا
 أَكْبَهَ . سَهْلًا أَمْرَهُ . حَرِيْزًا دِيْنَهُ . مَيِّتَةً شَهْوَتَهُ . كَظُومًا غَيْظَهُ . إِنْ
 كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ
 يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَغْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ . وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ . وَيَصِلُ مَنْ
 قَطَعَهُ . يُبْعِدُ أَفْحَشَهُ . لِيَنَاقِ قَوْلَهُ . غَائِبًا مُنْكَرُهُ . حَاضِرًا مَعْرُوفَهُ . مُقْبِلًا
 خَيْرُهُ . مُدْبِرًا شَرَّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورُ . وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورُ . وَفِي
 الرِّخَاءِ شُكُورُ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُهُ . وَلَا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ
 بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفَظَ . وَلَا يَنْسِي مَا ذَكَرَ .
 وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَسْتَمُتُ بِالْمَصَائِبِ . وَلَا
 يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُصْ صَمْتَهُ . وَإِنْ
 ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتَهُ . وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
 يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتَعَبَ نَفْسُهُ لِأَخِرَتِهِ
 وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زَهْدُهُ وَزَاهَاةٌ . وَدُنُوهُ
 مِنْ دُنَايَاهُ لِيُنْ وَرَحْمَةً . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ
 وَخَدِيعَةٍ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

قصيدة للبرعي في الزهد

١٦

أَحْبَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي وَنَقَصَتْ عَيْشِي أَلْهُومُ
 وَفَرَّقَ الْمَوْتُ أَهْلَ عَصْرِي فَلَا صَدِيقٌ وَلَا حَمِيمُ
 وَأَخْلَفَ الدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءٍ كَأَنِّي بَيْنَهُمْ يَتِيمُ

أَلْتَوَا ضِعْ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ . وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ
 النَّافِعِ لَهُمْ . نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَلَّتِي نَزَلَتْ فِي الرِّخَاءِ
 لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
 طَرَفَةً عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الْفُتُوبِ . وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخَالِقُ فِي
 أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدَرَاَهَا فَهُمْ فِيهَا
 مُنْعَمُونَ . وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدَرَاَهَا فَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُعَذَّبُونَ .
 أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَّتْهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . لَا يَرْضَوْنَ
 مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَمِمُْونَ .
 وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ . إِذَا زَكَّي أَحَدَهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ :
 أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنِّي . اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي
 بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَأَغْفِرْ لِي بِمَا لَا يَعْلَمُونَ . فَمِنْ
 عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي الدِّينِ . وَحَزْمًا فِي لِينٍ . وَإِيمَانًا فِي
 يَقِينٍ . وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ . وَعَمَلًا فِي حِلْمٍ . وَقَصْدًا فِي غِنَى . وَخُشُوعًا
 فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ . وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ . وَطَلَبًا فِي حَالٍ . وَنَشَاطًا
 فِي هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ .
 يَمْسِي وَهُوَ الشُّكْرُ . وَيُصْبِحُ وَهُوَ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ قَرِحًا .
 حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْعَفْلَةِ . وَقَرِحًا لِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِذَا
 اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطَهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ
 فِيمَا لَا يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى . يَمِزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ .

إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ يَدِ الْإِلَهِ يُقَلِّبُ الْأَحْوََالَ
فَدَعَ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بَطَالِيَهُمْ لَهْجًا تُضَعِّضُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ
قَالَ أَبُو الْقَتَحِ الْبُسْتِي :

تُبْقَى اللَّهُ وَالزَّمْ هُدَى دِينِهِ وَمِنْ بَعْدِ ذَا فَأَلْزَمِ الْفَلَسَفَةَ
وَلَا تَغْتَرِرْ بِأَنَاسٍ رَضُوا مِنْ الدِّينِ بِالزُّورِ وَالسَّفَسَةَ
وَدَعَ عَنكَ قَوْمًا يَعْبُونَهَا فَفَلَسَفَةُ الْمَرْءِ فَلُ السَّفَةَ
لَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ أَبَا الْحَسَنِ الْأَمْدَانِيَّ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

قَالُوا غَدًا نَأْتِي دِيَارَ الْحِمَى وَيَنْزِلُ الرِّكْبُ بِمَغْنَاهُمْ
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُمْ أَصْبَحَ مَسْرُورًا بِمَقْيَاهُمْ
فَقُلْتُ لِي ذَنْبٌ فَمَا حَيَاتِي بَأَيِّ وَجْهِ أَتَلَقَاهُمْ
قَالُوا أَلَيْسَ الْغَفْوُ شَأْنَهُمْ لَأَسِيًّا عَمَّنْ تَرَجَّاهُمْ

أَلْبَابُ الثَّانِي فِي الزُّهْدِ

الزهد في الدنيا والانقطاع الى الله

١٥ (مِنْ أَلْتَّحَجِ :) خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا
مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ . لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ
أَطَاةٍ . فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَالِيَهُمْ وَوَضَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ
فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ . مُنْطَفِعُهُمُ الصَّوَابُ وَمَمْلُؤُهُمُ الْإِقْتِصَادُ وَمَشِيمُهُمُ

يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ قَدْ بَهَرَ الْعُقُولَ سَنَا بَهَائِكَ
أَثْنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَأَيْنَ عِلْمِي مِنْ ثَنَائِكَ
مُتَجَبِّ فِي غَيْبِكَ أَا أَحْمَى مَنِيْعٌ فِي عِلَائِكَ
وَوَظَّهَرْتَ بِالْآثَارِ وَأَا أَفْعَالٍ بَادٍ فِي جَلَائِكَ
عَجَبًا خَفَاؤُكَ مِنْ ظُهُو رِكَ أَمْ ظُهُورُكَ مِنْ خَفَائِكَ
مَا الْكَوْنُ إِلَّا ظُلْمَةٌ قَبَسُ الْأَشِعَّةِ مِنْ ضِيَائِكَ
بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ فَقِيرٌ مُسْتَمِيعٌ مِنْ عَطَائِكَ
مَا فِي الْعَوَالِمِ ذَرَّةٌ فِي جَنْبِ أَرْضِكَ أَوْ سَمَائِكَ
إِلَّا وَوَجْهَتَهَا إِلَيْكَ بِالْإِفْتِقَارِ إِلَى غَنَائِكَ
أَفَلَا نَظَرْتَ لِمُسْتَغِيثٍ عَائِدٍ بِكَ مِنْ بَلَائِكَ
قَدَفَتْ بِهِ مِنْ شَاهِقٍ أَيْدِي أُمْتِنَائِكَ وَأَبْتِلَائِكَ
وَسَطَتْ عَلَيْهِ لَوَازِمُ أَا إِمْكَانٍ صَدًّا عَنْ فِتَائِكَ
وَرَمَتْهُ فِي ظُلْمِ الْعَنَاءِ صِرَ وَالطَّبَائِعِ فِي شَبَائِكَ
فَإِذَا أُرْعَوَى أَوْ كَادَ نَا دَتُهُ الْقَيْدُ إِلَى وَرَائِكَ
فَالطُّفُ بِهِ فِيمَا جَرَى فِي طَيِّ عِلْمِكَ مِنْ قَضَائِكَ
وَأَسْلَمَ بِهِ سَنَنَ الْهَدَا يَةِ فِي مَعَارِجِ أَصْفِيَائِكَ
١٤ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْحَوَائِجِ حَاجَةً
فَادْعُ الْإِلَآهَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
فَلْيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ
فَهُوَ اللَّطِيفُ لِمَا أَرَادَ فِعَالًا

تَابِعًا كُنْ دَائِمًا أَنْتَ وَلَا تَتَمَنَّ أَنْهُ لَوْ تَبِعَكَ
وَدَعَ التَّدْبِيرَ فِي الْأَمْرِ لَهُ وَأَصْنَعَ الْمَعْرُوفَ مَعَ مَنْ صَنَعَكَ
وَأَحْفَظَ حُرْمَةً مَنْ يُبْصِرُ إِنْ رُمْتَ فِعْلًا أَوْ تُنَادِي سَمِعَكَ
كُنْ بِهِ مُعْتَصِمًا وَأَخْضَعَ لَهُ لَا تُعَانِدْ فِيهِ وَانْهَجِرْ بِدَعَاكَ
١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْمَانَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

قَصْدِي رِضَاكَ بِكُلِّ وَجْهِ أَمَكْنَا وَلَنْ رَضِيتَ فَذَلِكَ غَايَةُ مَطْلَبِي
فَأَمْنٌ عَلَيَّ بِذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْفَنَاءِ
وَأَلْقَصِدُ كُلُّ الْقَصْدِ بَلْ كُلُّ الْمُنَى
لَوْ أَبْذَلَنْ رُوحِي فِدَى لَرَأَيْتَهَا
وَبَقِيتُ فِي خَجَلٍ كَعَبْدٍ قَدْ جَنَى
وَلَقَدْ تَفَضَّلْتُمْ بِإِيْجَادِي كَمَا
لَوْ لَا تَطَوَّلْتُكُمْ عَلَيَّ وَفَضَّلْتُمْ
مَنْ ذَا الَّذِي يَسْعَى وَيَشْكُو فَضْلَكُمْ
وَأَنَا الْمُسِيكِينُ الَّذِي قَدْ جَاءَكُمْ
فَبِإِيْمِكُمْ وَبِعِزِّكُمْ وَبِمَجَاهِكُمْ
قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ :

لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ سِوَاكَ فَإِنْ يَفُتْ وَدَعْتُ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَدَاعَا
لَا أَسْتَلِدُ بَغِيرَ وَجْهِكَ مَنَظَرًا وَسِوَى حَدِيثِكَ لَا أُرِيدُ سَمَاعَا

قصيدة للباي في التوسل والاستعطاف

هَوَتْ الْمَشَاعِرُ وَالْمَدَا رَكَ عَنْ مَعَارِجِ كِبَرِيَاكَ

لَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَالضَّرُّ مُشْتَمِلٌ إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدٌ

قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله

١١

كُنْ مَعَ اللَّهِ تَرَأَى اللَّهُ مَعَكَ وَأَتْرَكَ الْكُلَّ وَحَازِرَ طَمَعِكَ
وَأَلْزَمَ الْقَنَعَ بِمَنْ أَنْتَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْكَوْنِ حَتَّى يَسْمَعَكَ
بِالْصَّفَاءِ كَدَّرَ الْحُسَّ فَعَبَّ وَأَطْرَحَ الْأَغْيَارَ وَأَتْرَكَ خُدَعَكَ
لَا تُؤَمِّهِ بِكَ وَأَطْلَبَ مِنْكَ مَا نُورِكَ اللَّهُ بِهِ كُنْ مُشْرِقًا
وَأَعْبُدِ اللَّهَ بِكَشْفٍ وَأَصْطَبِرْ وَعَلَى الْكَشْفِ تَوَقَّ جَزَعَكَ
لَا تَقُلْ لَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ وَلَا تَطْلُبِ الْفَتْحَ وَحَرِّزْ وَرَعَكَ
كَيْفَمَا شَاءَ فَكُنْ فِي يَدِهِ لَكَ إِنْ فَرَّقَ أَوْ إِنْ جَمَعَكَ
فِي الْوَرَى إِنْ شَاءَ خَفَضَ ذِقَّتَهُ وَإِذَا شَاءَ عَلَيْهِمْ رَفَعَكَ
وَإِذَا ضَرَّكَ لَا نَافِعَ مِنْ دُونِهِ وَالضَّرُّ لَا إِنْ نَفَعَكَ
وَإِذَا أَعْطَاكَ مِنْ يَمِينِهِ ثُمَّ مَنْ يُعْطِي إِذَا مَا مَنَعَكَ
لَيْسَ يُوقِيكَ أَذَاهُ أَحَدٌ وَإِنْ أُسْتَنْصَرْتَ فِيهِ شَيْعَكَ
إِنَّمَا أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ فَكُنْ جَاءِلًا بِالْقُرْبِ مِنْهُ وَلَمَكَ
كُلَّمَا نَابَكَ أَمْرٌ ثِقَ بِهِ وَأَحْتَرَزْ لِلْغَيْرِ تَشْكُو وَجَمَعَكَ
لَا تُؤَمِّلْ مِنْ سِوَاهُ أَمَلًا إِنَّمَا يَسْقِيكَ مَنْ قَدْ زَرَعَكَ
لَيْتَ لَوْ تَشَعَّرُ مَاذَا كُنْتَ مِنْ قَبْلِ مَا مَوْلَى الْمَوَالِي أُخْتَرَعَكَ
كُنْتَ لَا شَيْءَ وَأَصْبَحْتَ بِهِ خَيْرَ شَيْءٍ بَشَرًا قَدْ طَبَعَكَ

وَيَا كَافِلَ الْحِيتَانِ فِي لُجِّ بَحْرِهَا
وَيَا مُخْصِيَ الْأُورَاقِ وَالنَّبْتِ وَالْحَصَى
إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ أَغْفِرْ ذُنُوبَنَا
وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَأَعْصِمْ قُلُوبَنَا
وَدَمِّرْ أَعَادِيَنَا بِسُلْطَانِكَ الَّذِي
وَمَنْ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ الْغَطَاءُ

وَاهُ إِضْمَانٌ قَصِيدَةٌ فِي الرَّجَاءِ بِاللَّهِ

١٠

إِكْلَ خَطْبٍ مِنْهُمْ حَسْبِي اللَّهُ
وَأَسْتَعِثُّ بِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
ذُو الْمَنِّ وَالْمَجْدِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمَنْ
لَهُ الْمَوَاهِبُ وَالْأَلَاءُ وَالْمَثَلُ أَوْ
الْقَادِرُ الْأَمْرُ النَّاهِي الْمُدِيرُ لَا
مَنْ لَا يُقَالُ بِحَالٍ عَنْهُ كَيْفَ وَلَا
وَلَا يُغَيَّرُ مَرُّ الدُّهُورِ وَلَا
وَلَا يُعْبَرُ عَنْهُ بِالْحُلُولِ وَلَا
أَنْشَأَ الْعَوَالِمَ أَعْلَامًا بِقُدْرَتِهِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَسْتُ تُوبَ الرَّجَاءِ وَالنَّاسُ قَدَرَقَدُوا
فَقُلْتُ يَا عُدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
فَقُمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
وَمَنْ عَلَيْهِ لِدَفْعِ الضَّرِّ اعْتَمِدُ

سَلَّ عَنْهُ دَارَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهُ رَبَّاهُ
مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ وَالْكُلُّ تَحْتَ الْقَهْرِ وَهُوَ إِلَهِ
أَبْدَى يُجْهِدُكُمْ صُنْعُهُ مِنْ نُطْقَةٍ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سِوَاهُ
وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا الْجَمِيعَ عُلَاهُ
وَدَحَى بَسِيطَ الْأَرْضِ فَرَشًا مُثْنِيًا بِالرَّاسِيَاتِ وَبِالنَّبَاتِ حُلَاهُ
تَجْرِي الرِّيَّاحُ عَلَى اخْتِلَافٍ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَالْقُلُوكُ وَالْأَمْوَاهُ
رَبُّ رَحِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ لَا يَنْتَهِي بِالْحَصْرِ مَا أَعْطَاهُ
كَمْ نِعْمَةٍ أُولَى وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ أَجَلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلًى عَاقَاهُ
وَإِذَا بَلَيْتَ بَغْرِيَّةٌ أَوْ كُرْبِيَّةٌ فَادْعُ الْإِلَاهَ وَقُلْ سَرِيعًا يَا هُوَ
لَا مُحْسِنُ الظَّنِّ الْجَمِيلُ بِهِ يَرَى سُوءًا وَلَا رَاجِيَهُ خَابَ رَجَاهُ
وَجَلِيمِهِ سُجَّانُهُ يُعْصِي قَلَمٌ يَعْبُدُ عَلَى عَبْدٍ عَصَى مَوْلَاهُ
يَأْتِيهِ مُعْتَدِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ كَرَمًا وَيَغْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ

وللبرعي في حمد الله

٩

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدًا فَإِنْ لَدَائِمٍ
وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحَ شَاكِرٍ لِمَعْرُوفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمَرَاحِمِ
فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرٍ عَلَى كُلِّ خَاطِيٍّ وَكَمْ لَكَ مِنْ بَرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ
وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَفَضْلُكَ فَائِضٌ وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجِي لِكَشْفِ الْعَظَائِمِ
وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤْمِلٍ وَبِرُّكَ مَمْنُوحٌ لِكُلِّ مُصَادِمٍ
فَيَا قَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى وَيَا قَاسِمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ

وَرَاعَ حِمَايَتِي وَقَوْلَ نَصْرِي
وَأَفْنِ عِدَائِي وَأَقْرِنْ نَجْمَ حَظِّي
وَأَهْمِنِي لَذِكْرِكَ طُولَ عُمْرِي
فَظَنِّي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلُ
وَشَدَّ عُرَايَ إِنْ عَرَّتِ الْحُطُوبُ
لِسَعْدٍ مَا إِطَالَعِهِ غُرُوبُ
فَإِنَّ بِذِكْرِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
وَمَرَعَى ذَوْدِ آمَالِي خَصِيبُ

قصيدة له في الابتهاال الى الله تعالى

٨

قِفْ بِالْخُضُوعِ وَنَادِ رَبَّكَ يَا هُوَ
وَأَطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ
وَأَسْأَلْهُ مَسْئَلَةً وَفَضْلًا إِنَّهُ
وَأَقْصِدْهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ
شَمَتَ لَطَائِفَهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا
فَعَزَّزُهَا وَذَلَّلَهَا وَغَنِيَهَا
مَلَكٌ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَيَلْتَجِي
هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرُ
حُجَّتِهِ أَسْرَارُ الْجَلَالِ فَدُونُهُ
صَمَدٌ بِلَا كُفٍّ وَلَا كَيْفِيَّةٍ
شَهِدَتْ غَرَائِبُ صُنْعِهِ بُوْجُودَهُ
وَإِلَيْهِ أَدْعَتِ الْعُقُولُ فَأَمَتَتْ
سُجَّانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ
طَوْعًا وَكَرْهًا خَاشِعِينَ لِعِزِّهِ
إِنَّ الْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
بِالْجُودِ يُرِضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِيهِ يَدَاهُ
يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ
مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُوَ
وَفَقِيرُهَا لَا يَرْتَجُونَ سِوَاهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَرُّهُمْ بِنِعَاهُ
هُوَ بَاطِنُ لَيْسَ الْعُيُونُ تَرَاهُ
تَقِفُ الظُّنُونُ وَتَحْرَسُ الْأَفْوَاهُ
أَبَدًا فَمَا النُّظْرَاءُ وَالْأَشْبَاهُ
لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَادُ
بِالْغَيْبِ تُؤَثِّرُ حَبَّهَا إِيَّاهُ
وَلَهُ سُجُودُ أَوْجُهُ وَجِبَادُ
وَلَهُ عَلَيْهَا الطَّوْعُ وَالْإِكْرَادُ

وَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرٍ عَسِرٍ
وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ
وَمَالِي غَيْرَ بَابِ اللَّهِ بَابِ
كَرِيمٍ مُنْعَمٍ بِرُحْمَةٍ لَطِيفٍ
حَلِيمٍ لَا يُعَاجِلُ بِالْخَطَايَا
فَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ أَقِلْ عِثَارِي
وَأَمْرَضْنِي الْهُوَى لِهَوَانِ حَظِي
وَعَانِدْنِي الزَّمَانَ وَقَلِّ صَبْرِي
وَعَدِّ النَّائِبَاتِ إِلَى عَدُوِّي
وَأَنْسِنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي
وَأَكْنِي نَبْذَتْ زِمَامِ أَمْرِي
هُوَ الرَّحْمَانُ حَوْلِي وَأَعْتَصَامِي
إِلَهِمَّ أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَالِي
وَكَمْ مُمْتَلَقٍ يُخْفِي عِنَادِي
وَحَافِرِ خُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيهَا
وَمُتَمَتِّعِ الْقَوَى مُسْتَضْعِفٍ بِي
وَذِي عَصِيَّةٍ بِالْمَكْرِ يَسْعَى
فِيَادِيَّانِ يَوْمَ الدِّينِ فَرَجٌ
وَصِلْ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَأَنْظُرْ

وَمِنْ تَفْرِيجٍ نَائِبَةٍ تَنْوُبُ
وَمِنْ فَرَجٍ تَزُولُ بِهِ الْكُرُوبُ
وَلَا مَوْلَى سِوَاهُ وَلَا حَبِيبُ
جَمِيلُ السِّرِّ لِلدَّاعِي حُجِيبُ
رَحِيمٌ غَمٍّ رَحْمَتِهِ تَصُوبُ
فَإِنِّي عَنْكَ أَنَا تُنِي الذُّنُوبُ
وَأَكُنْ لَيْسَ غَيْرَكَ لِي طَلِيبُ
وَضَاقَ بِعَبْدِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا نُوبُ
فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
لِمَنْ تَذِيرُهُ فِيهِ عَجِيبُ
بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَهَلًا أُنِيبُ
فَهَلْ يَا سَيِّدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
وَأَنْتَ عَلَى سِرِّيَّةٍ رَقِيبُ
وَسَهْمُ الْبَغْيِ يَذْرِي مَنْ يُصِيبُ
قَصَمْتَ قُوَاهُ عَنِّي يَا حَسِيبُ
إِلَى سَعْيٍ بِهِ يَوْمٌ عَصِيبُ
هُمُومًا فِي الْفَوَادِ لَهَا دَيْبُ
إِيَّيَّ وَتُبَّ عَلَيَّ عَسَى أَتُوبُ

صِفَاتُ الذَّاتِ وَالْأَفْعَالِ طُرًّا
 تُسَمَّى اللَّهُ شَيْئًا لَا كَالْأَشْيَاءِ
 وَلَيْسَ الْإِسْمُ غَيْرًا لِلْمَسْمَى
 وَمَا إِنْ جَوْهَرُ رَبِّي وَجِسْمُ
 وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ
 وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمَنِ وَجْهًا
 وَلَا يَمِضِي عَلَى الدِّيَانِ وَقْتُ
 وَمُسْتَعْنٍ إِلَهِهِ عَنِ عِبَادِ
 يُمِيتُ الْخَلْقَ طُرًّا ثُمَّ يُحْيِي
 لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَّتْ وَنُعْمَى
 وَلَا يَفْنَى الْجَحِيمُ وَلَا الْجَنَانُ
 يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بَغِيرِ كَيْفٍ
 فَيَنْسَوْنَ النِّعَمَ إِذَا رَأَوْهُ

قصيدة للبرعي في الحق سبحانه

أَغِيبُ وَذُو الْأَطَائِفِ لَا يَغِيبُ
 وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانٍ
 وَأُنْزِلُ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالٍ
 وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي
 فَكُمُ لِلَّهِ مِنْ تَذْيِيرِ أَمْرِ
 وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ
 بُلِيتُ بِهِ نَوَائِبُهُ تُشِيبُ
 إِلَى مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
 زَمَانُ الْجَوْرِ وَالْجَارُ الْمُرِيبُ
 طَوْتُهُ عَنِ الْمُشَاهَدَةِ الْغُيُوبُ

فَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ وَالْحُجُبُ ذِكْرُهَا التَّهْلِيلُ
مُسْكُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَمُحْيِي الْحُوتِ فِي الْمَاءِ فَهُوَ كَافٍ كَفِيلُ
سِرْمَدِي الْبَقَا أَخِيرُ قَدِيمُ قَصَرَتْ عَنْ مَدَى عُلَاهُ الْعُقُولُ
حَيْثُ لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ مَكَانٌ يَحْتَوِيهِ أَوْ غُدُوَّةٌ وَأَصِيلُ
مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالْمُلُوكُ عَبِيدُ وَهُوَ حَيُّ سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ
كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ يَفْنَى وَيَسْبُلُ رَحْمَةً ظَاهِرًا عَلَيْهِمْ ظَالِمُ
أَلَفَتْ بِهِ الْبَرَائِيَا فَهُمْ فِي سَيِّدِي أَنْتَ مَقْصِدِي وَمُرَادِي
أَحْيَ قَلْبِي بِمَوْتِ نَفْسِي وَصَلَنِي وَأَنْلَنِي إِنْ الْكَرِيمُ يُنِيلُ
وَأَجْرَنِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ جَلِيلُ قَبْلَ قَوْلِ الْوَشَاةِ صَبْرٌ جَمِيلُ
وَأَفْتَقَدَنِي بِرَحْمَةٍ وَأَقْلَنِي مِنْ عِثَارِي فَإِنِّي مُسْتَقِيلُ
كَيْفَ يَظْمَأُ قَلْبِي وَعَفْوُكَ بَحْرُ زَاخِرٌ طَافِحٌ عَرِيضٌ طَوِيلُ
رَبِّ صَفْحًا فَإِنَّ ذَنْبِي كَبِيرُ وَأَصْطَبَارِي عَلَى الْعَذَابِ قَلِيلُ
وَالرَّجَافِيكَ وَالرِّضَامِيكَ فَضْلًا وَلَكَ الْمَنُّ وَالْعَطَاءُ الْجَزِيلُ

متن بدء الامالي في التوحيد

يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدْءِ الْأَمَالِي ٦
إِلَهِ الْخَلْقِ مَوْلَانَا قَدِيمُ
هُوَ الْحَيُّ الْمُدَبِّرُ كُلِّ أَمْرٍ
صِفَاتُ اللَّهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ
لِتَوْحِيدٍ بِنَظْمٍ كَاللَّالِي
وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ
وَلَا غَيْرًا سِوَاهُ ذَا أَنْفِصَالِ

ثُمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِيَّاكَ وَلَمْ
 لَا وَلَا تَدْرِي صِفَاتِ رُكَّبَتْ
 أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا
 أَنْتَ أَكَلِ الْخُبْزِ لَا تَعْرِفُهُ
 فَإِذَا كُنْتَ طَوَايَاكَ الَّتِي
 كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
 فَهُوَ لَا كَيْفٌ وَلَا أَيْنُ لَهُ
 وَهُوَ فَوْقَ الْفَوْقِ لَا فَوْقَ لَهُ
 جَلَّ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَعَالًا
 ضُرِبَتْ بِالسَّيْفِ اعْتَسَاقُ الْفُحُولِ
 تَدْرِي مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولِ
 فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولِ
 هَلْ تَرَاهَا أَوْ تَرَى كَيْفَ تَجُولِ
 كَيْفَ يَجْرِي فِيكَ أَمْ كَيْفَ يَجُولِ
 بَيْنَ جَنَبَيْكَ بِهَا أَنْتَ جَهُولِ
 لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ الْوُصُولِ
 هُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيفُ يُجُولِ
 وَهُوَ فِي كُلِّ أَنْوَاحِي لَا يَزُولِ
 وَتَعَالَى رَبَّنَا عَمَّا تَقُولِ

قصيدة لاحمد البرعي في الاستدلال على الحق تعالى

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ دَلِيلُ
 أَحَدَثَ الْخَلْقَ بَيْنَ كَافٍ وَنُونِ
 مَنْ أَقَامَ السَّمَاءَ سَقْمًا رَفِيعًا
 وَدَحَى الْأَرْضَ فَهِيَ بَحْرٌ وَبَرٌ
 وَجِبَالٌ مُنِيفَةٌ شَاخِحَاتٌ
 وَرِيَّاحٌ تَهْبُ فِي كُلِّ جَوٍّ
 وَدَرَارٍ بَيْنَكُمْ وَشَمْسٌ وَبَدْرٌ
 حِكْمَةٌ تَاهَتْ الْبَصَائِرُ فِيهَا
 وَضَحَ الْحَقُّ وَاسْتَبَانَ السَّبِيلُ
 مَنْ يَكُونُ الْمُرَادُ حِينَ يَقُولُ
 يَرْجِعُ الْطَّرْفُ عَنْهُ وَهُوَ كَلِيلُ
 وَوَعْدٌ مُجْهُولَةٌ وَسُئُولُ
 وَعُيُونٌ مُعِينَةٌ وَسُيُولُ
 وَسَحَابٌ يَسْقِي الْجِهَاتِ ثَقِيلُ
 وَنُجُومٌ طَوَالِغٌ وَأَفُولُ
 وَأَعْتَرَاهَا دُونَ الذُّهُولِ ذُهُولُ

كُدُورَاتِ مَعْصِيَتِكَ . وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا سَحَابَ فَضْلِكَ وَمَرَحْمَتِكَ وَأُضْرِبْ
عَلَيْنَا سُرَادِقَاتِ عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ . وَأَدْخِلْنَا فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ وَمَكْرُمَتِكَ
(عجائب المخلوقات للقزويني)

متن الشيبانية في التوحيد

٣

سَاحِدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُدًا وَأَنْظِمُ عِقْدًا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَعَزَّزَ قَدَمًا بِالْبَقَا وَتَفَرَّدَا
هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بِغَيْرِ بَدَايَةٍ وَأَخِرُ مَنْ يَبْقَى مُقِيمًا مُؤَبَّدًا
سَمِيعُ بَصِيرٍ عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
مُرِيدٌ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ لَوْفَتَهَا قَدِيمٌ فَالْتَمَسَا مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
إِلَاهٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى وَبَايَنَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّدَا
فَلَا جِهَةَ تَحْوِي إِلَّا إِلَاهٌ وَلَا لَهُ مَكَانٌ تَعَالَى عَنْهُمَا وَتَعَجَّدَا
إِذَا الْكَوْنُ مَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقٌ لَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكَوْنِ رَبًّا وَسَيِّدًا
وَلَا حَلَ فِي شَيْءٍ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ مَلِيًّا غَنِيًّا دَائِمٌ الْغَزْرُ سَرْمَدًا
وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ شَيْءٌ تَعَالَى رَبُّنَا أَنْ يُجَدَّدَا
وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بَعِينُهُ فَذَلِكَ زَنْدِيقٌ طَغَى وَتَمَرَّدَا
وَلَكِنْ يَرَاهُ فِي الْإِنْسَانِ عِبَادُهُ كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ تَرْوِيهِ مُسْنَدًا
رُويَ أَنَّ الرَّخْشَرِيَّ سَأَلَ الْإِمَامَ الْغَزَالِيَّ عَنْ قَوْلِ الْقَائِلِ :
الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . فَأَجَابَ :

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَتُرْكُ الْأَجْثَ فَذَا شَرْحٌ يَطُولُ

الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي التَّدِينِ

عظمة الخالق وجبروته

١ سُجَّانَ مَنْ تَقَدَّسَتْ سُجُجَاتُ جَمَالِهِ عَنْ سِمَةِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ .
وَتَنَزَّهَتْ سُرَادِقَاتُ جَلَالِهِ عَنْ وَصْمَةِ التَّغْيِيرِ وَالْإِثْقَالِ . تَلَالُاتٌ عَلَى
صَفَحَاتِ الْمَوْجُودَاتِ أَنْوَارُ جَبَرُوتِهِ وَسُلْطَانِهِ . وَتَهَلَّلَتْ عَلَى وَجَنَاتِ
الْكَائِنَاتِ آثَارُ مَلَكُوتِهِ وَإِحْسَانِهِ . تَحَيَّرَتْ الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ فِي
كِبَرِيَاءِ ذَاتِهِ . وَقَلَّهَتْ الْأَذْهَانُ وَالْأَوْهَامُ فِي بَيْدَاءِ عَظَمَةِ صِفَاتِهِ .
دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ . وَشَهِدَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ نِظَامُ مَخْنُوعَاتِهِ

(شرح مواقف الايجي للجرجاني)

٢ الْعَظَمَةُ لَكَ وَالْكِبَرِيَاءُ لَجَلَالِكَ يَا قَائِمَ الدَّاتِ . وَمُفِيضَ الْخَيْرَاتِ .
وَوَاجِبَ الْوُجُودِ وَوَاهِبَ الْعُقُولِ وَفَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَمُبْدِيَ
الْحَرَكَةِ وَالزَّمَانِ . وَمُبْدِعَ الْحَيِّينَ وَالْمُسْكِنَ . وَفَاعِلَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَشْبَاحِ
وَجَاعِلَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ . وَخَرِّكَ الْأَفْلاكِ الْمُدَبَّرَاتِ . وَمَزِينًا بِالنُّجُومِ
الثَّوَابِتِ وَالسِّيَّارَاتِ . وَمَقَرَّرَ الْأَرْضِ وَمُمَهِّدَهَا لِأَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ
وَأَصْنَافِ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ . دَامَ حَمْدُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ . وَتَعَالَى ذِكْرُكَ
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ . وَكَثُرَتْ
آلَاؤُكَ وَنِعْمَاؤُكَ . أَفِضْ عَلَيْنَا أَنْوَارَ مَعْرِفَتِكَ . وَطَهِّرْ نَفُوسَنَا عَنْ

مَجَانِي الْأَدَبِ

فِي حَدَائِقِ الْعَرَبِ

جمع
أحد الآباء اليسوعيين
مدرس البيان في كلية القديس يوسف
الجزء الرابع



طبعة ثالثة مصححة

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة
بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٦

